

تفسير التابعين

قدم له وحققه وعلق حواشيه
الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء الثامن
[سورة السجدة، الآية: ١٠]- [سورة فصلت، الآية: ٣٦]

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفًا وتكرماً- على البريد الإلكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإياكم لما يرضيه برحمته، أمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)} [السجدة : ١٠]

التفسير:

وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث: إذا صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض أُنْبِعثَ خَلْقًا جَدِيدًا؟ يستبعدون ذلك غير طالبين الوصول إلى الحق، وإنما هو منهم ظلم وعناد؛ لأنهم بقاء ربهم -يوم القيامة- كافرون.

قوله تعالى: {وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [السجدة : ١٠]، أي: "وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث: إذا صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض أُنْبِعثَ خَلْقًا جَدِيدًا؟"^(١).

عن مجاهد: "إِنَّا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ"، يقول: "أنا هلكنا"^(٢).

قال الضحاك: "يقول: أنا كنا عظاما ورفاتا أُنْبِعثَ خَلْقًا جَدِيدًا؟ يكفرون بالبعث"^(٣).

وقرأ على وابن عباس رضى الله عنهما: «ضللنا»، بكسر اللام. يقال: ضل يضل وضل يضل. وقرأ الحسن رضى الله عنه: «صللنا»، من: صل اللحم وأصل: إذا أنتن. وقيل: صرنا من جنس الصلة وهي الأرض^(٤).

عن الحسن، قال: "لَمَّا قَدِمَ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَانُ، كَيْفَ تَرَكْتَ أَهْلَ مَكَّةَ؟». قَالَ: تَرَكْتُهُمْ وَقَدْ جِيئُوا -بِيعْنِي: الْمَطْر-، وَتَرَكْتُ الْإِنْدَخِرَ وَقَدْ أَغْدَقْتُ، وَتَرَكْتُ الثَّمَارَ وَقَدْ حَاصَ. قَالَ: فَاغْرورقت عينا النبي -صلى الله عليه-، وقال: «أنا أفصحكم، ثم أبانُ بعدي». قال الحسن: فكان أبانُ يقرأ هذا الحرف: {وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ} أي: مكنا"^(٥).

قوله تعالى: {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} [السجدة : ١٠]، أي: "يستبعدون ذلك غير طالبين الوصول إلى الحق، وإنما هو منهم ظلم وعناد؛ لأنهم بقاء ربهم -يوم القيامة- كافرون"^(٦). قال الضحاك: "يكفرون بالبعث"^(٧).

القرآن

{قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)} [السجدة : ١١]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بِكُمْ، فيقبض أرواحكم إذا انتهت آجالكم، ولن تتأخروا لحظة واحدة، ثم تُرْجَعُونَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، فيجازيكم على جميع أعمالكم: إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. قوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} [السجدة : ١١]، أي: "قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بِكُمْ، فيقبض أرواحكم إذا انتهت آجالكم"^(٨).

عن قتادة: "قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ"، قال: ملك الموت يتوفاكم، ومعه أعوان من الملائكة"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤١٥.

(٢) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٠.

(٤) انظر: الكشاف: ٥٠٩/٣.

(٥) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه ٣/ ١١١٦ (٢٤٠٨).

(٦) التفسير الميسر: ٤١٥.

(٧) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤١٥.

(٩) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٠.

عن مجاهد، قوله: "يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ"، قال: حويت له الأرض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء"^(١).

وفي رواية أخرى قال مجاهد: "جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء، وجعلت له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم"^(٢).

عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه قال: "سألت الربيع بن أنس عن ملك الموت، أهو وحده الذي يقبض الأرواح، قال: هو الذي يلي أمر الأرواح، وله أعوان على ذلك، ألا تسمع إلى قول الله تعالى ذكره: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ؟} وقال: "توفته رسلنا وهم لا يفرطون"، غير أن ملك الموت هو الذي يسير كل خطوة منه من المشرق إلى المغرب. قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال: عند السدرة في الجنة"^(٣).

قوله تعالى: {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة : ١١]، أي: "تُرَدُّونَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، فيجازيكم على جميع أعمالكم: إن خيراً فخير وإن شراً فشر"^(٤).
قال أبو العالية: "ترجعون إليه بعد الحياة"^(٥).

القرآن

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة : ١٢]
التفسير:

ولو ترى -أيها المخاطب- إذ المجرمون الذين أنكروا البعث قد خفضوا رؤوسهم عند ربهم من الخزي والعار قائلين: ربنا أبصرنا قبائحنا، وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا، وقد ثبتنا إليك، فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك، إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، وأنتك تبعث من في القبور. ولو رأيت -أيها الخاطب- ذلك كله، لرأيت أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً.

قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} [السجدة : ١٢]، أي: "ولو ترى -أيها المخاطب- إذ المجرمون الذين أنكروا البعث قد خفضوا رؤوسهم عند ربهم من الخزي والعار، قائلين: ربنا أبصرنا قبائحنا، وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا"^(٦).

قال قتادة: "أبصروا حين لم ينفعهم البصر، وسمعوا حين لم ينفعهم السمع"^(٧).
قوله تعالى: {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة : ١٢]، أي: "فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك، إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، وأنتك تبعث من في القبور"^(٨).

عن محمد ابن كعب القرظي، قال: " لأهل النار خمس دعوات يُجيبُهُمُ اللهُ في أَرْبَعَةِ قَائِمَاتٍ الْخَامِسَةَ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بَعْدَهَا أَبَدًا يَقُولُونَ {رَبَّنَا أَمَّنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ} [غافر: ١١]، فَيُجِيبُهُمُ اللهُ {ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} [غافر : ١٢]، ثُمَّ يَقُولُونَ {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السَّجْدَةُ : ١٢]، فَيُجِيبُهُمُ اللهُ {فَدُوفُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [السَّجْدَةُ : ١٤] ثُمَّ يَقُولُونَ {رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ} [إِبْرَاهِيم : ٤٤]، فَيُجِيبُهُمُ اللهُ {أُولَمْ

(١) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري(١٣٣٤):ص٤١١/١١-٤١٢.

(٣) أخرجه الطبري(١٣٣٨):ص٤١٢/١١.

(٤) التفسير الميسر: ٤١٥.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠٦٠):ص٣٠٠٣/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٧) .

(٨) التفسير الميسر: ٤١٦.

تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} ثُمَّ يَقُولُونَ {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [فاطر : ٣٧] ، فَيُجِيبُهُمُ اللَّهُ {أَوَلَمْ نَعْمَرَكُمْ مَا يُبَدِّدُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} ثُمَّ يَقُولُونَ {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عَدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} [المؤمنون : ١٠٦] ، فَيُجِيبُهُمُ اللَّهُ {أخْسِرُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ} فَلَا يَنْكَلِمُونَ بَعْدَهَا أَبَدًا"^(١) .

القرآن

{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)}

[السجدة : ١٣]

التفسير:

ولو شئنا لآتيننا هؤلاء المشركين بالله رشدهم وتوفيقهم للإيمان، ولكن حق القول مني ووجب لأملأن جهنم من أهل الكفر والمعاصي، من صنفى الجن والإنس أجمعين؛ وذلك لاختيارهم الضلالة على الهدى. قوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} [السجدة : ١٣]، أي: "ولو شئنا لآتيننا هؤلاء المشركين بالله رشدهم وتوفيقهم للإيمان"^(٢).

قال قتادة: "لو شاء الله لهدى الناس جميعا، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية، فظلت أعناقهم لها خاضعين"^(٣).

قوله تعالى: {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة : ١٣]، أي: "ولكن حق القول مني ووجب لأملأن جهنم من أهل الكفر والمعاصي، من صنفى الجن والإنس أجمعين"^(٤). قال السدي: "يعني: وجبت كلمة العذاب مني"^(٥). عن قتادة: "وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي": حق القول عليهم"^(٦). وقال قتادة: «بذنوبهم»^(٧).

القرآن

{ذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)}

[السجدة : ١٤]

التفسير:

يقال لهؤلاء المشركين -عند دخولهم النار على سبيل التوبيخ-: ذوقوا العذاب؛ بسبب غفلتكم عن الآخرة وانغماسكم في لذائذ الدنيا، إنا تركناكم اليوم في العذاب، وذوقوا عذاب جهنم الذي لا ينقطع؛ بما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله ومعاصيه.

قوله تعالى: {ذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [السجدة : ١٤]، أي: "يقال لهؤلاء المشركين -عند دخولهم النار على سبيل التوبيخ-: ذوقوا العذاب؛ بسبب غفلتكم عن الآخرة وانغماسكم في لذائذ الدنيا"^(٨).

(١) الدر المنثور: ١١٨/٦-١١٩، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الشعب، وانظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٣٤): ص ١١٨/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٣) أخرجه الطبري: ١٧٧-١٧٦/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٨٨/٢.

(٦) أخرجه الطبري: ١٧٧-١٧٦/٢٠.

(٧) ذكره الزجاج في معاني القرآن: ٢٠٦/٤، وعلق عليه قائلا: "وهذا حسن، لأن الله عز وجل قال: {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الطور : ١٦/التحرير: ٧]".

(٨) التفسير الميسر: ٤١٦.

قوله تعالى: {إِنَّا نَسِينَاكُمْ} [السجدة : ١٤]، أي: "إنا تركناكم اليوم في العذاب"^(١).

قال السدي: "تركتم أن تعملوا للقاء يومكم هذا"^(٢).

قال السدي: "إنا تركناكم في النار"^(٣).

قال قتادة: "نسوا من كل خير، وأما الشر فلم ينسوا منه"^(٤).

قوله تعالى: {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [السجدة : ١٤]، أي: "وذوقوا عذاب جهنم الذي لا

ينقطع؛ بما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله ومعاصيه"^(٥).

عن كعب الأحبار، قال: "إذا كان يوم القيامة يقوم الملائكة فيشفعون، ثم يقوم الأنبياء فيشفعون، ثم

يقوم الشهداء فيشفعون، ثم يقوم المؤمنون فيشفعون حتى إذا انصرفت الشفاعة كلها فلم يبق أحد خرجت

الرحمة فتقول: يَا رَبُّ أَنَا الرَّحْمَةُ فَشْفَعْنِي. فيقول: قَدْ شَفَعْتُكَ. فتقول: يَا رَبُّ فِيمَنْ؟ فيقول: فِيمَنْ ذَكَرَنِي فِي

مَقَامٍ وَاحِدٍ وَخَافَنِي فِيهِ أَوْ رَجَانِي أَوْ دَعَانِي دَعْوَةً وَاحِدَةً خَافَنِي أَوْ رَجَانِي فَأُخْرِجِيهِ. قال: فيخرجون فلا يبقى

فِي النَّارِ أَحَدٌ يَعْجَبُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا ثُمَّ يَعْظُمُ أَهْلَهَا بِهَا، ثُمَّ يُؤَمِّرُ بِالْبَابِ فَتَقْبِضُ عَلَيْهِمْ فَلَا يَدْخُلُ فِيهَا رُوحٌ أَبَدًا وَلَا

يُخْرَجُ مِنْهَا غَمٌّ أَبَدًا {وَقِيلَ الْيَوْمَ نُنَسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}"^(٦).

القرآن

{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)} [السجدة

: ١٥]

التفسير:

إنما يصدق آيات القرآن ويعمل بها الذين إذا وُعظوا بها أو ثلثت عليهم سجدوا لربهم خاشعين مطيعين،

وسَبَّحُوا الله في سجودهم بحمده، وهم لا يستكبرون عن السجود والتسبيح له، وعبادته وحده لا شريك له.

سبب النزول:

عن عبد الله بن عباس -من طريق عطاء- قال: "نزلت هذه الآية في شأن الصلوات الخمس: {إِنَّمَا

يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا}"^(٧).

قال الفراء: "كان المنافقون إذا نودي بالصلاة فإن خفوا عن أعين المسلمين تركوها، فأنزل الله: {إِنَّمَا

يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا}، إذا نودوا إلى الصلاة أتوها فركعوا وسجدوا غير مستكبرين"^(٨).

قوله تعالى: {وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [السجدة : ١٥]، أي: "وسَبَّحُوا الله في سجودهم

بحمده، وهم لا يستكبرون عن السجود والتسبيح له، وعبادته وحده لا شريك له"^(٩).

عن قتادة: " {وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}، قال: "سبحوا بمعرفة الله وطاعته"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٣٤): ص ٣١٠٦/٩.

(٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٨٩/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٦) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨١/٢١-٢٨٢، وذكره الحكيم الترمذي في "نوادير الأصول" ٢٢٩/١.

(٧) أخرجه البيهقي في الشعب ٤/ ٣٦٦ (٢٦٥٤) من طريق محمد بن حميد، عن عمر بن هارون، عن ابن جريج، عن

عطاء، عن ابن عباس به.

وسنده ضعيف جداً؛ فيه محمد بن حميد بن حيان الرازي، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب (٥٨٣٤): «حافظ ضعيف».

وفيه عمر بن هارون بن يزيد الثقفي، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب (٤٩٧٩): «متروك، وكان حافظاً».

(٨) معاني القرآن: ٣٣١/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤١٦.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٦١/٤.

القرآن

{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)} [السجدة : ١٦]

التفسير:

ترتفع جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بأيات الله عن فراش النوم، يتهددون لربهم في صلاة الليل، يدعون ربهم خوفاً من العذاب وطمعاً في الثواب، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله.
سبب النزول:

عن أنس بن مالك، "أن هذه الآية نزلت في رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}"^(١).
عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: "قال بلال لما نزلت هذه الآية: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} الآية، كنا نجلس في المجلس، وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت هذه الآية: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}"^(٢).
وقال مقاتل: "نزلت في الأنصار"^(٣).

قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} [السجدة : ١٦]، أي: "ترتفع جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بأيات الله عن فراش النوم، يتهددون لربهم في صلاة الليل"^(٤).
قال الضحاك: "هم قوم لا يزالون يذكرون الله، إما في صلاة، وإما قياماً، وإما قعوداً، وإما إذا استيقظوا من منامهم، هم قوم لا يزالون يذكرون الله"^(٥).

وفي الصلاة التي تتجافى جنوبهم لأجلها، أربعة أقوال:

أحدها: التنفل بين المغرب والعشاء، قاله قتادة^(٦)، وعكرمة^(٧).

الثاني: صلاة العشاء التي يقال لها صلاة العتمة، قاله الحسن^(٨)، وعطاء^(٩).

الثالث: قيام الليل، قاله الحسن -أيضاً-^(١٠)، ومجاهد^(١١)، ومالك^(١٢).

ولم يخص الله في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالاً ووقتاً دون حال ووقت، فكان واجباً أن يكون ذلك على كلِّ آناء الليل وأوقاته. وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام الليل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات الليل، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}، لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائماً صلى أو ذكر الله، أو قاعداً بعد أن لا يكون مضطجعا، وهو على القيام أو القعود قادر، غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن توجيه الكلام إلى أنه معني به قيام الليل أعجب إليّ؛ لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب على ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١٣).

(١) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٠.

(٢) مسند البزار برقم (٢٢٥٠) "كشف الأستار"، وقال الهيثمي في المجمع (٩٠/٧): "فيه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف".

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥١/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦٣/٤.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٦٣/٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٠.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦٣/٤.

(١٣) تفسير الطبري: ١٨١/٢٠. [بتصرف بسيط]

عن مجاهد، قال: "ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل، ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه، فقال: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}"^(١).

عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "عجب ربنا من رجلين : رجل ثار من وطائه ولحافه ، ومن بين أهله وَحْيَه إلى صلاته ، فيقول ربنا : أيا ملائكتي ، انظروا إلى عبدي ، ثار من فراشه ووطائه ، ومن بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي. ورجل غزا في سبيل الله ، عز وجل ، فانهزموا ، فعلم ما عليه من الفرار ، وما له في الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه ، رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي. فيقول الله ، عز وجل للملائكة : انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ، ورهبة مما عندي ، حتى أهريق دمه"^(٢).

عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، جاء مناد فنادى بصوت يُسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع اليوم مَنْ أولى بالكرم. ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانت { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } الآية ، فيقومون وهم قليل"^(٣). قوله تعالى: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [السجدة : ١٦]، أي: "يدعون ربهم خوفاً من العذاب وطمعاً في الثواب"^(٤).

قال قتادة: "خوفا من عذاب الله، وطمعاً في رحمة الله"^(٥). قوله تعالى: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [السجدة : ١٦]، أي: "ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله"^(٦).

قال قتادة: "ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله، وفي سبيله"^(٧).

القرآن

{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)} [السجدة : ١٧]

التفسير:

فلا تعلم نفس ما ادخر الله لهؤلاء المؤمنين مما تقرر به العين، وينشرح له الصدر؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة.

عن الحسن : "{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}"، قال: أخفوا عملاً في الدنيا، فأثابهم الله بأعمالهم"^(٨).

عن معمر ، قال: "تلا قتادة {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} [السجدة: ١٧] قال: قال الله: «أعددت لعبادي ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر»"^(٩).

عن سعيد بن جبير-من طريق جعفر- : "أنه قيل له: البطائن من استبرق، فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله سبحانه: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: ١٧]"^(١٠).

(١) أخرجه الطبري: ١٨١/٢٠.

(٢) المسند (٤١٦/١) وسنن أبي داود برقم (٥٢٣٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٦٥/٦، ورواه إسحاق بن راهوية في مسنده ، وأبو يعلى في المسند الكبير كما في المطالب العالية (٣٧٣/٤) من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.

(٤) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٧) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ١٨٦/٢٠.

(٩) تفسير عبدالرزاق (٢٣٠٤): ص ٢٧/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٤٤ / ٢٢.

عن شهر بن حوشب -من طريق جعفر بن سليمان، عن شيخ من أهل البصرة- قال: "إنَّ الرجل من أهل الجنة لَيَتَكَبَّرُ اتِّكَاءَهُ واحدة قَدْرَ سبعين سنة يُحَدِّثُ بعض نساءه، ثم يلتفت الالتفاتة فتناديه الأخرى: فدانا لك، أما لنا فيك نصيب؟! فيقول: مَنْ أنت؟ فتقول: أنا من الذين قال الله: {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥]. قالوا: فيتحدث معها، ثم يلتفت الالتفاتة فتناديه الأخرى: أما لنا لك، أما لنا فيك نصيب؟! فيقول: من أنت؟ فنقول: أنا من الذين قال الله: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}"^(١).

عن أبي اليمان الهوزني -من طريق صفوان بن عمرو- قال: "الجنة مائة درجة، أولها درجة فضة، وأرضها فضة، وأنبتها فضة، وترابها المسك. والثانية ذهب، ومساكنها ذهب، وأنبتها ذهب، وترابها المسك. والثالثة لؤلؤ، وأرضها لؤلؤ، ومساكنها لؤلؤ، وأنبتها لؤلؤ، وترابها المسك. وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وتلا هذه الآية: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} الآية"^(٢).

عن عامر بن عبد الواحد، قال: "بلغني: أنَّ الرجل من أهل الجنة يمكث في ثكأته سبعين سنة، ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه، فتقول له: قد أنى لك أن يكون لنا منك نصيب. فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا مزيد. فيمكث معها سبعين سنة، ويلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه، فتقول: قد أنى لك أن يكون لنا منك نصيب. فيقول: من أنت؟ فنقول: أنا التي قال الله: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}"^(٣).

عن موسى بن أيوب، أنه سمع إياس بن عامر يقول: "سمعت رجلا بابلياء قديما وسألته عن هذه الآية: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}، قال: قد استبطأت أن تسأل عن هذه الآية، فذلك الجهاد، فلا تعلم نفس ما أخفي لها من ثوابه"^(٤).

عن الشعبي، قال: "سمعت المغيرة بن شعبه على المنبر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "إن موسى سأل ربه: أي رب، أي أهل الجنة أدنى منزلة؟ قال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل. فيقول: كيف أدخل وقد نزلوا منازلهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: بخ أي رب قد رضيت، فيقال له: إن لك هذا ومثله ومثله ومثله، فيقول: رضيت أي رب رضيت، فيقال له: إن لك هذا وعشرة أمثاله معه، فيقول: رضيت أي رب، فيقال له: فإن لك مع هذا ما اشتبهت نفسك، ولذت عينك، قال: فقال موسى: أي رب، وأي أهل الجنة أرفع منزلة، قال: إياها أردت، وسأحدثك عنهم غرست لهم كرامتي ببدي، وختمت عليها، فلا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال: ومصدق ذلك في كتاب الله: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}"^(٥).

القرآن

{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ (١٨)} [السجدة : ١٨]

التفسير:

أفمن كان مطيعاً لله ورسوله مصدقاً بوعدته ووعدته، مثل من كفر بالله ورسله وكذب باليوم الآخر؟ لا يستون عند الله.

سبب النزول:

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا / ٦ / ٣٧٩ - ٣٨٠ (٢٨٩).

(٢) أخرجه الطبري: ٦٢٠ / ١٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير / ٦ / ٣٦٩.

(٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٩٢): ص ١٤٤ / ٢.

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٤ / ٢٠.

قال عطاء بن يسار: "نزلت بالمدينة، في علي بن أبي طالب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بين الوليد وبين علي كلام، فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأرد منك للكتيبة، فقال علي: اسكت، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} إلى قوله: {بِهِ تُكذَّبُونَ}"^(١).

قال السدي: "نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وذلك أنه جرى بينهما تنازع وسباب، فقال له الوليد: اسكت فإنك صبي، وأنا والله أبسط منك لساناً. فقال له علي: اسكت، فإنك فاسق تقول الكذب فأنزل الله هذه الآية تصديقاً لما قاله علي"^(٢).

قال عبد الرحمن بن أبي ليلي: "نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والوليد بن عقبة"^(٣). قال مقاتل: "وذلك أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط من بني أمية أخو عثمان بن عفان- رضي الله عنه- من أمه قال لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: اسكت فإنك صبي، وأنا أحد منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأكثر حشواً في الكتيبة منك. قال له علي- عليه السلام-: اسكت فأنت فاسق. فأنزل الله- جل ذكره-: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا}، يعني: عليا- عليه السلام- {كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا}، يعني: الوليد"^(٤). عن قتادة: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ}، قال: "لا والله ما استواوا في الدنيا، ولا عند الموت، ولا في الآخرة"^(٥). وفي لفظ: "لا في الدنيا، ولا عند الموت. ولا في الآخرة"^(٦).

القرآن

{أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩)} [السجدة : ١٩]

التفسير:

أما الذين آمنوا بالله وعملوا بما أمروا به فجزاؤهم جنات يأوون إليها، ويقومون في نعيمها ضيافة لهم؛ جزاء لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته.

قوله تعالى: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [السجدة : ١٩]، أي: "ما الذين آمنوا بالله وعملوا بما أمروا به"^(٧).

عن سعيد بن جبیر: "قوله: {آمَنُوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"^(٨).

عن السدي، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"^(٩).

قوله تعالى: {فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة : ١٩]، أي: "لهم الجنات التي فيها المساكن والدور والغرف العالية يأوون إليها ويستمتعون بها، ضيافة مهياً ومعدة لإكرامهم كما تهيأ الثحف للضيف وذلك بسبب ما قدموه من صالح الأعمال"^(١٠). قال مجاهد: "الجنات: حوائط"^(١١).

(١) أخرجه الطبري: ١٨٧/٢٠-١٨٨.

(٢) أورده الواحدي في "التفسير البسيط": ١٥٣/١٨، وانظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٥١): ص ٣١٠٩/٩.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥١/٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٥٢): ص ٣١٠٩/٩.

(٧) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٠٤): ص ١٠٩٠/٤.

(٩) علقه يحيى بن سلام ٦١٨/٢.

(١٠) صفوة التفاسير: ٤٦٤/٢.

(١١) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

عن الحسن: "فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ، قال: "هي التي يصير إليها المتقون"^(١).
عن قتادة، في قوله: "عندها جنة المأوى"، قال: منازل الشهداء"^(٢).

القرآن

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)﴾ [السجدة : ٢٠]

التفسير:

وأما الذين خرجوا عن طاعة الله وعملوا بمعاصيه فمستقرهم جهنم، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم -توبيخاً- وتقريعاً-: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [السجدة : ٢٠]، أي: "وأما الذين خرجوا عن طاعة الله وعملوا بمعاصيه فمستقرهم جهنم"^(٣).

عن قتادة: "وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا: أشركوا"^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة : ٢٠]، أي: "وقيل لهم -توبيخاً وتقريعاً-: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون في الدنيا"^(٥).

عن قتادة، قوله: "كنتم به تكذبون"، قال: هم يكذبون كما ترون"^(٦).
وفي رواية: "والقوم مكذبون كما ترون"^(٧).

القرآن

﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١)﴾ [السجدة : ٢١]

التفسير:

ولنذيقن هؤلاء الفاسقين المكذبين من العذاب الأدنى من البلاء والمحن والمصائب في الدنيا قبل العذاب الأكبر يوم القيامة، حيث يُعَذَّبُونَ في نار جهنم؛ لعلهم يرجعون ويتوبون من ذنوبهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة : ٢١]، أي: "ولنذيقن هؤلاء الفاسقين المكذبين من العذاب الأدنى من البلاء والمحن والمصائب في الدنيا قبل العذاب الأكبر يوم القيامة، حيث يُعَذَّبُونَ في نار جهنم"^(٨).

عن أبي العالية: "وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ"، قال: المصائب في الدنيا"^(٩).

قال إبراهيم: "أشياء يُصابون بها في الدنيا"^(١٠).

قال الحسن: "أي: مصيبات الدنيا"^(١١).

قال الضحاك: "المصيبات في دنياهم وأموالهم"^(١).

(١) انظر: الكشف والبيان: ١١٠/٢٥، والكشاف" للزمخشري ٤/ ٤٢١، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٧/ ٩٦، وأورده ابن الجوزي عن الحسن بلفظ: هي التي يصير إليها أهل الجنة "زاد المسير" ٨/ ٦٩، "أنوار التنزيل" للبيضاوي ٥/ ١٠٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٤) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٥٢): ص ٣١٠٩-٣١١٠.

(٧) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤١٧.

(٩) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٩٠/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٠.

قال عبد الله بن الحارث بن نوفل: "القتل بالسيف، كل شيء وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى إنما هو السيف"^(٢).

وقال مجاهد: "القتل والجوع لقريش في الدنيا"^(٣).

وعن إبراهيم في رواية-: "وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ"، قال: سنون أصابتهم"^(٤).

وفي رواية عن مجاهد، قال: "الأدنى في القبور وعذاب الدنيا"^(٥).

عن عبد الله: "دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ"، قال: يوم القيامة"^(٦). وروي الحسن ومجاهد وابن زيد مثله^(٧).

قوله تعالى: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة : ٢١]، أي: "لعلهم يرجعون ويتوبون من ذنوبهم"^(٨).

عن عبد الله: "لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"، قال: يتوبون"^(٩). وروي عن أبي العالية وقتادة مثله^(١٠).

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (٢٢)} [السجدة : ٢٢]

التفسير:

ولا أحد أشد ظلماً لنفسه ممن وعظ بدلائل الله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها، إنا من المجرمين الذين أعرضوا عن آيات الله وحججه، ولم ينتفعوا بها، منتقمون.

سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في المطعمين والمستهزئين من قريش انتقم الله- عز وجل- منهم بالقتل ببدر، وضربت الملائكة الوجوه والأديبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار"^(١١).

قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا} [السجدة : ٢٢]، أي: "ولا أحد أشد ظلماً لنفسه ممن وعظ بدلائل الله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها"^(١٢).

قال قتادة : "إياكم والإعراض عن ذكر الله ، فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرّة ، وأعوز أشد العوز، وعظم من أعظم الذنوب"^(١٣).

قوله تعالى: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [السجدة : ٢٢]، أي: "إنا من المجرمين الذين أعرضوا عن آيات الله وحججه، ولم ينتفعوا بها، منتقمون"^(١٤).

عن يزيد بن رفيع، قال: "إن قول الله في القرآن {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} هم أصحاب القدر، ثم قرأ: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ...} إلى قوله: {خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}"^(١٥).

(١) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ١٩٠/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ١٩٠/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤١٧.

(٩) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٠.

(١٠) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها..

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٤١٧.

(١٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.

(١٤) التفسير الميسر: ٤١٧.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢٠.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} {السجدة : ٢٣}

التفسير:

ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك -أيها الرسول- القرآن، فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} {السجدة : ٢٣}، أي: "ولقد آتينا موسى التوراة"^(١).

عن زياد بن أبي مريم، في قوله: {آتَيْنَا}، قال: "أعطينا"^(٢).

قوله تعالى: {فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} {السجدة : ٢٣}، أي: "فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة

الإسراء والمعراج"^(٣).

وفي قوله تعالى: {فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} {السجدة : ٢٣}، وجوه من التفسير:

أحدها : فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى ولقد لقيته ليلة الإسراء. قاله أبو العالية^(٤).

عن أبي العالية، قوله: "فلا تكن في مرية من لقائه"، قال: من لقاء موسى قيل: أو لقي موسى؟ قال:

نعم. ألا ترى إلى قوله: وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا"^(٥).

الثاني : فلا تكن في شك من أن تلقي موسى، قاله مجاهد^(٦).

وروي عن مجاهد: "يعني: من أن يلقي موسى وكتابه"^(٧).

الثالث: فلا تكن في شك من أن تلقى من قومك من الأذى ما لقي موسى من قومه من الأذى، قاله الحسن^(٨).

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} {السجدة : ٢٣}، أي: "وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل،

تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم"^(٩).

قال قتادة: "جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل"^(١٠).

وقال السدي: "يعني: التوراة"^(١١).

القرآن

{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} {السجدة : ٢٤}

التفسير:

وجعلنا من بني إسرائيل هداة ودعاة إلى الخير، يأتئم بهم الناس، ويدعونهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده

وطاعته، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية حين صبروا على أوامر الله، وترك زواجره، والدعوة إليه، وتحمل

الأذى في سبيله، وكانوا بآيات الله وحججه مصدقين على وجه اليقين.

(١) التفسير الميسر: ٤١٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٩) بص: ١٦٨/١.

(٣) التفسير الميسر: ٤١٧.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٥٨) ص: ٣١١٠/٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٥٨) ص: ٣١١٠/٩.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٥٩) ص: ٣١١٠/٩.

(٧) تفسير مجاهد: ٥٤٥.

(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٦٩٣/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤١٧.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٠.

(١١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٩٤/٢.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً} [السجدة : ٢٤]، أي: "وجعلنا من بني إسرائيل قادةً وقادةً يقتدى بهم في الخير"^(١).

عن قتادة: "وجعلنا منهم أمة يهدون بأمرنا"، قال: رؤساء في الخير"^(٢).

قوله تعالى: {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} [السجدة : ٢٤]، أي: "يدعون الخلق إلى طاعتنا ويرشدونهم إلى الدين بأمرنا وتكليفنا"^(٣).

قوله تعالى: {لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة : ٢٤]، أي: "حين صبروا على تحمل المشاق في سبيل الله، وكانوا يصدقون بآياتنا أشد التصديق وأبلغه"^(٤).

عن السدي: "لَمَّا صَبَرُوا"، يعني: بما صبروا"^(٥).

عن ابن وكيع، قال: "قال أبي: سمعنا في: {وجعلنا منهم أمة يهدون بأمرنا لما صبروا} قال: عن الدنيا"^(٦) (٧).

وقرئ: «لما» بكسر اللام وتخفيف الميم بمعنى: لصبرهم عن الدنيا وشهواتها، واجتهادهم في طاعتنا، والعمل بأمرنا"^(٨).

وفي قراءة ابن مسعود: «بما صبروا»^(٩).

القرآن

{أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)}

[السجدة : ٢٦]

التفسير:

أو لم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول: كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة يمشون في مساكنهم، فيشاهدونها عياناً كقوم هود وصالح ولوط؟ إن في ذلك آيات وعظات يُستدلُّ بها على صدق الرسل التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه من الشرك، أفلا يسمع هؤلاء المكذبون بالرسل مواظ الله وحججه، فينتفعون بها؟

قوله تعالى: {أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ} [السجدة : ٢٦]، أي: "أو لم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول: كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة يمشون في مساكنهم، فيشاهدونها عياناً كقوم هود وصالح ولوط؟"^(١٠).

عن قتادة: "أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ} عاد وثمود، وأنهم إليهم لا يرجعون"^(١١).

وقرئ: «يمشون»: بالتشديد"^(١٢).

(١) صفوة التفاسير: ٤٦٥/٢.

(٢) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٠.

(٣) صفوة التفاسير: ٤٦٥/٢.

(٤) صفوة التفاسير: ٤٦٥/٢.

(٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٩٤/٢.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢٠.

(٧) قال سفيان: "هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يُقَدَّى به حتى يتحامي عن الدنيا". وقال سفيان: "لا بد للدين من العلم، كما لا بد للجسد من الخبز". [نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧١/٦]

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤١٧.

(١١) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٠.

(١٢) انظر: الكشاف: ٥١٦/٣.

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ} [السجدة : ٢٦]، أي: "إن في ذلك آيات وعظمت يُستدلُّ بها على صدق الرسل التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه من الشرك، أفلا يسمع هؤلاء المكذبون بالرسل مواظ الله وحججه، فينتفعون بها؟" (١).
عن سعيد بن جبير، قوله: " {إن في ذلك آيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله" (٢).

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزُ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ} [السجدة : ٢٧]

التفسير:

أو لم ير المكذبون بالبعث بعد الموت أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه تأكل منه أنعامهم، وتتغذى به أبدانهم فيعيشون به؟ أفلا يرون هذه النعم بأعينهم، فيعلموا أن الله الذي فعل ذلك قادر على إحياء الأموات ونشرهم من قبورهم؟

قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزُ} [السجدة : ٢٧]، أي: "أو لم ير المكذبون بالبعث بعد الموت أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها" (٣).

عن الضحاك: " {إلى الأرض الجرز} : ليس فيها نبت" (٤).

عن السدي: " {إلى الأرض الجرز}، قال: إلى الأرض الميتة" (٥).

وقال عكرمة: "السمطاء" (٦).

وقال قتادة: "المغبرة" (٧).

قال مجاهد: "هي التي لا تنبت هن أبيض (٨) ونحوها من الأرض" (٩).

وقال الحسن: "قرى فيما بين اليمن والشام" (١٠).

عن الربيع بن سبرة، قال: الأمثال أقرب إلى العقول من المعاني، ألم تسمع إلى قوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزُ} «ألم تر؟»، «ألم يروا؟» (١١).

روي عن قيس بن حجاج ، عن حدثه قال : "لما فُتِحَت مصر، أتى أهلها عمرو بن العاص - وكان أميرًا بها- حين دخل بؤونة من أشهر العجم ، فقالوا : أيها الأمير ، إن لنيلنا سُنَّة لا يجري إلا بها. قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمَدنا إلى جارية بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلبي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله. فأقاموا بؤونة والنيل لا يجري ، حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا ، فألقها في النيل. فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير

(١) التفسير الميسر: ٤١٧.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤١٧.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٠.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٤):ص٣١١١/٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٣):ص٣١١١/٩.

(٧) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٠.

(٨) أبيض هي عدن أبيض: جزيرة باليمن. التاج (عدن).

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٢):ص٣١١١/٩.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٥):ص٣١١١/٩.

(١١) ع الدر المنثور: ٥٥٧/٦، وعزاه إلى أبي بكر بن حيان في "الغرر".

المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد... فإنك إن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك. قال : فألقى البطاقة في النيل ، وأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم"^(١).

القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨)} [السجدة : ٢٨]

التفسير:

يستعجل هؤلاء المشركون بالله العذاب، فيقولون: متى هذا الحكم الذي يقضي بيننا وبينكم بتعذيبنا على زعمكم إن كنتم صادقين في دعواكم؟

سبب نزول الآيات: [٢٨-٣٠]:

قال مقاتل: " وذلك أن المؤمنين قالوا إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح فقال كفار مكة: {مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}؟ يعنون النبي- صلى الله عليه وسلم- وحده، تكديباً بالبعث بأنه «ليس بكائن فإن كان البعث حقاً صدقنا يوماً فأنزل الله- تبارك وتعالى- {فَلْ} يا محمد، {يَوْمَ الْفَتْحِ}، يعني: القضاء، {لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ} بالبعث، لقولهم للنبي- صلى الله عليه وسلم-: «إن كان البعث الذي تقول حقاً صدقنا يوماً»، فذلك قوله - عز وجل- {يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالبعث، لقولهم: «إن كان ذلك اليوم حقاً صدقنا»، {وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ}، يقول: لا يناظر بهم العذاب حتى يقولوا، فلما نزلت هذه الآية أراد النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يرسل إليهم فيجزئهم وينبؤهم فأنزل الله- تبارك وتعالى- يعزي نبيه- صلى الله عليه وسلم- إلى مدة: {قَاعَرْضُ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ} بهم العذاب، يعني: القتل بيدر {إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ} العذاب، يعني: القتل بيدر"^(٢).

وروي عن قتادة، قال: " قال الصحابة: إن لنا يوم يوشك أن نستريح فيه ونتنعم فيه. فقال المشركون: «متى هذا الفتح إن كنتم صادقين». فنزلت"^(٣).

قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ} [السجدة : ٢٨]، أي: "يستعجل هؤلاء المشركون بالله العذاب، فيقولون: متى هذا الحكم الذي يقضي بيننا وبينكم بتعذيبنا على زعمكم"^(٤).

عن السددي: " {مَتَى هَذَا الْفَتْحُ} متى هذا القضاء"^(٥).

قال قتادة: " قال أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم: إن لنا يوماً أوشك أن نستريح فيه وننعم فيه. فقال المشركون: {متى هذا الفتح إن كنتم صادقين}"^(٦).

القرآن

{قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩)} [السجدة : ٢٩]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: يوم القضاء الذي يقع فيه عقابكم، وتعاينون فيه الموت لا ينفع الكفار إيمانهم، ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة.

قوله تعالى: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ} [السجدة : ٢٩]، أي: "قل لهم -أيها الرسول-: يوم القضاء الذي يقع فيه عقابكم، وتعاينون فيه الموت لا ينفع الكفار إيمانهم"^(١).

(١) رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة برقم (٦٦) "قسم كرامات الأولياء" حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن مخلد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ابن لهيعة به ، وهو مرسل.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٣/٣-٤٥٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٨٦٦):ص٣١١/٩.

(٤) التفسير الميسر: ٤١٧.

(٥) علقه يحيى بن سلام ٦٩٥ / ٢.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٠.

عن مجاهد: " {يوم الفتح}: يوم القيامة" (٢).
وقال قتادة: " يوم القضاء" (٣).

عن السُّدِّيِّ: " {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ}، يعني: يوم بدر؛ لأن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا يقولون لهم: إن الله ناصرنا ومُظهِرنا عليكم" (٤).

القرآن

{فَأَعْرَضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (٣٠)} [السجدة : ٣٠]

التفسير:

فأعرض -أيها الرسول- عن هؤلاء المشركين، ولا تبال بتكذيبهم، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ومتربصون بكم دوائر السوء، فسيخزيهم الله ويذلهم، وينصرك عليهم. وقد فعل فله الحمد والمنة.

عن قتادة: " {فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون}، يعني: يوم القيامة" (٥).

عن قتادة: " أنها نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم، فنسخها القتال في سورة براءة في قوله: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} [التوبة: ٥]" (٦).

«آخر تفسير سورة (السجدة)، والحمد لله وحده»

(١) التفسير الميسر: ٤١٧.

(٢) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٦٧): ص ٣١١١/٩.

(٤) تفسير الثعلبي ٣٣٥ / ٧، وتفسير البغوي ٣١٠ / ٦.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٠.

(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٦٩٦/٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تفسير سورة «الأحزاب»

سورة «الأحزاب»: هي السورة «الثالثة والثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة « آل عمران»^(١). آياتها ثلاث وسبعون. كلماتها ألف ومائتان وثمانون. حروفها خمسة آلاف وسبعمائة وست وتسعون، فواصل آياتها «لا» على اللام منها آية واحدة: {يَهْدِي السَّبِيلَ} [الأحزاب : ٤]^(٢).

■ مكان نزول السورة:

في مكان نزول السورة قولان:

أحدها: أنها نزلت بالمدينة. قاله ابن عباس^(٣)، وابن الزبير^(٤).

قال ابن الجوزي: "هي مدنية بإجماعهم"^(٥).

قال القرطبي: "سورة الأحزاب مدنية في قول جميعهم. نزلت في المنافقين وإيذانهم رسول الله صلى

الله عليه وسلم، وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها"^(٦).

الثاني: أنها مدنية إلا قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب : ٣٦]، نزلت في تزويج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة في مكة. وهذا قول ابن عباس أيضا^(٧).

(١) انظر: الكشاف: ٥١٨/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٧٧ / ١.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٥٨ / ٦، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٥٨ / ٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) زاد المسير: ٤٤٦/٣.

(٦) تفسير القرطبي: ١١٣/١٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠، أخرج بسنده عن ابن عباس: "قوله: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً...} إلى آخر الآية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أوامر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة...} إلى قوله {ضلالا مبينا}، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحا؟ قال: "نعم" قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي".

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الأحزاب : ١]

التفسير:

يا أيها النبي دُم على تقوى الله بالعمل بأوامره واجتنب محارمه، وليفتد بك المؤمنون؛ لأنهم أحوج إلى ذلك منك، ولا تطع الكافرين وأهل النفاق. إن الله كان عليماً بكل شيء، حكيماً في خلقه وأمره وتدييره. سبب نزول الآيات: [١-٣]:

قال مقاتل: " وذلك أن عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، وهم المنافقون كتبوا مع غلام طعمة إلى مشركي مكة من قريش إلى أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور رأس الأحزاب أن أقدموا علينا فسنكون لكم أعوانا فيما تريدون، وإن شئتم مكرنا بمحمد- صلى الله عليه وسلم- حتى يتبع دينكم الذي أنتم عليه فكتبوا إليهم: إنا لن نأتيكم حتى تأخذوا العهد والميثاق من محمد فإننا نخشى أن يغدر بنا، ثم نأتيكم فنقول وتقولون لعله يتبع ديننا فلما جاءهم الكتاب، انطلق هؤلاء المنافقون حتى أتوا النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالوا أئتيك في أمر أبي سفيان بن حرب، وأبي الأعور، وعكرمة بن أبي جهل أن تعطيتهم العهد والميثاق على دمانهم وأموالهم فيأتون وتكلمهم لعل إلهك يهدي قلوبهم فلما رأى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذلك وكان حريصا على أن يؤمنوا أعطاهم الأمان من نفسه فكتب المنافقون إلى الكافرين من قريش أنا قد استمكننا من محمد- صلى الله عليه وسلم- ولقد أعطانا وإياكم الذي تريدون فأقبلوا على اسم اللات والعزى لعلنا نزيله إلى ما نهواه، ففرحوا بذلك ثم ركب كل رجل منهم راحلة حتى أتوا المدينة فلما دخلوا على عبد الله بن أبي أنزلهم وأكرمهم ورحب بهم وقال أنا عند الذي يسركم محمد أذن ولو قد سمع كلامنا وكلامكم لعله لا يعصينا فيما نأمره فأبشروا واستعينوا ألهتكم عليه فإنها نعم العون لنا ولكم فلما رأوا ذلك منه قالوا أرسل إلى إخواننا فأرسل عبد الله بن أبي إلى طعمة وسعد أن إخواننا من أهل مكة قدموا علينا فلما أتاهم الرسول جاءوا فرحبوا بهم ولزم بعضهم بعضا من الفرح وهم قيام، ثم جلسوا يرون أن يستنزلوا محمدا- صلى الله عليه وسلم- عن دينه. فقال عبد الله بن أبي: أما أنا فأقول له ما تسمعون لا أعدوا ذلك ولا أزيد. أقول إنا- معشر الأنصار- لم نزل وإلهنا محمود بخير ونحن اليوم أفضل منذ أرسل إلينا محمد، ونحن كل يوم منه في مزيد، ونحن نرجو بعد اليوم من إله محمد كل خير ولكن لو شاء محمد قبل أمرا كان يكون ما عاش لنا وله ذكر في الأولين الذين مضوا ويذهب ذكره في الآخرين على أن يقول إن اللات والعزى لهما شفاععة يوم القيامة ولهما ذكر ومنفعة على طاعتها. هذا قولي له ... قال أبو سفيان: نخشى علينا وعليكم الغدر والقتل، فإن محمدا زعموا أنه لن يبقى بها أحدا منا من شدة بغضه إيانا وإنا نخشى أن يكون يضمر لنا في نفسه ما كان لقي أصحابه يوم أحد. قال عبد الله بن أبي: إنه إذا أعطى الأمان فإنه لن يغدر، هو أكرم من ذلك وأو في بالعهد منا فلما أصبحوا أتوه فسلموا عليه فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: مرحبا بأبي سفيان اللهم اهد قلبه. فقال أبو سفيان: اللهم يسر الذي هو خير فجلسوا فتكلموا وعبد الله بن أبي، فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: ارفض ذكر اللات والعزى ومناة حجر يعبد بأرض هذيل وقل: إن لهما شفاععة ومنفعة في الآخرة لمن عبدهما فنظر إليه النبي- صلى الله عليه وسلم- وشق عليه قولهم فقال عمر بن الخطاب- رضوان الله عليه - ائذن لي يا رسول الله في قتلهم. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: إني قد أعطيتهم العهد والميثاق. وقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: لو شعرت أنكم تأتون لهذا من الحديث لما أعطيتهم الأمان. فقال أبو سفيان: ما بأس بهذا أن قوما استأنسوا إليك يا محمد ورجوا منك أمرا فأما إذا قطعت رجاءهم فإنه لا ينبغي لك أن تؤذيهم، وعليك باللين والتؤدة لإخوانك وأصحابك. فإن هذا من قوم أكرموك ونصروك وأعانوك ولولاهم لكنت مطلوبا مقتولا وكنت في الأرض خائفا لا يقبلك أحد. فزجرهم عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فقال: اخرجوا في لعنة الله وغضبه فعليكم رجس الله وغضبه وعذابه ما أكثر شرككم وأقل خيركم وأبعدكم من الخير وأقربكم من الشر فخرجوا من عنده، فأمر النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يخرجهم من المدينة، فقال بعضهم لبعض لا نخرج حتى يعطينا العهد إلى أن نرجع إلى بلادنا فأعطاهم النبي- صلى الله عليه وسلم- ذلك فنزلت فيهم: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ

وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ} [الأحزاب : ١]، يعني- تبارك وتعالى- أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور اسمه عمرو بن سفيان، ثم قال: {وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب : ١]، يعني: عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الأحزاب : ١].

فلما خرجوا من عنده قال النبي- صلى الله عليه وسلم:- ما لهؤلاء؟ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [الأحزاب : ٢]، يعني: ما في القرآن، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [الأحزاب : ٢]، {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [الأحزاب : ٣]، وثق بالله فيما تسمع من الأذى، {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا} [الأحزاب : ٣]، ناصرًا وولياً ومانعاً فلا أحد أمنع من الله- تعالى-.

وإنما نزلت فيها: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ} [الأحزاب : ١] من أهل مكة، {وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب : ١] من أهل المدينة، يعني: هؤلاء النفر الستة المسلمين {وَدَعُ أَذَاهُمْ} [الأحزاب : ٤٨] إياك، لقولهم للنبي- صلى الله عليه وسلم:- قل للآلهة شفاععة ومنفعة لمن عبدها^(١).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ} [الأحزاب : ١]، أي: "يا أيها النبي دُم على تقوى الله بالعمل بأوامره واجتنب محارمه"^(٢).

قال الضحاك: "معناه: اتق الله، ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم"^(٣).
قوله تعالى: {وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب : ١]، أي: "ولا تطع الكافرين وأهل النفاق"^(٤).
عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ: "وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ": أَبِي بِنِ خَلْفٍ، {وَالْمُنَافِقِينَ}: أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبِ وَعَبْدُ اللَّهِ بِنِ أَبِي بِنِ سُلُولٍ وَالْحَدِّ بِنِ قَيْسٍ"^(٥).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الأحزاب : ١]، أي: "إن الله كان عليماً بكل شيء، حكيماً في خلقه وأمره وتدبيره"^(٦).

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}"، أي: عليم بما تخفون"^(٧)، "قوله: {حكيم}"، في عذره وحجته إلى عباده"^(٨).

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}"، قال: حكيم في أمره"^(٩).

القرآن

{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (٢) [الأحزاب : ٢]

التفسير:

واتبع ما يوحى إليك من ربك من القرآن والسنة، إن الله مطلع على كل ما تعملون ومجازيك به، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

قوله تعالى: {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [الأحزاب : ٢]، أي: "واتبع ما يوحى إليك من ربك من القرآن والسنة"^(١٠).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٨/٣-٤٧١.

(٢) التفسير: الميسر: ٤١٨.

(٣) تفسير البغوي ٦/٣١٢.

(٤) التفسير: الميسر: ٤١٨.

(٥) الدر المنثور: ٥٦٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٦) التفسير: الميسر: ٤١٨.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.

(١٠) التفسير: الميسر: ٤١٨.

عن قتادة: "واتبع ما يوحى إليك من ربك"، أي: هذا القرآن^(١).
 قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [الأحزاب : ٢]، أي: "إن الله مطلع على كل ما تعملون
 ومجازيكم به، لا يخفى عليه شيء من ذلك"^(٢).
 عن قتادة، قوله: " { خَبِيرٌ }، قال: " خبير بخلقهِ"^(٣).

القرآن

{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣)} [الأحزاب : ٣]

التفسير:

واعتمد على ربك، وفوض جميع أمورك إليه، وحسبك به حافظًا لمن توكل عليه وأنا ب إليه.
 قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [الأحزاب : ٣]، أي: "واعتمد على ربك، وفوض جميع أمورك
 إليه"^(٤).

قال محمد بن إسحاق: "إن الله كافيك"^(٥).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"^(٦).

قوله تعالى: {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [الأحزاب : ٣]، أي: "وحسبك بالله حافظًا لمن توكل عليه وأنا ب
 إليه"^(٧).

عن قتادة: "وكفى بالله وكيلًا"، قال: حفيظاً"^(٨).

القرآن

{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ
 أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)} [الأحزاب : ٤]

التفسير:

ما جعل الله لأحد من البشر من قلبين في صدره، وما جعل زوجاتكم اللاتي تظاهرون منهن -في الحرمة-
 كحرمة أمهاتكم (والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وقد كان هذا طلاقاً في الجاهلية،
 فبين الله أن الزوجة لا تصير أمًّا بحال) وما جعل الله الأولاد المنبئِينَ أبناء في الشرع، بل إن الظهار والتبني
 لا حقيقة لهما في التحريم الأبدي، فلا تكون الزوجة المظاهر منها كالأم في الحرمة، ولا يثبت النسب بالتبني
 من قول الشخص للدعي: هذا ابني، فهو كلام بالفم لا حقيقة له، ولا يُعتدُّ به، والله سبحانه يقول الحق ويبين
 لعباده سبيله، ويرشدهم إلى طريق الرشاد.

سبب النزول:

أولاً:- في سبب نزول قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب : ٤]، ثلاثة أقوال:
 أحدها: أخرج الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كان رجل من قريش يسمى من
 دهيهِ^(٩) ذا القلبين، فأنزل الله هذا في شأنه"^(١). [ضعيف]

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٠.

(٢) التفسير: الميسر: ٤١٨.

(٣) تفسير عبدالرزاق (٢٣٨٩): ص ٥٦/٣.

(٤) التفسير: الميسر: ٤١٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٣/١٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٣٢): ص ١٥٢٣/٥، و (١٠٣١٦): ص ١٨١٢/٦.

(٧) التفسير: الميسر: ٤١٨.

(٨) أخرجه الطبري (١٠٦٧٥): ص ٢٩٧/٩.

(٩) الدهو والدهى والدهاء: العقل.

وقال قتادة: " كان رجل على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسمى ذا القلبين، فأُنزل الله فيه ما تسمعون" (٢).

قال مجاهد: " إن رجلا من بني فهر، قال: إن في جوفي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وكذب" (٣).

وقال الحسن: " كان رجل يقول لي: نفس تأمرني، ونفس تنهاني، فأُنزل الله فيه ما تسمعون" (٤).
وقال عكرمة: " كان رجل يسمى ذا القلبين، فنزلت: {ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه} (٥).
قال الواحدي: "نزلت في جميل بن معمر الفهري، وكان رجلا لبيبا حافظا لما سمع، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد. فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم يومئذ جميل بن معمر، تلقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: قد انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، وعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده" (٦).

الثاني: أنها نزلت في قوم من أهل النفاق، وصفوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذو قلبين، فنفى الله ذلك عن نبيه وكذبهم. وهذا القول مروى عن ابن عباس (٧).

عن قابوس - يعني ابن أبي ظبيان - : "أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس : رأيت قول الله: { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}، ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فصلى، فخطر خطرة (٨)، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين، قلبا معكم، وقلبا معهم، فأُنزل الله: { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} (٩).

الثالث: أنها نزلت في زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبناه، فضرب الله بذلك مثلا. قاله الزهري (١٠).

قال الزهري: " بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة، ضرب له مثلا يقول: ليس ابن رجل آخر ابنك" (١١).

ثانيا: - سبب نزول قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ} [الأحزاب : ٤]:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن زيد بن حارثة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن»، {ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله} [الأحزاب: ٥] (١٢).
وقال مجاهد: " نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه" (١٣).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٠-٢٠٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(٦) أسباب النزول: ٣٥١-٣٥٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢٠.

(٨) خطر خطرة: سها سهوة.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(١٢) أخرجه البخاري في التفسير (٤٧٨٢): ص ١١٦/٦، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٥ / ٦٢) ص ١٨٨٤ والترمذي في التفسير (٣٢٠٩) وفي المناقب (٣٨١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه النسائي في التفسير (٤١٦).

وزاد السيوطي نسبته في الدر (١٨١ / ٥) لابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في السنن.

(١٣) أورده البيوطي في الدر المنثور: ٥٦٢/٦، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبه وابن المنذر.

قال الواحدي: "نزلت في زيد بن حارثة، كان عبدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعتقه وتبناه قبل الوحي فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها! فأنزل الله تعالى هذه الآيات"^(١).

قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب : ٤]، أي: "ما جعل الله لأحد من البشر من قلبين في صدره"^(٢).

قال الطبري: "ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذي روي عن ابن عباس"^(٣)، وجائز أن يكون ذلك تكديبا من الله لمن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وأن يكون تكديبا لمن سمى القرشي الذي ذكر أنه سمي ذا القلبين من دهبه، وأي الأمرين كان فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة"^(٤).

قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ} [الأحزاب : ٤]، أي: "وما جعل زوجاتكم اللاتي تظاهرون منهن -في الحرمة- كحرمة أمهاتكم"^(٥).
قال قتادة: "أي ما جعلها أمك؛ فإذا ظاهر الرجل من امرأته، فإن الله لم يجعلها أمه، ولكن جعل فيها الكفارة"^(٦).

قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ} [الأحزاب : ٤]، أي: "وما جعل الله الأولاد الممتبئين أبناء في الشرع، فدعاؤهم أبناء مجرد قول بالفم لا حقيقة له من الواقع ولا يُعْتَدُّ به"^(٧).
عن مجاهد، قوله: "أدعياءكم أبناءكم"، قال: نزلت هذه الآية في زيد بن حارثة"^(٨).

قال قتادة: "وما جعل دعيك ابنك، يقول: إذا ادعى رجل رجلا وليس بابنه {ذلكم قولكم بأفواهكم ...} الآية، وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «من ادعى إلى غير أبيه متعمدا حرم الله عليه الجنة»"^(٩).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ} [الأحزاب : ٤]، أي: "والله تعالى يقول الحقَّ الموافق للواقع، والمطابق له من كل الوجوه"^(١٠).

قال سعيد بن جبير: "يَقُولُ الْحَقَّ { أي : العدل }"^(١١).
قوله تعالى: {وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} [الأحزاب : ٤]، أي: "وهو سبحانه يبيِّن لعباده سبيله، ويرشدهم إلى طريق الرشاد"^(١٢).

قال قتادة : " { وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ } ، أي : الصراط المستقيم "^(١٣).

القرآن

(١) أسباب النزول: ٣٦٥. [بدون سند]

(٢) التفسير الميسر: ٤١٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢٠.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤١٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠-٢٠٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤١٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٠.

(١٠) صفوة التفاسير: ٤٧٠/٢.

(١١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٦.

(١٢) التفسير الميسر: ٤١٨.

(١٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٦.

{ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)} [الأحزاب : ٥]
التفسير:

انسبوا أديعائكم لآبائهم، هو أعدل وأقوم عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم الحقيقيين فادعوهم -إدًا- بأخوة الدين التي تجمعكم بهم، فإنهم إخوانكم في الدين ومواليكم فيه، وليس عليكم إثم فيما وقعتم فيه من خطأ لم تتعمدوه، وإنما يؤاخذكم الله إذا تعمدتم ذلك. وكان الله غفوراً لمن أخطأ، رحيماً لمن تاب من ذنبه.
قوله تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} [الأحزاب : ٥]، أي: "انسبوا أديعائكم لآبائهم، هو أعدل وأقوم عند الله"^(١).

عن قتادة، قوله: "{ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله}"، أي: "أعدل عند الله"^(٢).
قوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} [الأحزاب : ٥]، أي: "فإن لم تعلموا آباءهم الحقيقيين فادعوهم -إدًا- بأخوة الدين التي تجمعكم بهم فإنهم إخوانكم في الدين ومواليكم فيه"^(٣).
قال قتادة: "فإن لم تعلموا من أبوه فإنما هو أخوك ومولاك"^(٤).

عن عيينة بن عبدالرحمن، عن أبيه، قال: "قال أبو بكر: قال الله: {ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم}"، فأنا ممن لا يعرف أبوه، وأنا من إخوانكم في الدين، قال: قال أبي: والله إنني لأظنه لو علم أن أباه كان حماراً لانتمى إليه"^(٥).
قوله تعالى: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} [الأحزاب : ٥]، أي: "وليس عليكم إثم فيما وقعتم فيه من خطأ لم تتعمدوه"^(٦).

قال قتادة: "يقول: إذا دعوت الرجل لغير أبيه، وأنت ترى أنه كذلك"^(٧).
قوله تعالى: {وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} [الأحزاب : ٥]، أي: "ولكن الإثم فيما تقصدتم وتعمدتم نسبته إلى غير أبيه"^(٨).

قال قتادة: "يقول الله: لا تدعه لغير أبيه متعمداً. أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به {ولكن يؤاخذكم بما تعمدت قلوبكم}"^(٩).
قال مجاهد: "فالعمد ما أتى بعد البيان والنهي في هذا وغيره"^(١٠).

وفي الحديث: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة"^(١١).
قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٥]، أي: "وكان الله غفوراً لمن أخطأ، رحيماً لمن تاب من ذنبه"^(١٢).

عن قتادة: "قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"^(١)، "رحيماً، بعباده"^(٢).

- (١) التفسير الميسر: ٤١٨.
- (٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٠٧.
- (٣) التفسير الميسر: ٤١٨.
- (٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٠٧.
- (٥) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٠٧.
- (٦) التفسير الميسر: ٤١٨.
- (٧) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٠٨.
- (٨) صفوة التفاسير: ٢/٤٧٠.
- (٩) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٠٨.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٠٨.
- (١١) أخرجه أحمد (٣٤٢/٥، رقم ٢٢٩٥٤)، ومسلم (٦٤٤/٢، رقم ٩٣٤)، وابن حبان (٤١٢/٧، رقم ٣١٤٣)، والحاكم (٥٣٩/١، رقم ١٤١٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه أيضاً: أبو يعلى (١٤٨/٣، رقم ١٥٧٧).
- (١٢) التفسير الميسر: ٤١٨.

عن عطاء بن دينار، قوله: " {غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة" (٣).
عن سعيد بن جبير، قوله: " {الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيمًا بالمؤمنين" (٤).

القرآن

{النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦)} [الأحزاب : ٦]
التفسير:

النبى محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين، وأقرب لهم من أنفسهم في أمور الدين والدنيا، وحرمة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كحرمة أمهاتهم، فلا يجوز نكاح زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده. وذوو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة (وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم، ثم نسخ ذلك بأية المواريث) إلا أن تفعلوا -أيها المسلمون- إلى غير الورثة معروفًا بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية، كان هذا الحكم المذكور مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظ، فيجب عليكم العمل به. وفي الآية وجوب كون النبى صلى الله عليه وسلم أحب إلى العبد من نفسه، ووجوب كمال الانقياد له، وفيها وجوب احترام أمهات المؤمنين، وزوجاته صلى الله عليه وسلم، وأن من سبهن فقد باء بالخسران.

قوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} [الأحزاب : ٦]، أي: "النبى محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين، وأقرب لهم من أنفسهم في أمور الدين والدنيا" (٥).

عن مجاهد: " {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}، قال: هو أب لهم" (٦).

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم: {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}، وأيما مؤمن ترك مالا فلورثته وعصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه" (٧).

عن أبي موسى إسرائيل بن موسى، قال: "قرأ الحسن هذه الآية: {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}، قال: قال الحسن: قال النبى صلى الله عليه وسلم: "أنا أولى بكل مؤمن من نفسه" قال الحسن: وفي القراءة الأولى: «أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم» (٨).

عن قتادة، قال: "في بعض القراءة: «{النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ}»، وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال: أيما رجل ترك ضياعاً فأنا أولى به، وإن ترك مالا فهو لورثته" (٩).

قوله تعالى: {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب : ٦]، أي: "وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين في وجوب تعظيمهن واحترامهن، وتحريم نكاحهن" (١٠).

قال قتادة: "يقول: أمهاتهم في الحرمة، لا يحل لمؤمن أن ينكح امرأة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم في حياته إن طلق. ولا بعد موته هي حرام على كل مؤمن مثل حرمة أمه" (١١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٠٣) :ص ٩١٥/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٥) :ص ٨٩٦/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٠٥) :ص ٢١٥٩/٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٢٧) :ص ١٩٩٢/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤١٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٠-٢٠٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٠.

(١٠) صفوة التفاسير: ٤٧٠/٢.

وعن قتادة: {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} يعظم بذلك حقهن، وفي بعض القراءة: «وهو أب لهم»^(١).

قوله تعالى: {وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ} [الأحزاب : ٦]، أي: "وذوو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة"^(٢).

قال قتادة: "لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجرين شيئا، فأنزل الله هذه الآية، فخلط المؤمنين بعضهم ببعض، فصارت الموارث بالملل"^(٣).

عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام قال: "أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار: {وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ}، وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة ولا أموال لنا، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان، فواخيناهم ووارثناهم، فواخي أبو بكر خارجة بن زيد، وأخي عمر فلانا، وأخي عثمان بن عفان رجلا من بني زريق سعد الزرقي، ويقول بعض الناس غيره، قال الزبير: وواخيت أسنا كعب بن فجئته فابتعلته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى، فوالله يا بني، لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري، حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة، فرجعنا إلى موارثنا"^(٤).

قوله تعالى: {إِنَّمَا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَانِكُمْ مَعْرُوفًا} [الأحزاب : ٦]، أي: "إلا أن تفعلوا -أيها المسلمون- إلى غير الورثة معروفاً بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية"^(٥).

وفي قوله تعالى: {إِنَّمَا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَانِكُمْ مَعْرُوفًا} [الأحزاب : ٦]، وجوه من التفسير: أحدها: أنه أراد الوصية للمشارك من ذوي الأرحام، قاله قتادة^(٦)، وعطاء^(٧)، وابن الحنفية^(٨).

قال قتادة: "للقرابة من أهل الشرك وصية، ولا ميراث لهم"^(٩).

عن ابن جريج، قال: "قلت لعطاء: ما قوله: {إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً}؟ فقال: العطاء، فقلت له: المؤمن للكافر بينهما قرابة؟ قال: نعم عطاؤه إياه حياء ووصية له"^(١٠).

قال محمد بن علي بن الحنفية: "نزلت هذه الآية في جواز وصية المسلم لليهودي والنصراني"^(١١).
الثاني: أنه عنى الوصية للحلفاء الذي آخى بينهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المهاجرين والأنصار، قاله مجاهد^(١٢).

قال مجاهد: "حلفاءكم الذين والى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، إمساك بالمعروف والعقل والنصر بينهم"^(١٣).

الثالث: أنه عنى وصية الرجل لإخوانه في الدين، قاله السدي^(١٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٥٨٦) ص: ٣١١٥/٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤١٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٥٨٣) ص: ٣١١٤/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٤١٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٠، وابن أبي حاتم (١٧٥٩١) ص: ٣١١٥/٩.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٠.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٥٩١) ص: ٣١١٥/٩.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٠، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧٥٩٠) ص: ٣١١٥/٩.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٠.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٦/٤.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفاً من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم، وما أشبه ذلك، لأن كل ذلك من المعروف الذي قد حث الله عليه عباده، وهذا هو أولى بالصواب من قيل من قال: عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك، لأن القريب من المشرك، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى، وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم ولداً بقوله: {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء} وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء، ثم يصفهم جل ثناؤه بأنهم لهم أولياء. وموضع "أن" من قوله: {إلا أن تفعلوا} نصب على الاستثناء ومعنى الكلام: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم معروفاً^(١).

قوله تعالى: {كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الأحزاب : ٦]، أي: "كان هذا الحكم المذكور مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظ، فيجب عليكم العمل به"^(٢).
عن إبراهيم التيمي، في قوله: {كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}، قال: "في اللوح المحفوظ"^(٣).

القرآن

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧)} [الأحزاب : ٧]
التفسير:

واذكر -أيها النبي- حين أخذنا من النبيين العهد المؤكد بتبليغ الرسالة، وأخذنا الميثاق منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم (وهم أولو العزم من الرسل على المشهور) ، وأخذنا منهم عهداً مؤكداً بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وأن يصدق بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} [الأحزاب : ٧]، أي: "واذكر -أيها النبي- حين أخذنا من النبيين العهد المؤكد بتبليغ الرسالة، وأخذنا الميثاق منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم"^(٤).

عن قتادة: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ}، قال: "أخذ الله ميثاقهم أن يصدق بعضهم بعضاً"^(٥).

عن مجاهد، قوله: "من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح"، قال: في ظهر آدم"^(٦).

عن مجاهد: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ}، «يعني النبي صلى الله عليه وسلم»، {ومن نوح}، يعني: «في ظهر آدم»"^(٧).

قال قتادة: "وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «كنت أول الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث»، {وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً}، ميثاق أخذ الله على النبيين، خصوصاً أن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يتبع بعضهم بعضاً"^(٨).

قال أبو هلال: "كان قتادة إذا تلا هذه الآية: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ}، قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم في أول النبيين في الخلق"^(٩).

(١) تفسير الطبري: ٢١٢/٢٠.

(٢) الكشاف: ٥٢٤/٣.

(٣) الدر المنثور: ٣٠٦/٥، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٤) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٥) تفسير عبدالرزاق (٢٣٢١): ص ٣٣/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٠.

(٧) تفسير مجاهد: ٥٤٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٠.

قوله تعالى: {وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب : ٧]، أي: "وأخذنا منهم عهدًا مؤكدًا بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وأن يُصَدِّقَ بعضهم بعضًا"^(٢).
 قال مجاهد: "أغلظ مما أخذ من الناس"^(٣).
 قال مجاهد: "أخذ منهم الميثاق أغلظ مما أخذ من النبيين كلهم، يعني ممن سمي في هذه الآية"^(٤).

القرآن

{لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)} [الأحزاب : ٨]

التفسير:

أخذ الله ذلك العهد من أولئك الرسل؛ ليسأل المرسلين عمّا أجابتهم به أممهم، فيجزى الله المؤمنين الجنة، وأعد للكافرين يوم القيامة عذابًا شديدًا في جهنم.
 قوله تعالى: {لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ} [الأحزاب : ٨]، أي: "أخذ الله ذلك العهد من أولئك الرسل؛ ليسأل المرسلين عمّا أجابتهم به أممهم، فيجزى الله المؤمنين الجنة"^(٥).
 قال مجاهد: "يعني: المبلغين المؤدين من الرسل"^(٦).
 وفي رواية: "الرسول المؤدين المبلغين"^(٧).
 قوله تعالى: {وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الأحزاب : ٨]، أي: "وأعد للكافرين يوم القيامة عذابًا شديدًا في جهنم"^(٨).
 قال أبو العالية: "الأليم: المومع في القرآن كله"^(٩)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك^(١٠).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩)} [الأحزاب : ٩]

التفسير:

يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليكم في «المدينة» أيام غزوة الأحزاب -وهي غزوة الخندق-، حين اجتمع عليكم المشركون من خارج «المدينة»، واليهود والمنافقون من «المدينة» وما حولها، فأحاطوا بكم، فأرسلنا على الأحزاب ريحًا شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم، وأرسلنا ملائكة من السماء لم تروها، فوقع الرعب في قلوبهم. وكان الله بما تعملون بصيرًا، لا يخفى عليه من ذلك شيء.
 قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ} [الأحزاب : ٩]، أي: "يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليكم وقت مجيء جنود الأحزاب وتألبهم عليكم"^(١١).

(١) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٥٩٢): ص ٣١١٥/٩.

(٤) تفسير مجاهد: ٥٤٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٦) تفسير مجاهد: ٥٤٧. وأخرجه الطبري: ٢١٤/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(١١) صفوة التفاسير: ٤٧١/٢، والتفسير الميسر: ٤١٩.

عن مجاهد في قوله: {إذ جاءتكم جنود}، قال: "الأحزاب: عبيدة بن بدر، وأبو سفيان بن حرب، وقريظة" (١).

قال رومان: "الجنود: قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح: الملائكة" (٢).

قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} [الأحزاب : ٩]، أي: "فأرسلنا على الأحزاب ريحاً شديدة وجنوداً من الملائكة لم تروهم" (٣).

عن مجاهد، قوله: " {فأرسلنا عليهم ريحاً}، قال: ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم حتى أظعنهم. وقوله: {وجنوداً لم تروها}، قال: الملائكة ولم تقاتل يومئذ" (٤).

قال قتادة: "نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً فخذق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس، حتى نزلوا بعقوة" (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عبيدة بن حصن، أحد بني بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكاتب اليهود أبا سفيان وظاهره، فقال حيث يقول الله تعالى: {إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم} فبعث الله عليهم الرعب والريح، فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا ناراً أطفاها الله، حتى لقد ذكر لنا أن سيد كل حي يقول: يا بني فلان هلم إلي، حتى إذا اجتمعوا عنده فقال: النجاء النجاء، أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب" (٦).

قال عكرمة: "قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقني نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الشمال: إن الحرة لا تسري بالليل، قال: فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا" (٧).

قال محمد بن كعب القرظي: "قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه؟ قال: نعم يا بن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، لحملناه على أعناقنا. قال حذيفة: يا بن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق، وصلى رسول الله هويماً من الليل ثم التفت إلينا فقال: "من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم؟ يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يرجع أدخله الله الجنة"، فما قام أحد، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويماً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويماً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: "من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة" فما قام رجل من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد؛ فلما لم يبق أحد، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: "يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا". قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً؛ فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جلسه، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان؛ ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الكراع والخف، واختلفت بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما يطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء،

(١) تفسير مجاهد: ٥٤٧، وتفسير الطبري: ٢٠/٢١٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١٧.

(٣) صفوة التفاسير: ٤٧٢/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١٦.

(٥) العقوة: الساحة وما حول الدار. (عن اللسان: عقا).

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١٤.

فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني، لو شئت لقتلته بسهم؛ قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه؛ فلما رأني أدخلني بين رجليه، وطرح علي طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه؛ فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم^(١).

قال محمد بن إسحاق، "عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، وعمن لا أتهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وعن الزهري، وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القرظي، وعن غيرهم من علمائنا أنه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرجوا حتى قدموا مكة على قريش، فدعوه إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه قال: فهم الذين أنزل الله فيهم: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ...}، إلى قوله: {وكفى بجهنم سعيرا} فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ما قالوا، ونشطوا لما دعوه له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من اليهود، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعوه إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشا قد تابعوه على ذلك، فاجتمعوا فيه، فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسعر بن ربيعة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع؛ فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نغمي إلى جانب احد، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فحارب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء، فرفعوا في الآطام، وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه، وعاهده على ذلك وعاقده، فلما سمع كعب بحيي بن أخطب، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: يا كعب افتح لي، قال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشئوم، إني قد عاهدت محمدا، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا؛ قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا تخوفت على جيشيتك أن أكل معك منها، فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال: يا كعب جئتك بعز الدهر، وبيحر ظم، جئتك بقريش على قاداتها وساداتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نغمي إلى جانب احد، قد عاهدوني وعاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه، فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماءه، يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، فدعني ومحمدا وما أنا عليه، فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء؛ فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١٥-٢١٦.

أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان عليه، فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، وإلى المسلمين، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، أحد بني الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عباد بن ديلم أخي بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحريث بن الخزرج، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: "انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس" فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عهد، فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه، وكان رجلا فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة: أي كعدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظن المسلمون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، وحتى قال أوس بن قيطي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدو، وذلك عن ملا من رجال قومه، فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا، وإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار"^(١).

القرآن

{إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠)} [الأحزاب : ١٠]

التفسير:

اذكروا إذ جاؤوكم من فوقكم من أعلى الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادي من جهة المغرب، وإذ شخصت الأبصار من شدة الحيرة والدهشة، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب، وغلب اليأس المنافقين، وكثرت الأقاويل، وتظنون بالله الظنون السيئة أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته.

قوله تعالى: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} [الأحزاب : ١٠]، أي: "اذكروا إذ جاؤوكم من فوقكم من أعلى الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادي من جهة المغرب"^(٢).

عن مجاهد: " {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ}، قال: عيينة بن بدر في أهل نجد، {ومن أسفل منكم}، قال: أبو سفيان، قال: وواجهتهم قريظة"^(٣).

قال يزيد بن رومان: " فالذين جاءوهم من فوقهم: قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم: قريش وغطفان"^(٤).

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، "ذكرت يوم الخندق وقرأت: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} [الأحزاب : ١٠]، قالت: هو يوم الخندق"^(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠-٢١٧-٢١٨.

(٢) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠-٢١٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠-٢١٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠-٢١٧.

قوله تعالى: {وَإِذْ زَاغَتِ الْبُصَارُ} [الأحزاب : ١٠]، أي: "وإذ شخصت الأبصار من شدة الحيرة والدهشة"^(١).

عن قتادة: "وإذ زاغت الأبصار: شخصت"^(٢).

قوله تعالى: {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} [الأحزاب : ١٠]، أي: "وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب"^(٣).

عن عكرمة: "وبلغت القلوب الحناجر، قال: من الفرع"^(٤).

قال قتادة: "شخصت من مكانها ، فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت"^(٥).

قوله تعالى: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا} [الأحزاب : ١٠]، أي: "وكنتم في تلك الحالة الشديدة تظنون الظنون المختلفة"^(٦).

قال السدي: "يعني: التهمة"^(٧).

قال مجاهد: "هم المنافقون ظنوا بالله ظنونا مختلفة"^(٨).

عن الحسن: "وتظنون بالله الظنونا، قال: ظنونا مختلفة: ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق، أنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون"^(٩).

قرأ بعضهم: «الظنون»، بغير ألف في الوصل، وبألف في الوقف، وقرأ أبو عمرو: «الظنون»، بغير ألف، في الوصل والوقف^(١٠).

القرآن

{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا (١١)} [الأحزاب : ١١]

التفسير:

في ذلك الموقف العصيب اختبر إيمان المؤمنين ومُحَصَّ القوم، وعُرف المؤمن من المنافق، واضطربوا اضطرابًا شديدًا بالخوف والقلق؛ ليتبين إيمانهم ويزيد يقينهم.

قوله تعالى: {هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} [الأحزاب : ١١]، أي: "في ذلك الموقف العصيب اختبر إيمان المؤمنين ومُحَصَّ القوم، وعُرف المؤمن من المنافق"^(١١).

عن مجاهد قوله: "هنالك ابتلي المؤمنون"، قال: محصوا^(١٢).

قوله تعالى: {وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب : ١١]، أي: "واضطربوا اضطرابًا شديدًا بالخوف والقلق؛ ليتبين إيمانهم ويزيد يقينهم"^(١٣).

قال الضحاك: "هو إزاحتهم عن أماكنهم حتى لم يكن لهم إلا موضع الخندق"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٢١/٢٠.

(٥) تفسير عبدالرزاق (٢٣٢٢): ص ٣٣/٣، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧٦٠٨): ص ٣١١٩/٩.

(٦) صفوة التفاسير: ٤٧٢/٢.

(٧) علق يحيى بن سلام في "التفسير: ٧٠٤/٢، وقال: "يعني: المنافقين ظنوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم سيقتل، وأنهم سيهلكون". [تفسير يحيى بن سلام: ٧٠٤/٢-٧٠٥]

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٠٩): ص ٣١١٩/٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٢١/٢٠.

(١٠) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢١٨/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٤١٩.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٢٢/٢٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤١٩.

القرآن

{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢)} [الأحزاب : ١٢]
التفسير:

وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك، وهم ضعفاء الإيمان: ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتمكين إلا باطلا من القول وغرورا، فلا تصدقوه.
سبب النزول:

قال قتادة: "قال المنافقون يوم الأحزاب حين رأوا الأحزاب قد اكتنفوهم من كل جانب فكانوا في شك وريبة من أمر الله قالوا: إن محمدا كان يعدنا فتح فارس والروم وقد حصرنا هاهنا حتى ما يستطيع يبرز أحدنا لحاجته، فأنزل الله: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا}"^(٢).

قوله تعالى: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [الأحزاب : ١٢]، أي: "وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك، وهم ضعفاء الإيمان:"^(٣).
عن مجاهد: "وإذ يقول المنافقون: {تكلّموا بما في أنفسهم من النفاق}"^(٤).
وفي قوله تعالى: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [الأحزاب : ١٢]، وجهان:
أحدهما: أن المرض: النفاق، قاله قتادة^(٥).
الثاني: أنه الشرك، قاله الحسن^(٦).

قوله تعالى: {مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب : ١٢]، أي: "ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتمكين إلا باطلا من القول وغرورا، فلا تصدقوه"^(٧).
قال قتادة: "قال ناس من المنافقين: «أيعدنا محمد أن نفتح قصور الشام، وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، {ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا}"^(٨).

قال مجاهد: "وتكلم المؤمنون بالحق والإيمان، قالوا: {هذا ما وعدنا الله ورسوله}"^(٩).
قال السدي: "حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق واجتمعت قريش، وكنانه وغطفان فاستأجرهم أبو سفيان بلطيمة قريش، فأقبلوا حتى نزلوا بفنائهم فنزلت قريش أسفل الوادي، ونزلت غطفان عن يمين ذلك وطليحة الأسدي في بني أسد يسار ذلك وظاهرهم بنو قريظة من اليهود على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم تحصن بالمدينة، وحفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق، فبينما هو يضرب فيه بمعوله إذ وقع المعول في صفا، فطارت منه كهيئة الشهاب من النار في السماء وضرب الثاني فخرج مثل ذلك، فرأى ذلك سلمان رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، قد رأيت خرج من كل ضربة كهيئة الشهاب، فسطع الى السماء"^(١٠).

(١) النكت والعيون: ٣٨١/٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٢): ص ٣١٢٠/٩.

(٣) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٠٩): ص ٣١١٩/٩.

(٥) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٣٢٤): ص ٣٤/٣، والنكت والعيون: ٣٨١/٤.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٨١/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٨) تفسير عبدالرزاق (٢٣٢٤): ص ٣٤/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٠٩): ص ٣١١٩/٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١١): ص ٣١١٩/٩.

القرآن

{وَأَذْكُرَ الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَّلَ فِيهِ آيَاتٌ لِّذِكْرِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ كَانُوا مُنَافِقِينَ} [الأحزاب : ١٣]

التفسير:

واذكر -أيها النبي- قول طائفة من المنافقين مناديين المؤمنين من أهل «المدينة»: يا أهل «يثرب» (وهو الاسم القديم «للمدينة») لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم داخل «المدينة»، ويستأنف فريق آخر من المنافقين الرسول صلى الله عليه وسلم بالعودة إلى منازلهم بحجة أنها غير محصنة، فيخشون عليها، والحق أنها ليست كذلك، وما قصدوا بذلك إلا الفرار من القتال.

قوله تعالى: {وَأَذْكُرَ الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَّلَ فِيهِ آيَاتٌ لِّذِكْرِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ كَانُوا مُنَافِقِينَ} [الأحزاب : ١٣]، أي: "واذكر -أيها النبي- قول طائفة من المنافقين مناديين المؤمنين من أهل «المدينة»"^(١).

عن مجاهد، قوله: " {وَأَذْكُرَ الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَّلَ فِيهِ آيَاتٌ لِّذِكْرِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ كَانُوا مُنَافِقِينَ} " قال: من المنافقين"^(٢).

عن السدي، في قوله: {وَأَذْكُرَ الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَّلَ فِيهِ آيَاتٌ لِّذِكْرِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ كَانُوا مُنَافِقِينَ} " قال: هو عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين"^(٣).

قوله تعالى: {يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا} [الأحزاب : ١٣]، أي: "يا أهل «يثرب» (وهو الاسم القديم «للمدينة») لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم داخل «المدينة»"^(٤).

عن قتادة، قوله: " {لَا مُقَامَ لَكُمْ}، قال: لا مقاتل لكم هاهنا، ففروا ودعوا هذا الرجل"^(٥).

عن يزيد بن رومان: " {وَأَذْكُرَ الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَّلَ فِيهِ آيَاتٌ لِّذِكْرِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ كَانُوا مُنَافِقِينَ} ... إلى {فَارْجِعُوا}، يقول: أوس بن قبيصة ومن كان على ذلك من رأيه من قومه"^(٦).

قال هارون بن موسى: "أمرت رجلاً فسأل الحسن رضي الله عنه: {لَا مُقَامَ لَكُمْ} أو {لَا مُقَامَ لَكُمْ}، قال: كلتاهما: الإقامة"^(٧).

عن السدي، قوله: " {يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا} إلى المدينة عن قتال أبي سفيان"^(٨).

ويقراً: «{لَا مُقَامَ لَكُمْ}، بفتح الميم، فمن ضم الميم فالمعنى: لا إقامة لكم، تقول: أقمت في البلد إقامة ومقاماً. ومن قرأ: «{لَا مُقَامَ لَكُمْ}، - بفتح الميم- فالمعنى: لا مكان لكم تقيمون فيه"^(٩).

عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سمي المدينة

يثرب فليستغفر الله، هي طيبة هي طيبة، هي طيبة"^(١٠).

قوله تعالى: {وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} [الأحزاب : ١٣]، أي: "ويستأنف فريق آخر من المنافقين الرسول صلى الله عليه وسلم بالعودة إلى منازلهم بحجة أنها غير محصنة، فيخشون عليها، ليس الأمر كما يزعمون، ما يريدون بما طلبوا من الرسول صلى

الله عليه وسلم إلا الهرب من القتال، والفرار من الجهاد"^(١١).

عن مجاهد، قوله: " {إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ}، نخاف عليها السرقة"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٣): ص ٣١٢٠/٩.

(٣) الدر المنثور: ٥٧٩/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٤): ص ٣١٢٠/٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم: ٣١٢٠/٩. الخبر غير مرقم.

(٨) الدر المنثور: ٥٧٩/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٩) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢١٩/٤.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٥): ص ٣١٢٠/٩.

(١١) التفسير الميسر: ٤١٩.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٦): ص ٣١٢٠/٩.

قال قتادة: " وإنما مما يلي العدو، وإنما نخاف عليها السراق، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يجد بها عدوا، قال الله: {إن يريدون إلا فرارا} يقول: إنما كان قولهم ذلك {إن بيوتنا عورة} إنما كان يريدون بذلك الفرار" (١).

عن الحسن: " {إنَّ بِيوتِنَا عَوْرَةٌ}، قال: "ضائعة" (٢).
عن السُّدِّيِّ، قوله: {وَيَسْتَأْذِنُ قَرِيبٌ مِنْهُمُ النَّبِيُّ} قال: جاءه رجلان من الأنصار من بني حارثة، أحدهما يدعى: أبا عرابة بن أوس، والآخر يدعى: أوس بن قَيْظِيَّ فقالا: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة - يعنون: أنها ذليلة الحيطان-، وهي في أقصى المدينة، ونحن نخاف السُّرْقَ؛ فَأَذِنَ لَنَا. فقال الله: {وما هيَّ بَعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} (٣).

عن عبد السلام بن شداد أبو طالوت، عن أبيه في هذه الآية: " {إنَّ بِيوتِنَا عورة وما هي بعورة}، قال: ضائعة" (٤).

ويقرأ: «وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ» (٥).

القرآن

{وَلَوْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤)} [الأحزاب : ١٤]
التفسير:

ولو دخل جيش الأحزاب «المدينة» من جوانبها، ثم سئل هؤلاء المنافقون الشرك بالله والرجوع عن الإسلام، لأجابوا إلى ذلك مبشرين، وما تأخروا عن الشرك إلا يسيراً.

قوله تعالى: {وَلَوْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا} [الأحزاب : ١٤]، أي: "ولو دخل جيش الأحزاب «المدينة» من جوانبها،" (١).

عن الحسن، قوله: " {ولو دخلت عليهم من أقطارها}، قال: من نواحيها" (٧).

عن مجاهد، قوله: " {ولو دخلت عليهم من أقطارها}، قال: من أطرافها" (٨).

عن قتادة: " {ولو دخلت عليهم من أقطارها}، أي: لو دخل عليهم من نواحي المدينة" (٩).

قوله تعالى: {ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا} [الأحزاب : ١٤]، أي: "ثم سئل هؤلاء المنافقون الشرك بالله والرجوع عن الإسلام، لأجابوا إلى ذلك مبشرين" (١٠).

عن الحسن، قوله: " {ثم سئلوا الفتنة لآتوها}، قال: لو دعوا إلى الشرك لأجابوا" (١١).

عن مجاهد، قوله: " {ثم سئلوا الفتنة}، يعني: الشرك" (١٢).

عن قتادة: " {ثم سئلوا الفتنة}، أي: الشرك، لآتوها}، يقول: لأعطوها" (١٣).

ويقرأ بالقصر: «لآتوها»، بمعنى: لقصدها (١).

(١) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٠.

(٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٠٦/٢.

(٣) الدر المنثور: ٥٧٩/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٠.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢١٩/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٧): ص ٣١٢٠/٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٨): ص ٣١٢٠/٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤١٩.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٧): ص ٣١٢٠/٩.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٨): ص ٣١٢٠/٩.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٠.

قوله تعالى: {وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا} [الأحزاب : ١٤]، أي: "وما تأخروا عن الشرك إلا يسيرًا"^(٢). قال قتادة: "يقول: إلا أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتسبونه"^(٣). قال قتادة: "وما أحببوا من الإجابة إلى الكفر إلا قليلاً"^(٤). قال السدي: "وما تلبثوا بها، أي: بالمدينة، {إلا يسيرًا}، بعد إعطاء الكفر حتى يهلكوا"^(٥). وقال الحسن: "وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلاً حتى يعذبوا"^(٦).

القرآن

{وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)} [الأحزاب : ١٥]

التفسير:

ولقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله على يد رسوله من قبل غزوة الخندق، لا يفرون إن شهدوا الحرب، ولا يتأخرون إذا دعوا إلى الجهاد، ولكنهم خانوا عهدهم، وسيحاسبهم الله على ذلك، ويسألهم عن ذلك العهد، وكان عهد الله مسؤولاً عنه، محاسباً عليه.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ} [الأحزاب : ١٥]، أي: "ولقد كان هؤلاء المنافقون أعطوا ربهم العهود والمواثيق من قبل غزوة الخندق وبعد بدر ألا يفروا من القتال"^(٧). عن السدي: "ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الدُّبَارَ {منهزمين}"^(٨).

قال يزيد بن رومان: "وهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين هما بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم"^(٩).

قال قتادة: "كان ناس غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن، فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة، فصنعوا ما قص الله عليكم"^(١٠).

قوله تعالى: {وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا} [الأحزاب : ١٥]، أي: "وكان عهد الله مسؤولاً عنه، محاسباً عليه"^(١١).

قال السدي، في قوله: "إن العهد كان مسؤولاً: كان مطلوباً"^(١٢).

عن سعيد بن جبير، في قوله: {إن العهد كان مسؤولاً}، قال: "يسأل الله ناقض العهد عن نقضه"^(١٣).

القرآن

{قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦)} [الأحزاب : ١٦]

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٢٠/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٠.

(٤) حكاه عنه الواحدي في "التفسير البسيط": ٢٠٠/١٨. وقال: "وهذا قول أكثر المفسرين". وانظر: "تفسير الطبري" ١١/١٣٦، "مجمع البيان" ٥٤٥/٨، "زاد المسير" ٦/٣٦١.

(٥) حكاه عنه الواحدي في "التفسير البسيط": ٢٠٠/١٨. وانظر: "زاد المسير" ٦/٣٦٢، "تفسير القرطبي" ١٤/١٥٠.

(٦) حكاه عنه الواحدي في "التفسير البسيط": ٢٠٠/١٨.

(٧) صفوة التفاسير: ٤٧٣/٢.

(٨) علقه يحيى بن سلام ٧٠٧/٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٨٠/٦، إلى ابن أبي حاتم.

(١١) التفسير الميسر: ٤١٩.

(١٢) تفسير البغوي ٩٢/٥.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٧٧): ص ٢٣٣٠/٧، وذكره السيوطي في "الدر المنثور": ٢٨٥/٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

التفسير:

قل -أيها النبي- لهؤلاء المنافقين: لن ينفعكم الفرار من المعركة خوفاً من الموت أو القتل؛ فإن ذلك لا يؤخر آجالكم، وإن فررتم فلن تتمتعوا في هذه الدنيا إلا بقدر أعماركم المحدودة، وهو زمن يسير جداً بالنسبة إلى الآخرة.

قوله تعالى: {قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ} [الأحزاب : ١٦]، أي: " قل -أيها النبي- لهؤلاء المنافقين: لن ينفعكم الفرار من المعركة خوفاً من الموت أو القتل؛ فإن ذلك لا يؤخر آجالكم" (١).

قوله تعالى: {وَإِذَا لَمْ تُمْتِعُوا إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب : ١٦]، أي: " وإن فررتم فلن تتمتعوا في هذه الدنيا إلا بقدر أعماركم المحدودة، وهو زمن يسير جداً بالنسبة إلى الآخرة" (٢).

عن الربيع بن خثيم، قوله: " {وإذا لا تمتعون إلا قليلاً}، قال: ما بينهم وبين الأجل" (٣). وفي لفظ: " إلى آجالهم" (٤).

قال قتادة: " وإنما الدنيا كلها قليل" (٥).

وفي رواية عن قتادة، قال: " لن تزدادوا على آجالكم التي أجلكم الله وذلك قليل وإنما الدنيا كلها قليل" (٦).

وفي بعض الحكايات: " أن رجلاً انهزم في بعض الحروب، فكان يلام على ذلك، ويقرأ عليه هذه الآية: {قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل إذا لا تمتعون إلا قليلاً} فقال: ذلك القليل أطلب" (٧). وعن بعض المروانية: " أنه مر بحائط مائل فأسرع، فقلت له هذه الآية، فقال: ذلك القليل نطلب" (٨).

القرآن

{قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكَ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧)} [الأحزاب : ١٧]

التفسير:

قل -أيها النبي- لهم: من ذا الذي يمنعكم من الله، أو يجبركم من عذابه، إن أراد بكم سوءاً، أو أراد بكم رحمة، فإنه المعطي المانع الضار النافع؟ ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من دون الله ولياً يواليهم، ولا نصيراً ينصرهم.

قوله تعالى: {قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكَ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} [الأحزاب : ١٧]، أي: " قل -أيها النبي- لهم: من ذا الذي يمنعكم من الله، أو يجبركم من عذابه، إن أراد بكم سوءاً، أو أراد بكم رحمة" (٩).

قال السدي: " {اللَّهُ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا} يعني: القتل والهزيمة، { أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً}، يعني: النصر والفتح" (١٠).

(١) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٢) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٩): ص ٣١٢١/٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٠.

(٦) الدر المنثور: ٥٨٠/٦، وعزاه إلى الطبري.

(٧) تفسير السمعاني: ٢٦٧/٤.

(٨) نقلاً عن الكشاف: ٥٢٩/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٠.

(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٠٧/٢-٧٠٨.

قال يزيد بن رومان: "أي: أنه ليس الأمر إلا ما قضيت"^(١).

القرآن

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨)} [الأحزاب : ١٨]
التفسير:

إن الله يعلم المثبطين عن الجهاد في سبيل الله، والقائلين لإخوانهم: تعالوا وانضموا إلينا، واتركوا محمداً، فلا تشهدوا معه قتالاً؛ فإننا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه، وهم مع تخذيلهم هذا لا يأتون القتال إلا نادراً؛ رياء وسمعة وخوف الفضيحة.

قوله تعالى: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ} [الأحزاب : ١٨]، أي: "إن الله يعلم المثبطين عن الجهاد في سبيل الله"^(٢).

عن يزيد بن رومان: "قد يعلم الله المعوقين منكم، أي: أهل النفاق"^(٣).
قوله تعالى: {وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا} [الأحزاب : ١٨]، أي: "وانضموا إلينا، واتركوا محمداً، فلا تشهدوا معه قتالاً؛ فإننا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه"^(٤).

قال قتادة: "هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك"^(٥).
قوله تعالى: {وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب : ١٨]، أي: "وهم مع تخذيلهم هذا لا يأتون القتال إلا نادراً؛ رياء وسمعة وخوف الفضيحة"^(٦).

قال يزيد بن رومان: "أي: إلا دفعا وتعذيراً"^(٧).

قال السدي: "يعني: رياء وسمعة"^(٨).

عن الحسن، في قوله: {وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}، قال: إنما قل إنه كان لغير الله"^(٩).

القرآن

{أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُهِبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسَّنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩)} [الأحزاب : ١٩]
التفسير:

بُخْلَاءَ عَلَيْكُمْ -أيها المؤمنون- بالمال والنفس والجهد والمودة لما في نفوسهم من العداوة والحقد؛ حباً في الحياة وكراهة للموت، فإذا حضر القتال خافوا الهلاك ورأيتهم ينظرون إليك، تدور أعينهم لذهاب عقولهم؛ خوفاً من القتل وفراراً منه كدوران عين من حضره الموت، فإذا انتهت الحرب وذهب الرعب رموكم بالسنة جداد أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيراً.

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٠.

(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٠٨/٢.

(٩) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٠٨/٢.

قوله تعالى: {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ} [الأحزاب : ١٩]، أي: "بُخْلَاءَ عَلَيْكُمْ -أيها المؤمنون- بالمال والنفس والجهد والمودة لما في نفوسهم من العداوة والحقد"^(١).
 عن قتادة: " {أشحة عليكم}، في الغنيمة"^(٢).
 عن مجاهد: " {أشحة عليكم}، قال: بالخير المنافقون"^(٣).
 عن يزيد بن رومان: " {أشحة عليكم}، أي: للضغن الذي في أنفسهم"^(٤).
 قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغَسِّي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} [الأحزاب : ١٩]، أي: "فإذا حضر القتال خافوا الهلاك ورأيتهم ينظرون إليك، تدور أعينهم لذهاب عقولهم؛ خوفاً من القتل وفراراً منه كدوران عين من حضره الموت"^(٥).
 عن قتادة: " {فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم}، من الخوف"^(٦).
 عن يزيد بن رومان: " {فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت}، أي: إعظاماً وفرقاً منه"^(٧).
 قوله تعالى: {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ} [الأحزاب : ١٩]، أي: "فإذا انتهت الحرب وذهب الرعب رموكم بالسنة حداد مؤذبة"^(٨).
 عن قتادة: " {فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد}، أما عند الغنيمة، فأشح قوم وأسوأ مقاسمة، أعطونا أعطونا فإننا قد شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق"^(٩).
 وعن يزيد بن رومان: " {فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد}، في القول بما تحبون لأنهم لا يرجون آخره، ولا تحملهم حسبة، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده"^(١٠).
 قوله تعالى: {أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ} [الأحزاب : ١٩]، أي: "وتراهم عند قسمة الغنائم بخلاء وحسدة"^(١١).
 قال السدي: "على المال"^(١٢).
 قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ لَمْ يُوْمِنُوا فَأَحْبَبَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [الأحزاب : ١٩]، أي: "وأولئك لم يؤمنوا بقلوبهم فأذهب الله ثواب أعمالهم، وكان ذلك الإحباط سهلاً هيناً على الله"^(١٣).
 عن سعيد بن جبیر: {يسيراً}، قل: "هيناً"^(١٤).

القرآن

{يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)} [الأحزاب : ٢٠]
 التفسير:

- (١) التفسير الميسر: ٤٢٠.
- (٢) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٠.
- (٣) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٠.
- (٤) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٠.
- (٥) التفسير الميسر: ٤٢٠.
- (٦) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٠.
- (٧) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٠.
- (٨) التفسير الميسر: ٤٢٠.
- (٩) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٠.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٠.
- (١١) التفسير الميسر: ٤٢٠.
- (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٢٧): ص ٣١٢٢/٩.
- (١٣) التفسير الميسر: ٤٢٠.
- (١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٩٣): ص ٩٢٩/٣.

يظن المنافقون أن الأحزاب الذين هزمهم الله تعالى شر هزيمة لم يذهبوا؛ ذلك من شدة الخوف والجبن، ولو عاد الأحزاب إلى «المدينة» لتمنى أولئك المنافقون أنهم كانوا غائبين عن «المدينة» بين أعراب البادية، يستخبرون عن أخباركم ويسألون عن أنبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.

قوله تعالى: {يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا} [الأحزاب : ٢٠]، أي: "يحسب المنافقون -من شدة خوفهم وجبنهم- أن الأحزاب -وهم كفار قريش ومن تحزب معهم- بعد انهزامهم لم ينصرفوا عن المدينة وهم قد انصرفوا"^(١).

عن مجاهد، قوله: "يحبسون الأحزاب لم يذهبوا"، قال: يحسبونهم قريبا"^(٢). وفي رواية: "يحسبونهم قريبا لم يبعثوا"^(٣).

عن يزيد بن رومان: "يحبسون الأحزاب لم يذهبوا": قريش وغطفان"^(٤). قال السدي: "كانوا يتحدثون بمجيء أبي سفيان وأصحابه، وإنما سموا الأحزاب، لأنهم حزبوا من قبائل الأعراب على النبي -صلى الله عليه وسلم-"^(٥). في قراءة عبد الله: «يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ قَدْ ذَهَبُوا فَإِذَا وَجَدُوهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا وَذُؤَا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ»^(٦).

قوله تعالى: {وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ} [الأحزاب : ٢٠]، أي: "وإن يرجع إليهم الأحزاب كرة ثانية للقتال، لتمنى أولئك المنافقون -لشدة جزعهم- أن يكونوا في البادية من الأعراب لا في المدينة معكم حذراً من القتل وتربصاً للدوائر"^(٧).

عن السدي: "وإن يأت الأحزاب"، قال: أبو سفيان وأصحابه، {يودوا لو أنهم بادون في الأعراب} يقول: يود المنافقون"^(٨).

عن قتادة، قوله: "وإن يأت الأحزاب"، قال: أبو سفيان وأصحابه، {يودوا لو أنهم بادون}، يقول: يود المنافقون"^(٩).

قال قتادة: "هم المنافقون بناحية المدينة، كانوا يتحدثون بنبي"^(١٠). قوله تعالى: {يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ} [الأحزاب : ٢٠]، أي: "يستخبرون عن أخباركم ويسألون عن أنبائكم وما وقع لكم"^(١١).

عن مجاهد، قوله: "يسألون عن أنبائكم"، قال: أخباركم"^(١٢). وقرأ عاصم الجحدري: «يساءلون» بتشديد السين، بمعنى: يتساءلون: أي يسأل بعضهم بعضا عن ذلك"^(١٣).

(١) صفوة التفاسير: ٤٧٤/٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٢٩): ص ٣١٢٢/٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٣٠): ص ٣١٢٢/٩-٣١٢٣.

(٦) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٠.

(٧) صفوة التفاسير: ٤٧٤/٢. [بتصرف]

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٣٠): ص ٣١٢٢/٩-٣١٢٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٣١): ص ٣١٢٣/٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٣٢): ص ٣١٢٣/٩.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٠. [بتصرف]

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٠.

القرآن

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)}

[الأحزاب : ٢١]

التفسير:

لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال.

قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب : ٢١]، أي: "لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته"^(١).

عن السدي، قوله: " {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، قال: مواساة عند القتال"^(٢). قال يزيد بن رومان: "ثم أقبل على المؤمنين، فقال: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر} ألا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به"^(٣).

عن يعلى بن أمية، في قوله: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، قال: "طفت مع عمر، فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر أخذت بيده ليستلم، فقال: ما طفت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قلت: بلى. قال: فهل رأيته يستلمه؟ قلت: لا. قال: فأنفذ عنك، فإن لك في رسول الله أسوة حسنة"^(٤).

عن محمد بن كعب القرظي: "أن رجلاً من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يمسح الأركان كلها، ويقول: لا ينبغي لبيت الله تعالى أن يكون شيء منه مهجوراً. وكان ابن عباس يقول: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}"^(٥).

عن عاصم، قال: "صلى ابن عمر صلاة من صلاة النهار في السفر، فرأى بعضهم يسبح، فقال ابن عمر: لو كنت مسبباً لأتممت الصلاة، حجبت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان لا يسبح بالنهار، وحجبت مع أبي بكر فكان لا يسبح بالنهار، وحجبت مع عمر فكان لا يسبح بالنهار، وحجبت مع عثمان فكان لا يسبح بالنهار. ثم قال ابن عمر: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}"^(٦).

عن سعيد بن يسار، قال في قوله: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}: "كنت مع ابن عمر في طريق مكة، فلما خشيت الصباح نزلت فأوترت، فقال ابن عمر: أليس لك في رسول الله أسوة حسنة؟ قلت: بلى. قال: فإنه كان يُوتر على البعير"^(٧).

حفص بن عاصم، قال: "قلت لعبد الله بن عمر: رأيته في السفر لا تصلي قبل الصلاة ولا بعدها؟ فقال: يا ابن أخي، صحبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذا وكذا، فلم أراه يُصلي قبل الصلاة ولا بعدها، ويقول الله: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}"^(٨).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٠.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢٠.

(٤) أخرجه أحمد ١/ ٣٦٥، ٤٠٢، (٢٥٣، ٣١٣)، وأبو يعلى (١٨٢). وأصل الحديث عند البخاري (١٥٩٧، ١٦٠٥، ١٦١٠)، ومسلم (١٢٧١) بدون ذكر الآية.

(٥) أخرجه الشافعي في كتاب الأم ٣/ ٤٣٠.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٤٤٣): ص ٥٥٧/٢.

(٧) أخرجه البخاري (٩٩٩) واللفظ له، ومسلم (٧٠٠)، ومالك ١/ ١٥٠، والترمذي (٤٧٢)، والنسائي (١٦٨٧)، وابن ماجه (١٢٠٠).

(٨) أخرجه مسلم ١/ ٤٠٢ (٦٨٩) بلفظ: عن حفص بن عاصم قال: مرضت مرضاً، فجاء ابن عمر يعودني، قال: وسألته عن

عن قتادة، قال: "همَّ عمر بن الخطاب أن ينهي عن الحيرة^(١) من صباغ البول، فقال له رجل: أليس قد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلبسها؟ قال عمر: بلى. قال الرجل: ألم يقل الله: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}؟ فتركها عمر"^(٢).

وقرئ: «إسوة» بكسر الألف^(٣).

قوله تعالى: {لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب : ٢١]، أي: "فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال"^(٤).
قال محمد بن إسحاق: "لو كنتم ترجون الله واليوم الآخر وتذكرون الله كثيراً لاستأنتم بالنبى - صلى الله عليه وسلم -، ولكن لستم كذلك"^(٥).

القرآن

{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب : ٢٢]

التفسير:

ولمَّا شاهد المؤمنون الأحزاب الذين تحزَّبوا حول «المدينة» وأحاطوا بها، تذكروا أن موعد النصر قد قرب، فقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، من الابتلاء والمحنة والنصر، فأنجز الله وعده، وصدق رسوله فيما بشر به، وما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيمانًا بالله وتسليمًا لقضائه وانقيادًا لأمره.

قوله تعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} [الأحزاب : ٢٢]، أي: "ولمَّا شاهد المؤمنون الأحزاب الذين تحزَّبوا حول «المدينة» وأحاطوا بها، تذكروا أن موعد النصر قد قرب، فقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، من الابتلاء والمحنة والنصر، فأنجز الله وعده، وصدق رسوله فيما بشر به"^(٦).

قال قتادة: "وكان الله قد وعدهم في سورة البقرة فقال: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه} خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله {متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب}، هذا والله البلاء والنقص الشديد، وإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء {قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا}.." ^(٧).

قوله تعالى: {وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب : ٢٢]، أي: "وما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيمانًا بالله وتسليمًا لقضائه وانقيادًا لأمره"^(٨).

قال قتادة: "وتصديقًا بما وعدهم الله، وتسليمًا لقضاء الله"^(٩).

السبحة في السفر؟ فقال: صحبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السفر، فما رأيته يسبح، ولو كنت مسبحًا لأتممت، وقد قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، وابن ماجه (١٠٧١)، والحديث عند البخاري (١١٠١). وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٥٨٣/٦، إلى ابن أبي حاتم.

(١) الحيرة: ضرب من بُرود اليمن منمر، أي: مخطط بالسواد والبياض. اللسان (حبر) و (نمر).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٤٩٣): ص ٣٨٢ / ١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٠.

(٥) أخرجه إسحاق البستي ص ١١٨.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢٠-٢٣٧.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢٠-٢٣٧.

قال يزيد بن رومان: "ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به: {قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً}: أي صبراً على البلاء، وتسليماً للقضاء، وتصديقاً بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله"^(١).

القرآن

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٢٣) {الأحزاب : ٢٣}

التفسير:

من المؤمنين رجال أوفوا بعهودهم مع الله تعالى، وصبروا على البأساء والضراء وحين البأس: فمنهم من وقى بندره، فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء، ومنهم من ينتظر إحدى الحسينيين: النصر أو الشهادة، وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدلوه، كما غير المنافقون.
سبب النزول:

عن أنس، "أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر، فقال: تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم، لئن رأيت قتالا ليرين الله ما أصنع؛ فلما كان يوم أحد، وهزم الناس، لقي سعد بن معاذ، فقال: والله إنني لأجد ريح الجنة، فتقدم فقاتل حتى قتل، فنزلت فيه هذه الآية: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ}"^(٢).

عن حميد، قال: "زعم أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر، عن قتال يوم بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين، لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع؛ فلما كان يوم أحد، انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين، فمشى بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، إنني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقال سعد: يا رسول الله، فما استطعت أن أصنع ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى، به بضع ثمانون جراحة، بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، قال أنس: فكنا نتحدث أن هذه الآية: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ}، نزلت فيه، وفي أصحابه"^(٣).

قوله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب : ٢٣]، أي: "من المؤمنين رجال أوفوا بعهودهم مع الله تعالى، وصبروا على البأساء والضراء وحين البأس"^(٤).

قال يزيد بن رومان: "أي: وفوا الله بما عاهدوه عليه"^(٥).
قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ} [الأحزاب : ٢٣]، أي: "فمنهم من وقى بندره، فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء"^(٦).

عن السدي: {فمنهم من قضى نحبه}، يعني: أنتم أجله"^(٧).
قال يزيد بن رومان: "أي: فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد"^(٨).
عن مجاهد: "فمنهم من قضى نحبه}، قال: عهده فقتل أو عاش"^(٩).

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٠-٢٤٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧١٠/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠.

عن الحسن، قوله: {فمنهم من قضى نحبه}، قال: موته على الصدق والوفاء^(٢).
عن عيسى بن طلحة: "أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله: من الذين قضوا نحبه؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ودخل طلحة من باب المسجد وعليه ثوبان أخضران، فقال: "هذا من الذين قضوا نحبه"^(٣).

عن موسى بن طلحة، قال: "قام معاوية بن أبي سفيان، فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «طلحة ممن قضى نحبه»"^(٤).

عن موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة، قال: "لما قدمنا من أحد وصرنا بالمدينة، صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر، فخطب الناس وعزاهم، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر، ثم قرأ: {رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ...} الآية، قال: فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، من هؤلاء؟ فالتفت وعلي ثوبان أخضران، فقال: "أيها السائل هذا منهم"^(٥).

قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ} [الأحزاب : ٢٣]، أي: "ومنهم من ينتظر إحدى الحسينين: النصر أو الشهادة"^(٦).

قال يزيد بن رومان: " {ومنهم من ينتظر} ما وعد الله من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه"^(٧).

عن مجاهد: " {ومنهم من ينتظر} يوما فيه جهاد، فيقضي {نحبه} عهده، فيقتل أو يصدق في لقائه"^(٨).
عن الحسن، قوله: {ومنهم من ينتظر} الموت على مثل ذلك"^(٩).
قوله تعالى: {وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب : ٢٣]، أي: "وما غيروا عهدهم الذي عاهدوا عليه ربهم أبداً"^(١٠).

قال قتادة: " يقول: ما شكوا وما ترددوا في دينهم، ولا استبدلوا به غيره"^(١١).
قال السدي: " {وما بدلوا تبديلا} كما بدل المنافقون"^(١٢).

عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه، قال : " لما نسخنا الصُّحُفَ ، فَفَدَّتْ آيَةٌ مِنْ "سورة الأحزاب" كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري - الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين - : { مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ }"^(١٣).

القرآن

- (١) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠.
- (٢) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٠.
- (٣) أخرجه الطبري: ٢٣٨-٢٣٩/٢٠.
- (٤) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٠.
- (٥) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٠-٢٤١.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٢١.
- (٧) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠.
- (٨) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠.
- (٩) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٠.
- (١٠) صفوة التقاسير: ٤٧٩/٢.
- (١١) أخرجه الطبري: ٢٤١ / ٢٠.
- (١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧١٠/٢.
- (١٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٤) والمسند (١٨٨/٥) وسنن الترمذي برقم (٣١٠٤)، وقال: "حسن صحيح". وأخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٠١).

{لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٢٤]

التفسير:

ليثيب الله أهل الصدق بسبب صدقهم وبلاتهم وهم المؤمنون، ويعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم، بأن لا يوفقهم للتوبة النصوح قبل الموت، فيموتوا على الكفر، فيستوجبوا النار، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، إن الله كان غفوراً لذنوب المسرفين على أنفسهم إذا تابوا، رحيماً بهم؛ حيث وفتحهم للتوبة النصوح. قوله تعالى: {لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ} [الأحزاب : ٢٤]، أي: "ليثيب الله أهل الصدق بسبب صدقهم وبلاتهم وهم المؤمنون" (١).

قال السدي: "يعني: المؤمنين" (٢).

قوله تعالى: {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} [الأحزاب : ٢٤]، أي: "يعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم، بأن لا يوفقهم للتوبة النصوح قبل الموت، فيموتوا على الكفر، فيستوجبوا النار، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة والإنابة" (٣).

قال قتادة: "يقول: إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان" (٤).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٢٤]، أي: "إن الله كان غفوراً لذنوب المسرفين على أنفسهم إذا تابوا، رحيماً بهم؛ حيث وفتحهم للتوبة النصوح" (٥).

عن عطاء بن دينار، قوله: " {غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة" (٦).

عن سعيد بن جبير، قوله: " {الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيماً بالمؤمنين" (٧).

عن قتادة: "قوله: {غفور}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة" (٨)، " {رحيماً}، بعباده" (٩).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور» ليعفر" (١٠).

القرآن

{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب : ٢٥]

التفسير:

وردَّ الله أحزاب الكفر عن «المدينة» خائبين خاسرين مغتاضين، لم ينالوا خيراً في الدنيا ولا في الآخرة، وكفى الله المؤمنين القتال بما أيدهم به من الأسباب. وكان الله قوياً لا يُغالب ولا يُفهر، عزيزاً في ملكه وسلطانه.

قوله تعالى: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا} [الأحزاب : ٢٥]، أي: "وردَّ الله أحزاب الكفر عن «المدينة» خائبين خاسرين مغتاضين، لم ينالوا خيراً في الدنيا ولا في الآخرة" (١).

(١) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧١٠/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٠٥): ص ٢١٥٩/٧.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٢٧): ص ١٩٩٢/٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٠٣): ص ٩١٥/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٥): ص ٨٩٦/٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

عن مجاهد، قوله: "ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً": الأحزاب" (٢).
قال يزيد بن رومان: "أي: قريش وغطفان" (٣).
قال قتادة: "وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب، رد الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم لم ينالوا خيراً" (٤).
عن السدي: "ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً": قال: أبو سفيان وأصحابه، لم ينالوا خيراً، قال: لم يصيبوا من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظفراً" (٥).
قوله تعالى: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} [الأحزاب : ٢٥]، أي: "وكفى الله المؤمنين القتال بما أيدهم به من الأسباب" (٦).
قال قتادة: "وكفى الله المؤمنين القتال" بالجنود من عنده، والريح التي بعث عليهم" (٧).
قال السدي: "انهزموا بالريح من غير قتال" (٨).
وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال: "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب. اللهم، اهزمهم وزلزلهم" (٩).
عن سليمان بن صرد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: "الآن نغزوهم ولا يغزونا" (١٠).
حكى سفيان الثوري عن زيد عن مرة، قال: "أقرأنا ابن مسعود هذا الحرف: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}، بعلي بن أبي طالب" (١١).
قال أبو سعيد الخدري: "حبسنا يوم الخندق عن الصلاة، فلم نصل الظهر، ولا العصر، ولا المغرب، ولا العشاء، حتى كان بعد العشاء بهوي كفيينا، وأنزل الله: {وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا}، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأقام الصلاة، وصلى الظهر، فأحسن صلاتها، كما كان يصلها في وقتها، ثم صلى العصر كذلك، ثم صلى المغرب كذلك، ثم صلى العشاء كذلك، جعل لكل صلاة إقامة، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف: {فإن خفتم فرجالا أو ركبانا} (١٢).
قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيًّا} [الأحزاب : ٢٥]، أي: "وكان الله قويا لا يُغالب ولا يُفهر، عزيزا في ملكه وسلطانه" (١٣).
قال قتادة: "قويا في أمره، عزيزا في نعمته" (١٤).

القرآن

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٢١.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٠.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٠.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٠.
 - (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٤٧): ص ٣١٢٥-٣١٢٦.
 - (٦) التفسير الميسر: ٤٢١.
 - (٧) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٠.
 - (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٤٧): ص ٣١٢٥-٣١٢٦.
 - (٩) صحيح البخاري برقم (٢٩٣٣) وصحيح مسلم برقم (١٧٤٢).
 - (١٠) المسند (٢٦٢/٤) وصحيح البخاري برقم (٤١٠٩).
 - (١١) النكت والعيون: ٣٩١/٤. والدر المنثور: ٥٩٠/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٦٤٩): ص ٣١٢٦-٣١٢٧.
 - (١٢) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٠-٢٤٣.
 - (١٣) التفسير الميسر: ٤٢١.
 - (١٤) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠.

{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)} [الأحزاب : ٢٦]

التفسير:

وأنزل الله يهود بني قريظة من حصونهم؛ لإعانتهم الأحزاب في قتال المسلمين، وألقى في قلوبهم الخوف فهزموا، تقتلون منهم فريقًا، وتأسرون فريقًا آخر.

قوله تعالى: {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ} [الأحزاب : ٢٦]، أي: "وأنزل الله يهود بني قريظة من حصونهم؛ لإعانتهم الأحزاب في قتال المسلمين"^(١).
عن مجاهد: "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب"، قال: قريظة، يقول: أنزلهم من صياصيمهم"^(٢)، "قال: قصورهم"^(٣).

عن عكرمة: "من صياصيمهم"، قال: من حصونهم"^(٤).

قال قتادة: "أي من حصونهم وأطامهم"^(٥).

قال يزيد بن رومان: "الصياصي: الحصون والأطام التي كانوا فيها"^(٦).

قال قتادة: "وهم: بنو قريظة، ظاهروا أبا سفيان وراسلوه، فنكثوا العهد الذي بينهم وبين نبي الله، قال: فبيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه، وقد غسلت شقه، إذ أتاه جبرائيل صلى الله عليه وسلم، فقال: عفا الله عنك؛ ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة، فانهض إلى بني قريظة، فإني قد قطعت أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال ولبال؛ قال: فاستلأم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم سلك سكة بني غنم، فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب؛ قال: فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصروهم وناداهم: «يا إخوان القردة»، فقالوا: يا أبا القاسم، ما كنت فحاشا، فنزلوا على حكم ابن معاذ، وكان بينهم وبين قومه حلف، فرجوا أن تأخذه فيهم هوادة، وأوماً إليهم أبو لبابة إنه الذبح، فأنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون}، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسي ذراريهم، وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقال قومه وعشيرته: أثرت المهاجرين بالعقار علينا قال: فإنكم كنتم ذوي عقار، وإن المهاجرين كانوا لا عقار لهم. وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر وقال: «قضى فيكم بحكم الله»"^(٧).

أخرج الطبري بسنده عن ابن إسحاق، قال: "لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري: "معتجرا بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج؛ فقال: أقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، ما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة، وأنا عائد إلى بني قريظة"، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا، فأذن في الناس: "إن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة"، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه برأيته إلى بني قريظة، وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو

(١) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٤٤-٢٤٣/٢٠.

من هؤلاء الأخبث، قال: "لم؟ أظنك سمعت لي منهم أذى" قال: نعم يا رسول الله، قال: "لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً" فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال: "يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟" قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً؛ ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصوريين قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: "هل مر بكم أحد؟" فقالوا: يا رسول الله، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذاك جبرائيل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم"؛ فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة، نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم يقال لها: بئر أنا، فتلاحق به الناس، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"، فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عافهم به رسوله.

والحديث عن محمد بن إسحاق، عن أبيه، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري، قال: وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب. وقد كان حبي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه؛ فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم؛ قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلا لا ثلاثا، فخذوا أيها؛ قالوا: وما هن؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقته، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه الذي كنتم تجدونه في كتابكم، فتأمنا على دمانكم وأموالكم وأبناكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم هذه علي، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف، ولم نترك وراءنا ثقلا يهمننا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه، وإن ظهر فلعمري لننخذن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؛ قال: فإذا أبيتم هذه علي، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا، فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا؛ أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك؛ قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما، قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أبا بني عمرو بن عوف، -وكانوا من حلفاء الأوس- نستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقة، إنه الذبح؛ قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله؛ ثم انطلق أبو لبابة على وجهه. ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يظأ بني قريظة أبدا ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره، وكان قد استبطأه، قال: "أما إنه لو كان جاعني لاستغفرت له، أما إذ فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه"؛ ثم إن ثعلبة بن سعياً، وأسيد بن سعياً، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة، ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة؛ فلما رآه قال: من هذا؟ قال: عمرو بن سعدى؛ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لا أغدر بمحمد أبدا، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب، فلا يدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا؛ فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه، فقال: "ذاك رجل نجاه الله بوفائه". قال: وبعض الناس كان يزعم أنه

كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصبحت رمته ملقاة، ولا يدري أين ذهب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة، فانه أعلم.

فلما أصبحوا، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم مواليونا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول، فوهبهم له؛ فلما كلمته الأوس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟" قالوا: بلى، قال: "فذاك إلى سعد بن معاذ"، وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق "اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب" فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة، أنهاه قومه فاحتلموه على حمار، وقد وطئوا له بوسادة من آدم، وكان رجلا جسيما، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: قد أن لسعد ألا تأخذ في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى إليهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ؛ من كلمته التي سمع منه؛ فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، قال: "قوموا إلى سيدكم" فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، إن الحكم فيهم كما حكمت؟ قال: نعم، قال: وعلى من هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إجلالا له. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم"، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء.

عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة"، ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار ابنة الحارث امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخذق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالا وفيهم عدو الله حيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ست مئة أو سبعمائة، والمكثرون منهم يقول: كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب، ما ترى ما يصنع بنا؟ فقال كعب: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وإنه من يذهب به منكم فما يرجع، هو والله، القتل، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتى بحيي بن أخطب عدو الله، وعليه حلة له فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة، أنملة أنملة؛ لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله، ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب الله وقدره، وملحمة قد كتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه، فقال جبل بن جوال الثعلبي^(١):

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها ... وقلقل يبغي العز كل مقلقل

(١) البيتان لجبل بن جوال الثعلبي، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وكان يهوديا فأسلم، وكانت له صحبة (عن الروض الأنف للسهيلي، والاستيعاب لابن عبد البر. وانظر سيرة بن هشام طبعة الحلبي: ٣ / ٢٥٢) ومعنى قلقل: أي تحرك. وقد قال البيهقي عند مقتل حيي بن أخطب رأس بني قريظة.

عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق، إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت: ويلك ما لك؟ قالت: أقتل؟ قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثه، قال: فانطلق بها، فضربت عنقها، فكانت عائشة تقول: ما أنسى عجبى منها، طيب نفس، وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل" (١).

قوله تعالى: {وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} [الأحزاب : ٢٦]، أي: "وألقى في قلوبهم الخوف فهزموا" (٢).
عن قتادة: "وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ" قال: بصنيع جبريل" (٣).
قوله تعالى: {فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} [الأحزاب : ٢٦]، أي: "تقتلون منهم فريقًا، وتأسرون فريقًا آخر" (٤).

قال يزيد بن رومان: "أي" قتل الرجال وسبي الذراري والنساء" (٥).
عن قتادة: " {فَرِيقًا تَقْتُلُونَ} الذين ضربت أعناقهم، {وتأسرون فريقًا}، الذين سبوا" (٦).
عن قتادة: " {فَرِيقًا تَقْتُلُونَ} قال: الذين ضربت أعناقهم، وكانوا أربعمئة مقاتل، فقتلوا حتى أتوا على آخرهم، {وتأسرون فريقًا} قال: الذين سبوا، وكانوا فيها سبعمئة سبي" (٧).
قال عطية القرظي: "عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فشكوا فيّ، فأمر بي النبي صلى الله عليه وسلم أن ينظروا: هل أنبت بعد؟ فنظروا فلم يجدوني أنبت، فخلى عني وألحقني بالسبي" (٨).

القرآن

{وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْنُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)} [الأحزاب : ٢٧]

التفسير:

وملككم الله -أيها المؤمنون- أرضهم ومساكنهم وأموالهم المنقولة كالحليّ والسلاح والمواشي، وغير المنقولة كالمزارع والبيوت والحصون المنيعة، وأورثكم أرضًا لم تتمكنوا من وطنها من قبل؛ لمنعتها وعزتها عند أهلها. وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء.

قوله تعالى: {وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} [الأحزاب : ٢٧]، أي: "وملككم الله -أيها المؤمنون- أرضهم ومساكنهم وأموالهم المنقولة كالحليّ والسلاح والمواشي، وغير المنقولة كالمزارع والبيوت والحصون المنيعة" (٩).

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٠-٢٤٩.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٣)

(٤) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٥٠/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٥٠/٢٠.

(٧) الدر المنثور: ٥٩٢/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وأخرجه الطبري-في الأثر السابق-: ٢٥٠ / ٢٠ مختصرًا من طريق سعيد.

(٨) المسند (٣١١/٥) وسنن أبي داود برقم (٤٤٠٤) وسنن الترمذي برقم (١٥٨٤) وسنن النسائي (٩٢/٨) وسنن ابن ماجه برقم (٢٥٤٢).

(٩) التفسير الميسر: ٤٢١.

عن قتادة: -من طريق سعيد- في نزول الآيات: "... فحكم فيهم [سعد بن معاذ] أن تُقتل مقاتلتهم، وأن تُسبى ذراريهم، وأن أعقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقال قومه وعشيرته: أثرت المهاجرين بالأعقار علينا! فقال: إنكم كنتم ذوي أعقار، وإن المهاجرين كانوا لا أعقار لهم"^(١).
قوله تعالى: {وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا} [الأحزاب : ٢٧]، أي: "وأورثكم أرضاً لم تتمكنوا من وطنها من قبل؛ لمنعتها وعزتها عند أهلها"^(٢).

وفي قوله تعالى: {وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا} [الأحزاب : ٢٧]، أقوال:
أحدها : أنها مكة ، قاله قتادة^(٣).

الثاني : خيبر ، قاله السدي^(٤)، ويزيد بن رومان^(٥).

الثالث : هي الروم وفارس، وما فتح الله عليهم. قاله الحسن^(٦).

الرابع : ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة ، قاله عكرمة^(٧).

قال عكرمة: "يزعمون أنها خيبر، ولا أحسبها إلا كل أرض فتحها الله على المسلمين، أو هو فاتحها إلى يوم القيامة"^(٨).

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورش المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بني قريظة وديارهم وأمواهم، وأرضاً لم يطئوها يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن، مما كان وطنوه يومئذ، ثم وطنوا ذلك بعد، وأورثهموه الله، وذلك كله داخل في قوله {وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا}، لأنه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضاً دون بعض^(٩).

عن أنس بن مالك قال: "كنت رديف أبي طلحة يوم فتحنا خيبر، إن ساقى لتصيب ساق النبي صلى الله عليه وسلم، وفخذي فخذة فلما أشرفنا عليها قال النبي صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، فأخذناها عنوة"^(١٠).

عن أنس بن مالك قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة صبحنا خيبر، فقرأ بأقصر سورتين في القرآن ثم ركب، فلما أشرفنا عليها قالت اليهود: محمد والله والخميس، قال: والخميس الجيش، فأخذناها عنوة"^(١١).

قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} [الأحزاب : ٢٧]، أي: "وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء"^(١٢).

قال ابن إسحاق: "أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نعمة أو عفو فهو قدير"^(١٣).

عن علقمة بن وقاص، قال: "أخبرتني عائشة، قالت: خرجت يوم الخندق أفقو آثار الناس. قالت: فسمعت وئيد الأرض ورأني، - يعني حس الأرض، - قالت: فالتفت، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس، يحمل مجنه. قالت: فجلست إلى الأرض، فمر سعد وعليه درع من حديد، قد خرجت منها

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٠ بنحوه. وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٥٩١/٦، إلى ابن أبي حاتم.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٦٥٠): ص ٣١٢٦/٩.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٩٣/٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٠/٢٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٠/٢٠.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٦٥١): ص ٣١٢٦/٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٥١): ص ٣١٢٦/٩.

(٩) تفسير الطبري: ٢٥٠/٢٠-٢٥١.

(١٠) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧١٢/٢-٧١٣.

(١١) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧١٣/٢.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٢١.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٢١٤): ص ٥٩/١.

أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد. قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم. قالت: فمر وهو يرتجز ويقول: [البحر الرجز]:

لبث قليلا يدرك الهيجا حمل ... ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت: ففقت، فاقتحمت حديقة، فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تسبغة له، - يعني مغفرا، - فقال عمر: ما جاء بك؟ لعمرى والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون بلاء، أو يكون تحوز؟ قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ، فدخلت فيها. قالت: فرجع الرجل التسبغة عن وجهه، فإذا طلحة بن عبيد الله، فقال: يا عمر، ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل؟ قالت: ويرمي سعدا رجل من المشركين من قريش، يقال له ابن العرقة، بسهم له، فقال له: خذها وأنا ابن العرقة، فأصاب أكحله، فقطعه، فدعا الله عز وجل سعد، فقال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة. قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية. قالت: فرقا كلمه، وبعث الله عز وجل الرياح على المشركين، فكفى الله عز وجل المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا، فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عبيدة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة، فتحصنوا في صياصبيهم، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فوضع السلاح، وأمر بقبة من آدم، فضربت على سعد في المسجد. قالت: فجاءه جبريل عليه السلام، وإن على ثناياه لنقع الغبار، فقال: أقد وضعت السلاح؟ والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح، اخرج إلى بني قريظة، فقاتلهم. قالت: فليس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته، وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمر على بني غنم، وهم جيران المسجد حوله، فقال: «من مر بكم؟» فقالوا: مر بنا دحية الكلبي، وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنة وجهه جبريل عليه السلام. فقالت: فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة، فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبح. قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انزلوا على حكم سعد بن معاذ» فنزلوا، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ، فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف، قد حمل عليه، وحف به قومه، فقالوا: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك وأهل النكايه ومن قد علمت. قالت: لا يرجع إليهم شيئا، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم، التفت إلى قومه، فقال: قد أنى لي أن لا أبالي في الله لومة لائم. قال: قال أبو سعيد فلما طلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه» فقال عمر: سيدنا الله عز وجل. قال: أنزلوه، فأنزلوه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احكم فيهم» قال سعد: فإني أحكم فيهم، أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم - وقال يزيد ببغداد: ويقسم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله» قالت: ثم دعا سعد، قال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك صلى الله عليه وسلم من حرب قريش شيئا، فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم، فاقبضني إليك. قالت: فانفجر كلمه، وكان قد برئ حتى ما يرى منه إلا مثل الخرص، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت عائشة: فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر. قالت: فوالذي نفس محمد بيده إنني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر، وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله عز وجل: {رحماء بينهم} [الفتح: ٢٩]. قال علقمة: قلت: أي أمه، فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد، فإنما هو أخذ بلحيته^(١).

القرآن

إِيا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أَمَتَّعَنَّ وَأَسْرَحُكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا (٢٨) { [الأحزاب : ٢٨]

(١)المسند(٢٥٠٩٧):ص٢٦/٤٢.

التفسير:

يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي اجتمعن عليك، يطلبن منك زيادة النفقة: إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فأقبلن أمتعن شيئاً مما عندني من الدنيا، وأفارقكن دون ضرر أو إيداء. سبب نزول الآيتين: [٢٨-٢٩]:

عن أبي الزبير، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج صلوات، فقالوا: ما شأنه؟ فقال عمر: إن شئتم لأعلمن لكم شأنه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يتكلم ويرفع صوته، حتى أذن له، قال: فجعلت أقول في نفسي أي شيء أكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يضحك، أو كلمة نحوها، فقلت: يا رسول الله، لو رأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها صكة، فقال: ذلك حبسني عنكم. قال: فأتى حفصة، فقال: لا تسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كانت لك من حاجة فإلي، ثم تتبع نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يكلمهن، فقال لعائشة: أيعرك أنك امرأة حسناء، وأن زوجك يحبك؟ لتنتهين، أو لينزلن فيك القرآن، قال: فقالت أم سلمة: يا ابن الخطاب، أو ما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها؟ قال: ونزل القرآن {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها...} إلى قوله {أجرا عظيماً} قال: فبدأ بعائشة فخيرها، وقرأ عليها القرآن، فقالت: هل بدأت بأحد من نساءك قبلي؟ قال: "لا". قالت: فإني أختار الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا تخبرهن بذلك. قال: ثم تتبعهن. فجعل يخبرهن ويقرأ عليهن القرآن، ويخبرهن بما صنعت عائشة، فتتابعن على ذلك"^(١). قال ابن زيد: "كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم، فهجرن شهره، نزل التخيير من الله له فيهن: {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها}.." ^(٢). قال سعيد بن جبيرة: "أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبر نساءه في هذه الآية، فلم تختار واحدة منهن نفسها غير الحميرية"^(٣).

عن عامر الشعبي -من طريق ابن أبي هند- قال: خيّر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه، فلم يك ذلك طلاقاً، فذكرت ذلك لقتادة، فقال: إنما خيّرهن بين الدنيا والآخرة، ولم يخيرهن الطلاق"^(٤). قال عكرمة -مولى ابن عباس-: "يا أيها النبي قل لأزواجك {الآية، في غيرة كانت غارتها عائشة، وكان تحته يومئذ تسع نسوة؛ خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وكانت تحته صفية ابنة حيي الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وبدأ بعائشة، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رئي الفرخ في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فتتابعن كلهن على ذلك، واختارن الله ورسوله والدار الآخرة"^(٥).

عن قتادة، والحسن، قالوا: "أمره الله أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة، والجنة والنار -قال الحسن: في شيء كن أردنه من الدنيا. وقال قتادة: في غيرة كانت غارتها عائشة- وكان تحته يومئذ تسع نسوة؛ خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وكانت تحته صفية بنت حي الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وبدأ بعائشة، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رئي الفرخ في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتتابعن كلهن على ذلك، فلما خيّرهن واختارن الله ورسوله والدار الآخرة

(١) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢٠-٢٥٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٥٧): ص ٩/٣١٢٨.

(٤) أخرجه الطبري ١٩/٨٦.

(٥) أخرجه يحيى بن سلام ٢/٧١٣.

شكرهن الله على ذلك أن قال: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} فقصره الله عليهن، وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله^(١).

القرآن

{وَأِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)} [الأحزاب : ٢٩]

التفسير:

وإن كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله وما أعد الله لكنن في الدار الآخرة، فاصبرن على ما أنثن عليه، وأطعن الله ورسوله، فإن الله أعد للمحسنات منكن ثواباً عظيماً.

قال الشعبي: "فخيرهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة؛ فشكر الله لهن ذلك، وأنزل الله عليه: {لا يحل لك النساء من بعد ولا تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك} [الأحزاب: ٥٢]"^(٢).

عن أبي سلمة، قال: "قالت عائشة: لما نزل الخيار، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أريد أن أذكر لك أمراً فلا تقضي فيه شيئاً حتى تستأمرني أبويك". قالت: قلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: فرده عليها. فقالت: ما هو يا رسول الله؟ قال: فقرأ عليهن {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ...}، إلى آخر الآية، قالت: قلت: بل نختار الله ورسوله، قالت: ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم"^(٣).

وفي رواية: "فقلت: إني أريد الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا أوامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استقرأ الحجر، فقال: "إن عائشة قالت كذا"، فقلن: ونحن نقول مثل ما قالت عائشة"^(٤).

القرآن

{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَا تُبَاغِثُ بِالْفَاحِشَةِ مُبَيِّنَةٌ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)} [الأحزاب : ٣٠]

التفسير:

يا نساء النبي من يأت منكن بمعصية ظاهرة يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ مَرَّتَيْنِ. فلما كانت مكانتهن رفيعة ناسب أن يجعل الله الذنب الواقع منهن عقوبته مغلظة؛ صيانة لجنايهن وجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ذلك العقاب على الله يسيراً.

قوله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَا تُبَاغِثُ بِالْفَاحِشَةِ مُبَيِّنَةٌ} [الأحزاب : ٣٠]، أي: "يا نساء النبي من يأت منكن بمعصية ظاهرة"^(٥).

قال السدي: "يعني: الزنا"^(٦).

قوله تعالى: {يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} [الأحزاب : ٣٠]، أي: "يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ مَرَّتَيْنِ"^(٧).

قال قتادة: "عذاب الدنيا وعذاب الآخرة"^(٨).

(١) أخرجه ابن جرير ٢٥٢/٢٠ بنحوه. وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٥٩٧/٦ إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في سيرته: ص ٢٦٩، [تحقيق: سهيل زكار].

(٣) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٥٤/٢٠.

(٥) صفوة التفسير: ٤٨٠/٢.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧١٥/٢.

(٧) صفوة التفسير: ٤٨٠/٢.

قال سعيد بن جبير: " يجعل عذابهن ضعفين، ويجعل على من قذفهن الحد ضعفين" (٣).
قوله تعالى: {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [الأحزاب : ٣٠]، أي: " وكان ذلك العقاب على الله يسيرًا" (٣).

قال عكرمة: " وكان تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وكانت تحته صفية ابنة حبي الخيرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق" (٤).

القرآن

{وَمَنْ يَفْتَنُ مِّنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)} [الأحزاب : ٣١]

التفسير:

ومن تطع منكن الله ورسوله، وتعمل بما أمر الله به، تُعْطَى ثواب عملها مثلي ثواب عمل غيرها من سائر النساء، وأعدنا لها رزقًا كريمًا، وهو الجنة.

قال تعالى: {وَمَنْ يَفْتَنُ مِّنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا} [الأحزاب : ٣١]، أي: " ومن تطع منكن الله ورسوله، وتعمل بما أمر الله به" (٥).

عن ابن عون، قال: " سألت عامرا عن القنوت، قال: وما هو؟ قال: قلت {وقوموا لله قانتين}، قال: مطيعين، قال: قلت {ومن يفتن منكن الله ورسوله}؟ قال: يطعن" (٦).

قال قتادة: " أي: من يطع منكن الله ورسوله" (٧).

قال قتادة: " كل قنوت في القرآن طاعة" (٨).

عن جعفر بن محمد: "يجري أزواجه مجرانا في الثواب والعقاب" (٩).

قال تعالى: {نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ} [الأحزاب : ٣١]، أي: " تُعْطَى ثواب عملها مثلي ثواب عمل غيرها من سائر النساء" (١٠).

قال يحيى: "بلغني أن رجلا سأل الحسن قال: أين يضاعف لها العذاب ضعفين؟ قال: حيث تؤتى أجرها مرتين" (١١).

قال تعالى: {وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا} [الأحزاب : ٣١]، أي: " وأعدنا لها رزقًا كريمًا، وهو الجنة" (١٢).

قال قتادة: " وهي الجنة" (١٣).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٥٩): ص ٣١٢٩/٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٦٠): ص ٣١٢٩/٩.

(٣) صفوة التفسير: ٤٨٠/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٠.

(٨) تفسير عبدالرزاق (٢٣٣٦): ص ٣٧/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٦٤): ص ٣١٣٠/٩.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٧١٥/٢.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٠.

القرآن

{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢)} [الأحزاب : ٣٢]

التفسير:

يا نساء النبي -محمد- لستنَّ في الفضل والمنزلة كغيركنَّ من النساء، إن عملتن بطاعة الله وابتعدتن عن معاصيه، فلا تتحدثن مع الأجانب بصوت لئِن يُطْمَعَ الذي في قلبه فجور ومرض في الشهوة الحرام، وقلن قولاً بعيداً عن الريبة، لا تنكره الشريعة.

قوله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ} [الأحزاب : ٣٢]، أي: "يا نساء النبي - محمد- لستنَّ في الفضل والمنزلة كغيركنَّ من النساء، إن عملتن بطاعة الله وابتعدتن عن معاصيه"^(١).

عن قتادة: {لستن كآحد من النساء}، قال: "كأحد من نساء هذه الأمة"^(٢).

قال قتادة: "أنتن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه تنظرن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى الوحي الذي يأتيه من السماء، وأنتن أحق بالتقوى من سائر النساء، تشرُوا إلى قوله: بكل شيء عليما عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: فيطمع الذي في قلبه مرض يعني الزنا"^(٣).

قوله تعالى: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} [الأحزاب : ٣٢]، أي: "فلا تتحدثن مع الأجانب بصوت لئِن يُطْمَعَ الذي في قلبه فجور ومرض في الشهوة الحرام"^(٤).

قال ابن كثير: "معنى هذا : أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أي : لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها"^(٥).

عن السدي: " {فلا تخضعن بالقول}، قال: لا ترفثن بالقول"^(٦).

عن قتادة: " {فيطمع الذي في قلبه مرض}، قال: «نفاق»"^(٧).

عن مجاهد: " {فيطمع الذي في قلبه مرض}، يعني: الزنا"^(٨).

عن عطاء بن يسار : " {فيطمع الذي في قلبه مرض}، يعني: الزنا"^(٩).

وقال عكرمة: " شهوة الزنا"^(١٠).

عن أم نائلة رضي الله عنها، قالت: "جاء أبو برزة فلم يجد أم ولده في البيت، وقالوا: ذهبت إلى المسجد، فلما أتت صالح بها فقال: إن الله نهى النساء أن يخرجن، وأمرهن يقرن في بيتهن ولا يتبعن جنازة، ولا يأتين مسجداً، ولا يشهدن جمعة"^(١١).

قوله تعالى: {وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب : ٣٢]، أي: "وقلن قولاً بعيداً عن الريبة، لا تنكره الشريعة"^(١٢).

عن عطاء بن يسار : " {وقلن قولاً معروفًا}، يعني: كلاماً ظاهراً ليس فيه طمع لأحد"^(١٣).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٢٣٣٩):ص٣/٣٧، وابن أبي حاتم(١٧٦٦٥):ص٩/٣١٣٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٦٦٦):ص٩/٣١٣٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٦٦٧):ص٩/٣١٣٠.

(٧) تفسير عبدالرزاق(٢٣٣٧):ص٣/٣٧.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٦٦٦):ص٩/٣١٣٠.

(٩) الدر المنثور: ٥٩٩/٦، وعزاه إلى ابن سعد.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٦٦٨):ص٩/٣١٣٠، وعبدالرزاق في "التفسير" (٢٣٣٨):ص٣/٣٧.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٦٦٨):ص٩/٣١٣٠.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(١٣) الدر المنثور: ٥٩٩/٦، وعزاه إلى ابن سعد.

عن محمد بن كعب: "وقلن قولاً معروفاً، يعني: كلاماً ليس فيه طمع لأحد"^(١).
قال الحسن: "فلا تكلمن بالرفث"^(٢).
قال الضحاك: "عفيفاً"^(٣).

القرآن

{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)} [الأحزاب : ٣٣]
التفسير:

والزَّيْمَنُ بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا لحاجة، ولا تُظْهَرْنَ محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، وأدَّين -يا نساء النبي- الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله، وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، إنما أوصاكن الله بهذا؛ ليزكيكن، ويبعد عنكن الأذى والسوء والشر يا أهل بيت النبي -ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام-، ويطهر نفوسكم غاية الطهارة.
سبب النزول:

عن ابن عباس، قوله: "{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ}"، قال: نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة"^(٤).
وقال عكرمة: "من شاء باهلتها أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم"^(٥).
قوله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} [الأحزاب : ٣٣]، أي: "والزَّيْمَنُ بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا لحاجة"^(٦).

عن محمد بن سيرين، قال: "نبئت أنه قيل لسودة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- رضي الله عنها: مالك لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك، فقالت: قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقر في بيتي فول الله لا أخرج من بيتي حتى أموت، قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت بجنارتها"^(٧).

عن مسروق، قال: "كانت عائشة رضي الله عنها إذا قرأت: {وقرن في بيوتكن}، بكت حتى تبل خمارها"^(٨).

قوله تعالى: {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب : ٣٣]، أي: "ولا تُظْهَرْنَ محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام"^(٩).
عن الحسن: {الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}، أي: "قبلكم"^(١٠).

عن محمد بن سيرين، قال: "لا تقوم الساعة حتى يعبد ذو الخلصة، فإنه كان سيد الأوثان في الجاهلية"^(١١).

(١) الدر المنثور: ٥٩٩/٦، وعزاه إلى ابن سعد.

(٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧١٦/٢.

(٣) النكت والعيون: ٣٩٩/٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٧٥): ص ٣١٣٢/٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٧٥): ص ٣١٣٢/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٧) الدر المنثور: ٥٩٩/٦-٦٠٠، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٨) الدر المنثور: ٦٠٠/٦، وعزاه إلى ابن أبي شيبه وابن سعد وعبد الله بن أحمد في "زوائد الزهد"، وابن المنذر.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(١٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧١٦/٢.

(١١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧١٦/٢.

وفي قوله تعالى: {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب : ٣٣]، وجوه من التفسير: أحدها: أنه التبخر، قاله ابن أبي نجيح^(١).

الثاني: كانت لهن مشية تكسر وتغنج، فنهاهن عن ذلك، قاله قتادة^(٢).

قال قتادة: "أي إذا خرجتن من بيوتكن، قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج، يعني بذلك: الجاهلية الأولى، فنهاهن الله عن ذلك"^(٣).

ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "صنفاً من أهل النار لم أرهما: قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"^(٤).

الثالث: أنه كانت المرأة تمشي بين يدي الرجل، فذلك هو التبرج، قاله مجاهد^(٥).

قال مجاهد: "كانت المرأة تمشي بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية"^(٦).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام^(٧).

وفي تفسير {الجاهلية الأولى}، قولان:

أحدهما: أن الجاهلية الأولى: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، قاله الشعبي^(٨)، وابن أبي نجيح^(٩).
الثاني: أنه ما بين آدم ونوح عليهما السلام ثمانمائة سنة، وكان نساؤهم أقبح ما تكون النساء، ورجالهم حسان، وكانت المرأة تريد الرجل على نفسها، فهو تبرج الجاهلية الأولى: قاله الحكم^(١٠)، والحسن^(١١).

قال الحكم: "كان بين آدم ونوح ثمانمائة سنة، فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء، ورجالهم حسان، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه؛ فأنزلت هذه الآية: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}"^(١٢).

قوله تعالى: {وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ} [الأحزاب : ٣٣]، أي: "وأدين -يا نساء النبي- الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله"^(١٣).

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"^(١٤).

قال الحسن: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"^(١٥). وروي عن عطاء بن أبي رباح، وفتادة نحو ذلك^(١٦).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٢٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠-٢٥٩/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٦٠-٢٥٩/٢٠.

(٤) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات ٣/ ١٦٨٠ (٢١٢٨).

(٥) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٣٤٠): ص ٣٧/٣.

(٦) تفسير عبدالرزاق (٢٣٤٠): ص ٣٧/٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٢٠.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٠٠/٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٢٠.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٠٠/٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٢٢): ص ٣/١٠٠٤.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٢١): ص ٣/١٠٠٤.

(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥٦٢٢): ص ٣/١٠٠٤.

قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الأحزاب : ٣٣]، أي: "وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما"^(١).

قال عطاء: "طاعتهما اتباع الكتاب والسنة"^(٢).

قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ} [الأحزاب : ٣٣]، أي: "إنما أوصاكن الله بهذا؛ ليزككن، ويبعد عنكن الأذى والسوء والشر يا أهل بيت النبي -ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام-"^(٣).

وفي قوله تعالى: {أَهْلَ الْبَيْتِ} [الأحزاب : ٣٣]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه عنى علياً وفاطمة والحسن والحسين -رضي الله عنهم-، به قال جماعة كثيرة من التابعين منهم مجاهد^(٤)، وقتادة^(٥).

الثاني : أنه عنى أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- خاصة ، قاله عكرمة^(٦).

عن علقمة، قال: "كان عكرمة ينادي في السوق {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}، قال: نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة"^(٧).

الثالث : أن الآية عامة في الكل: الأهل والأزواج ، قاله الضحاك^(٨).

وهذا أحسن الأقوال، فأله قد دخلوا في الآية، ونساؤه قد دخلن في الآية. واستدل من قال: إن نساءه قد دخلن في الآية؛ أنه قال: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت} وأهل بيت الرسول هن نساءه؛ ولأنه تقدم ذكر نسائه، والأحسن ما بينا من التعميم^(٩).

قوله تعالى: {وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب : ٣٣]، أي: "ويطهر نفوسكم غاية الطهارة"^(١٠).

قال قتادة: "فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء، وخصهم برحمة منه"^(١١).

عن أبي جميلة، قال : "إن الحسن بن علي استخلف حين قُتِلَ علي ، رضي الله عنهما، قال : فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد ، وحسن ساجد، قال : فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه ، فمرض منها شهرا ، ثم برأ فقعده على المنبر ، فقال : يا أهل العراق ، اتقوا الله فينا ، فإننا أمراؤكم وضيقاتكم ، ونحن أهل البيت الذي قال الله : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } قال : فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يجنّ بكاء"^(١٢).

عن أبي الديلم قال : " قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام : أما قرأت في الأحزاب : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } ؟ قال : نعم ، ولأنتم هم ؟ قال : نعم"^(١٣).

عن الضحاك بن مزاحم : "أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «نحن أهل بيت طهرهم الله من شجرة النبوة، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة ومعدن العلم»"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٢) التفسير البسيط للواحد: ٢٣٩/١٨، وانظر: "تفسير البغوي" ٥٢٨/٣. "مجمع البيان" ٥٥٨/٨.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٤) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨١/٤.

(٥) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨١/٤.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٦٧٥): ص ٣١٣٢/٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٠.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٠١/٤، وزاد المسير: ٤٦٣/٣.

(٩) تفسير السمعاني: ٢٨١/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٠.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٧٦): ص ٣١٣٢/٩.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٦٦/٢٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤١٦/٦.

القرآن

{وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)} [الأحزاب : ٣٤]
التفسير:

واذكرن ما يتلى في بيوتكن من القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، واعملن به، واقدرنه حقاً قدره، فهو من نعم الله عليكن، إن الله كان لطيفاً بكن؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والسنة، خبيراً بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً.

قوله تعالى: {وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} [الأحزاب : ٣٤]، أي: "واذكرن ما يتلى في بيوتكن من القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم"^(٢).
عن قتادة: "واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة"، قال: القرآن، والسنة، عتب عليهن بذلك"^(٣).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب : ٣٤]، أي: "إن الله كان عالماً بما يصلح لأمر العباد، خبيراً بمصالحهم"^(٤).
عن قتادة: " {خبيراً}، قال: خبير بخلقه"^(٥).

القرآن

{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)} [الأحزاب : ٣٥]
التفسير:

إن المنقادين لأوامر الله والمنقادات، والمصدقين والمصدقات والمطيعين لله ورسوله والمطيعات، والصادقين في أقوالهم والصادقات، والصابرين عن الشهوات وعلى الطاعات وعلى المكاره والصابرات، والخائفين من الله والخائفات، والمتصدقين بالفرض والنقل والمتصدقات، والصائمين في الفرض والنقل والصائمات، والحافظين فروجهم عن الزنى ومقدماته، وعن كشف العورات والحافظات، والذاكرين الله كثيراً بقلوبهم والسننهم والذاكرات، أعد الله لهؤلاء مغفرة لذنوبهم وثواباً عظيماً، وهو الجنة.
في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: عن أبي سلمة، عن أم سلمة، أنها قالت: للنبي صلى الله عليه وسلم: «يا نبي الله، ما لي أسمع الرجال يذكرن في القرآن والنساء لا يذكرن؟»، فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٠): ص ٣١٣٣/٩.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨١): ص ٣١٣٣/٩.

(٤) صفوة التفسير: ٤٨١/٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٩٤): ص ٢٧١٣/٨.

(٦) السنن الكبرى للنسائي (١١٣٤٠): ص ٢١٩/١٠. وأخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ٢٣٨/١٨ - ح: ٣٨٤) والحاكم (المستدرک: ٤١٦/٢) وابن جرير (٢٧٠/٢٠)، والطبراني (المعجم الكبير: ٢٩٤/٢٣ - ح: ٦٥٥) وابن المنذر وابن مردويه (فتح القدير: ٢٨٣/٤) من طريق عبد الرحمن بن شيبه عن أم سلمة رضي الله عنها ذلك، وصححه الحاكم، وهو كما قال، وحسنه الحافظ ابن حجر في "الأمالی" (حاشية معجم الطبراني الكبير: ٢٩٣/٢٣).

عن مجاهد، عن أم سلمة، أنها قالت: "يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث. فأنزل الله {ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض} قال مجاهد: وأنزل فيها {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة"^(١).

وقال مقاتل: "وذلك أن أم سلمة بنت أبي أمية أم المؤمنين ونسيبة بنت كعب الأنصاري قلن ما شأن ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى ألا يكون فيهن خير، ولا الله فيهن حاجة، وقد تخلى عنهن فأنزل الله- تعالى- في قول أم سلمة ونسيبة بنت كعب: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ}"^(٢).
الثاني: عن عكرمة، عن أم عمارة الأنصارية، "أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء؟ فنزلت هذه الآية: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} الآية"^(٣).

الثالث: قال مقاتل بن حيان: "بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبي طالب، دخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بالخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} إلى آخرها"^(٤).
وروي عن ابن عباس قال: "قلن النساء: يا رسول الله، ما باله يذكر المؤمنين، ولا يذكر المؤمنات؟" فنزلت {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب: ٣٥]"^(٥).

وقال قتادة: "دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فقلن: قد ذكرن الله في القرآن، ولم نذكر بشيء، أما فينا ما يذكر؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} والقائيتين والقائيات"^(٦).

قوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} [الأحزاب: ٣٥]، أي: "إن المنقادين لأوامر الله والمنقادات"^(٧).

قال سعيد بن جبیر: "يعني: المخلصين لله من الرجال، والمخلصات من النساء"^(٨).
قوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب: ٣٥]، أي: "والمصدقين والمصدقات"^(٩).
قال سعيد بن جبیر: "يعني: المصدقين والمصدقات"^(١٠).
قوله تعالى: {وَالْقَائِيْنَ وَالْقَائِيَاتِ} [الأحزاب: ٣٥]، أي: "والمطيعين لله ورسوله والمطيعات"^(١١).

(١) سنن الترمذي (٣٠٢٢): ص ٢٣٧/٥. وقال: "هذا حديث مرسل، ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مرسلًا، أن أم سلمة، قالت: كذا وكذا".

وأخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٠.

[حكم الألباني]: صحيح الإسناد

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٩/٣.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤/٥ - ح: ٣٢١١) والفریابی وسعيد بن منصور وعبد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه (فتح القدير: ٢٨٣/٤) والطبراني (المعجم الكبير: ٣١/٢٥، ٣٢ - ح: ٥١ - ٥٣) من طريق عكرمة عن أم عمارة ذلك، وحسنه الترمذي، والحافظ ابن حجر في "الأمالي" (حاشية المعجم الكبير للطبراني: ٣١/٢٥) وهو كما قالوا: (انظر حاشية جامع الأصول: ٣٥٧/٢).

(٤) أسباب النزول للواحي: ٣٧٠. [مرسل]

(٥) المعجم الكبير للطبراني (١٢٦١٥): ص ١٠٨/١٢، ويرقم (٥٥٤): ص ٢٦٣/٢٣، وأخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٠، وانظر: أسباب النزول للواحي: ٣٧٠-٣٧١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٣): ص ٣١٣٣/٩.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٣): ص ٣١٣٣/٩.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٢.

قال سعيد بن جبير: " يعني: المطيعين والمطيعات" (١).
قال السدي: " يعني: المطيعين لله والمطيعات" (٢).
قوله تعالى: {وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي: " والصادقين في أقوالهم والصادقات" (٣).
قال سعيد بن جبير: " يعني: الصادقين في إيمانهم" (٤).
قوله تعالى: {وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي: " والصابرين عن الشهوات وعلى الطاعات وعلى المكاره والصابرات" (٥).
قال سعيد بن جبير: " يعني: على أمر الله" (٦).
قوله تعالى: {وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي: " والخائفين من الله والخائفات" (٧).
قال سعيد بن جبير: " {والخاشعين}: يعني المتواضعين لله في الصلاة من لا يعرف من عن يمينه ولا من عن يساره ولا يلتفت من الخشوع لله، {والخاشعات}: يعني: المتواضعات من النساء" (٨).
قوله تعالى: {وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي: " والمتصدقين بالفرض والنقل والمتصدقات" (٩).
قال عطاء: " من صدق في كل أسبوع بدرهم فهو من هذه الجملة" (١٠).
قوله تعالى: {وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي: " والصائمين في الفرض والنقل والصائمات" (١١).
قال سعيد بن جبير: " من صام شهر رمضان، ثلاثة أيام من كل شهر، فهو من أهل هذه الآية" (١٢).
عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم» (١٣).
قوله تعالى: {وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي: " والحافظين فروجهم عن الزنى ومقدماته، وعن كشف العورات والحافظات" (١٤).
قال سعيد بن جبير: " يعني: فروجهم عن الفواحش" (١٥).

-
- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٣): ص ٣١٣٣/٩.
 - (٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧١٩/٢.
 - (٣) التفسير الميسر: ٤٢٢.
 - (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٣): ص ٣١٣٤/٩.
 - (٥) التفسير الميسر: ٤٢٢.
 - (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٣): ص ٣١٣٤/٩.
 - (٧) التفسير الميسر: ٤٢٢.
 - (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٣): ص ٣١٣٤/٩.
 - (٩) التفسير الميسر: ٤٢٢.
 - (١٠) انظر: انظر: "تفسير الثعلبي" ١٩٩/٣ ب، "والتفسير البسيط": ٢٤٦/١٨، و"تفسير البغوي" ٣/ ٥٣٠.
 - (١١) التفسير الميسر: ٤٢٢.
 - (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٣): ص ٣١٣٤/٩.
 - (١٣) سنن ابن ماجة (١٧٤٥): ص ٥٥٥/١.
- في الزوائد إسناده الحديث من الطريقين معا ضعيف. فيه موسى بن عبيدة الزيري. ومدار الطريقين عليه وهو متفق على تضعيفه.
- [حكم الألباني]: ضعيف
- (١٤) التفسير الميسر: ٤٢٢.
 - (١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٣): ص ٣١٣٤/٩.

قوله تعالى: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي: "والذاكرين الله كثيراً بقلوبهم وألسنتهم والذاكرات"^(١).

قال السدي: "يعني: باللسان"^(٢).

قال مجاهد: "لا يكتب الرجل من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً"^(٣).
عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل ، فصليا ركعتين ، كتبا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات"^(٤).
عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : "الذاكرون الله كثيراً والذاكرات، قال : قلت : يا رسول الله ، ومن الغايزي في سبيل الله ؟ قال : "لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه"^(٥).

قوله تعالى: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب : ٣٥]، أي: "أعدَّ الله لهؤلاء مغفرة لذنوبهم وثواباً عظيماً، وهو الجنة"^(٦).

قال سعيد بن جبير: "ثم أخبر بثوابهم فقال: {أعد الله لهم مغفرة}، يعني: لذنوبهم، {وأجرا عظيماً}، يعني: جزاء وافر في الجنة"^(٧).

القرآن

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)} [الأحزاب : ٣٦]
التفسير:

ولا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة إذا حكم الله ورسوله فيهم حكماً أن يخالفوه، بأن يختاروا غير الذي قضى فيهم. ومن يعص الله ورسوله فقد بعد عن طريق الصواب بُعداً ظاهراً.
في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت في زينب بنت جحش خطبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لزيد بن حارثة فامتنعت وامتنع أخوها عبد الله بن جحش وأنها ولدا عمه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمهما أميمة بنت عبد المطلب وأن زيدا كان بالأمس عبداً فنزلت هذه الآية فقالت : أمري بيدك يا رسول الله فزوجها به ، قاله ابن عباس^(٨)، ومجاهد^(٩)، وقتادة^(١٠).

قال مقاتل: "وساق إليهم عشرة دنائير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وعشرة أمداد من تمر أعطاه النبي- صلى الله عليه وسلم- ذلك كله"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٢٠/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٥): ص ٣١٣٤/٩.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٢٠/٦.

(٥) المسند (٧٥/٣) ودراج عن أبي الهيثم ضعيف.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٨٣): ص ٣١٣٤/٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠-٢٧٢.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٣/٣. ثم قال مقاتل: "فدخل النبي- صلى الله عليه وسلم- فوعظها فلما كلمها أعجبه حسنها وجمالها وظرفها".

هذا كلام مرفوض لا يقبله العقل ولا يوافق النقل:

عن أنس بن مالك قال : "إن هذه الآية : { وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ } نزلت في شأن زينب بنت جحش ، وزيد بن حارثة ، رضي الله عنهما"^(١).

قال ابن عباس: "وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أؤمر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة...} إلى قوله {ضلالا مبينا}، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحا؟ قال: "نعم" قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي"^(٢).

وعن ابن عباس، قال: "خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة؛ فأنزل الله: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا...}، الآية كلها"^(٣).

قال قتادة: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش، وكانت بنت عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت ورأت أنه يخطبها على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت، فأنزل الله: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}، قال: فتابعته بعد ذلك ورضيت"^(٤).

عن زينب بنت جحش؛ قالت: "خطبني عدة من قريش، فأرسلت أختي حمنة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أستشيره، فقال لها رسول الله: "أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟"، قالت: ومن هو يا رسول الله؟! قال: "زيد بن حارثة"، قال: فغضبت حمنة غضبا شديداً، وقالت: يا رسول الله! أتزوج بنت عمك لمولاك؟ قالت: وجاءتني، فأعلمتني فغضبت أشد من غضبها، وقلت أشد من قولها؛ فأنزل الله: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}، قالت: فأرسلت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقلت: إني أستعفرُ الله، وأطيعُ الله ورسوله، أفعل ما رأيت، فزوجني زيدا، وكنت أرثي عليه؛ فشكاني إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فعاتبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم عدت فأخذته بلساني؛ فشكاني إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أمسك عليك زوجك واتق الله"، فقال: يا رسول الله! أنا أطلقها، قالت: فطأقتني، فلما انقضت عدتي؛ لم أعلم إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد دخل علي بيبي وأنا مكشوفة الشعر، فقلت: إنه أمر من السماء، فقلت: يا رسول الله! بلا خطبة ولا إسهاد؟! فقال: "الله المزوج، وجبريل الشاهد"^(٥). [ضعيف جداً]

إن إعجاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بجمالها وظرفها كان يتأتى لو لم يكن رآها قبل ذلك. أما والحال أنها كانت بنت عمته وقد ربيت قريبا منه وراها صغيرة وناشئة. ولو شاء لتزوجها بكرا لم تمس، ولكنه خطبها لزيد مولاه. ثم أعلم الله نبيه أنها ستكون من أزواجه فلما أتاه زيد - رضي الله عنه - ليشكوها إليه قال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله» فقال له الله: قد أخبرتك أنى مزوجكها «... وتخفي في نفسك ما الله مبديه...» سورة الأحزاب: ٣٧.

هذا ما روى عن ابن أبي حاتم وروى مثله عن السدي.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٧).

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٢٧١.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٢٧٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٢٧١-٢٧٢، وعبد الرزاق في "تفسيره" (١١٧ / ٢)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٣٦ / ٣٧، ٣٧ رقم ١٢٣، ١٢٤) من طرق عن قتادة. وهذا مرسل صحيح الإسناد.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩٢ / ٧): "رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح".

(٥) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٤ / ٣٢ رقم ١٠٩)، والدارقطني في "سننه" (٣ / ٣٠١)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٧ / ١٣٦، ١٣٧)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٢١ / ٢٥١) من طريق الحسين بن أبي السري العسقلاني ثني الحسن بن محمد بن أعين الحراني ثنا حفص بن سليمان عن الكميث بن زيد الأسدي حدثني مولى زينب بنت جحش عن زينب بنت جحش به.

قال ابن كثير: "ذكر ابن جرير ، وابن أبي حاتم هاهنا آثاراً عن بعض السلف ، رضي الله عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردّها"^(١).

الثاني: وقال ابن زيد: "نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من أول من هاجر من النساء، فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، فزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، وقالوا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده. قال: فنزل القرآن: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾، إلى آخر الآية. قال: وجاء أمر أجمع من هذا: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، قال: فذاك خاص، وهذا إجماع"^(٢). [ضعيف جداً]
قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب : ٣٦]، أي: "ولا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة إذا حكم الله ورسوله فيهم حكماً أن يخالفوه، بأن يختاروا غير الذي قضى فيهم"^(٣).

عن السدي: "وما كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا" يعني: فعل الله ورسوله أمراً، يعني: شيئاً من أمر تزويج زينب {أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}"^(٤).

عن مجاهد، قوله: "﴿أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، قال: زينب بنت جحش وكرهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٥).

عن طاووس: "أنه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر. فنهاه، وقال ابن عباس: «وما كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»"^(٦).

عن أنس، قال: "خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها ، فقال : حتى أستأمر أمها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فنعم إذا. قال : فانطلق الرجل إلى امرأته ، فذكر ذلك لها، فقالت : لاها الله ذاء، ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا ، وقد منعناها من فلان وفلان ؟ قال : والجارية في سترها تسمع. قال : فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. فقالت الجارية : أتريدون أن تُرَدُّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ؟ إن كان قد رضي لكم فأنكحوه. قال : فكأنها جلت عن أبيها ، وقالوا صدقت. فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن كنت رضيته فقد رضيناه. قال : "فإني قد رضيته". قال : فزوجها، ثم فرغ أهل المدينة ، فركب جليبيب فوجدوه قد قتل ، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، قال أنس : فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت بالمدينة"^(٧).

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر : "فسمعت ابنتهما بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فتلت: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، وقالت: رضيته وسلمت لما يرضي لي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا لها رسول الله صلى الله

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٤٧ / ٩): "فيه حفص بن سليمان وهو متروك، وفيه توثيق لين".
وقال الزيلعي في "تخريج الكشاف" (١١٠ / ٣): "والحسين بن أبي السري ضعفه أبو داود وغيره، وحفص بن سليمان الأسدي؛ قال البخاري: تركوه". اهـ.

وقال الحافظ في "الكاف الشاف": "إسناده ضعيف".

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ كما نقل الزيلعي أنفاً عن حال حفص والحسين.

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "الباب النقول" (ص ١٧٤)، و"الدر المنثور" (٦/ ٦١٠)، وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم متروك الحديث.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٢١/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٠.

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٣٩٧٥)، والبيهقي في سننه ٤٥٣ / ٢. وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٧) المسند (١٣٦/٣).

عليه وسلم: اللَّهُمَّ اصْبِبْ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا، ثُمَّ قَتَلَ عَنْهَا جَلِييبًا، فَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ أَيْمٌ^(١) أَنْفَقَ مِنْهَا"^(٢).

قوله تعالى: {وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب : ٣٦]، أي: "ومن يعص الله ورسوله فقد بعد عن طريق الصواب بعدًا ظاهرًا"^(٣).

عن السدي: {فقد ضل ضلالا مبينا}، يعني: أخطأ خطأ طويلا"^(٤).

القرآن

{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًّا زَوْجَهَا لَمَا كَانَ يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)} [الأحزاب : ٣٧]

التفسير:

وإذ تقول -أيها النبي- للذي أنعم الله عليه بالإسلام -وهو زيد بن حارثة الذي أعتقه وتبناه النبي صلى الله عليه وسلم- وأنعمت عليه بالعتق: أبق زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها، واتق الله يا زيد، وتخفي -يا محمد- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجته وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت، وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى أحق أن تخافه، فلما قضى زيد منها حاجته، وطلقها، وانقضت عدتها، وزوجناها؛ لتكون أسوة في إبطال عادة تحريم الزواج بزوجة المتبنى بعد طلاقها، ولا يكون على المؤمنين إثم وذنوب في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهم. وكان أمر الله مفعولا لا عائق له ولا مانع.

سبب النزول:

عن السدي، قوله: "{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ}"، قال: بلغنا أن هذه الآية أنزلت في زينب بنت جحش رضي الله عنها وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يزوجه زيد بن حارثة رضي الله عنه فكرهت ذلك ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزوجها إياه ثم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر زيد بن حارثة بطلاقها وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب بعض ما يكون بين الناس فيأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يمسك عليه زوجته، وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه أن يقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبني زيدا"^(٥).

عن أبي حمزة قال: "نزلت هذه الآية: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} في زينب بنت جحش"^(٦).

قوله تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} [الأحزاب : ٣٧]، أي: "اذكر أيها الرسول وقت قولك للذي أنعم الله عليه بالهداية للإسلام وأنعمت عليه بالتحريم من العبودية والإعتاق"^(٧).

عن قتادة: "{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ}" وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام {وأنعمت عليه} أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٨).

(١) في أسد الغابة: فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالا.

(٢) الاستيعاب: ٢٧٢/١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٢١/٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٩٦): ص ٣١٣٧/٩، وانظر: الدر المنثور: ٦١٦/٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٠.

(٧) صفوة التفاسير: ٤٨٤/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٠.

قوله تعالى: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ} [الأحزاب : ٣٧]، أي: "أبق زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها، واتق الله يا زيد"^(١).

قال علي بن حسين: "كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها، قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه}"^(٢).

قوله تعالى: {وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} [الأحزاب : ٣٧]، أي: "وتخفي -يا محمد- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجه وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت"^(٣).
قال قتادة: "وكان يخفي في نفسه ود أنه طلقها"^(٤).

عن علي بن زيد بن جدعان، قال: " : سألتني علي بن الحسين ما يقول الحسن في قوله : { وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ }؟ فذكرت له فقال : لا ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال : اتق الله ، وأمسك عليك زوجك. فقال : قد أخبرتك أنني مُزَوِّجُهَا ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه"^(٥).

قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها؛ قوله {وتخفي في نفسك ما الله مبديه} ولو كان نبي الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئاً من الوحي لكتمها"^(٦).

عن عائشة، قالت: "لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله لكتم: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه}"^(٧).

قوله تعالى: {وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الأحزاب : ٣٧]، أي: "وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى أحق أن تخافه"^(٨).

قال قتادة: "خشي نبي الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس"^(٩).
قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} [الأحزاب : ٣٧]، أي: "فلما قضى زيد منها حاجته، وطلقها، وانقضت عدتها، زوجناكها"^(١٠).

قال قتادة: "فكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: أما أنتن زوجكن أبأؤكن، وأما أنا فزوجني ذو العرش"^(١١).

عن محمد بن عبد الله بن جحش، قال : "تفاخرت عائشة وزينب، قال: فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء قال: وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الرحلة، فقالت لها زينب: يا عائشة، ما قلت حين ركبتيهما، قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٦٩٥):ص٣١٣٧/٩، وكما في تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٦٩٤):ص٣١٣٦/٩.

(١٢) .

عن الشعبي، قال : "كانت زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول للنبي صلى الله عليه وسلم: إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن؛ إن جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وإن السفير لجبرائيل عليه السلام"^(١).

قوله تعالى: {لَكِي لَّا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} [الأحزاب : ٣٧]، أي: "لئلا يكون في تشريع الله على المؤمنين ضيق ومشقة وتأنم في حق تزوج مطلقات الأبناء من التبنّي، إذا لم يبق لأزواجهن حاجة فيهن"^(٢).

قال قتادة: "يقول: إذا طلقهن، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبني زيد بن حارثة"^(٣). قال الحسن البصري: "كانت العرب تظن أن حرمة المُتَبَيِّى مشتبكة كاشتباك الرحم، فميّز الله تعالى بين المُتَبَيِّى وبين الرحم، وأراهم أن حلائل الأديعاء غير محرمة عليهم، لذلك قال: {وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ} [النساء: ٢٣] فقيّد"^(٤).

القرآن

{مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [الأحزاب : ٣٨]

التفسير:

ما كان على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من ذنب فيما أحلَّ الله له من زواج امرأة من تبناه بعد طلاقها، كما أباحه للأنبياء قبله، سنة الله في الذين خلوا من قبل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً لا بد من وقوعه.

قوله تعالى: {مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ} [الأحزاب : ٣٨]، أي: "ما كان على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من ذنب فيما أحلَّ الله له من زواج امرأة من تبناه بعد طلاقها"^(٥).

قال قتادة: "أي: أحلَّ الله له"^(٦).

قوله تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} [الأحزاب : ٣٨]، أي: "هذه سنة الله في جميع الأنبياء السابقين حيث وسَّع عليهم فيما أباح لهم"^(٧).

قال ابن جريج: "داود والمرأة التي نكح وزوجها، واسمها: اليسيه، فذلك سنة الله في محمد وزينب"^(٨).

قال قتادة: "يقول: كما هوى داود النبي عليه السلام المرأة التي نظر إليها فوهيها فتزوجها، فكذلك قضى الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فتزوج زينب، كما كان سنة الله في داود أن يزوجه تلك المرأة"^(٩).

قوله تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [الأحزاب : ٣٨]، أي: "وكان أمر الله قضاءً مقضياً، وحكماً مقطوعاً به من الأزل، لا يتغيّر ولا يتبدّل"^(١٠).

قال قتادة: "وكان أمر الله قدراً مقدوراً، في أمر زينب"^(١١).

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٠.

(٢) صفوة التفاسير: ٤٨٥/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٥/٢٠.

(٤) تفسير الثعلبي ٤٩ / ٨.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٠.

(٧) صفوة التفاسير: ٤٨٦/٢.

(٨) أخرجه الطبراني ٤٣ / ٢٤ - ٤٤ (١١٩، ١٢٠)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٩٤): ص ٣١٣٧/٩.

(١٠) صفوة التفاسير: ٤٨٦/٢. [بتصرف]

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٩٤): ص ٣١٣٧/٩.

قال ابن جريج: "كذلك من سنته في داود والمرأة، والنبي - صلى الله عليه وسلم - وزينب"^(١).

القرآن

{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩)} [الأحزاب : ٣٩]

التفسير:

ثم ذكر سبحانه الأنبياء الماضين وأثنى عليهم بأنهم: الذين يُبَلِّغُونَ رسالاتِ الله إلى الناس، ويخافون الله وحده، ولا يخافون أحدًا سواه. وكفى بالله محاسبًا عباده على جميع أعمالهم ومراقبًا لها. قوله تعالى: {وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [الأحزاب : ٣٩]، أي: "وكفى بالله محاسبًا عباده على جميع أعمالهم ومراقبًا لها"^(٢).

عن سعيد بن جبير: "وكفى بالله حسيبًا"، يعني: شهيداً"^(٣)، وروي عن السدي مثله"^(٤).
عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله، فيقول الله: ما يمنعك أن تقول فيه؟ فيقول: رب، خشيت الناس. فيقول: فأنا أحق أن يخشى"^(٥).

القرآن

{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)} [الأحزاب : ٤٠]

التفسير:

ما كان محمد أبًا لأحد من رجالكم، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة. وكان الله بكل شيء من أعمالكم عليمًا، لا يخفى عليه شيء. سبب النزول:

قال علي بن الحسين: "نزلت في زيد بن حارثة"^(٦).
قال قتادة: "نزلت في زيد، إنه لم يكن بابنه، ولعمري ولقد ولد له ذكور؛ إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر"^(٧).
قوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ} [الأحزاب : ٤٠]، أي: "ما كان محمد أبًا لأحد من رجالكم"^(٨).

قال عامر: "ما كان ليعيش له فيكم ولد ذكر"^(٩).
قال قتادة: "ولعمري لقد ولد له ذكور وإنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر"^(١٠).
قوله تعالى: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب : ٤٠]، أي: "ولكنه-صلى الله عليه وسلم- رسول الله وخاتم النبيين، فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة"^(١).

(١) أخرجه الطبراني ٤٣ / ٢٤ - ٤٤ (١١٩، ١٢٠). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٨٤١): ص ٨٧١/٣.

(٤) أخرجه الطبري (٨٦٥٤): ص ٥٩٦/٧.

(٥) المسند (٣ / ٣٠، ٧٣)، وسنن ابن ماجه برقم (٤٠٠٨) وقال البوصيري في الزوائد (٢٤٢/٣): "هذا إسناد صحيح".

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٩٧): ص ٣١٣٧/٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٩) أخرجه الترمذي ١١٨ / ٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٩٨): ص ٣١٣٨/٩.

عن قتادة: «ولكن رسول الله وخاتم النبيين»، قال: آخر نبي»^(٢).
قال الحسن: «ختم الله النبيين بمحمد، وكان آخر مَنْ بُعِثَ»^(٣).
عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل ابنتى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها! إلا موضع اللبنة فأنا موضع اللبنة فختم بي الأنبياء»^(٤).
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي». قال: فشق ذلك على الناس، قال: قال: «ولكن المبشرات». قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: «رؤيا الرجل المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة»^(٥).
عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأجلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»^(٦).
عن العرياض بن سارية، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»^(٧).
وفي قراءة ابن مسعود: «ولكن نبيا ختم النبيين»^(٨).
وقرئ: «وخاتم النبيين»، بكسر التاء^(٩).
قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب : ٤٠]، أي: «وكان الله بكل شيء من أعمالكم عليما، لا يخفى عليه شيء»^(١٠).
قال محمد بن إسحاق: «أي: عليم بما يخفون»^(١١).
قال سعيد بن جبير: «{عليم} يعني: عالما بها»^(١٢).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّكِرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)} [الأحزاب : ٤١-٤٢]

التفسير:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعلّموا بشره، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحك ذكرا كثيرا، واشغلوها أوقاتكم بذكر الله تعالى عند الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضات، وعند العوارض والأسباب، فإن ذلك عبادة مشروعة، تدعو إلى محبة الله، وكف اللسان عن الآثام، وتعين على كل خير.
قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأحزاب : ٤١]، أي: «يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعلّموا بشره»^(١٣).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٩٩): ص ٣١٣٨/٩.

(٣) الدر المنثور: ٦/٦١٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٠٠): ص ٣١٣٨/٩.

(٥) المسند (٢٦٧/٣) وسنن الترمذي برقم (٢٢٧٢).

(٦) صحيح مسلم برقم (٥٢٣) وسنن الترمذي برقم (١٥٥٣) وسنن ابن ماجه برقم (٥٦٧).

(٧) المسند (١٢٧/٤).

(٨) انظر: الكشاف: ٣/٥٤٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٧٩.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(١١) أخرجه الطبري (٧٧١٩): ص ١٦٥/٧، وابن أبي حاتم (١٠٢٠٥): ص ١٨٦٧/٦.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٤٨): ص ٨٩٠/٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٢٣.

قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"^(١).
قوله تعالى: {اذكروا الله ذكراً كثيراً} [الأحزاب : ٤١]، أي: "اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم
وجوارحكم ذكراً كثيراً"^(٢).

قال السدي: "يعني: باللسان"^(٣).
عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ألا أنبئكم بخير
أعمالكم وأزكاها عند مليكم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من
أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟" قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : "ذكر الله عز
وجل"^(٤).

عن أبي سعد الحمصي قال : سمعت أبا هريرة يقول : دعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا أدعه : "اللهم ، اجعلني أعظم شكرك ، وأتبع نصيحتك ، وأكثر ذكرك ، وأحفظ وصيتك"^(٥).
عن أبي سعيد الخدري ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أكثرُوا ذكر الله حتى يقولوا :
مجنون"^(٦).

قوله تعالى: {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الأحزاب : ٤٢]، أي: "وسبحوا ربكم في الصباح والمساء"^(٧).
عن قتادة، قوله: "وسبحوه بكرة وأصيلاً"، «صلاة الصبح وصلاة العصر"^(٨).

القرآن

{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)} [الأحزاب
: ٤٣]
التفسير:

هو الذي يرحمكم ويثني عليكم وتدعو لكم ملائكته؛ ليخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإسلام،
وكان بالمؤمنين رحيمًا في الدنيا والآخرة، لا يعذبهم ما داموا مطيعين مخلصين له.
سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في الأنصار"^(٩).
قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ} [الأحزاب : ٤٣]، أي: "هو الذي يرحمكم ويثني عليكم
وتدعو لكم ملائكته"^(١٠).
قال أبو العالية: "صلاه الله: ثناؤه، وصلاة الملائكة عليهم: السلام الدعاء"^(١١).
عن سعيد بن جبير، قوله: "هو الذي يصلي عليكم وملائكته"، قال: يغفر لكم، وتستغفر لكم
ملائكته"^(١٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٠٢٦): ص ٩٠٢/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٢٤/٢.

(٤) المسند (١٩٥/٥) وسنن الترمذي برقم (٣٣٧٧) وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٩٠).

(٥) المسند (٤٧٧/٢).

(٦) المسند (٦٨/٣) وفيه دراج ، عن أبي الهيثم ضعيف.

(٧) صفوة التفسير: ٤٨٦/٢.

(٨) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٢٣٥٤): ص ٤٢/٣، والطبري: ٢٨٠/٢٠، وابن أبي حاتم (١٧٧٠٣): ص ٣١٣٨/٩.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٩/٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٠٤): ص ٣١٣٩/٩.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٠٥): ص ٣١٣٩/٩.

عن الحسن: "إن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام هل يصلي ربك؟ فكان ذلك كبر في صدر موسى عليه السلام، فأوحى الله إليه: أخبرهم أنني أصلي، وأن صلاتي رحمتي سبقت غضبي"^(١).
 عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قلت لجبريل عليه السلام: هل يصلي ربك؟ قال نعم. قلت: وما صلاته؟ قال: سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي»^(٢).
 قوله تعالى: {لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الأحزاب : ٤٣]، أي: "ليخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإسلام"^(٣).

قال مجاهد: "يعني: من الضلالة إلى الهدى"^(٤).
 وعن الحسن: "أنه يعصم المؤمنين من الضلالة، وقال هو كقول الرجل: الحمد لله الذي نجاني من كذا وكذا لأمر لم ينزل به، صرفه الله عنه"^(٥).

عن أنس، رضي الله عنه، قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار. قال: فخففهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "ولا الله، لا يلقي حبيبه في النار"^(٦).

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد أخذت صبياً لها، فألصقته إلى صدرها، وأرضعته فقال: "أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك؟" قالوا: لا. قال: "فوالله، الله أرحم بعباده من هذه بولدها"^(٧).

قوله تعالى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب : ٤٣]، أي: "وكان بالمؤمنين رحيمًا في الدنيا والآخرة، لا يعذبهم ما داموا مطيعين مخلصين له"^(٨).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{الرحيم}"، يعني: رحيمًا بالمؤمنين"^(٩).
 عن عطاء بن دينار: "{رحيم}" بهم بعد التوبة"^(١٠).

القرآن

{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} (٤٤) [الأحزاب : ٤٤]

التفسير:

تحية هؤلاء المؤمنين من الله في الجنة يوم يلقونه سلام، وأمان لهم من عذاب الله، وقد أعد لهم ثوابًا حسنًا، وهو الجنة.

قوله تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} [الأحزاب : ٤٤]، أي: "تحية هؤلاء المؤمنين من الله في الجنة يوم يلقونه سلام، وأمان لهم من عذاب الله"^(١١).
 قال قتادة: "تحية أهل الجنة السلام"^(١٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٠٧) ص: ٣١٣٩/٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٠٨) ص: ٣١٣٩/٩.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٤) تفسير مجاهد: ٦٤٨.

(٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٢٥/٢.

(٦) المسند (١٠٤/٣).

(٧) صحيح البخاري برقم (٥٩٩٩).

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٢٧) ص: ١٩٩٢/٦.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٠٥) ص: ٢١٥٩/٧.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٠.

قال الحسن: "تحبيهم الملائكة عن الله بالسلام"^(١).
 قال البراء بن عازب: "يوم يلقون ملك الموت، ليس من مؤمن يقبض روحه إلا سلم عليه"^(٢).
 قوله تعالى: {وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} [الأحزاب : ٤٤]، أي: "وقد أعد لهم ثوابًا حسنًا، وهو الجنة"^(٣).
 عن قتادة: "وأعد لهم أجرا كريما"، أي: الجنة"^(٤).

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦)}
 [الأحزاب : ٤٥-٤٦]

التفسير:

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً على أمتك بإبلاغهم الرسالة، ومبشراً المؤمنين منهم بالرحمة والجنة، ونذيراً للعصاة والمكذابين من النار، وداعياً إلى توحيد الله وعبادته وحده بأمره إياك، وسراجاً منيراً لمن استنار بك، فأمرُك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجدها إلا معانداً.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب : ٤٥]، أي: "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً على أمتك بإبلاغهم الرسالة، ومبشراً المؤمنين منهم بالرحمة والجنة، ونذيراً للعصاة والمكذابين من النار"^(٥).

عن قتادة، قوله: "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً"، قال: على أمتك بالبلاغ، {ومبشراً}: بالجنة، {ونذيراً}: من النار"^(٦).

قال عطاء بن يسار: "لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني، عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا تجزئ بالسينة، السيئة ولكن تغفو وتصفح"^(٧).

قوله تعالى: {وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ} [الأحزاب : ٤٦]، أي: "وداعياً إلى توحيد الله وعبادته وحده بأمره إياك"^(٨).

عن قتادة: "وداعياً إلى الله: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، {بإذنه}: قال: بأمره"^(٩).

قوله تعالى: {وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب : ٤٦]، أي: "وسراجاً منيراً لمن استنار بك"^(١٠).

عن قتادة: "وسراجاً منيراً": قال: كتاب الله يدعوهم إليه وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً وهي الجنة"^(١١).

قال وهب بن منبه: "إن الله أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل- فإني منطلق لسانك بوحي وأبعث أمياً من الأميين، أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٢٥/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٠٨): ص ٣١٣٩/٩.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧١٣): ص ٣١٤٠/٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧١٢): ص ٣١٤٠/٩.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧١٣): ص ٣١٤٠/٩.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٤.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧١٣): ص ٣١٤٠/٩.

سكينته، ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبعته مبشرا ونذيرا لا يقول الخنا، فاتح به أعينا كمها وأذانا صما وقلوبا غلفا، أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة منطقته والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه، والحق شريعته والعدل سيرته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة وأعرف به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأولف به بين أمم متفرقة، وقلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وسأخذ به فناما من الناس عظيمة من الهلكة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون، عن المنكر موحدون مؤمنين مخلصين مصدقين لما جاءت به رسلي، ألهمهم التسييح والتحميد والثناء والتكبير والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياما وقعودا ويقاثلون في سبيل الله صفوفًا وزحوفًا، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفا يطهرون الوجوه والأطراف ويشدون الثياب في الأنصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصدّيقين والشهداء والصالحين، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون أعز من نصرهم وأويد من دعا لهم، وأجعل دائرة السوء على من خالفهم أو بغى عليهم، أو أراد أن ينتزع شيئا مما في أيديهم أجعلهم ورثة لنبيهم والداعية إلى ربهم يأمرون بالمعروف وينهون، عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم، أختم بهم الخير الذي بدأت به بأولهم، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم"^(١).

القرآن

{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧)} [الأحزاب : ٤٧]

التفسير:

وَبَشِّرِ -أيها النبي- أهل الإيمان بأن لهم من الله ثوابًا عظيمًا، وهو روضات الجنات.
سبب النزول:

عن عكرمة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح : ١]، الآية قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: هنيئًا لك ما أعطاك ربك، هذا لك فما لنا؟ فأنزل الله: {لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ} إلى آخر الآية"^(٢).

عن قتادة: "{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا}"، وهي الجنة"^(٣).
عن السدي: "{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا}"، يعني: الجنة"^(٤).

القرآن

{وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)} [الأحزاب : ٤٨]

التفسير:

ولا تطع -أيها الرسول- قول كافر أو منافق واترك أذاهم، ولا يمنعك ذلك من تبليغ الرسالة، وثق بالله في كل أمورك واعتمد عليه؛ فإنه يكفيك ما أهمك من كل أمور الدنيا والآخرة.
قوله تعالى: {وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب : ٤٨]، أي: "ولا تطع -أيها الرسول- قول كافر أو منافق"^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧١٤): ص ٣١٤٠/٩-٣١٤١/١٠.

(٢) الدر المنثور: ٥١٥/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧١٣): ص ٣١٤٠/٩.

(٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٢٦/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٤.

عن ابن جريج: " {ولا تطع الكافرين} {أبي بن خلف، {والمنافقين} أبو عامر الراهب وعبد الله بن أبي بن سلول والحد بن قيس" (١).

قوله تعالى: {وَدَعَّ أَدَاهُمْ} [الأحزاب : ٤٨]، أي: "واترك أذاهم" (٢).

قال قتادة: "اصبر على أذاهم" (٣).

قال مجاهد: "أعرض عنهم" (٤).

قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [الأحزاب : ٤٨]، أي: "واعتمد في جميع أمورك وأحوالك على الله" (٥).

عن محمد بن إسحاق: قوله: " {وتوكل على الله}، أي: ارضَ به من العباد" (٦).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون" (٧).

قوله تعالى: {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [الأحزاب : ٤٨]، أي: "إن الله يكفي من توكل عليه في أمور الدنيا والآخرة" (٨).

عن قتادة: " {وكفى بالله وكيلا}، قال: حفيظ" (٩).

القرآن

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسَرَحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) [الأحزاب : ٤٩]

التفسير:

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، إذا عقدتم على النساء ولم تدخلوا بهن ثم طلقتموهن من قبل أن تجامعهن، فما لكم عليهن من عِدَّةٍ تحصونها عليهن، فأعطوهن من أموالكم متعة يتمتعن بها بحسب الوسع جبراً لخاطرهن، وخلصوا سبيلهن مع الستر الجميل، دون أذى أو ضرر.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ} [الأحزاب : ٤٩]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، إذا عقدتم عقد الزواج على المؤمنات وتزوجتموهن، ثم طلقتموهن من قبل أن تجامعهن" (١٠).

عن السدي: " {من قبل أن تَمْسُوهُنَّ}، يعني: تجامعهن" (١١).

عن إبراهيم النخعي: " {وإن طلقتموهن من قبل أن تُماسُوهُنَّ} (١٢)، قال: الجماع" (١٣).

(١) الدر المنثور: ٥٦٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧١٣): ص ٣١٤٠/٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧١٦): ص ٣١٤١/١٠.

(٥) صفوة التفسير: ٤٨٧/٢.

(٦) أخرجه الطبري (٨١٣٢): ص ٣٤٦/٧، وابن المنذر (١١٢١): ص ٤٦٩/٢، وابن أبي حاتم (٤٤٢٤): ص ٨٠٢/٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٣٢): ص ١٥٢٣/٥، و (١٠٣١٦): ص ١٨١٢/٦.

(٨) صفوة التفسير: ٤٨٧/٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٧٥): ص ٢٩٧/٩.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٤.

(١١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧١٤/٢.

(١٢) وهي قراءة متواترة، قرأ بها حمزة، والكسائي، وقرأ بقية العشرة: {تَمْسُوهُنَّ} بفتح التاء، من غير ألف. انظر: النشر ٢/

٢٢٨، والإتحاف ص ٢٠٥.

(١٣) الدر المنثور: ٦٩٨/١، وعزاه إلى عبد بن حميد.

عن حسين بن ثابت، قال: "جاء رجل إلى علي بن الحسين، فسأله عن رجل قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق. قال: ليس بشيء، بدأ الله بالطلاق قبل الطلاق، فقال: {يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن} (١)".

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك" (٢).

عن علي، والمسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا طلاق قبل نكاح" (٣).

قوله تعالى: {فَمَا لَكُمْ عَلَيْنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} [الأحزاب: ٤٩]، أي: "فليس لكم عليهم حق في العدة تستوفون عددها عليهن، فالواجب عليكم إكرامهن بدفع المتعة بما تطيف نفوسكم به من مال أو كسوة، تطيباً ل خاطرهن، وتخفيفاً لشدّة وقع الطلاق عليهن، وخلوا سبيلهنّ تخلية بالمعروف، من غير إضرار ولا إيذاء، ولا هضم لحقوقهن" (٤).

عن قتادة، في قوله تعالى: "فَمَا لَكُمْ عَلَيْنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا"، قال: «المرأة التي نكحت ولم يبين بها ولم يفرض لها فليس لها صداق وليس عليها عدة» (٥).

عن سهل بن سعد وأبي أسيد قالوا: «تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أميمة بنت شراحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقين» (٦).

قال سعيد بن المسيب: "نسخت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها} قال: نسخت هذه الآية التي في البقرة (٧) (٨).

عن قتادة، قوله: "يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ... { إلى قوله: {سراحا جميلا}، قال: قال سعيد بن المسيب: ثم نسخ هذا الحرف المتعة: {وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَرَضْتُمْ مَا فَرَضْتُمْ} (٩) (١٠).

القرآن

{يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهنّ وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وأمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد

(١) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٨٦/٢١، وانظر: الدر المنثور: ٦٢٦/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢) المسند (١٨٩/٢) وسنن الترمذي برقم (١١٨١) وسنن أبي داود برقم (٢١٩١) وسنن ابن ماجه برقم (٢٠٤٧).

وقال الترمذي: "هذا حديث حسن". وهو أحسن شيء روي في هذا الباب.

(٣) سنن ابن ماجه برقم (٢٠٤٨) من طريق علي بن الحسين، عن هشام بن سعد، عن الزهري، عن عروة، عن المسور، به. وقال البوصيري في الزوائد (١٣٢/٢): "هذا إسناد حسن، علي بن الحسين وهشام بن سعد مختلف فيهما". وبرقم

(٢٠٤٩) من طريق جويبر، عن الضحاك، عن النزال بن سبرة، عن علي، به. وقال البوصيري في الزوائد (١٣٢/٢):

"هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف جويبر بن سعيد البجلي، لكن لم ينفرد به جويبر، فقد رواه البيهقي في الكبرى

(٣٢٠/٧) من طريق معاذ العبدي، عن حميد الطويل، عن الحسن بن علي، به، ثم رواه من طريق سعيد بن جويبر به موقوفاً من الطرفين معاً".

(٤) صفوة التفسير: ٤٨٧/٢.

(٥) تفسير عبدالرزاق (٢٣٥٨): ص ٤٣/٣.

(٦) صحيح البخاري (٥٢٥٦): ص ٤١/٧.

(٧) [البقرة: ٢٣٧].

(٨) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٠-٢٨٤.

(٩) [البقرة: ٢٣٧].

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٠.

النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠) { [الأحزاب : ٥٠] }
التفسير:

يا أيها النبي إنا أبخنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن، وأبخنا لك ما مَلَكَت يمينك من الإماء، مما أنعم الله به عليك، وأبخنا لك الزواج من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك، وأبخنا لك امرأة مؤمنة مَنَحَتْ نفسها لك من غير مهر، إن كنت تريد الزواج منها خالصة لك، وليس لغيرك أن يتزوج امرأة بالهبة. قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم وإمائهم بالألا يتزوجوا إلا أربع نسوة، وما شأوا من الإماء، واشترط الولي والمهر والشهود عليهم، ولكننا رخصنا لك في ذلك، ووسعنا عليك ما لم يوسع على غيرك؛ لئلا يضيق صدرك في نكاح من هؤلاء الأصناف. وهذا من زيادة اعتناء الله برسوله صلى الله عليه وسلم وتكريمه له. وكان الله غفوراً لذنوب عباده المؤمنين، رحيماً بالتوسعة عليهم.

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ } [الأحزاب : ٥٠]، أي: "يا أيها النبي إنا أبخنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن"^(١).

عن مجاهد، قوله: " { أزواجك اللاتي آتيت أجورهن }، قال: صدقاتهن"^(٢).
عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: { يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ... } إلى قوله: { خالصة لك من دون المؤمنين } فما كان من هذه التسمية ما شاء كثيرا أو قليلا"^(٣).
قوله تعالى: { وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ } [الأحزاب : ٥٠]، أي: "وأبخنا لك ما مَلَكَت يمينك من الإماء، مما أنعم الله به عليك"^(٤).

قوله تعالى: { وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ } [الأحزاب : ٥٠]، أي: "وأبخنا لك الزواج من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك"^(٥).

عن الحسن، أن النبي عليه السلام لما خير نساءه، فاخترن الله ورسوله قصره عليهن، وقال: { لا يحل لك النساء من بعد } [الأحزاب : ٥٢] إلى آخر الآية"^(٦).

عن أم هانئ، قالت: "خطبني النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت له بعذري، ثم أنزل الله عليه: { إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ... } إلى قوله: { اللاتي هاجرن معك }، قالت: فلم أحل له؛ لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء"^(٧).

في قراءة ابن مسعود: «وبنات خالاتك واللاتي هاجرن معك»، بواو^(٨).
عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في حرف ابن مسعود: «واللاتي هاجرن معك»، يعني بذلك: كل شيء هاجر معه ليس من بنات العم والعمة، ولا من بنات الخال والخالة"^(٩).

قوله تعالى: { وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ } [الأحزاب : ٥٠]، أي: "وأبخنا لك امرأة مؤمنة مَنَحَتْ نفسها لك من غير مهر"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢٠-٢٨٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٤.

(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٢٩/٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢٠.

عن مجاهد، قوله: "وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي { بغير صداق، فلم يكن يفعل ذلك وأحل له خاصة من دون المؤمنين" (٢).

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «وامرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي» بغير «إن» (٣).
قوله تعالى: {إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا} [الأحزاب : ٥٠]، أي: "إن كنت تريد الزواج منها" (٤).
عن سهل بن سعد الساعدي ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، إنني قد وهبت نفسي لك. فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال : يا رسول الله ، زوّجنيها إن لم يكن لك بها حاجة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هل عندك من شيء تُصدقها إياه" ؟ فقال : ما عندي إلا إزار ي هذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك ، فالتمس شيئا". فقال : لا أجد شيئا. فقال : "التمس ولو خاتما من حديد" فالتمس فلم يجد شيئا ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "هل معك من القرآن شيء ؟" قال : نعم ؛ سورة كذا ، وسورة كذا - لسور يسميها - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "زوجتكها بما معك من القرآن" (٥).

عن ثابت، قال : "كنت مع أنس جالسا وعنده ابنة له ، فقال أنس : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله ، هل لك في حاجة ؟ فقالت ابنته : ما كان أقل حياءها. فقال : "هي خير منك ، رغبت في النبي ، فعرضت عليه نفسها" (٦).

عن أنس بن مالك : "أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، ابنة لي كذا وكذا. فنكرت من حسنها وجمالها ، فأثرتك بها. فقال : "قد قبلتها". فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدق ولم تشك شيئا قط ، فقال : "لا حاجة لي في ابنتك" (٧).

قوله تعالى: {خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} [الأحزاب : ٥٠]، أي: "خالصة لك، وليس لغيرك أن يتزوج امرأة بالهبة" (٨).

واختلف في التي وهبت نفسها له على أربعة أقوال :

أحدها : أنها أم شريك بنت جابر بن ضباب ، وكانت امرأة سالحة ، قاله عروة بن الزبير (٩).
قال عروة: "كنا نتحدث أن أم شريك رضي الله، عنها كانت ممن وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة سالحة" (١٠).

عن الحكم، قال: "كتب عبد الملك إلى أهل المدينة يسألهم، قال: فكتب إليه علي، قال شعبة: وهو ظني علي بن حسين، قال: وقد أخبرني به أبان بن تغلب، عن الحكم، أنه علي بن الحسين الذي كتب إليه، قال: هي امرأة من الأسد يقال لها: أم شريك، وهبت نفسها للنبي" (١١).

الثاني : أنها خولة بنت حكيم ، وهذا مروى عن عروة بن الزبير-أيضا- (١٢).
الثالث : أنها ميمونة بنت الحارث. قاله محمد بن كعب (١)، وعمر بن الحكم (٢)، وعبد الله بن عبيدة (٣).

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٢٤.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢٠.
 - (٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٦/٢٠.
 - (٤) التفسير الميسر: ٤٢٤.
 - (٥) المسند (٣٣٦/٥) وصحيح البخاري برقم (٥١٣٥) وصحيح مسلم برقم (١٤٢٥) ولكنه عند مسلم من طريق يعقوب وعبد العزيز بن أبي حازم وسفيان بن عيينة والدروردي وزائدة كلهم عن أبي حازم بنحوه.
 - (٦) المسند (٢٦٨/٣) وصحيح البخاري برقم (٥١٢٠).
 - (٧) المسند (١٥٥/٣).
 - (٨) التفسير الميسر: ٤٢٤.
 - (٩) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٠.
 - (١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٣١): ص ٣١٤٤/١٠.
 - (١١) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٠.
 - (١٢) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٠.

عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة، قالوا: "تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة امرأة. ست من قريش خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسورة، وأم سلمة، وثلاث من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال، ميمونة بن الحارث، وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وزينب أم المساكين، وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بن الحارث وهي التي استعادت منه، وزينب بنت جحش والسبيتين صفية بنت حي وجويرية بنت الحارث الخزاعية"^(٤).

قال قتادة: "يقول: ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولي ولا مهر، إلا للنبي، كانت له خالصة من دون الناس ويزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث أنها التي وهبت نفسها للنبي"^(٥).

الرابع: أنها زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار. قاله الشعبي^(٦).

عن الشعبي: "أنها امرأة من الأنصار، وهبت نفسها للنبي، وهي ممن أرجأ"^(٧).

عن صالح بن مسلم، قال: "سألت الشعبي عن امرأة وهبت نفسها لرجل، قال: لا يكون لا تحل له، إنما كانت للنبي صلى الله عليه وسلم"^(٨).

روي عن الحسن البصري أنه قرأ: "«أن وهبت» بفتح الألف، بمعنى: وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها؛ لهبتها له نفسها"^(٩).

قوله تعالى: {قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} [الأحزاب: ٥٠]، أي: "قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين من نفقة، ومهر، وشهود في العقد، وعدم تجاوز أربع من النساء، وما أبحننا لهم من ملك اليمين عدا الحرائر، وأما أنت فقد خصصناك بخصائص تيسيراً لك"^(١٠).

قال السدي: "يعني: ما أوجبنا عليهم"^(١١).

عن مجاهد: "قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم"، قال: في الأربع"^(١٢). وفي لفظ: "يجاوز الرجل أربع نسوة"^(١٣).

قال قتادة: "كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوج امرأة إلا بولي وصداق عند شاهدي عدل، ولا يحل لهم من النساء إلا أربع وما ملكت أيمانهم"^(١٤).

قوله تعالى: {لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ} [الأحزاب: ٥٠]، أي: "لئلا يكون عليك مشقة أو ضيق"^(١٥).

عن قتادة: في قوله: {لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ}، قال: "جعل الله في حلٍّ من ذلك، وكان نبيُّ الله - صلى الله عليه وسلم - يقسم"^(١٦).

- (١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٧٢٦): ٣١٤٣/١٠.
- (٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٧٢٦): ٣١٤٣/١٠.
- (٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٧٢٦): ٣١٤٣/١٠.
- (٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٢٦): ٣١٤٣/١٠.
- (٥) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٦.
- (٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٨٩.
- (٧) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٩.
- (٨) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٧.
- (٩) تفسير الطبري: ٢٠/٢٨٧.
- (١٠) صفوة التفاسير: ٢/٤٨٨.
- (١١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢/٧٣٠.
- (١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٠.
- (١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٣٥): ص ٣١٤٤/١٠.
- (١٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٠.
- (١٥) صفوة التفاسير: ٢/٤٨٨.
- (١٦) الدر المنثور: ٦/٦٣٢، وعزاه إلى ابن المنذر.

قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٥٠]، أي: "وكان الله غفورًا لذنوب عباده المؤمنين، رحيمًا بالتوسعة عليهم"^(١).

عن قتادة: "قوله: {غفور}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"^(٢)، "{رحيمًا}، بعباده"^(٣).

عن عطاء بن دينار، قوله: "{غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"^(٤).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيمًا بالمؤمنين"^(٥).

القرآن

{ثُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَنْ تَقْرَأَ
أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١)}
[الأحزاب : ٥١]

التفسير:

تؤخر مَنْ تَشَاءُ مِنْ نِسَائِكَ فِي الْقَسَمِ فِي الْمَبِيتِ، وتضم إليك مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ، وَمَنْ طَلَبْتَ مِمَّنْ أَحْرَتَ قَسَمَهَا، فلا إثم عليك في هذا، ذلك التخيير أقرب إلى أن يفرح ولا يحزن، ويرضين كلهن بما قسمت لهن، والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض النساء دون بعض. وكان الله عليماً بما في القلوب، حلماً لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

سبب النزول:

عن عروة بن الزبير، عن عائشة: "أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: أما تستحي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق، فنزلت، أو أنزل الله: {ثُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ}، فقلت: إني لأرى ربك يسارع لك في هواك"^(٦).

قوله تعالى: {ثُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} [الأحزاب : ٥١]، أي: "تؤخر مَنْ تَشَاءُ مِنْ نِسَائِكَ فِي الْقَسَمِ فِي الْمَبِيتِ، وتضم إليك مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ"^(٧).

واختلف أهل العلم في قوله تعالى: {ثُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} [الأحزاب : ٥١]،

على وجوه:

أحدها : تترك نكاح من تشاء وتنكح من تشاء، قاله الحسن^(٨).

قال الحسن: "كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها"^(٩).

الثاني : تعزل - بغير طلاق- من شئت من أزواجك فلا تأتيها ، وتأتي من شئت من أزواجك فلا تعزلها ، قاله مجاهد^(١٠).

قال مجاهد: "لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يطلق، كان يعتزل"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٠٣): ص ٩١٥/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٥): ص ٨٩٦/٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٠٥): ص ٢١٥٩/٧.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٢٧): ص ١٩٩٢/٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٩٣/٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٠.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٤٣): ص ٣١٤٦/١٠.

قال قتادة: " فجعله الله في حل من ذلك أن يدع من يشاء منهن، ويأتي من يشاء منهن بغير قسم، وكان نبي الله يقسم"^(١).

قال الضحاك: " فما شاء صنع في القسمة بين النساء، أحل الله له ذلك"^(٢).

الثالث : تؤخر من تشاء من أزواجك ، وتضم إليك من تشاء منهن ، قاله قتادة^(٣).

الرابع: تقبل من تشاء من المؤمنات اللواتي يهين أنفسهن، وتترك من تشاء، قاله الشعبي^(٤)، وعكرمة^(٥).
وروى منصور عن ابن رزين قال : " لما أشفقن أن يطلقهن، قلن: يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، فكان ممن أرجأ منهن سودة بنت زمعة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة، وكان ممن أوى إليه عائشة وأم سلمة وحفصة وزينب"^(٦).

وفي رواية أخرى، عن أبي رزين: " وكان ممن أوى إليه عليه الصلاة والسلام: عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة؛ فكان قسمه من نفسه لهن سوى قسمه. وكان ممن أرجى: سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة؛ فكان يقسم لهن ما شاء، وكان أراد أن يفارقهن، فقلن له: اقسام لنا من نفسك ما شئت، ودعنا نكون على حالنا"^(٧).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء، ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن.

إذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها، فلا تقبلها ولا تتكحها، أو ممن هن في حبالك؛ فلا تقربها. وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء اللاتي أحللت لك نكاحهن؛ فتقبلها أو تتكحها، وممن هي في حبالك؛ فتجامعها إذا شئت وتتركها إذا شئت بغير قسم"^(٨).

وأكثر العلماء على أن هذه الآية نزلت مبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مصاحبة نسائه كيف شاء من غير إيجاب القسمة عليه والتسوية بينهما. غير أنه كان يسوي بينهما^(٩).

قال الشعبي: "كن نساء وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن فلم يقربن حتى توفي ولم ينكحن بعده منهن أم شريك"^(١٠).

قال الزهري: " ما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجأ منهن أحدا، ولقد آواهن كلهن حتى مات"^(١١).

عن عائشة رضي الله عنها: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية: {ترجي من تشاء منهن} فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قال: كنت أقول له: إن كان ذاك إلي فإني لا أريد أن أوتر عليك أحدا"^(١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٠.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٤١٦/٤.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤٧٦/٣.

(٥) انظر: زاد المسير: ٤٧٦/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٠.

(٨) تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٠.

(٩) زاد المسير: ٤٧٦/٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٣٨): ص ٣١٤٥/١٠.

(١١) نقلا عن: زاد المسير: ٤٧٦/٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٤٤): ص ٣١٤٦/١٠.

قال أبو زيد: "هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلق من نسائه، فلما رأين ذلك أتينه فقلن: لا تخل سبيلنا وأنت في حل فيما بيننا وبينك، إفرض لنا من نفسك ومالك ما شئت فأنزل الله: ترجي من تشاء منهن نسوة يقول: تعزل من تشاء فأرجأ منهن وأوى نسوة وكان ممن أرجئ: ميمونة، وجويرية، وأم حبيبة وصفية، وسودة. وكان يقسم بينهن من نفسه وماله ما شاء، وكان ممن أوى: عائشة وحفصة، وأم سلمة، وزينب. فكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء"^(١).

قوله تعالى: {وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ} [الأحزاب : ٥١]، أي: "ومن طلبت ممن أخرجت قسمها، فلا إثم عليك في هذا"^(٢).

قال قتادة: "إن شاء أتى من شاء منهن، ولا جناح عليه"^(٣).

قوله تعالى: {ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ} [الأحزاب : ٥١]، أي: "ذلك التخيير أقرب إلى أن يفرحن ولا يحزنن، ويرضين كلهن بما قسمت لهن"^(٤).

عن الحسن البصري: "وَيْرِضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ} من الحاجة التي تخص منهن لحاجتك"^(٥).

وفي قوله تعالى: {ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ} [الأحزاب : ٥١]، وجوه من التفسير:

أحدها : إذا علمن أنه لا يتزوج عليهن قرت أعينهن ولم يحزن . قاله قتادة^(٦).

الثاني : إذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة كان أطيب لأنفسهن، وأقل لحزنهن. قاله قتادة^(٧).

قال محمد بن كعب القرظي: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مؤسعا عليه في قسم أزواجه، يقسم بينهن كيف شاء، وذلك قوله الله: {ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ} إذا علمن أن ذلك من الله"^(٨).

الثالث : أنهم علمن أن له ردهن إلى فراشه إذا اعتزلهن قررت أعينهن ولم يحزن ، قاله مجاهد^(٩).

عن ابن شهاب، قوله: "ترجي من تشاء"، قال: هذا أمر جعله الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم في تأديبه نساءه لكي يكون ذلك أقر لأعينهن وأرضى في عيشتهم ولم نعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجأ منهن شيئا ولا عزله بعد أن خيرهن فاخترنه"^(١٠).

وقرأ ابن محيصن، وأبو عمران الجوني: «أن تقر»، بضم التاء وكسر القاف «أعينهن» بنصب النون^(١١).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا} [الأحزاب : ٥١]، أي: "والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض النساء دون بعض، وكان الله عليما بما في القلوب، حلِيمًا لا يعجل بالعقوبة على من عصاه"^(١٢).

قال محمد بن إسحاق: "والله عليم} أي: عليم بما يخفون"^(١٣).

عن أبي العالية: "حكيمًا، قال: حكيم في أمره"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٣٩): ص ٣١٤٥/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٤-٢٩٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٥) علقه يحيى بن سلام ٢/٧٣٢.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٤/٤١٦.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٩٦.

(٨) أخرجه ابن سعد ٨/١٧٢.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤/٤١٦.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٤٠): ص ٣١٤٦/١٠.

(١١) انظر: زاد المسير: ٣/٤٧٦.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٤٧): ص ٨٩٠/٣.

عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ، ثم يقول : "اللهم هذا فعلي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"^(٢).

القرآن

{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢) } [الأحزاب : ٥٢]

التفسير:

لا يحل لك تزوج النساء من بعد زوجاتك أمهات المؤمنين، ولا أن تطلقهن وتزوج بدلهن غيرهن -إكراماً لهن، وشكراً على حسن صنيعهن من اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة- ولو أعجبك حسن غيرهن من النساء، إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فهن حلال لك. وكان الله على كل شيء رقيباً، لا يغيب عنه علم شيء.

قوله تعالى: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ} [الأحزاب : ٥٢]، أي: "لا يحل لك تزوج النساء من بعد زوجاتك أمهات المؤمنين"^(٣).

وفي قوله تعالى: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ} [الأحزاب : ٥٢]، وجوه:

أحدها : لا يحل لك نساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة . قاله قتادة^(٤). قال قتادة: "لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن؛ فقال: {لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج}، وهن التسع التي اخترن الله ورسوله"^(٥). قال الحسن: "يعني: أزواجه التسع"^(٦). وفي رواية: "هؤلاء اللاتي عندك"^(٧). قال الحسن: "قال الحسن: خيرهن فاخترن الله ورسوله قصر عليهن ، فقال: «لا يحل لك النساء من بعد» يقول: من بعد هؤلاء اللاتي عندك"^(٨).

وفي رواية عن الحسن، قال: " قصره الله على نسائه التسع اللاتي مات عنهن. قال علي: فأخبرت علي بن الحسين -رضي الله عنه- فقال: لو شاء تزوج غيرهن ولفظ عبد بن حميد، فقال: بل كان له أيضا أن يتزوج غيرهن"^(٩).

الثاني : لا يحل لك النساء من بعد الذي أحلنا لك بقولنا : {إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَأْتَيْتَ أَجُورَهُنَّ}، إلى قوله: {إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ}، الآية، والمعنى: معناه: لا يحل لك من النساء إلا التي أحلناها لك. وكانت الإباحة بعد نسائه مقصورة على بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته المهاجرات معه ، قاله أبي بن كعب^(١٠).

قال أبو صالح: "أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة، ويتزوج بعد من نساء تهامة، ومن شاء من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاث منة"^(١١).

-
- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩١٥). ص ٨٨٤/٣.
 - (٢) المسند (١٤٤/٦) وسنن أبي داود برقم (٢١٣٤) وسنن الترمذي برقم (١١٤٠) وسنن النسائي (٦٣/٧) وسنن ابن ماجه برقم (١٩٧١).
 - (٣) التفسير الميسر: ٤٢٥.
 - (٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٠.
 - (٥) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٠.
 - (٦) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٢٩/٢.
 - (٧) تفسير عبدالرزاق (٢٣٦٥): ص ٤٧/٣.
 - (٨) تفسير عبدالرزاق (٢٣٦٥): ص ٤٧/٣.
 - (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٥٢): ص ٣١٤٧/١٠.
 - (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٠-٢٩٨.
 - (١١) أخرجه الطبري: ٢٩٨/٢٠.

وروي عن عكرمة: "لا يحل لك النساء من بعد، هؤلاء التي سمي الله إلا {بنات عمك ... } الآية"^(١).

قال عبيد: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {لا يحل لك النساء من بعد}، يعني: من بعد التسمية، يقول: لا يحل لك امرأة إلا ابنة عم أو ابنة عمة أو ابنة خال أو ابنة خالة أو امرأة وهبت نفسها لك، من كان منهن هاجر مع نبي الله صلى الله عليه وسلم"^(٢).

وفي حرف ابن مسعود: "{واللاتي هاجرن معك}، يعني بذلك: كل شيء هاجر معه ليس من بنات العم والعمة، ولا من بنات الخال والخالة"^(٣).

عن زياد: "قال لأبي بن كعب: هل كان للنبي صلى الله عليه وسلم لو مات أزواجه أن يتزوج؟ قال: ما كان يحرم عليه ذلك، فقراءت عليه هذه الآية: {يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك}، قال: فقال: أحل له ضرباً من النساء، وحرم عليه ما سواهن، أحل له كل امرأة أتت أجرها، وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه، وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته، وكل امرأة وهبت نفسها له إن أراد أن يستنكحها خاصة له من دون المؤمنين"^(٤).

الثالث: لا يحل لك النساء من غير المسلمات كاليهوديات والنصرانيات والمشركات، ويحل ما سواهن من المسلمات، قاله مجاهد^(٥).

وأولى الأقوال بالصحة قول من قال: معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحلتهن لك بقولي: {إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن ... } إلى قوله: {وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي}، وإنما قلت ذلك أولى بتفسير الآية؛ لأن قوله: {لا يحل لك النساء} عقيب قوله: {إنا أحلنا لك أزواجك}، وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء ولا يطلن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين، فعل الأخرى منهما. فإذا كان ذلك كذلك ولا دلالة ولا برهان على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدم تنزيل إحداها قبل صاحبتها، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة، لم يجز أن يقال: إحداها ناسخة الأخرى. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن لقول من قال: معنى ذلك: لا يحل من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة، معنى مفهوم، إذ كان قوله {من بعد} إنما معناه: من بعد المسميات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية، ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر إباحة المسلمات كلهن، بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفىء الله عليه، وبنات عمه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم، صح ما قلنا في ذلك، دون قول من خالف قولنا فيه"^(٦).

وقرى: «لا تحل لك النساء»، بالتاء توجيهاً منه إلى أنه فعل للنساء، والنساء جمع للكثير منهن^(٧). قوله تعالى: {وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَهَنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} [الأحزاب : ٥٢]، أي: "ولا أن تطلقهن وتزوج بدلهن غيرهن -إكراماً لهن، وشكراً على حسن صنعهن من اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة- ولو أعجبك حسن غيرهن من النساء"^(٨).

وفي قوله تعالى: {وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَهَنَ مِنْ أَزْوَاجٍ} [الأحزاب : ٥٢]، وجهان من التفسير:

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٨-٢٩٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٩.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/٢٩٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٧-٢٩٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٩٩.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/٢٩٩-٣٠٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٠٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٥.

أحدهما : ولا أن تبدل بالمسلّمات بالمسلّمات غيرهن من النصارى واليهود والمشركين، قاله أبو رزين^(١)، ومجاهد^(٢).

عن مجاهد: " {لا يحل لك النساء}، من بعد يهوديات ولا نصرانيات، لا ينبغي أن يكن أمهات المؤمنين"^(٣).

قال أبو رزين: " لا يحل لك أن تتزوج من المشركات إلا من سببت فملكته يمينك منهن"^(٤).
عاصم بن حكيم: " أن مجاهدا قال: {لا يحل لك النساء من بعد} : لا نصرانيات، ولا يهوديات، ولا كوافر، ولا أن تبدل بهن من الأزواج المسلّمات غيرهن {ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك}"^(٥).
الثاني : لا تطلق زوجاتك لتستبدل بهن من أعجبك حسنهن، قاله الضحاك^(٦).

قال الضحاك: " لا يصلح لك أن تطلق شيئا من أزواجك ليس يعجبك، فلم يكن يصلح ذلك له"^(٧).
عن علي بن زيد، عن الحسن: " {ولا أن تبدل بهن من أزواج}، قال: قصره الله على أزواجه اللاتي مات عنهن، فأخبرت به علي بن الحسن فقال: لو شاء لتزوج عليهن"^(٨).
وقال علي بن زيد: "أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم جريرا يخطب عليه جميلة بنت فلان بعد التسع"^(٩).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن أزواجا، لما قد بيننا قبل من أن قول الذي قال معنى قوله: {لا يحل لك النساء من بعد} لا يحل لك اليهودية أو النصرانية والكافرة، قول لا وجه له. فإذا كان ذلك كذلك فكذلك قوله: {ولا أن تبدل بهن} كافرة لا معنى له، إذ كان من المسلّمات من قد حرم عليه بقوله {لا يحل لك النساء من بعد} الذي دللنا عليه قبل. وأما الذي قاله ابن زيد في ذلك أيضا فقول لا معنى له، لأنه لو كان بمعنى المبادلة لكانت القراءة والتنزيل: ولا أن تبادل بهن من أزواج، أو ولا أن تبدل بهن بضم التاء، ولكن القراءة المجمع عليها: ولا أن تبدل بهن بفتح التاء، بمعنى: ولا أن تستبدل بهن، مع أن الذي ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف في أمة نعلمه من الأمم: أن يبادل الرجل آخر بامرأته الحرة، فيقال: كان ذلك من فعلهم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعل مثله.

فإن قال قائل: أفلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج امرأة على نسائه اللواتي كن عنده، فيكون موجها تأويل قوله: {ولا أن تبدل بهن من أزواج} إلى ما تأولت، أو قال: وأين ذكر أزواجه اللواتي كن عنده في هذا الموضع، فتكون الهاء من قوله: {ولا أن تبدل بهن} من ذكرهن وتوهم أن الهاء في ذلك عائدة على النساء، في قوله {لا يحل لك النساء من بعد}؟ قيل: قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج من شاء من النساء اللواتي كان الله أحلهن له على نسائه اللاتي كن عنده يوم نزلت هذه الآية، وإنما نهى صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاق أراد به استبدال غيرها بها، لإعجاب حسن المستبدلة له بها إياه إذ كان الله قد جعلهن أمهات المؤمنين وخيرهن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة، والرضا بالله ورسوله، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فحرم من على غيره بذلك، ومنع من

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٠-٣٠١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٤٧): ص ٣١٤٧/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٠-٣٠١.

(٥) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٢٩/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٠.

(٨) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٢٩/٢.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٢٩/٢.

فراقهن بطلاق، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع منه، بل أحل الله له ذلك على ما بين في كتابه. وقد روي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبض حتى أحل الله له نساء أهل الأرض^(١).
 عن عطاء، عن عائشة قالت: "ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء، تعني: أهل الأرض"^(٢).

عن عبيد بن عمير الليثي، عن عائشة قالت: "ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء"^(٣).
 عن أم سلمة أنها قالت: "لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلَّ الله له أن يتزوج من النساء ما شاء، إلا ذات محرم، وذلك قول الله، عز وجل: { تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ }"^(٤).

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت من أن الله حرم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتي خيرهن فاخترنه، فما وجه الخبر الذي روي عنه أنه طلق حفصة ثم راجعها، وأنه أراد طلاق سودة حتى صالحته على ترك طلاقه إياها، ووهبت يومها لعائشة؟ قيل: كان ذلك قبل نزول هذه الآية. والدليل على صحة ما قلنا من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن، الرواية الواردة أن عمر دخل على حفصة معاقبها حين اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، كان من قبله لها: قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك، فكلمته فراجعك، فوالله لئن طلقك، أو لو كان طلاقك لا كلمته فيك. وذلك لا شك قبل نزول آية التخيير، لأن آية التخيير إنما نزلت حين انقضى وقت يمينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزالهن.

وأما أمر الدلالة على أن أمر سودة كان قبل نزول هذه الآية، أن الله إنما أمر نبيه بتخيير نسائه بين فراقه والمقام معه على الرضا بأن لا قسم لهن، وأنه يرجي من يشاء منهن، ويؤوي منهن من يشاء، ويؤثر من شاء منهن على من شاء، ولذلك قال له تعالى ذكره: {ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن} ومن المحال أن يكون الصلح بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على تركها يومها لعائشة في حال لا يوم لها منه.

وغير جائز أن يكون كان ذلك منها إلا في حال كان لها منه يوم هو لها حق كان واجبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أداءه إليها، ولم يكن ذلك لهن بعد التخيير لما قد وصفت قبل فيما مضى من كتابنا هذا^(٥).

قوله تعالى: {إِنَّمَا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ} [الأحزاب : ٥٢]، أي: "إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فهن حلال لك"^(٦).

عن مجاهد: " {إلا ما ملكت يمينك}، قال: هي اليهوديات والنصرانيات لا بأس أن يشتريها"^(٧).
 قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا} [الأحزاب : ٥٢]، أي: "وكان الله على كل شيء رقيبًا، لا يغيب عنه علم شيء"^(٨).
 قال الحسن وقتادة: "أي: حفيظا"^(٩).

(١) تفسير الطبري: ٣٠١/٢٠-٣٠٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠٣/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٠٣/٢٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٣٧): ص ٣١٤٥/١٠.

(٥) تفسير الطبري: ٣٠٤-٣٠٣/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٤٧): ص ٣١٤٧/١٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٠٥-٣٠٤/٢٠.

قال السدي: "حفيظاً لأعمالكم" (١).

القرآن

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُوجَاتِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) [الأحزاب : ٥٤]

التفسير:

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا غير مستأنين لحديث بينكم؛ فإن انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي، فيستحيي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له، والله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره. وإذا سألتن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة من أواني البيت ونحوها فاسألوهن من وراء ستر؛ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ فالرؤية سبب الفتنة، وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبداً؛ لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه، إن أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكاحكم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله. وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله عنه منه.

سبب النزول:

أ- سبب نزول قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...} الآية، وفيه وجوه: أحدها: قال أنس بن مالك: "لما تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش؛ دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو يتأهب للقيام؛ فلم يقوموا، فلما رأى ذلك؛ قام، فلما قام؛ قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - ليدخل؛ فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا، فانطلقت؛ فجنبت فأخبرت النبي - صلى الله عليه وسلم -: أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه؛ فأنزل الله - تعالى -: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} الآية" (٢).

(١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٣٢/٢.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٤٧٩١)، ومسلم في "صحيحه" (رقم ١٤٢٨، ٩٢) وغيرهما من طريق أبي مجلز عن أنس به.

وفي رواية للبخاري (رقم ٦٢٣٨)، ومسلم (رقم ٩٣ / ١٤٢٨) وغيرهما من طريق الزهري عن أنس؛ قال: كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، فخدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشرًا حياته، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وقد كان أبي بن كعب يسألني عنه، وكان أول ما نزل في مُبْتَنَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بزینب ابنة جحش: أصبح النبي - صلى الله عليه وسلم - بها عروساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأطالوا المكث، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخرج وخرجت معه؛ كي يخرجوا فمشى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومشيت معه، حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم خرجوا؛ فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورجعت معه، حتى دخل على زينب؛ فإذا هم جلوس لم يتفرقوا؛ فرجع النبي - صلى الله عليه وسلم - ورجعت معه، حتى بلغ عتبة حجرة عائشة، فظن أن قد خرجوا، فرجع ورجعت معه؛ فإذا هم قد خرجوا؛ فأنزل آية الحجاب، فضرب بيني وبينه سترًا.

وفي رواية للبخاري (رقم ٤٧٩٢)، ومسلم (رقم ٩٢ / ١٤٢٨) من طريق أبي قلابة؛ قال: قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية: آية الحجاب: لما أهديت زينب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ كانت معه في البيت، صنع طعاماً ودعا القوم، ففعدوا يتحدثون، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون؛ فأنزل الله - تعالى -: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاهُ} إلى قوله: {مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} فضرب الحجاب، وقام القوم.

وقال: "أنا أعلم الناس بهذه الآية؛ آية الحجاب: لما أهديت زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما، ودعا القوم، فجاءوا فدخلوا وزينب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت، وجعلوا يتحدثون، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يدخل وهم قعود، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ إلى: ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، قال: فقام القوم وضرب الحجاب" (١).

وقال أنس: "وكننت مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان يمر على نسائه، قال: فأتى بامرأة عروس، ثم جاء وعندها قوم، فانطلق ففضى حاجته، واحتبس وعاد وقد خرجوا، قال: فدخل فأرخى بيني وبينه سترا، قال: فحدثت أبا طلحة فقال: لئن كان كما تقول، لينزلن في هذا شيء، قال: ونزلت آية الحجاب" (٢).

وفي رواية للبخاري (رقم ٤٧٩٣) من طريق عبد العزيز بن صهيب عن أنس؛ قال: بُنيَ على النبي - صلى الله عليه وسلم - بزینب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أَدْعُو، فقلت: يا نبي الله! ما أجد أحداً أَدْعُو، فقال: "فارفعوا طعامكم"، وبقي ثلاثة وهي يتحدثون في البيت، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: "السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله"، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك، بارك الله لك؟ فقري حبر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - شديد الحياء - فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أو أخير: أن القوم خرجوا؛ فرجع، حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة وأخرى خارجه؛ أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت الآية.

وفي أخرى (رقم ٤٧٩٤) من طريق حميد عن أنس؛ قال: أولم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين بني بزینب بنت جحش، فأشبع الناس خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه؛ فيسلم عليهن ويدعو لهن، ويسلمن عليه ويدعون له، فلما رجع إلى بيته؛ رأى رجلين جرى بهما الحديث، فلما رآهما؛ رجع عن بيته، فلما رأى الرجلان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - رجع عن بيته، وثبا مسرعين، فما أدري: أنا أخبرته بخروجهما، أم أخبر؟ فرجع حتى دخل البيت، وأرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب.

وفي رواية لمسلم (رقم ٤٢٨ / ٩٤، ٩٥) من طريق الجعد أبي عثمان عن أنس؛ قال: تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل بأهله، قال: فصنعت أُمي أم سليم حَيْسًا؛ فجعلتها في نور، فقالت: يا أنس! اذهب بهذا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقلت: بعثت بهذا إليك أُمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله! قال: فذهبت بها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقلت: إن أُمي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله! فقال: "ضعه"، ثم قال: "اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ومن لقيت" -وسمى رجالاً-، قال: فدعوت من سمى ومن لقيت. قال: قلت لأنس: عدّد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، وقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا أنس! هات التودد"، قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه"، قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم، فقال لي: "يا أنس! ارفع"، قال: فرفعت، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت؟ قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط؛ فتقلوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسلم على نسائه، ثم رجع، فلما رأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد رجع؛ ظنوا أنهم قد تقلوا عليه، قال: فابتدروا الباب فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أرخى الستر ودخل، وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليّ، وأنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقرأهن على الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِبِينَ لِحَدِيثِ الْبَيْتِ إِذْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ﴾ إلى آخر الآية.

قال الجعد: قال أنس بن مالك: أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات، وحجبت نساء النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وفي رواية للنسائي في "تفسيره" (رقم ٤٣٧)، والترمذي (رقم ٣٢١٩)، والطبري في "جامع البيان" (٢٧ / ٢٢، ٢٨) من طريق بيان بن بشر عن أنس؛ قال: بني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بامرأة من نسائه، فأرسلني فدعوت قوماً إلى الطعام، فلما أكلوا وخرجوا؛ قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منطلقاً قبل بيت عائشة، فرأى رجلين جالسين؛ فانصرف راجعاً؛ فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾. قلنا: وسنده حسن.

وقال الترمذي: "هذا حدث حسن غريب"، وهو في البخاري (رقم ٥١٧٠) مختصر جداً

(١) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٠-٣١٣.

الثاني: عن أنس بن مالك؛ قال: "قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؛ فنزلت: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥]، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله! لو أمرت نساءك أن يحتجبن؛ فإنه يكلمهن البر والفاجر؛ فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - في المغيرة عليه فقلت لهن: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّا كُنَّ} [التحریم: ٥]؛ فنزلت هذه الآية"^(١).

عن ابن عباس رضي الله، عنهما قال: "دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فأطال الجلوس فقام النبي صلى الله عليه وسلم مرارا كي يتبعه ويقوم، فلم يفعل، فدخل عمر رضي الله، عنه فرأى الرجل وعرف الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى الرجل المقعد فقال: لعلك أذيت النبي صلى الله عليه وسلم ففطن الرجل فقام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد قمت مرارا كي يتبعني فلم يفعل، فقال عمر رضي الله، عنه: لو اتخذت حجابا، فإن نساءك لسن كسائر النساء، وهو أظهر لقلوبهن. فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...}، فأرسل إلى عمر رضي الله عنه فأخبره بذلك"^(٢).

وعن عائشة - رضي الله عنها-؛ قالت: "كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: احجب نساءك، قالت: فلم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفعل، وكان أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يخرجن ليلاً إذا تبرزن إلى المناصع - وهو صعيد أفيح-، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فرأها عمر بن الخطاب وهو في المجلس، فقال: ألا قد عرفناك يا سودة! -حرصاً على أن ينزل الحجاب-، قالت عائشة: فأنزل الله - عز وجل - آية الحجاب"^(٣).

وروي عن أبي وائل عن عبد الله، قال: "أمر عمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب، فقالت زينب: يا بن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}"^(٤).

الثالث: عن عائشة - رضي الله عنها-؛ قالت: "كنت أكل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - حيساً في قعب، فمرَّ عمر - رضي الله عنه - فدعاه فأكل، فأصابته أصبعه أصبعي، فقال: حسّ - أو أوو- لو أطاع فيكن؛ ما رأيتك عين؛ فنزل الحجاب"^(٥).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٤٠٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٥٥)؛ ص: ٣١٤٨/١٠.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ١٤٦)، ومسلم "في صحيحه" (رقم ٢١٧٠، ١٨).

وفي رواية: خرجت سودة بعدما ضرب عليها الحجاب؛ لتقضي حاجتها، وكانت امرأة جسيمة تفرع النساء جسماً لا تخفى على من يعرفها، فرأها عمر بن الخطاب؛ فقال: يا سودة! أما والله لا تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت؛ فقالت: يا رسول الله! إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: "إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن".

أخرجه البخاري (رقم ٤٧٩٥، ٥٢٣٧)، ومسلم (رقم ١٧٠ / ١٧).

(٤) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٠.

(٥) أخرجه النسائي في "تفسيره" (١٨٨ / ٢ - ١٨٩ رقم ٤٣٩)، وابن أبي حاتم (١٧٧٥٦)؛ ص: ٣١٤٨/١٠، والطبراني في "المعجم الصغير" (٨٣، ٨٤)، و"الأوسط" (٢١٢ / ٣ رقم ٢٩٤٨)، والبخاري في "الأدب المفرد" (رقم ١٠٥٣)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تخريج الكشاف" (١٢٦ / ٣) كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عنها به.

قلنا: وسنده صحيح.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩٣ / ٧): "رواه الطبراني في "الأوسط"؛ ورجاله رجال الصحيح، غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة"، وسكت عنه الحافظ في "الفتح" (٥٣١ / ٨).

وصححه السيوطي في "اللباب النقول" (ص ١٧٨)، و"الدر المنثور" (٦ / ٦٤٠).

وصححه شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني - رحمه الله - في "صحيح الأدب المفرد" (رقم ٨٠٤).

قال ابن عباس: "نزل حجاب نساء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عمر؛ أكل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - طعاماً فأصابته يده بعض أيدي نساء النبي؛ فأمر بالحجاب"^(١).

الرابع: عن الربيع بن أنس، قال: "كانوا يجيئون فيدخلون بيت النبي - صلى الله عليه وسلم -، فيجلسون، فيتحدثون ليدرك الطعام؛ فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً}"^(٢).

ب- سبب نزول قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجَّاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا} الآية:

قال ابن عباس: "نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده، قال سفيان: ذكروا أنها عائشة رضي الله عنها"^(٣).

قال ابن زيد: "بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً يقول: إن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت فلانة من بعده، فكان ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ}"^(٤).

قال السدي: "بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أئحجنا محمد، عن بنات عمنا، ويتزوج نساءنا من بعدنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده. فنزلت هذه الآية"^(٥).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأحزاب : ٥٣]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشره"^(٦).

قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"^(٧).
قوله تعالى: {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً} [الأحزاب : ٥٣]، أي: "لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه"^(٨).

عن مجاهد، قوله: "{إلى طعام غير ناظرين إناه}"، قال: متحيين نضجه"^(٩).

قال الضحاك: "{إناه}"، قال: نضجه"^(١٠).

قال قتادة: "غير متحيين طعامه"^(١١).

وخالف ابن عيينة محمد بن بشر؛ فرواه عن مسعر به مرسلًا.
أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/٣٧ رقم ١٢٠٦٦): ثنا محمد بن بشر به.
وأخرجه الطبري في "جامع البيان" ٣١٤/٢٠، ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص: ٣٦٠) - بسند مرسل ضعيف، وليس فيه ذكر لعمر، وروايته: "عن مجاهد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فأصابته يد رجل منهم يد عائشة، ففكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فنزلت آية الحجاب".
قال الدارقطني في "العلل" (٥/٨٢/أ): "هذا حديث يرويه مسعر، واختلف عنه؛ فرواه ابن عيينة عنه عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد، عن عائشة، وغيره يرويه عن مسعر عن موسى عن مجاهد مرسلًا، والصواب المرسل". اهـ.
وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" في الجمع بين روايات الحديث.
(١) أخرجه ابن سعد (٨/١٧٥). وسنده ضعيف جداً؛ فيه الواقدي - محمد بن عمر -؛ متروك الحديث، لكن يشهد له حديث عائشة - رضي الله عنها - المتقدم.

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٦٣)، (١٧٧٦٦): ص ٣١٥٠/١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٦٤): ص ٣١٥٠/١٠، والطبري: ٣١٦/٢٠، بزيادة كلمة «ربما» في صدر الخبر.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٦٥): ص ٣١٥٠/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٠٢٦): ص ٩٠٢/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٠٦/٢٠.

(١٠) الدر المنثور: ٦٤١/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٠٦/٢٠.

عن الربيع بن أنس، قال: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه؛ ليدرك الطعام"^(١).

قوله تعالى: {وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا} [الأحزاب : ٥٣]، أي: "ولكن إذا دعيتم وأذن لكم في الدخول فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا"^(٢).

قال السدي: "يعني: فتفرقوا"^(٣).
قال قتادة: "في قوله: {وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا}: كان هذا في بيت أم سلمة، أكلوا ثم أطالوا الحديث، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يخرج ويدخل، ويستحي منهم، والله لا يستحي من الحق"^(٤).

عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دعا أحدكم أخاه فليجب، عرساً كان أو غيره"^(٥).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدى إلي كراع لقبلت، فإذا فرغتم من الذي دعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل، وانتشروا في الأرض"^(٦).

قوله تعالى: {وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثِ} [الأحزاب : ٥٣]، أي: "غير مستأنسين لحديث بينكم"^(٧).
عن مجاهد: "ولا مستأنسين لحديث، بعد أن تأكلوا"^(٨). وروي عن السدي مثله^(٩).
عن سليمان بن أرقم، قوله: "ولا مستأنسين لحديث، قال: نزلت في الثقلاء"^(١٠).
عن جويرية بن أسماء، قال: "فُرى بين يدي إسماعيل ابن أبي حكيم هذه الآية، فقال: هذا أدب أدب الله به الثقلاء"^(١١).

قوله تعالى: {إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب : ٥٣]، أي: "فإن انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي، فيستحيي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له، والله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره"^(١٢).

قال محمد بن كعب: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نهض إلى بيته بادروه، فأخذوا المجالس، فلا يعرف ذلك في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولا يبسط يده إلى الطعام استحياءً منهم، فعوتبوا في ذلك؛ فأنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي} الآية"^(١٣).

قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} [الأحزاب : ٥٣]، أي: "وإذا سألتن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة من أواني البيت ونحوها

(١) الدر المنثور: ٦٤٢/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٣٣/٢.

(٤) أخرجه ابن جرير ١٩ / ١٥٨، ١٦٦. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٥) صحيح مسلم برقم (١٤٢٩).

(٦) صحيح البخاري برقم (٢٥٦٨).

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٠.

(٩) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٣٣/٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٦٠): ص ١٠ / ٤٩٩.

(١١) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥٩ / ٨.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(١٣) أخرجه ابن سعد ٨ / ١٧٤.

فاسألوهن من وراء ستر، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال" (١).

عن مجاهد، قوله: "وإذا سألتموهن متاعاً، قال: أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عليهن الحجاب" (٢).

عن السدي، قوله: "وإذا سألتموهن متاعاً، قال: حاجة" (٣).
عن السدي: "وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب" أن يكون ذلك من وراء حجاب" (٤).
قال قتادة: "بلغنا: أنهن أمرن بالحجاب عند ذلك" (٥).
قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا} [الأحزاب : ٥٣]، أي: "وما ينبغي لكم أن تؤدوا رسول الله، ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبداً" (٦).

عن عامر: "أن النبي صلى الله عليه وسلم مات، وقد ملك قبيلة بنت الأشعث، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك، فشق على أبي بكر مشقة شديدة، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها، وقد برأها منه بالردة التي أرادت مع قومها، فاطمان أبو بكر وسكن" (٧).

عن معمر ، عن قتادة ، أن رجلاً ، قال: "لو قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، لتزوجت فلانة يعني عائشة: " فأنزل الله تعالى: {وما كان لكم أن تؤدوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً} (٨).
قال معمر: "سمعت أن هذا الرجل طلحة بن عبيد الله" (٩).

وقد أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه أنه يحرم على غيره تزويجها من بعده ؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين ، كما تقدم. واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها ؟ على قولين ، مأخذهما : هل دخلت هذه في عموم قوله : { مِنْ بَعْدِهِ } أم لا ؟ فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، فما نعلم في حلها لغيره - والحالة هذه - نزاعاً ، والله أعلم (١٠).

القرآن

{إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤)} [الأحزاب : ٥٤]

التفسير:

إن تُظهِروا شيئاً على ألسنتكم -أيها الناس- مما يؤذي رسول الله مما نهاكم الله عنه، أو تخفوه في نفوسكم، فإن الله تعالى يعلم ما في قلوبكم وما أظهرتموه، وسيجازيكم على ذلك.

(١) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٦١): ص ٣١٥٠/١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٦٢): ص ٣١٥٠/١٠.

(٤) علقه يحيى بن سلام ٧٣٣/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ١٦٦/١٩. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٧) أخرجه الطبري: ٣١٦/٢٠.

(٨) تفسير عبدالرزاق (٢٣٧٢): ص ٤٩/٣.

(٩) تفسير عبدالرزاق (٢٣٧٣): ص ٤٩/٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٥٥/٦.

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، في قوله: {إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ}، قال: "إن تكلموا به فتقولوا: نتزوج فلانة، لبعض أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -، أو تخفوا ذلك في أنفسكم فلا تنطقوا به، يعلمه الله"^(١).

القرآن

{لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُنْثَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)} [الأحزاب : ٥٥]

التفسير:

لا إثم على النساء في عدم الاحتجاب من آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء أخواتهن والنساء المؤمنات والعبيد المملوكين لهن؛ لشدة الحاجة إليهم في الخدمة. وخفن الله -أيها النساء- أن تتعدين ما حدّ لكنّ، فتبدين من زينتك ما ليس لكنّ أن تبدينه، أو تترك الاحتجاب أمام من يجب عليك الاحتجاب منه. إن الله كان على كل شيء شهيداً، يشهد أعمال العباد ظاهرها وباطنها، وسيجزئهم عليها. سبب النزول:

حكى الماوردي عن الكلبي: "أنه لما نزل في آية الحجاب: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مَن وَرَاءَ حِجَابٍ}، قام الآباء والأبناء وقالوا يا رسول الله نحن لا نكلمهن أيضاً إلا من وراء حجاب ، فنزلت هذه الآية"^(٢).

قوله تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُنْثَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} [الأحزاب : ٥٥]، أي: "لا إثم على النساء في عدم الاحتجاب من آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء أخواتهن والنساء المؤمنات والعبيد المملوكين لهن؛ لشدة الحاجة إليهم في الخدمة"^(٣).

قال مجاهد: "لا جناح عليهن في آبائهن ومن ذكر معهن أن يروهن، يعني: أزواج النبي صلى الله عليه وسلم"^(٤).

عن مجاهد: {وَلَا نِسَائِهِمْ} : "يعني النساء المسلمات دون المشركات"^(٥).

عن داود، عن الشعبي وعكرمة، في قوله: في قوله: {لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُنْثَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}، قلت: ما شأن العم والخال لم يذكر؟ قال: لأنهما ينعنانهما لأبنائهما، وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها"^(٦).

روي عن سعيد بن المسيب: "وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ": الإمام دون العبيد"^(٧).

وفي قوله تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ} [الأحزاب : ٥٥]، قولان:

أحدهما : لا جناح عليهن في ترك الحجاب. قاله قتادة^(٨).

قال قتادة: "فرخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم"^(٩).

الثاني : وضع عنهن الجناح في وضع جلابيبهن عندهم، قاله مجاهد^(١).

(١) أخرجه ابن سعد ٨ / ٢٠١.

(٢) النكت والعيون: ٤٢١/٤. وذكره القرطبي في التفسير: ٢٣١/٤، دون نسبة.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٦٧): ص ٣١٥٠/١٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٠-٣١٩.

(٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٦، وانظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣١٨/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٠.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك وضع الجناح عنهن في هؤلاء المسلمين أن لا يحتجبن منهم؛ وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب، وبعد قول الله: {وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب} فلا يكون قوله: {لا جناح عليهن في آبائهن} استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهن المتاع من وراء الحجاب إذا سألوهن ذلك أولى وأشبه من أن يكون خبر مبتدأ عن غير ذلك المعنى، وتأويل الكلام: لا إثم على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين في إذنهن لأبائهن وترك الحجاب منهن، ولا لأبائهن ولا لإخوانهن ولا لأبناء إخوانهن. وعنى بإخوانهن وأبناء إخوانهن إخوتهن وأبناء إخوتهن " (٢) .
 قوله تعالى: {وَأَتَقِينَ اللَّهَ} [الأحزاب : ٥٥]، أي: " وخفن الله -أيها النساء- أن تتعدين ما حدَّ لكنَّ، فتبدين من زينتك ما ليس لكنَّ أن تبدينه، أو تتركن الحجاب أمام من يجب عليكن الاحتجاب منه" (٣) .
 قوله تعالى: {وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} [الأحزاب : ٥٥]، أي: " وخفن الله -أيها النساء- أن تتعدين ما حدَّ لكنَّ، فتبدين من زينتك ما ليس لكنَّ أن تبدينه، أو تتركن الحجاب أمام من يجب عليكن الاحتجاب منه، إن الله كان على كل شيء شهيدًا، يشهد أعمال العباد ظاهرها وباطنها، وسيجزئهم عليها" (٤) .
 عن عطاء: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا}، " يريد: لم يغب عنه علم ما خلق وبراً" (٥) .

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)} [الأحزاب : ٥٦]

التفسير:

إن الله تعالى يثني على النبي صلى الله عليه وسلم عند الملائكة المقربين، وملائكته يثنون على النبي ويدعون له، يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، صلُّوا على رسول الله، وسلِّموا تسليمًا، تحية وتعظيمًا له.
 سبب النزول:

عن ابن عباس: "أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه: يا موسى، سألوك «هل يصلي ربك؟ فقل: نعم، إنما أصلي أنا وملائكتي على أنبيائي ورسلي. فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٦) .

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب : ٥٦]، أي: " إن الله تعالى يثني على النبي صلى الله عليه وسلم عند الملائكة المقربين، وملائكته يثنون على النبي ويدعون له" (٧) .

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب : ٥٦]، على

أقوال:

أحدها : أن صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء ، قاله أبو العالية (٨) .
 وقال الضحاك: "صلاة الله: رحمته. وفي رواية عنه: مغفرته. وصلاة الملائكة: الدعاء" (٩) .

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣١٧/٢٠-٣١٨.

(٢) تفسير الطبري: ٣١٨/٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٥) التفسير البسيط للواحدى: ٤٨٥/٦. ولم أقف عليه.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم (١٧٧٧١):ص:٣١٥١/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٧٠٤):ص:٣١٣٩/٩.

الثاني : أن صلاة الله تعالى عليه المغفرة له، وصلاة الملائكة الاستغفار له، قاله سعيد بن جبير^(٢)، والسدي^(٣).

عن السديّ: " {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}، يعني: أن الله يغفر للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وتستغفر له الملائكة"^(٤).

الثالث : أن صلاة الله تعالى عليه رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء له، قاله الحسن^(٥).

وقال عطاء بن أبي رباح: "صلاته تبارك وتعالى: «سبوح قدوس، سبقت رحمتي غضبي»"^(٦). قال أبو عبد الله الحليّ: "فأمر الله تعالى عباده أن يصلوا عليه ويسلموا، وقدم قبل أمرهم بذلك أخبارهم: بأن ملائكته يصلون عليه، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل، إذا كانت الملائكة مع انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا أنهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق"^(٧).

عن الحسن البصري -من طريق هشام- قال: "إذا قال الرجل في الصلاة {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} الآية؛ فليُصَلِّ عليه"^(٨).

قال مجاهد: "لما نزلت: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} الآية؛ قال أبو بكر: ما أعطاك الله تعالى من خير إلا أشركنا فيه. فنزلت: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ} [الأحزاب: ٤٣]"^(٩). عن ابن جريج، في قوله: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ}، قال: "لما نزلت جعل الناس يهنونه بهذه الآية، وقال أبي بن كعب: ما أنزل فيك خيراً إلا خلطنا به معك، إلا هذه الآية. فنزلت: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الأحزاب: ٤٧]"^(١٠).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، صلُّوا على رسول الله، وسلِّموا تسليماً، تحية وتعظيماً له"^(١١). عن زيد بن وهب قال: قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "يا زيد بن وهب لا تدع إذا كان يوم الجمعة أن تصلي على النبي ألف مرة تقول: اللهم صل على النبي الأمي"^(١٢). عن مجاهد، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إنكم تعرضون علي بأسمائكم ومسماكم فاحسنوا الصلاة علي"^(١٣).

عن حميدة، قالت: "أوصت لنا عائشة بمتاعها، فكان في مصحفها: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ وَالَّذِينَ يُصَلُّونَ الصُّوفَ الْأَوَّلَ)"^(١٤).

(١) أخرجه القاضي إسماعيل -كما في الفتح ١١/ ١٥٦ - . وعقب عليه ابن حجر بقوله: وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٧٠٥): ص ٣١٣٩/٩.
(٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٣٥/٢ - ٧٣٦.
(٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٣٥/٢ - ٧٣٦.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٢١/٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٧٠): ص ٣١٥١/١٠.
(٧) المنهاج في شعب الغيمان: ١٣١/٢.
(٨) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢١١ - ٢١٢، وانظر: الدر المنثور: ٦٥٠/٦.
(٩) علقه الواحدي في أسباب النزول (٣٦٢).
(١٠) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١١) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(١٢) الدر المنثور: ٦٥٦/٦، وعزاه إلى الشيرازي في "الألقاب".
(١٣) الدر المنثور: ٦٥٢/٦ وعزاه إلى عبدالرزاق.
(١٤) أخرجه ابن أبي داود (٨٥)، وهي قراءة شاذة. وانظر: الدر المنثور: ٦٥٦/٦، وعزاه إلى ابن أبي داود في "المصاحف".

عن كعب بن عجرة -من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى- قال: "لَمَّا نَزَلَتْ: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}، قَمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ قَدْ عَرَفْنَا، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧)} [الأحزاب : ٥٧]

التفسير:

إن الذين يؤذون الله بالشرك أو غيره من المعاصي، ويؤذون رسول الله بالأقوال أو الأفعال، أبعدهم الله وطردهم من كل خير في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم في الآخرة عذابًا يذلهم ويهينهم. في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: "نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفة بنت حبي بن أخطب"^(٢). وبه قال قتادة^(٣).

الثاني: قال مقاتل: "نزلت في اليهود من أهل المدينة، وكان أذاهم لله - عز وجل - أن زعموا أن الله ولدا، وأنهم يخلقون كما يخلق الله - عز وجل - يعني التماثيل والتصاوير. وأما أذاهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - فإنهم زعموا أن محمداً ساحر مجنون شاعر كذاب، {لعنهم الله في الدنيا والآخرة}^(٤).

عن عكرمة، قال: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}، هم أصحاب التصاوير^(٥).

قال عكرمة: "هم أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين مثل خلق الله - عز وجل -".^(٦) و قال الكلبي: "هم اليهود والنصارى والمشركين أما اليهود فإنهم قالوا: يد الله مغولة وإن الله فقير ونحن أغنياء وقالت النصارى المسيح ابن الله وإن الله ثالث ثلاثة وقال المشركون: الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وسبوا رسول الله وكسروا رباعيته وقالوا: مجنون شاعر كذاب"^(٧).

عن قتادة في الآية، قال: "ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فيما يروي عن ربه عز وجل شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني وكذبني ولم ينبغ له أن يكذبني فأما شتمه إياي فقولته {اتخذ الله ولدا} [البقرة: ١١٦]، وأنا الأحد الصمد وأما تكذيبه إياي فقولته: لن يعيدني كما بداني"^(٨).

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الأحزاب : ٥٧]، أي: "إن الذين يؤذون الله بالشرك أو غيره من المعاصي، ويؤذون رسول الله بالأقوال أو الأفعال"^(٩).

قال ابن جريج: "وآذوا رسوله، قالوا: إنه شاعر، ساحر، مجنون"^(١٠).

(١) أخرجه البخاري ٤/ ١٤٦ - ١٤٧ (٣٣٧٠)، ومسلم ١/ ٣٠٥ (٤٠٦)، وابن جرير ١٩/ ١٧٥ - ١٧٦، والثعلبي ٨/ ٦١. وأخرج نحوه أحمد ٣٠/ ٥٧ - ٥٨ (١٨١٣٣)، وزاد في آخره: ونحن نقول: وعلينا معهم، قال يزيد: فلا أدري أشيء زاده ابن أبي ليلى من قبل نفسه، أو شيء رواه كعب.

قال الألباني في الإرواء ٢/ ٢٥: «وإسناده حسن».

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٢٢-٣٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٢٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٥٠٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٢٢.

(٦) الكشف والبيان: ٢١/ ٥٥١.

(٧) التفسير البسيط للواحدي: ١٨/ ٢٩٠.

(٨) الدر المنثور: ٦/ ٥٦٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(١٠) الدر المنثور: ٦/ ٦٥٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

قال قتادة: "يا سبحان الله ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم، وأما أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو طعنهم عليه في نكاحه صفة بنت حبي فيما ذكر"^(١).

القرآن

{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)} [الأحزاب : ٥٨]

التفسير:

والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل من غير ذنب عملوه، فقد ارتكبوا أفحش الكذب والزور، وأتوا ذنبًا ظاهر القبح يستحقون به العذاب في الآخرة.

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها، فإن سككت اتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن لم يكن يومئذ تعرف الحرة من الأمة، إنما يخرجن في درع وخمار. فشكون ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. الدليل على صحة هذا قوله تعالى: {قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ} [الأحزاب : ٥٩]، والجلباب: الرداء. وهذا قول الضحاك^(٢)، والسدي^(٣)، والكلبي^(٤)، والفراء^(٥).
الثاني: أنها نزلت في علي ابن أبي طالب- رضي الله عنه- وذلك أن نفرا من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه. وهذا قول مقاتل^(٦).

الثالث: وقال عطاء عن ابن عباس: "رأى عمر رضي الله عنه جارية من الأنصار متبرجة فضربها وكره ما رأى من زينتها، فذهبت إلى أهلها تشكو عمر فخرجوا إليه فأذوه فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٧).

الرابع: أنها نزلت في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها. حكاها الزمخشري^(٨).
قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا} [الأحزاب : ٥٨]، أي: "والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل من غير ذنب عملوه"^(٩).

عن مجاهد: "والذين يؤذون"، قال: يقفون، {بغير ما اكتسبوا}، قال: بغير ما عملوا"^(١٠).

وفي رواية: "يقعون بغير ما عملوا"^(١١).

عن مجاهد، قال: "قرأ ابن عمر: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا}، قال: فكيف إذا أؤذي بالمعروف، فذلك يضاعف له العذاب"^(١٢).

وفي رواية عن ثور عن ابن عمر، قال: "كيف بالذي يأتي إليهم المعروف"^(١٣).

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٠.

(٢) حكاها عنه الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٧. بدون إسناد.

(٣) حكاها عنه الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٧. بدون إسناد.

(٤) حكاها عنه الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٧. بدون إسناد.

(٥) معاني القرآن: ٣٤٩/٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٦/٣-٥٠٧.

(٧) ذكره الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٦. بدون إسناد.

(٨) انظر: الكشاف: ٥٥٩/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(١٠) تفسير مجاهد: ٥٥٢، وأخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٠.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٧٦): ص ٣١٥٢/١٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٠.

قوله تعالى: {فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} [الأحزاب : ٥٨]، أي: "فقد ارتكبوا أفحش الكذب والزور، وأتوا ذنبًا ظاهر القبح يستحقون به العذاب في الآخرة"^(١).

عن مجاهد: "فقد احتملوا بهتانًا، قال: إثمًا"^(٢).
عن أبي هريرة، أنه قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: "ذكرُك أخاك بما يكره". قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته"^(٣).
قال مجاهد: "يلقى الجرب على أهل النار فيحكون حتى تبدو العظام، فيقولون: ربنا بم أصابنا هذا؟ فيقال: بأذاكم المسلمين"^(٤).

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أي الربا أرى عند الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أرى الربا، عند الله استحلال عرض امرئ مسلم، ثم قرأ: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا}^(٥).

قال قتادة والحسن: "إياكم وأذى المؤمن فإن الله يغضب له"^(٦).
قال الحسن: "إياكم وأذى المؤمن؛ فإنه حبيب ربه، أحب الله فأحبه، وغضب لربه فغضب الله له، وإن الله يحوطه، ويؤذي من آذاه"^(٧).

قال قتادة: "إياكم وأذى المؤمنين فإن الله يحوطهم ويغضب لهم وقد زعموا أن عمر بن الخطاب قرأها ذات يوم فأفزع ذلك حتى ذهب إلى أبي بن كعب رضي الله عنه فدخل عليه فقال: يا أبا المنذر، إني قرأت آية من كتاب الله تعالى فوقع مني كل موقع: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات}، والله إني لأعاقبهم وأضربهم، فقال له: إنك لست منهم، إنما أنت معلم"^(٨).

قال الفضيل: "لا يحل لك أن تؤذي كلبًا أو خنزيرًا بغير حق، فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات"^(٩).
وحكي عن ابن عون، انه كان "لا يكرى الحوانيت إلا من أهل الذمة، لما فيه من الروعة عند كر الحول"^(١٠).

عن إبراهيم، قال: "جاء رجل إلى علقمة، فشمته، فقال علقمة: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا}. فقال الرجل: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٧٦): ص ٣١٥٢/١٠.

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٨٧٤) وسنن الترمذي برقم (١٩٣٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٧٧): ص ٣١٥٣/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٧٨): ص ٣١٥٣/١٠.

(٦) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٢٩١/١٨.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٢٨١٤): ص ١٢٦/١٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٧٩): ص ٣١٥٣/١٠، وانظر: الطبري: ٣٢٤/٢٠.

(٩) نقلًا عن تفسير النسفي: ٤٤/٣-٤٥.

(١٠) نقلًا عن الكشاف: ٥٥٩/٣.

(١١) تاريخ دمشق: ١٨٣/٤١، وحلية الأولياء: ٨٠/٢، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

عن إبراهيم التيمي، قال: إذا سئل أحدكم أمؤمن أنت حقًا؟ فليقل: إني مؤمن حقًا فإن كان صادقًا فإن الله تبارك وتعالى لا يعدب على الصدق ولكن يثيب عليه، وإن كان كاذبًا فما فيه من الكفر أشد عليه من قوله: إني مؤمن حقًا". رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٠/١٣. [الحكم على الإسناد: إسناده ضعيف. فيه سلم بن سالم ضعفه، وهشام بن عبيد الله لين في الرواية، وفيه من لم أجده، ولم أجده فيه جرحًا ولا تعديلًا. التخريج: لم أجد من خرجه]

وقال ابن أبي نجیح: سأل رجل الحسن، فقال له: أمؤمن أنت؟ فقال: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا بها مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ} إلى قوله {عِنْدَ رَبِّهِمْ} فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا". [أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" ٨٦/١]

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩)} [الأحزاب : ٥٩]

التفسير:

يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين على رؤوسهن ووجوههن من أرديتهن وملاحفهن؛ لستر وجوههن وصدورهن ورؤوسهن؛ ذلك أقرب أن يميّزن بالستر والصيانة، فلا يتعرّض لهن بمكروه أو أذى. وكان الله غفوراً رحيمًا حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام.
سبب النزول:

عن أبي صالح، قال: "قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على غير منزل، فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن. وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل. فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ}، يفنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرّة"^(١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة رضي الله عنها بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرأها عمر رضي الله عنه قال: يا سودة، إنك والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين فانكفات راجعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت وقالت: يا رسول الله، إنني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر رضي الله عنه: كذا ... وكذا فأوحي إليه ثم رفع، عنه وإن العرق في يده، فقال: انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن"^(٢).

قال أبو مالك: "كان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن بالليل لحاجتهن، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين، فقيل ذلك للمنافقين، فقالوا: إنما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ}، فأمر بذلك حتى عرفوا من الإماء"^(٣).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ} [الأحزاب : ٥٩]، أي: "يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين على رؤوسهن ووجوههن من أرديتهن وملاحفهن؛ لستر وجوههن وصدورهن ورؤوسهن"^(٤).

قال السدي: "كان أناس من فساق أهل المدينة بالليل حين يختلط الظلام، يأتون إلى طرق المدينة فيتعرضون للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق، فيقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يتبعون ذلك منهن، فإذا رأوا امرأة عليها جلباب قالوا: هذه حرة فكفوا، عنها، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا: هذه أمة فوثبوا عليها"^(٥).

قالت أم سلمة -رضي الله عنها-: "لما نزلت هذه الآية يدنين عليهن من جلابيهن خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسها"^(٦).
وفي رواية: "لما نزلت هذه الآية يدنين عليهن من جلابيهن خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسها"^(٧).

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠-٣٢٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٨١): ص ٣١٥٣/١٠-٣١٥٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٨٢): ص ٣١٥٤/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٨٨): ص ٣١٥٤/١٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٨٤): ص ٣١٥٤/١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٨٥): ص ٣١٥٤/١٠.

عن يونس بن يزيد، قال: "وسألناه -يعني الزهري-: هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة؟ قال: عليها الخمار إن كانت متزوجة، وتنهى عن الجلباب، لأنه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر إلا محصنات: وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾" (١).

واختلف أهل التفسير في صفة الإدناء الذي أمرهن الله به، على قولين: أحدهما: أن يغطين وجوههن ورؤوسهن فلا يبدين منهن إلا عينا واحدة. رواه محمد بن عبيدة عن أبيه (٢). عن ابن عون، عن محمد بن عبيدة، قوله: "﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾، فلبسها عندنا ابن عون، قال: ولبسها عندنا محمد، قال محمد: ولبسها عندي عبيدة، قال ابن عون بردائه فتقع به، فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب" (٣).

عن ابن سيرين قال: "سألت عبيدة عن قوله: ﴿قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾، قال: فقال بثوبه، فغطى رأسه ووجهه، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه" (٤).

وروي ن عكرمة، في الآية، قال: "تدني الجلباب حتى لا يرى ثغرة نحرها" (٥). الثاني: أنهم أمرن أن يشددن جلابيبهن على جباههن. وهذا مروى عن مجاهد (٦)، وقتادة (٧). قال مجاهد: "يتجلبن فيعلم أنهم حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة" (٨). قال قتادة: "أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب، {ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذنين}، وقد كانت المملوكة إذا مرت تناولوها بالإيداء، فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء" (٩). قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَ﴾ [الأحزاب : ٥٩]، أي: "ذلك أقرب أن يميزن بالستر والصيانة، فلا يُتعرَّض لهن بمكروه أو أذى" (١٠).

قال محمد بن كعب القرظي: "ذلك أحرى أن يُعْرَفْنَ" (١١). قال أبو مالك: "فأمر بذلك حتى عرفوا من الإماء" (١٢). عن أبي قلابة، قال: "كان عمر بن الخطاب لا يدع في خلافته أمة تقنع، ويقول: إنما القناع للحرائر؛ لكيلا يؤذنين" (١٣).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٩]، أي: "وكان الله غفوراً رحيمًا حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام" (١٤). عن قتادة: "قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة" (١٥)، "{رحيما}، بعباده" (١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٨٦): ص ٣١٥٤/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٩٠): ص ٣١٥٥/١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/٢٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(١١) أخرجه ابن سعد ٨ / ١٧٦ - ١٧٧.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٨٢): ص ٣١٥٤/١٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٢ / ٢٣١.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٠٣): ص ٩١٥/٣.

عن عطاء بن دينار، قوله: " {غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"^(٢).
عن سعيد بن جبير، قوله: " {الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيمًا بالمؤمنين"^(٣).

القرآن

{لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لتغريكن بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً (٦١)} [الأحزاب : ٦٠-٦١]
التفسير:

لئن لم يكف الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإيمان والذين في قلوبهم شك وريبة، والذين ينشرون الأخبار الكاذبة في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبائحهم وشرورهم، لنسلطنك عليهم، ثم لا يسكنون معك فيها إلا زمناً قليلاً. مطرودين من رحمة الله، في أي مكان وجدوا فيه أسروا وقتلوا تقتيلاً ما داموا مقيمين على النفاق ونشر الأخبار الكاذبة بين المسلمين بغرض الفتنة والفساد.

قوله تعالى: {لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة} [الأحزاب : ٦٠]، أي: "لئن لم يكف الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإيمان والذين في قلوبهم شك وريبة، والذين ينشرون الأخبار الكاذبة في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبائحهم وشرورهم"^(٤).
عن أبي رزين، قال: "«{المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة}، قال: هم شيء واحد»، يعني: أنهم قد جمعوا هذه الأشياء"^(٥).

عن قتادة، والحسن: " { لئن لم ينته المنافقون}، عن إظهار ما في قلوبهم من النفاق"^(٦).

وفي قوله تعالى: {والذين في قلوبهم مرض} [الأحزاب : ٦٠]، قولان:

أحدهما: أنهم الزناة، قاله عكرمة^(٧)، وقاتدة^(٨)، والسدي^(٩)، وأبو صالح^(١٠).

وقال عطاء: " كانوا مؤمنين، وكان في أنفسهم أن يزنوا"^(١١).

قال السدي: " كان النفاق على ثلاثة وجوه. نفاق مثل نفاق عبد الله بن نبتل، ومالك بن داعم، فكان هؤلاء وجوها من وجوه الأنصار، فكانوا يستحبون أن يأتوا الزنا يصونون بذلك أنفسهم، {والذين في قلوبهم مرض}، قال: الزنا إن وجدوه عملوه، وإن لم يجدوه لم يبتغوه. ونفاق يكابرون النساء مكابرة، وهم هؤلاء الذين كانوا يكابرون النساء"^(١٢).

الثاني: أصحاب الفواحش والقبائح، قاله سلمة بن كهيل^(١٣)، وعطاء^(١٤)، وعكرمة -في رواية أخرى-^(١٥).
ومعنى القولين متقارب^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٥): ص ٨٩٦/٣

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٠٥): ص ٢١٥٩/٧

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٢٧): ص ١٩٩٢/٦

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٦

(٥) تفسير القرطبي: ٢٤٥/١٤

(٦) النكت والعيون: ٤٢٤/٤

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٠-٣٢٧، وتفسير عبدالرزاق (٢٣٨٠)، (٢٣٨١): ص ٥٢/٣

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٠

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٧٩٦): ص ٣١٥٦/١٠

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٠

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٩٥): ص ٣١٥٦/١٠

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٩٦): ص ٣١٥٦/١٠

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٢٤/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٥/١٤

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٧٩٤): ص ٣١٥٦/١٠

(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٧٩٣): ص ٣١٥٦/١٠

وفي قوله تعالى: {وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ} [الأحزاب : ٦٠]، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنهم الذين يكاثرون النساء ويتعرضون لهن ، قاله السدي^(١).
الثاني : أنهم الذين يذكرون من الأخبار ما يضعف به قلوب المؤمنين وتقوى به قلوب المشركين قاله قتادة^(٢).
قال قتادة: "الإرجاف: الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق، وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدة. وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله بهذه الآية قوله: {لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض ...} الآية، فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه"^(٤).
قال أهل العلم: قوله تعالى: {لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض}، [الآية: ٦٠]. فيه دليل على تحريم الإيذاء بالإرجاف^(٥).
قوله تعالى: {لنُعْرِبَنَّكَ بِهِمْ} [الأحزاب : ٦٠]، أي: "نسلبُكَ عليهم"^(٦).
قال قتادة: "أي: لنحملنك عليهم لنحرضنك بهم"^(٧).
قال السدي: "يقول: لنعلمنك بهم"^(٨).
قال المفسرون: "وقد أغري بهم، فقبل له {جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} [التوبة : ٧٣]. وقال يوم الجمعة: «أخرج يا فلان من المسجد فانك منافق. قم يا فلان فانك منافق»^(٩)،^(١٠).
قوله تعالى: {ثُمَّ لَمْ يُجَاوِرُوا فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب : ٦٠]، أي: "ثم لا يسكنون معك فيها إلا زمناً قليلاً"^(١١).
عن قتادة: "ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً"، أي: بالمدينة"^(١٢).
قوله تعالى: {مَلْعُونِينَ} [الأحزاب : ٦١]، أي: "مطرودين من رحمة الله"^(١٣).
عن قتادة: "ملعونين"، على كل حال"^(١٤).
قال السدي: "ثم قال: {ملعونين} ثم فصله في الآية {أينما ثقفوا} يعملون هذا العمل مكابرة النساء"^(١٥).

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٤٥/١٤.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٢٤/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٠.

(٥) أحكام القرآن: ٣٥٠/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٩٦): ص ٣١٥٦/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٤١/١٤، وابن أبي حاتم (١٠٣٠٣): ص ١٨٧٠/٦ "عن ابن عباس في قول الله: {وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق} ، إلى قوله: {عذاب عظيم}، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة، فقال: أخرج يا فلان، فإنك منافق. أخرج، يا فلان، فإنك منافق. فأخرج من المسجد ناساً منهم، فضحهم. فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد، فاخْتَبَأَ منهم حياءً أنه لم يشهد الجمعة، وظن أن الناس قد انصرفوا، واخْتَبَأُوا هم من عمر، ظنوا أنه قد علم بأمرهم. فجاء عمر فدخل المسجد، فإذا الناس لم يصلوا، فقال له رجل من المسلمين: أبشر، يا عمر، فقد فضح الله المنافقين اليوم! فهذا العذاب الأول، حين أخرجهم من المسجد. والعذاب الثاني، عذاب القبر".
الخير إسناده واه، لأجل حسين بن عمرو العنقزي عن أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس به.

(١٠) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٤/٣.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٠.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٩٦): ص ٣١٥٦/١٠.

قوله تعالى: {أَيْنَمَا تَقِفُوا أَخْذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا} [الأحزاب : ٦١]، أي: "أينما وجدوا وأدركوا أخذوا على وجه الغلبة والقهر ثم قُتلوا لكفرهم بالله تقتيلاً"^(١).
 عن قتادة: "إذا هم أظهروا النفاق"^(٢).
 قال السدي: "هذا حكم في القرآن ليس يعمل به. لو أن رجلاً أو أكثر من ذلك اقتصوا أثر امرأة فغلبوها على نفسها، ففجروا بها كان الحكم فيهم غير الجلد والرجم أن يؤخذوا فتضرب أعناقهم"^(٣).

القرآن

{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب : ٦٢]

التفسير:

سنة الله وطريقته في منافقي الأمم السابقة أن يؤسروا ويُقتلوا أينما كانوا، ولن تجد -أيها النبي- لطريقة الله تحويلاً ولا تغييراً.

قوله تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} [الأحزاب : ٦٢]، أي: "سنة الله وطريقته في منافقي الأمم السابقة أن يؤسروا ويُقتلوا أينما كانوا"^(٤).

قال قتادة: "يقول: هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق"^(٥).

قال السدي: "كذلك كان يفعل بمن مضى من الأمم"^(٦).

قوله تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب : ٦٢]، أي: "ولن تجد -أيها النبي- لطريقة الله تحويلاً ولا تغييراً"^(٧).

قال السدي: "فمن كابر امرأة على نفسها فغلبها فقتل، فليس على قاتله دية، لأنه مكابر"^(٨).

القرآن

{يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} [الأحزاب : ٦٣]

التفسير:

يسألك الناس -أيها الرسول- عن وقت القيامة استبعاداً وتكذيباً، قل لهم: إنما علم الساعة عند الله، وما يدريك -أيها الرسول- لعل زمانها قريب؟

سبب النزول:

قال الكلبي: "إن أهل مكة سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الساعة وعن قيامها فنزلت هذه الآية"^(٩).

(١) صفوة التفاسير: ٤٩٤/٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٩٦): ص ٣١٥٦/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٩٦): ص ٣١٥٦/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٩٦): ص ٣١٥٦/١٠.

(٩) ذكره عنه الواحدي في "التفسير البسيط": ٢٩٧/١٨، ولم أرف عليه منسوباً للكلبي وقد ذكر السمرقندي في "بحر العلوم" ٦١/٣ قريباً منه غير منسوب لأحد، وكذا ابن الجوزي في "زاد المسير" ٤٩٣/٦.

وقال مقاتل: " وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يخطب، فسأله رجل عن الساعة فأوحى الله- عز وجل- إلى النبي- صلى الله عليه وسلم-: { قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ }، يعني: القيامة، {تَكُونُ قَرِيبًا}"^(١).
 قوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} [الأحزاب : ٦٣]، أي: " وما يدريك -أيها الرسول- لعل زمانها قريب؟"^(٢).
 قال عون بن عبد الله بن غنية: " {لعل} من الله واجب"^(٣).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦)} [الأحزاب : ٦٤-٦٦]
 التفسير:

إن الله طرد الكافرين من رحمته في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم في الآخرة ناراً موقدة شديدة الحرارة، ماكتئين فيها أبداً، لا يجدون ولياً يتولاهم ويدافع عنهم، ولا نصيراً ينصرهم، فيخرجهم من النار. يوم تُقَلَّبُ وجوه الكافرين في النار يقولون نادمين متحيرين: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا رسوله في الدنيا، فكنا من أهل الجنة.
 قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا} [الأحزاب : ٦٤]، أي: " إن الله طرد الكافرين من رحمته في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم في الآخرة ناراً موقدة شديدة الحرارة"^(٤).
 عن سعيد بن جبیر، قال: "السعير: وادي من فيح في جهنم"^(٥).
 قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب : ٦٥]، أي: " ماكتئين فيها أبداً، لا يجدون ولياً يتولاهم ويدافع عنهم، ولا نصيراً ينصرهم"^(٦).
 عن سعيد بن جبیر: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"^(٧).

القرآن

{وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأُصَلِّبْنَا السَّيْلَ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)} [الأحزاب : ٦٧-٦٨]
 التفسير:

وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك، فأزالونا عن طريق الهدى والإيمان. ربنا عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا به، واطردهم من رحمتك طرداً شديداً.
 قوله تعالى: {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأُصَلِّبْنَا السَّيْلَ} [الأحزاب : ٦٧]، أي: " وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك، فأزالونا عن طريق الهدى والإيمان"^(٨).
 عن قتادة، قوله: " {ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا}، أي: رؤوسنا في الشر والشرك"^(٩).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٦): ص ١٠٨/١، وانظر: الدر المنثور: ٨٥/١، وزاد نسبه إلى أبي الشيخ.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٠): ص ٩٨٢/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٥٩): ص ٨٩١/٣، و (١٠٥٠٠): ص ١٨٣٣/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٠.

وقال طاووس : «سادتنا»: يعني: الأشراف ، و«كبراءنا»: يعني العلماء^(١) .
 وقرأ الحسن : «إنا أطعنا ساداتنا»، بكسر التاء، لأنه جمع مسلم لـ«سادة»^(٢) .
 قوله تعالى: {رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} [الأحزاب : ٦٨] ، أي: "ربنا عذبهم
 من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا به واطردهم من رحمتك طردًا شديدًا"^(٣) .
 عن قتادة: "رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ" ، يعني بذلك جهنم^(٤) .
 عن عبيد الله بن أبي رافع، في تسمية مَنْ شهد مع علي ، رضي الله عنه : "الحجاج بن عمرو بن
 غزِيَّة ، وهو الذي كان يقول عند اللقاء : يا معشر الأنصار ، أتريدون أن تقولوا لربنا إذا لقيناه: {رَبَّنَا إِنَّا
 أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}؟"^(٥) .

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)}
 [الأحزاب : ٦٩]

التفسير:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه لا تؤذوا رسول الله بقول أو فعل، ولا تكونوا أمثال الذين
 آذوا نبيّ الله موسى، فبرّاه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور، وكان عند الله عظيم القدر والجاه.
 قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأحزاب : ٦٩] ، أي: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا
 بشرعه"^(٦) .

عن خيثمة قال: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها
 المساكين»"^(٧) .

قوله تعالى: {لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا} [الأحزاب : ٦٩] ، أي: "تؤذوا رسول
 الله بقول أو فعل، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا نبيّ الله موسى، فبرّاه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور"^(٨) .
 عن الحسن ، وقتادة، في قوله تعالى: {لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا} [الأحزاب:
 ٦٩] قال: إن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة فلا يستنثرون ، وكان موسى رجلا حبيبا لا يفعل ذلك ، فكانوا
 يقولون ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فاغتسل يوما ووضع ثوبه على حجر فسعى الحجر بثوبه
 فأتبعه موسى يسعى خلفه ويقول: «ثوبي يا حجر ، ثوبي يا حجر ، حتى مر على بني إسرائيل فنظروا إليه
 فرأوه بريئا مما كانوا يقولون ، فأدرك الحجر فأخذ ثوبه"^(٩) .
 عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: " {لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى} ، قال: قالوا هو آدر
 قال: فذهب موسى يغتسل، فوضع ثيابه على حجر فمر الحجر بثيابه فتبع موسى قفاه، فقال: ثيابي حجر.
 فمر بمجلس بني إسرائيل، فرأوه؛ فبرّاه الله مما قالوا (وكان عند الله وجيهاً)"^(١٠) .

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٤٨٤: ٦.

(٢) إعراب القرآن: ٢٢٤/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٩٩):ص٣١٥٧/١٠.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٣/٣).

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٤):ص١٦٦٩/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٩) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٢):ص٥٣/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٠.

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه، ثم قال: «رحمة الله على موسى لقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر»" (١).

قوله تعالى: {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} [الأحزاب : ٦٩]، أي: "وكان عند الله عظيم القدر والجاه" (٢).
 عن الحسن، قوله: "وكان عند الله وجيهاً"، قال: مستجاب الدعوة" (٣).
 عن سنان، عن حدثه في قوله: "وكان عند الله وجيهاً"، قال: ما سأل موسى عليه السلام ربه شيئاً قط إلا أعطاه إياه إلا النظر" (٤).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب : ٧٠]

التفسير:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، اعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته؛ لئلا تستحقوا بذلك العقاب، وقولوا في جميع أحوالكم وشؤونكم قولاً مستقيماً موافقاً للصواب خالياً من الكذب والباطل.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} [الأحزاب : ٧٠]، أي: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، راقبوا الله في جميع أقوالكم وأفعالكم" (٥).
 قال السدي: "يعني: وحدوا الله" (٦).

قوله تعالى: {وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب : ٧٠]، أي: "وقولوا قولاً مستقيماً مرضياً لله" (٧).

عن مجاهد: "وقولوا قولاً سديداً"، يقول: سداداً" (٨).

قال قتادة: "أي: عدلاً، يعني به: في منطقه وفي عمله كله، و«السديد»: الصدق" (٩).

عن عكرمة، قوله: "وقولوا قولاً سديداً"، قولوا: لا إله إلا الله" (١٠).

عن أبي موسى الأشعري، قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر، ثم قال «على مكانكم اثبتوا، ثم أتى الرجال فقال: إن الله أمرني أن أمركم أن تتقوا الله وأن تقولوا قولاً سديداً ثم أتى النساء فقال: إن الله أمرني أن أمركن أن تتقين الله وأن تقلن قولاً سديداً»" (١١).

القرآن

{يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب : ٧١]

[٧١]

التفسير:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٠٣) :ص ٣١٥٨/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٠٤) :ص ٣١٥٨/١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٠٥) :ص ٣١٥٨/١٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير" / ٧٤١/٢.

(٧) صفوة التفاسير: ٤٩٥/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٠٦) :ص ٣١٥٨/١٠.

إذا اتقيتم الله وقلتم قولا سديداً أصلح الله لكم أعمالكم، وغفر ذنوبكم. ومن يطع الله ورسوله فيما أمر ونهى فقد فاز بالكرامة العظمى في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: {يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [الأحزاب : ٧١]، أي: "إذا اتقيتم الله وقلتم قولا سديداً أصلح الله لكم أعمالكم ويمحو عنكم الذنوب والأوزار"^(١).

عن الحسن: {يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}، قال: "إن الله لا يقبل عمل عبد حتى يرضى قوله"^(٢).

القرآن

{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب : ٧٢]

التفسير:

إننا عرضنا الأمانة -التي ائتمن الله عليها المكلفين من امتثال الأوامر واجتناب النواهي- على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن أن لا يقمن بأدائها، وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه، إنه كان شديد الظلم والجهل لنفسه.

قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} [الأحزاب : ٧٢]، أي: "إننا عرضنا الأمانة -التي ائتمن الله عليها المكلفين من امتثال الأوامر واجتناب النواهي- على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن أن لا يقمن بأدائها"^(٣).

عن الحسن: "إننا عرضنا الأمانة على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة"^(٤).

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ}

[الأحزاب : ٧٢]، على أقوال:

أحدها : أنها الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدتها أثابها، وإن ضيعتها عذبها، فكرهت ذلك وعرضها على آدم فقبلها بما فيها، قاله مجاهد^(٥)، والحسن^(٦)، وابن جبير^(٧)، وقتادة^(٨)، والضحاك^(٩)، وأبو العالية^(١٠)، وابن جريج^(١١). وهو قول الجمهور^(١٢).

قال مجاهد: "لما خلق الله السموات والأرض والجبال، عرض الأمانة عليهن فلم يقبلوها، فلما خلق آدم عليه السلام عرضها عليه قال: يا رب، وما هي؟ قال: هي إن أحسنت أجرتك وإن أسأت عذبتك قال: فقد تحملت يا رب قال: فما كان بين أن تحملها إلى أن أخرج إلا قدر ما بين الظهر والعصر"^(١٣).

عن قتادة، قوله: " {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ}، يعني به: الدين والفرائض والحدود، {فأبين أن يحملنها وأشفقن منها}، قيل لهن: احملنها تؤدين حقها؟ فقلن: لا نطيق ذلك: {وحملها

(١) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٤١/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤٨٨/٣.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨١٥): ص ٣١٦٠/١٠.

(٦) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٣٨٤): ص ٥٤/٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٠-٣٤٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٨/٢٠، وتفسير عبدالرزاق (٢٣٨٥): ص ٥٤/٣.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨١١): ص ٣١٥٩/١٠.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨١٣): ص ٣١١٠/١٠.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٤٨٨/٣.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨١٥): ص ٣١٦٠/١٠.

الإنسان إنه كان ظلوما جهولا، قيل له: أتحملها؟ قال: نعم، قيل: أتؤدي حقها؟ قال: نعم، قال الله: إنه كان ظلوما جهولا عن حقها^(١).

عن ابن أشوع في الآية، قال: "عرض عليهن العمل وجعل لهن الثواب فضجبن ثلاثة أيام ولياليهن، فقلن: ربنا لا طاقة لنا بالعمل ولا نريد الثواب"^(٢).

وقال أهل العلم: "الأمانة قطب الإيمان"^(٣).

قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: "لا إيمان لمن لا أمانة له"^(٤).

الثاني: أنها الأمانات التي يأتين الناس بعضهم بعضاً عليها وأولها انتمان آدم ابنه قابيل على أهله ، وولده حين أراد التوجه إلى أمر ربه فخان قابيل الأمانة في قتل أخيه هابيل ، قاله السدي^(٥).

روي عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى ولد له اثنان، يقال لهما: قابيل وهابيل، وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب زرع، وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل، فأبى عليه وقال: هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوجها فأمره أبوه أن يزوجه هابيل فأبى، وإنهما قربا قربانا إلى الله أيهما أحق بالجارية، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما، أي بمكة ينظر إليهما، قال الله لآدم: يا آدم هل تعلم أن لي بيتا في الأرض؟ قال: اللهم لا قال: إن لي بيتا بمكة فأتته، فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبى، وقال للأرض فأبى، فقال للجبال فأبى، فقال لقابيل فقال: نعم، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم وقربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فيقول: أنا أحق بها منك؛ هي أختي، وأنا أكبر منك، وأنا وصي والدي، فلما قربا، قرب هابيل جذعة سمينة وقرب هابيل حزمة سنبل، فوجد فيها سنبل عظيمة ففركها فأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي فقال هابيل {إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ... } إلى قوله {فطوعت له نفسه قتل أخيه} فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رعوس الجبال، وأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات، وتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن؛ فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حنأ عليه فلما رآه قال: {ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي} فهو قول الله تبارك وتعالى: {فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه} فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه فذلك حين يقول: {إننا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ... } إلى آخر الآية^(٦).

عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها، أو قال: يكفر كل شيء إلا الأمانة؛ يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أي رب وقد ذهبت الدنيا، ثلاثا. فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية، فيذهب به إليها، فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها، فيجدها هناك كهينتها، فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت،

(١) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٠-٣٤٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٨١٦):ص٣١٦٠/١٠.

(٣) تفسير السمعاني: ٣١٢/٤.

(٤) قطعة من حديث أخرجه الطبراني (٢١٣/١١، رقم ١١٥٣٢) قال الهيثمي (١٧٢/١) : فيه حسين بن قيس الملقب بحنش، وهو متروك الحديث. وأخرجه أيضا: أبو يعلى (٣٤٣/٤، رقم ٢٤٥٨).

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤١/٢٠-٣٤٢، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٢٩/٤-٤٣٠، وابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٧/٣-٤٨٨. بدون إسناد.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٠-٣٤٢، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير-مختصرا-: ٤٨٧/٣-٤٨٨. بدون إسناد.

فهوى في أثرها أبدأ الأبدین". قالوا: والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع، فلقیت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق^(١).

الثالث: أنها انتمان الرجال والنساء على الفروج، ذكره أبو حازم^(٢).

روي عن أبي حازم، قال: "إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا فأبت ثم التي تليها حتى فرغ منها، ثم الأرضين ثم الجبال، ثم عرضها على آدم فقال: نعم بين أذني وعاتقي. فثلاث أمرت بهن فإنهن لك عون: إني جعلت لك لسانا بين لحيين فكفه عن كل شيء نهيتك عنه، وجعلت لك فرجا وواريته فلا تكشفه إلى ما حرمت عليك"^(٣).

وعن أبي حمزة السكري، أنه قال: "إني أعلم من نفسي أني أؤدي الأمانة في مائة ألف دينار، ومائة ألف دينار، ومائة ألف دينار إلى أن ينقطع النفس، ولو باتت عندي امرأة وأتمنت عليها خفت ألا أسلم منها"^(٤).

وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عُوقِبَ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا مَنْ وفق الله، وبالله المستعان^(٥).

قوله تعالى: {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ} [الأحزاب : ٧٢]، أي: "وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه"^(٦). وفي المراد بالإنسان، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه آدم-عليه السلام-. قاله أبو العالية^(٧)، وهو قول الجمهور^(٨).

وعن الحسن، قال: "أنه آدم ثم انتقلت منه إلى ولده"^(٩).

وحكي عن بعض المفسرين: "إن آدم لما حضرته الوفاة قال: يا رب! من أستخلف بعدي؟ فقيل له: عرض خلافتك على جميع الخلق، فعرضها، فكل أباه غير ولده"^(١٠).

الثاني: قابيل. في قول السدي^(١١).

الثالث: المنافق والمشرك، قاله الحسن^(١٢).

قال الحسن: "هما اللذان ظلماها، هما اللذان خانها: المنافق والمشرك"^(١٣).

قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب : ٧٢]، أي: "إنه كان شديد الظلم والجهل لنفسه"^(١٤).

قال قتادة: "ظلوما لها، يعني: الأمانة، جهولا عن حقها"^(١٥).

قال ابن جريج: "إنه كان ظلوما ظلمه نفسه في خطيئته، جهولا بعاقبة ما تحمل"^(١٦).

(١) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٤٠-٣٤١/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٤٠-٣٤١/٢٠.

(٤) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٣١١/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٨٩/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨١١): ص ٣١٥٩/١٠.

(٨) انظر: زاد المسير: ٤٨٨/٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٤.

(١٠) غريب القرآن: ٣٥٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٤١/٢٠، حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٢٩/٤-٤٣٠، وابن الجوزي في زاد

المسير: ٤٨٧/٣-٤٨٨. بدون إسناد.

(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٨٠/١، وزاد المسير: ٤٨٨/٣.

(١٣) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٣٨٠/١.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١٥) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

القرآن

{لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٧٣]

التفسير:

لتكون عاقبة حمل الإنسان الأمانة أن يعذب الله المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُخفون الكفر، والمنافقات، والمشركين في عبادة الله غيره، والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بستر ذنوبهم وترك عقابهم. وكان الله غفورًا للتائبين من عباده، رحيمًا بهم.

قوله تعالى: {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ} [الأحزاب : ٧٣]، أي: "لتكون عاقبة حمل الإنسان الأمانة أن يعذب الله المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُخفون الكفر، والمنافقات، والمشركين في عبادة الله غيره، والمشركات"^(٢).

عن قتادة: " {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ}، هذان اللذان خانها"^(٣).

قال الحسن: " اللذان خانها اللذان ظلمهاها: المنافق والمُشرك"^(٤).

قوله تعالى: {وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب : ٧٣]، أي: " ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بستر ذنوبهم وترك عقابهم"^(٥).
الميثاق"^(٦).

عن قتادة: " {ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات}، هذان اللذان أدياها"^(٧).

وقرئ الحسن « وَيَتُوبُ » بالرفع يقطع من الأول، أي: يتوب الله عليهم بكل حال^(٨).

قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٧٣]، أي: " وكان الله غفورًا للتائبين من عباده، رحيمًا بهم"^(٩).

عن قتادة: " قوله: {غفور}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"^(١٠)، " {رحيم}، بعباده"^(١١).

عن عطاء بن دينار، قوله: " {غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"^(١٢).

عن سعيد بن جبير، قوله: " {الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيمًا بالمؤمنين"^(١٣).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: " أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليعفر"^(١٤).

«آخر تفسير سورة (الأحزاب)، والحمد لله وحده»

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨١٣): ص ٣١٥٩/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١١/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(٨) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥٨/١٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٠٣): ص ٩١٥/٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٥): ص ٨٩٦/٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٠٥): ص ٢١٥٩/٧.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٢٧): ص ١٩٩٢/٦.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تفسير سورة «سبأ»

سورة «سبأ»: هي السورة «الرابعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثامنة والخمسون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «لقمان»^(١). عدد آياتها خمس وخمسون في عد الشام، وأربع في عد الباقي. وكلماتها ثمانمائة وثمانون. وحروفها أربعة آلاف وخمسمائة واثنان عشر^(٢). والمختلف فيها آية واحدة: {عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ : ١٥]، فواصل آياتها: «ظن لمدير»^(٣).

■ مكان نزول السورة:

في مكان نزول السورة، قولان:
أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٤)، وقتادة^(٥)، ويحيى بن سلام^(٦).
قال ابن الجوزي: "هي مكة بإجماعهم"^(٧).
قال الفيروزآبادي: "السورة مكة بالاتفاق"^(٨).
الثاني: أنها مكة إلا قوله تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)} [سبأ : ٦]، نزلت في مدينة. وهذا قول الضحاك^(٩)، وابن السائب^(١٠)، ومقاتل^(١١)، وبه قال الزمخشري^(١٢).
قال مقاتل: "وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ {بِاللَّهِ- عز وجل-، يعني: مؤمني أهل الكتاب"^(١٣).
قال ابن عاشور: "عن مقاتل أن آية: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}، إلى قوله: {الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سبأ: ٦] نزلت بالمدينة، ولعله بناء على تأويلهم أهل العلم إنما يراد بهم أهل الكتاب الذين أسلموا مثل عبد الله بن سلام. والحق أن الذين أوتوا العلم هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"^(١٤).

-
- (١) انظر: الكشاف: ٥٦٦/٣.
 - (٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٨٢.
 - (٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
 - (٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٦٧٣، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
 - (٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٦٧٣، وعزاه إلى ابن المنذر.
 - (٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٤/٢.
 - (٧) زاد المسير: ٤٨٩/٣.
 - (٨) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز: ١/ ٣٨٢.
 - (٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٩/٣. بدون إسناد.
 - (١٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٩/٣. بدون إسناد.
 - (١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.
 - (١٢) انظر: الكشاف: ٥٦٦/٣.
 - (١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.
 - (١٤) التحرير والتنوير: ١٣٣/٢٢.

القرآن

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١)} [سبأ : ١]

التفسير:

الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض، وله الثناء التام في الآخرة، وهو الحكيم في فعله، الخبير بشؤون خلقه.

قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ} [سبأ : ١]، أي: "الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض، وله الثناء التام في الآخرة"^(١).

قال كعب: "«الحمد لله»: ثناء على الله"^(٢).

قال الضحاك: "«الحمد لله»: رداء الرحمن"^(٣).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"^(٤).

قوله تعالى: {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [سبأ : ١]، أي: "وهو الحكيم في فعله، الخبير بشؤون خلقه"^(٥).

قال قتادة: "حكيم في أمره، خبير بخلقته"^(٦).

القرآن

{يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)} [سبأ : ٢]

التفسير:

يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه، وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق. وهو الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} [سبأ : ٢]، أي: "يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه"^(٧).

عن السدي: "يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ"، قال: من المطر. {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} قال: من النبات"^(٨). وروي عن الضحاك مثله"^(٩).

قوله تعالى: {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} [سبأ : ٢]، أي: "وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٧٤) ص: ١٤٧٩/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٧٥) ص: ١٤٧٩/٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧٢) ص: ١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٤٦/٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٦٨) ص: ٣١٦١/١٠.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٣٢/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٨.

عن السدي: "وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ"، قال: الملائكة. {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}، قال: الملائكة^(١). وروي عن الضحاك نحوه^(٢).
 قوله تعالى: {وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ} [سبأ : ٢]، أي: "وهو الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه"^(٣).
 عن قتادة: "قوله: {غفور}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"^(٤)، " {رحيماً}، بعباده"^(٥).
 عن عطاء بن دينار، قوله: " {غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"^(٦).
 عن سعيد بن جبير، قوله: " {الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيماً بالمؤمنين"^(٧).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)} [سبأ : ٣-٤]
 التفسير:

وقال الكافرون المنكرون للبعث: لا تأتينا القيامة، قل لهم -أيها الرسول-: بلى وربّي لتأتينكم، ولكن لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى الله علام الغيوب، الذي لا يغيب عنه وزن نملة صغيرة في السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا هو مسطور في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ؛ ليثيب الذين صدّقوا بالله، وآتبعوا رسوله، وعملوا الصالحات. أولئك لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم، وهو الجنة.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ} [سبأ : ٣]، أي: "وقال الكافرون المنكرون للبعث: لا تأتينا القيامة، قل لهم -أيها الرسول-: بلى وربّي لتأتينكم، ولكن لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى الله علام الغيوب"^(٨).

عن قتادة، قوله: {قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ}: "يقول: بلى، وربّي عالم الغيب، لتأتينكم"^(٩).

عن الحسن: " {الغيب} في هذا الموضع: ما لم يكن"^(١٠).
 قوله تعالى: {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [سبأ : ٣]، أي: "الذي لا يغيب عنه وزن نملة صغيرة في السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا هو مسطور في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ"^(١١).

عن مجاهد: " {لا يعزب عنه}، قال: لا يغيب"^(١٢).
 قوله تعالى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [سبأ : ٤]، أي: "ليثيب الذين صدّقوا بالله، وآتبعوا رسوله، وعملوا الصالحات"^(١٣).

(١) أخرج ابن أبي حاتم (١٧٨٦٨): ص ٣١٦١/١٠.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٣٢/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٤) أخرج ابن أبي حاتم (٥١٠٣): ص ٩١٥/٣.

(٥) أخرج ابن أبي حاتم (٤٤٩٥): ص ٨٩٦/٣.

(٦) أخرج ابن أبي حاتم (١١٧٠٥): ص ٢١٥٩/٧.

(٧) أخرج ابن أبي حاتم (١٠٦٢٧): ص ١٩٩٢/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٩) علقه يحيى بن سلام ٧٤٥/٢.

(١٠) أخرج عبد الرزاق ١٢٦/٢. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(١٢) أخرج الطبري: ٣٥٠/٢٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٢٨.

عن السُّدِّيِّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم^(١).
 قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [سبأ : ٤]، أي: "أولئك لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم، وهو الجنة"^(٢).
 عن قتادة: " {أولئك لهم مغفرة} لذنوبهم، {ورزق كريم}: في الجنة"^(٣).

القرآن

{وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (٥)} [سبأ : ٥]
 التفسير:

والذين سعوا في الصدِّ عن سبيل الله وتكذيب رسله وإبطال آياتنا مشاقين الله مغالبيين أمره، أولئك لهم أسوأ العذاب وأشدّه ألماً.
 قوله تعالى: {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [سبأ : ٥]، أي: "والذين سعوا في الصدِّ عن سبيل الله وتكذيب رسله وإبطال آياتنا مشاقين الله مغالبيين أمره"^(٤).
 عن قتادة: " {والذين سعوا في آياتنا معاجزين}، قال: أي: لا يعجزون"^(٥).
 وقرئ: «معجزين»^(٦).
 قوله تعالى: {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [سبأ : ٥]، أي: "أولئك لهم أسوأ العذاب وأشدّه ألماً"^(٧).
 قال قتادة: "الرجز: هو العذاب الأليم الموجع"^(٨).
 وقرئ: «أليم»، بالرفع والجر^(٩).

القرآن

{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)} [سبأ : ٦]
 التفسير:

ويعلم الذين أعطوا العلم أن القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ويرشد إلى طريق الله، العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قهر كل شيء وغلبه، المحمود في أقواله وأفعاله وشرعه.
 قوله تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ} [سبأ : ٦]، أي: "ويعلم الذين أعطوا العلم أن القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق"^(١٠).
 عن السدي: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}، قال: "ويعلم الذين أوتوا العلم"^(١١).

(١) علقه يحيى بن سلام ٦١٨ / ٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٥١ / ٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٦٩): ص ٣١٦١ / ١٠.

(٦) انظر: الكشاف: ٥٦٨ / ٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٦٩): ص ٣١٦١ / ١٠.

(٩) انظر: الكشاف: ٥٦٨ / ٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(١١) علقه يحيى بن سلام ٧٤٦ / ٢.

عن الضحاك، قوله: "ويرى الذين أوتوا العلم، قال: الذين أوتوا الحكمة من قبل، قال: يعني المؤمنين من أهل الكتاب"^(١).

وروي عن قتادة: "ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، قال: أصحاب محمد"^(٢).

قوله تعالى: {وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سبأ : ٦]، أي: "ويرشد إلى طريق الله، العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قهر كل شيء وغلبه، المحمود في أقواله وأفعاله وشرعه"^(٣).
قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"^(٤).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبِينُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧)} [سبأ : ٧]
التفسير:

وقال الذين كفروا بعضهم لبعض استهزاء: هل ندلكم على رجل (يريدون محمداً صلى الله عليه وسلم) يخبركم أنكم إذا متم وتفرقت أجسامكم كل تفرق، إنكم سئحيون وتبعثون من قبوركم؟
قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ} [سبأ : ٧]، أي: "وقال الذين كفروا بعضهم لبعض استهزاء: هل ندلكم على رجل (يريدون محمداً صلى الله عليه وسلم) يخبركم"^(٥).
قال قتادة: "قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس"^(٦).

قوله تعالى: {يَبِينُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ} [سبأ : ٧]، أي: "يخبركم أنكم إذا متم وتفرقت أجسامكم كل تفرق، إنكم سئحيون وتبعثون من قبوركم"^(٧).
عن قتادة: " {يَبِينُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ} إذا أكلتكم الأرض وصرتم رفاتا وعظاما وقطعتكم السباع والطير {إنكم لفي خلق جديد} سئحيون وتبعثون"^(٨).

القرآن

{أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨)} [سبأ : ٨]
التفسير:

هذا الرجل أخلق على الله كذباً أم به جنون، فهو يتكلم بما لا يدري؟ ليس الأمر كما قال الكفار، بل محمد أصدق الصادقين. والذين لا يصدقون بالبعث ولا يعملون من أجله في العذاب الدائم في الآخرة، والضلال البعيد عن الصواب في الدنيا.

قوله تعالى: {أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ} [سبأ : ٨]، أي: "هذا الرجل هل أخلق الكذب على الله أم به جنون، فهو يتكلم بما لا يدري"^(٩).
قال قتادة: "قالوا تكذيباً: {أفترى على الله كذباً} قال: قالوا: إما أن يكون يكذب على الله {أم به جنة} وإما أن يكون مجنوناً {بل الذين لا يؤمنون ...}، الآية"^(١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٧٠): ص ٣١٦١/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٠، وابن أبي حاتم (١٧٨٧١): ص ٣١٦١/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٠، وابن أبي حاتم (١٧٨٧١): ص ٣١٦١/١٠.

(٩) انظر: صفوة التفاسير: ٥٠١/٢.

قوله تعالى: {بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ} [سبأ : ٨]، أي: "ليس الأمر كما يزعمون من الكذب والجنون، بل الذي يجحدون البعث ولا يصدقون بالآخرة"^(٢).
عن السدي: {الضلال البعيد}، يعني: "الشقاء الطويل"^(٣).

القرآن

{أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نَحْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩)} [سبأ : ٩]

التفسير:

أفلم ير هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة عظيم قدرة الله فيما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض مما يبهر العقول، وأنهما قد أحاطتا بهم؟ إن نشأ نحسف بهم الأرض، كما فعلنا بقارون، أو ننزل عليهم قطعاً من العذاب، كما فعلنا بقوم شعيب، فقد أمطرت السماء عليهم ناراً فأحرقتهم. إن في ذلك الذي ذكرنا من قدرتنا لدلالة ظاهرة لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، ومقر له بتوحيده، ومخلص له في العبادة.

قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [سبأ : ٩]، أي: "أفلم ير هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة عظيم قدرة الله فيما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض مما يبهر العقول، وأنهما قد أحاطتا بهم؟"^(٤).

قال قتادة: "ينظرون عن أيانهم وعن شمالهم كيف السماء قد أحاطت بهم"^(٥).
قوله تعالى: {إِنَّ نَشْأَ نَحْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ} [سبأ : ٩]، أي: "إن نشأ نحسف بهم الأرض، كما فعلنا بقارون، أو ننزل عليهم قطعاً من العذاب، كما فعلنا بقوم شعيب"^(٦).
قال قتادة: "إن نشأ نحسف بهم الأرض"، كما خسفنا بمن كان قبلهم، {أو نسقط عليهم كسفا من السماء}، أي: قطعاً من السماء"^(٧).

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [سبأ : ٩]، أي: "إن في ذلك الذي ذكرنا من قدرتنا لدلالة ظاهرة لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، ومقر له بتوحيده، ومخلص له في العبادة"^(٨).
قال قتادة: "المنيب: المقبل التائب"^(٩).
عن مجاهد وعكرمة، قالوا: "المنيب: المخبت"^(١٠).

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠)} [سبأ : ١٠]

التفسير:

-
- (١) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٠.
(٢) صفة التفسير: ٥٠١/٢.
(٣) حكاة الماوردي في النكت والعيون: ٤٣٤/٤ عن السدي، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٥/٣، وتفسير يحيى بن سلام: ٧٤٧/٢.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٩.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٠.
(٦) التفسير الميسر: ٤٢٩.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٠.
(٨) التفسير الميسر: ٤٢٩.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٠.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٤٧): ص ٢٠٥٩/٦.

ولقد آتينا داود نبوة، وكتاباً وعلماً، وقلنا للجبال والطير: سبّحي معي، وألنا له الحديد، فكان كالعجين يتصرف فيه كيف يشاء.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا} [سبأ : ١٠]، أي: "ولقد آتينا داود نبوة، وكتاباً وعلماً"^(١). وقال أبو عثمان النهدي: "صليت خلف أبي موسى الأشعري فما سمعت صوت صنّج ولا برّبط ولا ناي أحسن من صوته"^(٢).

عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارة من مزامير آل داود»^(٣).

قوله تعالى: {يَا جِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ} [سبأ : ١٠]، أي: "وقلنا للجبال والطير: سبّحي معي"^(٤). عن ابن عباس: "أوبي معي، قال: سبّحي معي"^(٥). وروي عن مجاهد^(٦)، والضحاك^(٧)، وعطاء الخراساني^(٨)، والزهري^(٩)، وابن جريج^(١٠)، مثله. قال قتادة: "أي: سبّحي معي إذا سبح"^(١١).

عن أبي ميسرة: "يا جبال أوبي معي، قال: سبّحي بلسان الحبيشة"^(١٢) (١٣). قوله تعالى: {وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ} [سبأ : ١٠]، أي: "وجعلنا الحديد ليناً بين يديه حتى كان كالعجين"^(١٤). قال الحسن: "يصير في يده مثل العجين، فيصنع منه الدروع"^(١٥). قال قتادة: "لينه الله فكان يعمل به بغير نار"^(١٦). قال قتادة: "سخر الله له الحديد بغير نار"^(١٧). قال قتادة: "كان يسويها بيده ولا يدخلها ناراً ولا يضربها بحديدة"^(١٨).

(١) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٢) مسند أبي عوانة (٤٣٦٢): ص ١١/١٢٩، ورواه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ١٩٠، ٤/ ٢٧٩، وابن سعد في الطبقات ٤/ ١٠٨، بالفاظ متقاربة. وقال الحافظ في الفتح ٩/ ٩٣: "وأخرج ابن أبي داود من طريق أبي عثمان النهدي قال: دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت ... فذكره. وقال: سنده صحيح، وهو في الحلية لأبي نعيم. اهـ. ولم أقف عليه في الحلية. صنّج: الصنّج العربي: هو الذي يكون في الدفوف ونحوه، فأما الصنّج ذو الأوتار فدخيل معرب، تختص به المعجم، وقد تكلمت به العرب. لسان العرب ٢/ ٣١١.

(٣) صحيح بخاري (٥٠٤٨): ص ٦/١٩٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٥٧.

(٦) انظر: الصدر نفسه: ٣٥٨.

(٧) انظر: الصدر نفسه: ٣٥٨.

(٨) أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه ص ٨٩ (تفسير عطاء الخراساني).

(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/ ٩٣.

(١٠) أخرجه إسحاق البستي ص ١٤٥.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٥٨.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٥٧.

(١٣) قال ابن كثير: "وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سبّحي بلسان الحبيشة، وفي هذا نظر، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معي بأصواتها، وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه "الجمل" في باب النداء منه: { يَا جِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ } أي: سييري معي بالنهار كله، والتأويب: سير النهار كله، والإسَاد: سير الليل كله. وهذا لفظه، وهو غريب جداً لم أجده لغيره، وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة، لكنه بعيد في معنى الآية هاهنا. والصواب أن المعنى في قوله تعالى: { أُوْبِي مَعَهُ } أي: رجّعي معي مُسَبَّحة معي، كما تقدم، والله أعلم." [تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦].

(١٤) صفوة التفاسير: ٢/٥٠٢.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٧٤): ص ١٠/٣١٦٢.

(١٦) تفسير عبدالرزاق (٢٣٩٧): ص ٣/٥٧.

(١٧) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٥٩.

القرآن

{أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)} [سبأ : ١١]

التفسير:

أن اعمل دروعاً تامات واسعات وقدر المسامير في حلق الدروع، فلا تعمل الحلقة صغيرة فتضعف، فلا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تجعلها كبيرة فتثقل على لابسها، وامل يا داود أنت وأهلك بطاعة الله، إنني بما تعملون بصير لا يخفى علي شيء منها.

قوله تعالى: {أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ} [سبأ : ١١]، أي: "أن اعمل منه دروعاً تامات واسعات التي تقى الإنسان شر الحرب"^(٢).

قال قتادة: "دروع سابغات"^(٣).

عن قتادة: "أن اعمل سابغات": دروع وكان أول من صنعها داود، إنما كان قبل ذلك صفائح"^(٤).

قوله تعالى: {وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ} [سبأ : ١١]، أي: "وقدر في نسج الدروع بحيث تتناسب حلقاتها"^(٥).
قال مجاهد: "قدر المسامير والحلق؛ لا تدق المسامير فتسلس ولا تجلها، قال محمد بن عمرو: وقال الحارث: فتفصم"^(٦).

قال الحكم: "لا تغلظ المسامير فيفصم الحلقة ولا تدقه فيقلق"^(٧).

قال قتادة: "كان يجعلها بغير نار، ولا يقرعها بحديد، ثم يسردها. والسرد: المسامير التي في الحلق"^(٨).

عن وهب بن مئنه ما مضمونه: "أن داود، عليه السلام، كان يخرج متكرراً، فيسأل الركبان عنه وعن سيرته، فلا يسأل أحداً إلا أثنى عليه خيراً في عبادته وسيرته ومعدلته، صلوات الله وسلامه عليه. قال وهب: حتى بعث الله ملكاً في صورة رجل، فلقبه داود فسأله كما كان يسأل غيره، فقال: هو خير الناس لنفسه ولأتمته، إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملاً قال: ما هي؟ قال: يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين، يعني: بيت المال، فعند ذلك نصب داود، عليه السلام، إلى ربه في الدعاء أن يعلمه عملاً بيده يستغني به ويغني به عياله، فالأن له الحديد، وعلمه صنعة الدروع، فعمل الدرع، وهو أول من عملها، فقال الله: {أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ} يعني: مسامير الحلق، قال: وكان يعمل الدرع، فإذا ارتفع من عمله درع باعها، فتصدق بثلاثها، واشترى بثلاثها ما يكفيه وعياله، وأمسك الثلث يتصدق به يوماً بيوم إلى أن يعمل غيرها. وقال: إن الله أعطى داود شيئاً لم يعطه غيره من حسن الصوت، إنه كان إذا قرأ الزبور تسمع الوحش حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته. وكان شديد الاجتهاد، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير، وكان قد أعطي سبعين مزمراً في حلقة"^(٩).

القرآن

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٩، وصفوة التفسير: ٥٠٢/٢.

(٣) تفسير عبدالرزاق (٢٣٩٧): ص ٥٧/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٠.

(٥) صفوة التفسير: ٥٠٢/٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٠.

(٩) تاريخ دمشق (٧٠٨/٥) المخطوط.

{وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزْعُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢)} [سبأ : ١٢]

التفسير:
وسخّرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد، وأسلمنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء، وسخّرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة.

قوله تعالى: {وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزْعُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢)} [سبأ : ١٢]، أي: "وسخّرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد"^(١).

قال قتادة: "تغدو مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر، قال: مسيرة شهرين في يوم"^(٢).
قال الحسن: "كان يغدو فيقيل في إصطخر، ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل"^(٣).
قال ابن زيد: "كان له مركب من خشب، وكان فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت تركب فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان، يرفعون ذلك المركب هم والعصار فإذا ارتفع أتت الريح رخاء فسارت به وساروا معه، يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر، ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش والجنود"^(٤).

قال وهب بن منبه: "ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان؛ إما من الجن وإما من الإنس: نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنيها وجدناه، غدونا من إصطخر فقلناه، ونحن راحون منه إن شاء الله فبانتون بالشام"^(٥).

قوله تعالى: {وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ} [سبأ : ١٢]، أي: "وأسلمنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء"^(٦).

قال قتادة: "عين النحاس كانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان"^(٧).
قوله تعالى: {وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ} [سبأ : ١٢]، أي: "وسخّرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه"^(٨).

قال قتادة: "ليس كل الجن صخر له كما تسمعون: {ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه}"^(٩).
عن مجاهد: "{بإذن ربه}: بالسخرة التي سخرها الله له"^(١٠).
عن أبي ثعلبة الخشني: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الجن على ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون"^(١١).

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٢٩.
 - (٢) أخرج الطبري: ٣٦٢/٢٠.
 - (٣) أخرج الطبري: ٣٦٣/٢٠.
 - (٤) أخرج الطبري: ٣٦٣/٢٠.
 - (٥) أخرج الطبري: ٣٦٣/٢٠.
 - (٦) التفسير الميسر: ٤٢٩.
 - (٧) أخرج الطبري: ٣٦٣/٢٠-٣٦٤.
 - (٨) التفسير الميسر: ٤٢٩.
 - (٩) الدر المنثور: ٦/٦٧٨، واعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.
 - (١٠) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٤٩/٢.
 - (١١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٦/٤٩٩، قال ابن كثير: "رفعه غريب جداً".

قال الحسن: "الجن ولد إبليس ، والإنس ولد آدم ، ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون ، وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان"^(١).

عن ابن أنعم، أنه قال : "الجن ثلاثة : صنف لهم الثواب وعليهم العقاب ، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض ، وصنف حيات وكلاب"^(٢).

قوله تعالى: {وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ} [سبأ : ١٢]، أي: "ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة"^(٣).

عن مجاهد: "ومن يزغ منهم عن أمرنا} قال: من الجن"^(٤).
عن قتادة، قوله: "ومن يزغ منهم عن أمرنا}، أي: يعدل منهم عن أمرنا عما أمره به سليمان {نذقه من عذاب السعير}"^(٥).

القرآن

{يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣)} [سبأ : ١٣]
التفسير:

يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة، وصور من نحاس وزجاج، وقصاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء، وقدر ثابتات لا تتحرك من أماكنها لعظمتها، وقلنا يا آل داود: اعملوا شكرا لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتثال أمره، وقليل من عبادي من يشكر الله كثيرا.

قوله تعالى: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ} [سبأ : ١٣]، أي: "يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة، وصور من نحاس وزجاج"^(٦).

عن ابن جريج: "يعملون له ما يشاء من محارِبٍ وتمائيلٍ} قال: من شبه ورخام"^(٧).

عن مجاهد: "من محارِبٍ} قال: بنيان دون القصور {وتمائيلٍ} قال: من نحاس"^(٨).

عن عطية في الآية، قال: "المحارِب: القصور والتمائيل: الصور"^(٩).

عن قتادة: "من محارِبٍ} قال: قصور ومساجد {وتمائيلٍ} قال: من رخام وشبه"^(١٠).

عن الضحاك: "من محارِبٍ} قال: المساجد {وتمائيلٍ} قال: الصور"^(١١).

قوله تعالى: {وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ} [سبأ : ١٣]، أي: "وقصاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء"^(١٢).

عن مجاهد: "وجفان} قال: صحاف كالجوابي، قال: الجفنة مثل الجوبة من الأرض"^(١٣).

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٦.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٤) الدر المنثور: ٦٧٨/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٦٤/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٧) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٩) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٠) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(١١) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(١٣) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

عن قتادة: " {وجفان كالجواب} كالحياض" (١).
 عن عطية، قال: " {وجفان كالجواب} قال: كالجوبة من الأرض" (٢).
 عن الضحاك: " الصور {وجفان كالجواب} قال: كحياض الإبل العظام" (٣).
 قوله تعالى: {وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ} [سبأ : ١٣] ، أي: "وقدور ثابتات لا تتحرك من أماكنها لعظمن" (٤).
 عن مجاهد: " {وقدور راسيات} قال: عظام" (٥).
 عن سعيد بن جبیر : " {وقدور راسيات}، قال: عظام تفرغ أفراغاً" (٦).
 عن الضحاك: " {وقدور راسيات} قال: قدور عظام كانوا ينحتونها من الجبال" (٧).
 عن قتادة: " {وقدور راسيات} قال: ثابتات لا يزلن عن مكانهن كن يرين بأرض اليمن" (٨).
 قوله تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} [سبأ : ١٣] ، أي: " وقلنا يا آل داود: اعملوا شكرًا لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتثال أمره" (٩).
 قال ابن شهاب: "قولوا الحمد لله" (١٠).
 عن أبي عبد الرحمن الحبلي، قوله: " {اعملوا آل داود شكرًا}، فالصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير يعمل لله شكر؛ وأفضل الشكر الحمد" (١١).
 قال محمد بن كعب القرظي: "الشكر: تقوى الله والعمل الصالح" (١٢).
 وفي رواية: "الشكر تقوى الله والعمل بطاعته" (١٣).
 قال مجاهد: " قال داود لسليمان -عليهما السلام-: قد ذكر الله الشكر فاكفني قيام النهار أكفك قيام الليل، قال: لا أستطيع. قال: فاكفني صلاة النهار، فكفاه" (١٤).
 قال ثابت البناني: "كان داود ، عليه السلام ، قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة ، فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي ، فغمرتهم هذه الآية : { اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ }" (١٥).
 وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً. ولا يفتر إذا لاقى" (١٦).
 عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قالت أم سليمان بن داود لسليمان : يا بني ، لا تكثر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة" (١).

(١) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي شيبه وابن المنذر.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٥) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) الدر المنثور: ٦٨٠/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد.

(٧) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي شيبه وابن المنذر.

(٨) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(١٠) الدر المنثور: ٦٨٠/٦، وعزاه إلى البيهقي في "شعب الإيمان".

(١١) أخرجه الطبري: ١٤٢/١.

(١٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٦.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢٠.

(١٤) الدر المنثور: ٦٨٠/٦، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي حاتم.

(١٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠١/٦.

(١٦) صحيح البخاري برقم (١١٣١) وصحيح مسلم برقم (١١٥٩).

وعن أبي يزيد فيض بن إسحاق الرقي قال : "قال فضيل في قوله تعالى : { اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا } فقال داود : يا رب ، كيف أشكرك ، والشكر نعمة منك ؟ قال : "الآن شكرتني حين علمت أن النعمة مني" (١) .
قوله تعالى : { وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ } [سبأ : ١٣] ، أي : "وقليل من عبادي من يشكر الله كثيرًا" (٢) .
عن إبراهيم التيمي ، قال : "قال رجل عند عمر : اللهم اجعلني من القليل ، قال : فقال عمر : «ما هذا الذي تدعو به؟» ، فقال : إني سمعت الله يقول : { وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ } [سبأ : ١٣] ، فأنا أدعو أن يجعلني من أولئك القليل ، قال : فقال عمر : «كل الناس أعلم من عمر» (٤) .
عن الضحاك ، قال : «المتقين هم القليل» (٥) .

القرآن

{ فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتِ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانَوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) } [سبأ : ١٤]
التفسير:

فلما قضينا على سليمان بالموت ما دلَّ الجن على موته إلا الأرضة تأكل منسأته التي كان متكئا عليها، فوقع سليمان على الأرض، عند ذلك علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما أقاموا في العذاب المذلَّ والعمل الشاق لسليمان؛ ظنا منهم أنه من الأحياء. وفي الآية إبطال لاعتقاد بعض الناس أن الجن يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا وفاة سليمان عليه السلام، ولما أقاموا في العذاب المهين.

قوله تعالى : { فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتِ } [سبأ : ١٤] ، أي : "فلما قضينا على سليمان بالموت" (٦) .

قال السدي : "يعني : فلما أنزلنا عليه الموت" (٧) .

قوله تعالى : { مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ } [سبأ : ١٤] ، أي : "ما دلَّ الجن على موته إلا الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئا عليها" (٨) .

عن مجاهد : { دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ } : "وهي الأرضة، والمنسأة: العصا" (٩) .

قال قتادة : "أكلت عصاه حتى خر" (١٠) .

قال عطاء : "كان سليمان بن داود يصلي ، فمات وهو قائم يصلي والجن يعملون لا يعلمون بموته، حتى أكلت الأرضة عصاه فخر" (١١) .

قال السدي : "المنسأة: العصا بلسان الحبشة" (١٢) .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك؟ فنقول كذا، فيقول لأي شيء أنت؟ فإن كانت تغرس غرست، وإن كان لدواء كتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللهم عم على الجن موتي؛ حتى يعلم

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٣٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٤٣٣/١) : "هذا إسناد ضعيف".

(٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠١/٦ .

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٩ .

(٤) مصنف ابن ابي شيبة (٢٩٥١٤): ص ٦٥/٦ .

(٥) مصنف ابن ابي شيبة (٦٣٠٣): ص ٤٧/٢ .

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٩ .

(٧) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥١/٢ .

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٩ .

(٩) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥١/٢ .

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٠ .

(١١) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٠ .

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٠ .

الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، ففتحها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا، والجن تعمل، فأكلتها الأرضة، فسقط، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين". قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، قال: فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء"^(١).

قوله تعالى: {فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} [سبأ: ١٤]، أي: " فلما سقط سليمان عن عصاه ظهر للجن واتضح لهم أنهم لو كانوا يعرفون الغيب كما زعموا، ما مكثوا في الأعمال الشاقة تلك المدة الطويلة"^(٢).

عن عكرمة: " أنها كانت تنبت في مسجد سليمان بن داود ، كل يوم شجرة فيسألها ، لأي شيء تصلحين؟ فتقول: لكذا وكذا ، فيأخذ بها لذلك ، قال: فنبتت يوما في مسجده شجرة ، فقال: ما أنت؟ فقالت: أنا الخروبة قال: ما أراك نبت إلا على خراب بيت المقدس ، وما كان الله ليخربه وأنا حي ، ثم لبس ثيابه ، وسأل الله أن يعمي موته على الجن ، حولا ، فاعتمد على عصاه فقبض روحه وهو كذلك ، فأكلت دابة الأرض ، وهي الأرضة ، عصاه بعد حول فخر: {تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين} [سبأ: ١٤]"^(٣).

عن قتادة ، قال: " كانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون الغيب ، فذلك قول الله عز وجل {تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا} [سبأ: ١٤] في العذاب المهين قال: وفي بعض الحروف تبينت الإنس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين"^(٤).

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب»^(٥) قال قتادة: " كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، فابتلوا بموت سليمان، فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته، وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين {فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين} ولقد لبثوا يدأبون، ويعملون له حولا"^(٦).

عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كان سليمان يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يدخل طعامه وشرابه، فدخله في المرة التي مات فيها، وذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه، إلا تنبت فيه شجرة، فيسألها: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا، فيقول لها: لأي شيء نبت، فتقول: نبت لكذا وكذا. فيأمر بها فتقطع؛ فإن كانت نبتت لغرس غرسها، وإن كانت نبتت لدواء قالت: نبت دواء لكذا وكذا، فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة، فسألها ما اسمك؟ فقالت له: أنا الخروبة، فقال: لأي شيء نبت، قالت: لخراب هذا المسجد، قال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس، فنزعها وغرسها في حائط له ثم دخل المحراب، فقام يصلي متكئا على عصاه، فمات ولا تعلم به الشياطين في ذلك، وهم يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه، وكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألسنت جلدنا إن دخلت، فخرجت من الجانب الآخر، فدخل شيطان من أولئك فمر، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق، فمر ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام، ثم رجع فلم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق، ونظر إلى سليمان قد سقط فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته، وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها

(١) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٠. قال ابن كثير: ٥٠١/٦: " حديث مرفوع غريب ، وفي صحته نظر".

(٢) صفة التفسير: ٥٠٣/٢.

(٣) تفسير عبدالرزاق(٢٤٠٤):ص٦٠/٣.

(٤) تفسير عبدالرزاق(٢٤٠٥):ص٦٠/٣.

(٥) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٥٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢٠-٣٧٤.

الأرضة، ولم يعلموا منذ كم مات، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت منها يوماً وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة". وهي في قراءة ابن مسعود: فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له، وذلك قول الله: {ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين}، يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكننا سننقل إليك الماء والطين، فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها^(١).

القرآن

{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥)} {سبأ : ١٥}

التفسير:

لقد كان لقبيلة سبأ ب «اليمن» في مسكنهم دلالة على قدرتنا: بستنان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم، واشكروا له نعمه عليكم؛ فإن بلدتكم كريمة التربة حسنة الهواء، وربكم غفور لكم. قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ} {سبأ : ١٥}، أي: "لقد كان لقبيلة سبأ ب «اليمن» في مسكنهم دلالة على قدرتنا

قال قتادة: "يقال له: مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام"^(٢).

قال ابن لهيعة: "يقولون: إن مأرب مدينة بلقيس لم يكن بينها وبين بيت المقدس إلا ميل، فلما غضب الله عليها بعدها فهي اليوم باليمن وهي التي ذكر الله في القرآن: {لقد كان لسبأ في مسكنهم آية}، حتى بلغ: {ذلك جزيناهم بما كفروا}"^(٣).

عن ثابت بن سعيد عن أبيه: "أن فروة بن مسيك المرادي، حدثه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال: يا رسول الله ما سبأ؟ أرجل أم جبل أم واد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا، بل رجل ولد عشرة فتشاءم أربعة، وتيامن ستة، تشاءم لحم، وجذام، وعاملة، وغسان، وتيامن حمير، ومذحج، والأزد، وكندة، والأشعريون، وأنمار التي منها بجيلة»^(٤).

وفي رواية عن عبد العزيز بن يحيى، قال: "كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بأفريقية فقال يوماً: ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها. فقال علي بن رباح: كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مسيك العُطيفي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية، وإنني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: "ما أمرت فيهم بشيء بعد". فأنزلت هذه الآية: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ} الآيات، فقال له رجل: يا رسول الله، ما سبأ؟ فذكر مثل هذا الحديث الذي قبله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ: ما هو؟ أبلد، أم رجل، أم امرأة؟ قال: "بل رجل، ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة، والشام أربعة، أما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير غير ما حلها. وأما الشام: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة"^(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٣٧٢٠، ٣٧٣/٢٠.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٦٢٤٢) ص: ٢٨٦٤/٩، و(١٦٢٥٤) ص: ٢٨٦٦/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٤١) ص: ٢٨٦٤/٩.

(٤) المعجم الكبير للطبراني (٨٣٨) ص: ٣٢٦/١٨، والمستدرک علی الصحیحین (٣٥٨٦) ص: ٤٦٠/٢ [سكت عنه الذهبي في التلخيص].

(٥) قال ابن كثير: ٥٠٥/٦: "فيه غرابة من حيث ذكر نزول الآية بالمدينة، والسورة مكية كلها، والله أعلم".

قوله تعالى: {جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ : ١٥]، أي: "بستانان عن يمين وشمال"^(١). قال قتادة: "كانت جنتان بين جبلين فكانت المرأة تخرج مكنلها على رأسها فتمشي بين جبلين، فيمتلئ مكنلها، وما مست بيدها، فلما طغوا بعث الله عليهم دابة، يقال لها «جرذ» فنقبت عليهم فغرقتهم، فما بقي لهم إلا أثل، وشيء من سدر قليل"^(٢). قوله تعالى: {كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ} [سبأ : ١٥]، أي: "كلوا من رزق ربكم، واشكروا له نعمه عليكم، فإن بلدتكم كريمة التربة حسنة الهواء، وربكم غفور لكم"^(٣). عن قتادة: {بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ}، قال: " وربكم غفور لذنوبكم، قوم أعطاهم الله نعمة، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته"^(٤).

القرآن

{فَاعْرَضُوا فَأرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاَهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِيْ أَكْلٍ خَمَطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِيْ إِلَّا الْكٰفِرِينَ (١٧)} [سبأ : ١٦-١٧]

التفسير:

فأعرضوا عن أمر الله وشكره وكذبوا الرسل، فأرسلنا عليهم السيل الجارف الشديد الذي خرّب السد وأغرق البساتين، وبدّلناهم بجنتيهم المثمرتين جنتين ذواتي أكل خمط، وهو الثمر المر الكريه الطعم، وأثل وهو شجر شبيه بالطرفاء لا ثمر له، وقليل من شجر النبق كثير الشوك. ذلك التبديل من خير إلى شر بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نعم الله، وما نعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجحود المبالغ في الكفر، يجازى بفعله مثلاً بمثل.

قوله تعالى: {فَاعْرَضُوا} [سبأ : ١٦]، أي: "فأعرضوا عن أمر الله وشكره وكذبوا الرسل"^(٥). قال وهب بن منبه: "لقد بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم"^(٦). قال السدي: "بعث إلى سبأ اثنا عشر نبيا فسمى تبع لكثرة من تبعه"^(٧). قوله تعالى: {فَأرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ} [سبأ : ١٦]، أي: "فأرسلنا عليهم السيل الجارف الشديد الذي خرّب السد وأغرق البساتين"^(٨). عن مجاهد: "أن ذلك السيل الذي أرسل عليهم من العرم كان ماء أحمر أتى الله به من حيث شاء هو شق السد وهدمه، وحفر بطن الوادي عن الجنين، فارتفعتا وغار عنهما الماء فيبستا"^(٩). واختلفوا في "العرم"، على أقوال: أحدها: أنه اسم الوادي. قاله قتادة^(١٠)، والضحاك^(١١)، وعطاء^(١٢).

- (١) التفسير الميسر: ٤٣٠.
- (٢) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٠.
- (٣) التفسير الميسر: ٤٣٠.
- (٤) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٠.
- (٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.
- (٦) أخرجه الطبري: ٣٧٨/٢٠.
- (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٤٣): ص ٢٨٦٤/٩.
- (٨) التفسير الميسر: ٤٣٠.
- (٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٣ / ٢.
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٠.
- (١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٠.
- (١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٩١): ص ٣١٦٦/١٠.

قال قتادة: "ذكر لنا أن «سيل العرم» واد كانت تجتمع إليه مسایل من أودية شتى، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالقيير والحجارة وجعلوا عليه أبوابا، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا إليه، ويسدون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيئا"^(١).

قال الضحاك: "واد يدعى العرم، وكان إذا مطر سالت أودية اليمن إلى العرم، واجتمع إليه الماء فعمدت سبأ إلى العرم فسدوا ما بين الجبلين، فحجزوه بالصخر والقار، فانسد زمانا من الدهر، لا يرجون الماء، يقول: لا يخافون"^(٢).

الثاني: أن «العرم»: المسناة التي تحتبس الماء، وهذا قول المغيرة بن حكيم^(٣)، ومجاهد^(٤)، والسدي^(٥)، وعمرو بن شرحبيل^(٦).

قال مجاهد: "هي: المسناة التي يجتمع فيه الماء ثم ينشف"^(٧).

قال مجاهد: «العرم» بالحيشة، وهي المسناة التي يجتمع فيها الماء ثم ينبثق"^(٨).

روي عن أبي ميسرة، قوله: "فأرسلنا عليهم سيل العرم"، قال: المسناة بلحن اليمن"^(٩).

وعن هب، قال أبي: "فسألت المغيرة بن حكيم عن «العرم»، فقال: هو بكلام حمير المسناة، فسدت ما بين الجبلين فحبست الماء من وراء السد، وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض وبننت من دونه بركة ضخمة، فجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة أنهارهم، فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة، وأمرت بالبعر فألقي فيها فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض، فلم تزل تضيق تلك الأنهار، وترسل البعر في الماء حتى خرج جميعا معا، فكانت تقسمه بينهم على ذلك، حتى كان من شأنها وشأن سليمان ما كان"^(١٠).

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٩٠): ص ٣١٦٦/١٠.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٨٨): ص ٣١٦٦-٣١٦٥/١٠.

قال السدي: "كان أهل سبأ أعطوا ما لم يعطه أحد من أهل زمانهم، فكانت المرأة على رأسها المكنل فتريد حاجتها، فلا تبلغ مكانها الذي تريد حتى يمتلأ مكنلها من أنواع الفاكهة، فأجمعوا ذلك فكذبوا رسلهم، وقد كان السيل يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يستقر في واديه، فيجمع الماء من تلك السيول والجبال في ذلك الوادي، وكان قد حفروه بمسناة وهم يسمون المسناة عرم- وكان يفتحون إذا شأوا من ذلك الماء، فيسقون جناتهم إذا شأوا، فلما غضب الله عليهم، وأذن في هلاكهم، دخل رجل إلى جنته- وهو عمر بن عامر فيما بلغنا، وكان كاهنا فنظر إلى جرزة تنقل أولادها من بطن الوادي إلى أعلى الجبل فقال: ما نقلت هذه أولادها من هاهنا إلا وقد حضر أهل هذه البلاد عذاب ويقدر أنها خرقت ذلك العرم فلقبت لقبا فسأل ذلك اللقب ماء إلى جنته، فأمر عمر بن عامر بذلك اللقب ففسد فأصبح وقد انفجر بأعظم ما كان، فأمر به أيضا ففسد ثم انفجر بأعظم ما كان، فلما رأى ذلك دعا ابن أخيه فقال: إذ أنا جلست العشية فيء نادي قومي فانتنتي فقل علام تحبس علي مالي؟ فإني سأقول: ليس لك عندي مال ولا ترك أبوك شيئا وإنك لكاذب، فإذا أنا كذبتك فكذبني واردد علي مثل ما قلت لك فإذا فعلت ذلك فإني سأشتمك، فاشتمني، فإذا أنت شتمتني لظمتك، فإذا أنا لظمتك فقم فالظمني قال: ما كنت لأستقبلك بذلك يا عم! قال: بلى فافعل فإني أريد بها صلاحك. وصلاح أهل بيتك فقال الفتى: نعم، حيث عرف هو عمه، فجاء فقال:

ما أمر به حتى لطمه، فتناوله الفتى فطمه فقال الشيخ: يا معشر بني فلان أطم فيكم؟ لأسكنت في بلد لظمني فيه فلان أبدا، لم يبتاع مني فلما عرف القوم منه الجد أعطوه فنظر إلى أفضلهم عطية، فأوجب له البيع، فدعا بالمال فنقده وتحمل هو وبنوه من ليلته، فتفرقوا".

(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٣/٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٩٠): ص ٣١٦٦/١٠.

(٨) الدر المنثور ٦/ ٦٩٠، وغريب القرآن وتفسيره لليزيدي ص ٣٠٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٧٩/٢٠.

قال المغيرة بن حكيم: "لما ملكت بلقيس، جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم، قال فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها، فتركت ملكها وانطلقت إلى قصر لها وتركتهم، فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها، فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها فأبَت فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك، فقالت: إنكم لا تطيعونني وليست لكم عقول، ولا تطيعوني، قالوا: فإننا نطيعك، وإننا لم نجد فينا خيرا بعدك، فجاءت فأمرت بواديهم، فسد بالعرم"^(١).
الثالث: أن «العرم»: هو السيل الشديد، أي: أرسلنا عليهم السيل الشديد. وهذا قول ابن عباس^(٢)، ومجاهد^(٣).

قال قتادة: "لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم جرذا يسمى الخلد، فثقبه من أسفله حتى غرق به جناتهم، وخرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم"^(٤).

قال الضحاك: "لما طغوا وبغوا، يعني سبأ، بعث الله عليهم جرذا فخرق عليهم السد فأغرقهم الله"^(٥).
قال وهب بن منبه اليماني: "كان لهم، يعني لسبأ، سد، قد كانوا بنوه بنيانا أبدا، وهو الذي كان يرد عنهم السيل إذا جاء أن يعشى أموالهم، وكان فيما يزعمون في علمهم من كهانتهم، أنه إنما يخرب عليهم سدهم ذلك فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة، فلما جاء زمانه وما أراد الله بهم من التعريق، أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرر فساورتها، حتى استأخرت عنها أي الهرة، فدخلت في الفرجة التي كانت عندها، فغلغلت في السد فحفرت فيه حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل وجد خلا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على الأموال فاحتملها فلم يبق منها إلا ما ذكره الله، فلما تفرقوا نزلوا على كهانة عمران بن عامر"^(٦).

قوله تعالى: {وَبَدَّلْنَا هُمْ بَجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ} [سبأ: ١٦]، أي: "وبدَّلناهم بجنَّتَيْهِم المثمرتين جنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمْطٍ، وهو الثمر المر الكريه الطعم، وأثل وهو شجر شبيهه بالطرفاء لا ثمر له، وقليل من شجر النَّبُق كثير الشوك"^(٧).

قال الحسن ومجاهد: "الخمط: الأراك"^(٨).

قال قتادة: "الخمط: الأراك، وأكله: بريره"^(٩).

قال الضحاك: "بدلهم الله بجنان الفواكه والأعنان، إذ أصبحت جناتهم خمطا وهو الأراك"^(١٠).

قال قتادة: "بينما شجر القوم خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم"^(١١).

قوله تعالى: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ} [سبأ: ١٧]، أي: "ذلك التبديل من خير إلى شر بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نَعَمَ الله، وما نعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجحود المبالغ في الكفر، يجازى بفعله مثلا بمثل"^(١٢).

عن مجاهد: "وهل نجازي: نعاقب"^(١٣).

قال الحسن البصري: "صدق الله العظيم. لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٨) رواه عنهما الطبري: ٣٨٢/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٠.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٠.

وقال طاووس: "يجازى ولا يغفر له؛ والمؤمن لا يناقش الحساب"^(٢).
 قال ابن خيرة: "جزاء المعصية الوهن في العبادة ، والضيق في المعيشة ، والتعسر في اللذة. قيل :
 وما التعسر في اللذة ؟ قال : لا يصادف لذة حلالاً إلا جاءه من يُنَعِّصه إياها"^(٣).
 قال قتادة: "إن الله تعالى إذا أراد بعبد كرامة تقبل حسناته، وإذا أراد بعبد هواناً أمسك عليه ذنوبه
 حتى يوافق به يوم القيامة. قال: وذكر لنا أن رجلاً بينما هو في طريق من طريق المدينة، إذ مرت به امرأة،
 فأتبعها بصره، حتى أتى على حائط، فشج وجهه، فأتى نبي الله ووجهه يسيل دماً، فقال: يا نبي الله فعلت كذا
 وكذا، فقال له نبي الله: «إن الله إذا أراد بعبد كرامة عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد هواناً
 أمسك عليه ذنبه حتى يوافق به يوم القيامة، كأنه عير أبتز»"^(٤).

القرآن

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ
 (١٨) } {سبأ : ١٨}
 التفسير:

وجعلنا بين أهل «سبأ» - وهم «باليمن» - والقرى التي باركنا فيها - وهي «الشام» - مُدناً متصلة يُرى
 بعضها من بعض، وجعلنا السير فيها سيراً مقدّراً من منزل إلى منزل لا مشقة فيه، وقلنا لهم: سيروا في تلك
 القرى في أيّ وقت شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون عدوّاً، ولا جوعاً ولا عطشاً.
 قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً} [سبأ : ١٨]، أي: "وجعلنا بين
 أهل «سبأ» - وهم «باليمن» - والقرى التي باركنا فيها - وهي «الشام» - مُدناً متصلة يُرى بعضها من
 بعض"^(٥).

قال الحسن: "قرى متواصلة، قال: كان أحدهم يغدو فيقيل في قرية ويروح فيأوي إلى قرية أخرى.
 قال: وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها، ثم تمتن بمغزلها، فلا تأتي بيتها حتى يمتلىء من كل
 الثمار"^(٦).

عن معمر، قوله: {التي باركنا فيها}، قال: "هي قرب الشام"^(٧).
 عن مجاهد، قوله: {التي باركنا فيها}، قال: "هي قرى الشام"^(٨).
 واخرج الطبري عن مجاهد، وفتادة، في قوله: {القرى التي باركنا فيها}، قالوا: "الشام"^(٩).
 عن قتادة: " {قرى ظاهرة}، أي: متواصلة"^(١٠).
 عن مجاهد: " {قرى ظاهرة}، قال: السروات"^(١١).
 عن مجاهد: {قرى ظاهرة}، قال: "كل يوم هم على ماء"^(١٢).
 قال سعيد بن جبير: "هي قرى عربية، وهي القرى التي ما بين مأرب، والشام"^(١).

- (١) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.
- (٢) نقلا عن غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٥٦.
- (٣) رواه ابن ابي حاتم كما تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.
- (٤) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٠.
- (٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.
- (٦) أخرجه الطبري: ٣٨٦-٣٨٧/٢٠.
- (٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤١١): ص٦٢/٣.
- (٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤١١): ص٦٢/٣.
- (٩) تفسير الطبري: ٣٨٦/٢٠.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٠.
- (١١) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٠.
- (١٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤١٢): ص٦٢/٣.

عن ابن عباس، قوله: {قرى ظاهرة}، يعني: قرى عربية بين المدينة والشام^(٢). وروي عن الضحاك مثله^(٣).

قوله تعالى: {وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} [سبأ : ١٨]، أي: "وجعلنا السير فيها سيرًا مقدّرًا من منزل إلى منزل لا مشقة فيه"^(٤).

قال الحسن: "يصبحون في منزل وقرية وماء، ويمسون في منزل وقرية وماء"^(٥).
قوله تعالى: {سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ} [سبأ : ١٨]، أي: "وقلنا لهم: سيروا في تلك القرى في أي وقت شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون عدوًا، ولا جوعًا ولا عطشًا"^(٦).

قال قتادة: "لا يخافون ظلما ولا جوعا، وإنما يغدون فيقبلون، ويروحون فيبيتون في قرية أهل جنة ونهر، حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكنلتها على رأسها، وتمتحن بيدها، فيمتلىء مكنلتها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها من غير أن تخترف شيئا، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء مما بسط للقوم"^(٧).

القرآن

{فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} (١٩) {سبأ : ١٩}

التفسير:

فبطغيانهم ملؤا الراحة والأمن ورغد العيش، وقالوا: ربنا اجعل قرانا متباعدة؛ ليبعد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا، وظلموا أنفسهم بكفرهم فأهلكناهم، وجعلناهم عبرا وأحاديث لمن يأتي بعدهم، وفرقناهم كل فريق وخربت بلادهم، إن فيما حل «بسبأ» لعبرة لكل صبار على المكاره والشدائد، شكور لنعم الله تعالى.

قوله تعالى: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} [سبأ : ١٩]، أي: "فبطغيانهم ملؤا الراحة والأمن ورغد العيش، وقالوا: ربنا اجعل قرانا متباعدة؛ ليبعد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا، وظلموا أنفسهم بكفرهم وجحودهم النعمة"^(٨).

عن الحسن: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا}، "إنهم ملؤا النعمة كما ملت بنو إسرائيل المن والسلوى"^(٩).

قال قتادة: "بطر القوم نعمة الله وغمطوا كرامة الله، قال الله: {وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث}^(١٠)".

قال أبو مالك: "كانت لهم قرى متصلة باليمن، كان بعضها ينظر إلى بعض، فبطروا ذلك، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، قال: فأرسل الله عليهم سيل العرم، وجعل طعامهم أثلا وخطا وشيئا من سدر قليل"^(١).

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤١٣): ٦٢/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥٥/٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٩) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥٥/٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢٠.

وقراه قوم: "ربنا بعد بين أسفارنا"^(٢).

قوله تعالى: {فَجَعَلْنَا هُمْ أَحَادِيثَ} [سبأ : ١٩]، أي: "وجعلناهم عبرًا وأحاديث لمن يأتي بعدهم"^(٣).
عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، سمعت أبي، يقول: "سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبأ ، قال : {لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} إلى قوله : { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ } وكانت فيهم كهنة ، وكانت الشياطين يسترقون السمع ، فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار السماء ، فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال ، وإنه خُبر أن زوال أمرهم قد دنا ، وأن العذاب قد أظلمهم. فلم يدر كيف يصنع ؛ لأنه كان له مال كثير من عقار ، فقال لرجل من بنييه - وهو أعزهم أخوالا - : إذا كان غدا وأمرتك بأمر فلا تفعل، فإذا انتهرتك فانتهرني ، فإذا تناولتك فالطمني. فقال : يا أبت ، لا تفعل ، إن هذا أمر عظيم ، وأمر شديد ، قال : يا بني ، قد حدث أمر لا بد منه. فلم يزل به حتى وافاه على ذلك. فلما أصبحوا واجتمع الناس ، قال : يا بني ، افعل كذا وكذا. فأبى ، فانتهره أبوه ، فأجابه ، فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه ، فوثب على أبيه فلطمه ، فقال : ابني يلطمني ؟ عليّ بالشفرة. قالوا : وما تصنع بالشفرة ؟ قال : أدبجه. قالوا : تذبح ابنك. لطمه أو اصنع ما بدا لك. قال : فأبى ، قال : فأرسلوا إلى أخواله فأعلموهم ذلك ، فجاء أخواله فقالوا : خذ منا ما بدا لك. فأبى إلا أن يذبحه. قالوا : فلتموتن قبل أن تذبحه. قال : فإذا كان الحديث هكذا فإنني لا أرى أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ولدي فيه ، اشتروا مني دوري ، اشتروا مني أرضي ، فلم يزل حتى باع دوره وأرضيه وعقاره ، فلما صار الثمن في يده وأحزره ، قال : أي قوم ، إن العذاب قد أظلمكم ، وزوال أمركم قد دنا ، فمن أراد منكم دارا جديدا ، وجملا شديدا ، وسفرا بعيدا ، فليلحق بعمان. ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير - وكلمة ، قال إبراهيم : لم أحفظها - فليلحق ببصرى ، ومن أراد الراسخات في الوحل ، المطاعم في المحل ، المقيمات في الضحل ، فليلحق بيثرب ذات نخل. فأطاعه قومه فخرج أهل عمان إلى عمان. وخرجت غسان إلى بصرى. وخرجت الأوس والخزرج وبنو عثمان إلى يثرب ذات النخل. قال : فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان : هذا مكان صالح ، لا نبغي به بدلا. فأقاموا به ، فسموا لذلك خزاعة ، لأنهم انزعوا من أصحابهم ، واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة ، وتوجه أهل عمان إلى عمان ، وتوجهت غسان إلى بصرى"^(٤).

قوله تعالى: {وَمَرَقْنَا هُمْ كُلَّ مَرْقٍ} [سبأ : ١٩]، أي: "وَمَرَقْنَا هُمْ كُلَّ تَفْرِيقٍ وَخَرِبَتْ بِلَادُهُمْ"^(٥).
قال عامر الشعبي: "أما غسان فقد لحقوا بالشأم، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزدي فلحقوا بعمان"^(٦).

قال ابن إسحاق: "يزعمون أن عمران بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا، فرأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون؛ فقال لهم: إني قد علمت أنكم ستمزقون، فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكأس أو كرود، قال: فكانت وادعة بن عمرو، ومن كان منكم ذا هم مدن وأمرد عن فليلحق بأرض شن فكانت عوف بن عمرو، وهم الذين يقال لهم بارق، ومن كان منكم يريد عيشا آينا وحرما أمنا فليلحق بالأرزين فكانت خزاعة، ومن كان يريد الراسيات في الوحل المطاعم في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج فهما هذان الحيان من الأنصار، ومن كان يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا وملكا وتأميرا فليلحق بكوسى وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشأم ومن كان منهم بالعراق، قال ابن إسحاق: قد سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر،

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٩ / ٢٠.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٤٧ / ٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٩ / ٦ - ٥١٠، قال ابن كثير: "هذا أثر غريب عجيب ، وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبأ وكهانهم".

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩٠ / ٢٠.

وكانت كاهنة، فرأت في كهانتها ذلك، والله أعلم أي ذلك كان، قال: فلما تفرقوا، نزلوا على كهانة عمران بن عامر^(١).

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سبأ : ١٩]، أي: "إن فيما حل «بسبأ» لعلبة لكل صَبَّار على المكاره والشدائد، شكور لنعم الله تعالى"^(٢).

قال قتادة: "كان مطرف يقول: نعم العبد الصبار الشكور، الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر"^(٣).

القرآن

{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)} [سبأ : ٢٠]

التفسير:

ولقد ظن إبليس ظنًا غير يقين أنه سيضل بني آدم، وأنهم سيطيعونه في معصية الله، فصدق ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقًا من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} [سبأ : ٢٠]، أي: "ولقد ظن إبليس ظنًا غير يقين أنه سيضل بني آدم، وأنهم سيطيعونه في معصية الله، فصدق ظنه عليهم"^(٤).

قال مجاهد: "يقول: صدق إبليس ظنه فيهم حيث جاء أمرهم على ما ظن"^(٥).

قال مجاهد: "على الناس إلا من أطاع ربه"^(٦).

قال مجاهد: "ظنَّ ظنًا بهم، فوافق ظنَّه"^(٧).

قال الحسن: "ظن ظنه ولم يقل ذلك بعلم، يقول: فصدق ظنه فيهم"^(٨).

قال قتادة: "والله ما كان إلا ظنا ظنه، فنزل الناس عند ظنه"^(٩).

قال قتادة: "قال الله: ما كان إلا ظنا ظنه، والله لا يصدق كاذبًا ولا يكذب صادقًا"^(١٠).

عن الحسن: "أنه لما أهبط آدم من الجنة ومعه حواء، وهبط إبليس، قال إبليس أما إذ أصيب من الأيوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ظنًا من إبليس، فأنزل الله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ}^(١١)."

وقال الحسن: "فقال عند ذلك إبليس: "لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح، أعدّه وأمّيته وأخذعه".

فقال الله: «وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما لم يُعْرَغر بالموت، ولا يدعوني إلا أجبتة، ولا يسألني إلا أعطيتة، ولا يستغفرني إلا غفرت له»"^(١٢).

وقرى: «ولقد صدق» بتخفيف الدال، بمعنى: ولقد صدق عليهم ظنه"^(١٣).

(١) أخرجه الطبري: ٣٩٠-٣٩١/٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٦/٢.

(٦) أخرجه إسحاق البستي ص ١٥٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه ابن الطبري: ٣٩٢/٢٠، بلفظ: "ظن ظنًا فاتبعوا ظنه". وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٩٥/٦، إلى عبد بن

حميد، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، والفريابي.

(٨) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٦/٢.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٣٩١): ص ٥٦/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٩٢/٢٠.

(١١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦، وانظر: النكت والعيون: ٤٤٧/٤.

(١٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٩١/٢٠.

القرآن

{وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبِّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} (٢١) {سبأ : ٢١}

التفسير:

وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار من قهر على الكفر، ولكن حكمة الله اقتضت تسويله لبني آدم؛ ليظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز من يصدق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو في شك من ذلك. وربك على كل شيء حفيظ، يحفظه ويجازي عليه.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ} {سبأ : ٢١}، أي: "وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار من قهر على الكفر، ولكن حكمة الله اقتضت تسويله لبني آدم؛ ليظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز من يصدق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو في شك من ذلك، وقيل: إلا لنعلم ذلك موجودا ظاهرا ليستحق به الثواب أو العقاب"^(١).

قال الحسن: "والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط، إلا أمانني وغرورا دعاهم إليها"^(٢).

قال قتادة: "وإنما كان بلاء ليعلم الله المؤمن من الكافر"^(٣).

وقرى: «ليعلم»، على البناء للمفعول^(٤).

القرآن

{قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} (٢٢) {سبأ : ٢٢}

التفسير:

قل -أيها الرسول- للمشركين: ادعوا الذين زعمتموهم شركاء الله فعبدتموهم من دونه من الأصنام والملائكة والبشر، واقصدوهم في حوائجكم، فإنهم لن يجيبوكم، فهم لا يملكون وزن نملة صغيرة في السموات ولا في الأرض، وليس لهم شراكة فيهما، وليس لله من هؤلاء المشركين معين على خلق شيء، بل الله -سبحانه وتعالى- هو المتفرد بالإيجاد، فهو الذي يُعْبَدُ وحده، ولا يستحق العبادة أحد سواه.

قوله تعالى: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ} {سبأ : ٢٢}، أي: "قل -أيها الرسول- للمشركين: ادعوا الذين زعمتموهم شركاء الله فعبدتموهم من دونه من الأصنام والملائكة والبشر، واقصدوهم في حوائجكم، فهم لا يملكون وزن نملة صغيرة في السموات ولا في الأرض وليس لتلك الآلهة شراكة مع الله لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرفاً"^(٥).

قال قتادة: "يقول: ما لله من شريك في السماء ولا في الأرض"^(٦).

قوله تعالى: {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} {سبأ : ٢٢}، أي: "وليس له تعالى من الآلهة معين يُعِينُهُ في تدبير أمرهما، بل هو وحده الخالق لكل شيء، المنفرد بالإيجاد والإعدام"^(٧).

قال قتادة: "وما له منهم من الذين يدعون من دون الله، {من ظهير} من عون بشيء"^(٨).

قال السدي: "من عون من الملائكة"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٩٣/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٩٣/٢٠.

(٤) انظر: الكشاف: ٥٧٩/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢٠.

(٧) صفوة التفاسير: ٥٠٧/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢٠.

القرآن

{وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)} [سبأ : ٢٣]

التفسير:

ولا تنفع شفاعة الشافع عند الله تعالى إلا لمن أذن له. ومن عظمته وجلاله عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أرددوا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغشي، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق، وهو العليُّ بذاته وقهره وعلوُّ قدره، الكبير على كل شيء.

قوله تعالى: {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ : ٢٣]، أي: "ولا تنفع شفاعة الشافع عند الله تعالى إلا لمن أذن له"^(٢).

قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ : ٢٣]، أي: "ومن عظمته وجلاله عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أرددوا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغشي، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق، وهو العليُّ بذاته وقهره وعلوُّ قدره، الكبير على كل شيء"^(٣).

وفي قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ} [سبأ : ٢٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: جلي عن قلوبهم الفزع، قاله قتادة^(٤).

الثاني : كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة ، قاله مجاهد^(٥).

الثالث : أن الموصوفين بذلك هم المشركون، وإنما يفزع الشيطان عن قلوبهم، فيقولون: ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم. وهذا قول زيد بن أسلم^(٦).

عن زيد بن أسلم: "في قوله {حتى إذا فزع عن قلوبهم} قال: فزع الشيطان عن قلوبهم ففارقهم وأمانيتهم وما كان يضلهم {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} قال: وهذا في بني آدم عند الموت أقروا حين لا ينفعهم الاقرار"^(٧).

الرابع: وهو تفسير قراءة الحسن : «حتى فرغ عن قلوبهم»^(٨)، بالغين معجمة، وفي معناها وجهان:

الأول: يعني: فرغ ما فيها ما فيها من الشك والتكذيب. قاله الحسن^(٩)، وروي عن ابن زيد نحوه^(١٠).

الثاني: يعني: صارت فارغة من الفزع الذي كان حل بها. ذكره الطبري^(١١)، وابن قتيبة^(١٢).

قال الطبري: "ذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك «فُزِعَ» بمعنى: كشف الله الفزع عنها"^(١٣).

(١) الدر المنثور: ٦/٦٩٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٩٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٩٥-٣٩٦.

(٦) الدر المنثور: ٦/٧٠١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٧) الدر المنثور: ٦/٧٠١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٤٠٠.

(٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٤، وانظر: النكت والعيون: ٤/٤٤٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٩٩-٤٠٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٤٠٠.

(١٢) انظر: غريب القرآن: ٣٥٧.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/٤٠٠.

واختلف أهل التفسير في الموصوفين بهذه الصفة من هم؟ وما السبب الذي من أجله فزع عن قلوبهم؟، وفيه أقوال:

أحدها: أن الذي فزع عن قلوبهم هم الملائكة، وذلك من غشية تصيبهم عند سماعهم الله تعالى بالوحي. وهذا قول مسروق^(١)، وسعيد^(٢)، وقتادة^(٣).

قال سعيد: "ينزل الأمر من عند رب العزة إلى السماء الدنيا؛ فيفزع أهل السماء الدنيا، حتى يستبين لهم الأمر الذي نزل فيه، فيقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق وهو العلي الكبير، فذلك قوله: {حتى إذا فزع عن قلوبهم ...}، الآية"^(٤).

عن أبي هريرة، إن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير فيسمعها مُسْتَرِق السمع، ومُسْتَرِق السمع - هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بيده - فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فيلقبها إلى مَنْ تحته، ثم يلقبها الآخر إلى مَنْ تحته، حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يَلْقِيَهَا، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء"^(٥).

عن النّوّاس بن سَمْعَانَ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة - أو قال: رعدة - شديدة؛ من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول مَنْ يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فيمضي به جبريل على الملائكة، كلما مرّ بسماء سماء سألته ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال: الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله من السماء والأرض"^(٦).

الثاني: أن الموصوفين بذلك هم الملائكة، إنما يفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذراً أن يكون ذلك قيام الساعة. وهذا قول قتادة^(٧).

قال قتادة: "يوحي الله إلى جبرائيل فتفرق الملائكة، أو تفزع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جلي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة: {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}"^(٨).

الثالث: أن ذلك من فعل ملائكة السموات إذا مرت بها المعقبات فزعا أن يكون حدث أمر الساعة. وهذا القول حكاه الضحاك عن ابن مسعود^(٩).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٣٩٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٣٩٧.

(٣) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٢٠): ص ٦٤/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٣٩٧.

(٥) صحيح البخاري برقم (٤٨٠٠) وسنن أبي داود برقم (٣٩٨٩) وسنن الترمذي برقم (٣٢٢٣) وسنن ابن ماجه برقم (١٩٤).

(٦) تفسير الطبري (٣٩٧/٢٠-٣٩٨)، والتوحيد لابن خزيمة ص (٩٥) ورواه ابن عاصم في السنة برقم (٥١٥) من طريق محمد بن عوف، عن نعيم بن حماد، به.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٣٩٩.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٣٩٩.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٣٩٩.

قال الضحاك: " زعم ابن مسعود أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون إلى الأرض يكتبون أعمالهم، إذا أرسلهم الرب فانحدروا سمع لهم صوت شديد، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة، فخرّوا سجداً، وهكذا كلما مروا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم" (١).

القرآن

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤)} [سبأ : ٢٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للمشركين: مَنْ يرزقكم من السماوات بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن وغير ذلك؟ فإنهم لا بدّ أن يُقرّوا بأنه الله، وإن لم يُقرّوا بذلك فقل لهم: الله هو الرزاق، وإنّ أحد الفريقين منا ومنكم لعلّى هدى متمكن منه، أو في ضلال بين منغمس فيه.

قوله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سبأ : ٢٤]، أي: "وإنّ أحد الفريقين منا ومنكم لعلّى هدى متمكن منه، أو في ضلال بين منغمس فيه" (٢).
قال قتادة: "قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد، إنّ أحد الفريقين لمهتد" (٣).

وروي عن عكرمة وزبيد بن أبي مريم في قوله: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}، قال: إنا لعلّى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين" (٤).

القرآن

{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦)} [سبأ : ٢٦]

التفسير:

قل: ربنا يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا بالعدل، وهو الفتّاح الحاكم بين خلقه، العليم بما ينبغي أن يُقضى به، وبأحوال خلقه، لا تخفى عليه خافية.

قوله تعالى: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ} [سبأ : ٢٦]، أي: "قل: ربنا يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا بالعدل" (٥).

عن قتادة، قوله: "{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا}"، يوم القيامة، {ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا}، أي: يقضي بيننا" (٦).
قوله تعالى: {وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} [سبأ : ٢٦]، أي: "وهو الفتّاح الحاكم بين خلقه، العليم بما ينبغي أن يُقضى به، وبأحوال خلقه، لا تخفى عليه خافية" (٧).

عن السدّي: {وَهُوَ الْفَتَّاحُ}، "يعني: القاضي" (٨).

قال محمد بن إسحاق: "العليم بما يخفون" (٩).

(١) أخرجه الطبري: ٣٩٩ / ٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٠١ / ٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٠١ / ٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٠٥ / ٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٨) علّقه يحيى بن سلام ٧٦٠ / ٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤١): ص ١٧٦٤ / ٦، وانظر: النكت والعيون: ٤٥٠ / ٤.

القرآن

{قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)} [سبأ : ٢٧]

التفسير:

قل: أروني بالحجة والدليل الذين ألحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء له في العبادة، هل خلقوا شيئاً؟ ليس الأمر كما وصفوا، بل هو المعبود بحق الذي لا شريك له، العزيز في انتقامه ممن أشرك به، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه.

قوله تعالى: {كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سبأ : ٢٧]، أي: "ليس الأمر كما وصفوا، بل هو المعبود بحق الذي لا شريك له، العزيز في انتقامه ممن أشرك به، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه"^(١).

قال أبو العالية: " {عزيز} في نعمته إذا انتقم"^(٢). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(٣).
عن الحسن: " {الحكيم} الذي أحكم كل شيء"^(٤).
عن قتادة بن دعامة: {الحكيم} في أمره"^(٥).

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨)} [سبأ : ٢٨]

التفسير:

وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا للناس أجمعين مبشراً بثواب الله، ومنذراً عقابه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق، فهم معرضون عنه.

قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ : ٢٨]، أي: "وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا للناس أجمعين مبشراً بثواب الله، ومنذراً عقابه"^(٦).

قال قتادة: "أرسل الله محمداً إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله أطوعهم له"^(٧).
قال قتادة: "ذكر لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة»"^(٨).

عن مجاهد، في قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ}، قال: "إلى الناس جميعاً"^(٩).
قال مجاهد: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ وَأَسْوَدَ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ شَهْرًا، وَجُعِلَتْ لِي كُلُّ بَقْعَةٍ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُطْعِمْتُ الْغَنَائِمَ، وَلَمْ يَطْعَمَهَا أَحَدٌ قَبْلِي»"^(١٠).

عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نَصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ. وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ

(١) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣): ص ١٦٦٤/٥.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٤) علقه يحيى بن سلام ٢/ ٧٦١.

(٥) علقه يحيى بن سلام ٢/ ٧٦١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٠، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٨٥/١)، والحاكم (٤٥٤/٣)، رقم ٥٧١٥، وتعبه الذهبي بأن فيه عمارة بن زاذان وقال: عمارة واه، ضعفه الدارقطني. وأخرجه أيضا: الطبراني (٢٩/٨)، رقم ٧٢٨٨، قال الهيثمي (٣٠٥/٩): رجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان وهو ثقة وفيه خلاف. وابن عدى (١٦٦/٧)، ترجمة ٢٠٧٢.

(٩) الدر المنثور: ٧٠٢/٦، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٣١ - ١٣٢، وسيأتي تخريج نحو المرفوع منه.

الصلاة فليصل. وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس عامة"^(١).

القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)} [سبأ : ٢٩ - ٣٠]

التفسير:

ويقول هؤلاء المشركون مستهزئين: متى هذا الوعد الذي تعدوننا أن يجمعنا الله فيه، ثم يقضي بيننا، إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به؟ قل لهم -أيها الرسول-: لكم ميعاد هو أتيكم لا محالة، وهو ميعاد يوم القيامة، لا تستأخرون عنه ساعة للتوبة، ولا تستقدمون ساعة قبله للعذاب. فاحذروا ذلك اليوم، وأعدوا له عدته. قال الضحّاك بن مزاحم: "{قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ}" يوم الموت لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون؛ بأن يُزاد في أجلكم أو يُنقص منه"^(١).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنَّهُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١)} [سبأ : ٣١]

التفسير:

وقال الذين كفروا: لن نصدّق بهذا القرآن ولا بالذي تقدّمه من التوراة والإنجيل والزرور، فقد كذبوا بجميع كتب الله. ولو ترى -أيها الرسول- إذ الظالمون محبوسون عند ربهم للحساب، يترجعون الكلام فيما بينهم، كل يُلقي بالعتاب على الآخر، لرأيت شيئاً فظيماً، يقول المستضعفون للذين استكبروا -وهم القادة والرؤساء الضالون المضلون-: لولا أنتم أضللتمونا عن الهدى لكاننا مؤمنين بالله ورسوله.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} [سبأ : ٣١]، أي: "وقال الذين كفروا: لن نصدّق بهذا القرآن ولا بالذي تقدّمه من التوراة والإنجيل والزرور، فقد كذبوا بجميع كتب الله"^(٣).

قال قتادة: "قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب والأنبياء"^(٤).

عن السدي: " {ولا بالذي بين يديه}، قال: بالتوراة، والإنجيل"^(٥).
قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنَّهُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} [سبأ : ٣١]، أي: "ولو ترى -أيها الرسول- إذ الظالمون محبوسون عند ربهم للحساب، يقول المستضعفون للذين استكبروا -وهم القادة والرؤساء الضالون المضلون- : لولا أنتم أضللتمونا عن الهدى لكاننا مؤمنين بالله ورسوله"^(٦).

عن السدي: " {يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا} قال: هم الأتباع-وفي لفظ: الأتباع من الكفار- {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} هم القادة-وفي لفظ: الكبراء والقادة في الكفر-"^(٧).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٥) وصحيح مسلم برقم (٥٢١).

(٢) تفسير البغوي ٦/ ٤٠٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٠٦/ ٢٠.

(٥) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٧) الدر المنثور: ٧٠٣/ ٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والزيادات في تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٢/ ٢.

القرآن

{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢)}

[سبأ : ٣٢]

التفسير:

قال الرؤساء للذين استضعفوا: أنحن منعناكم من الهدى بعد إذ جاءكم؟ بل كنتم مجرمين إذ دخلتم في الكفر بإرادتكم مختارين.

قوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ} [سبأ : ٣٢]، أي: "قال الرؤساء للذين استضعفوا: أنحن منعناكم من الهدى بعد إذ جاءكم؟"^(١).
عن السدي: "عَنِ الْهُدَىٰ"، يعني: عن الإيمان"^(٢).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)}

[سبأ : ٣٣]

التفسير:

وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبيركم الشر لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العبادة، وأسر كل من الفريقين الحسرة حين رأوا العذاب الذي أعد لهم، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، لا يعاقبون بهذا العقاب إلا بسبب كفرهم بالله وعملهم السيئات في الدنيا.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا} [سبأ : ٣٣]، أي: "وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبيركم الشر لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العبادة"^(٣).

عن السدي: "يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا} قال: هم الأتباع-وفي لفظ: الأتباع من الكفار- {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} هم القادة-وفي لفظ: الكبراء والقادة في الكفر -"^(٤).

عن سعيد بن جبير: "بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}، قال: مرُّ الليل والنهار"^(٥).

عن قتادة، قوله: "وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا}، شركاء"^(٦).

وقرئ في الشاذ: «بل مكر الليل والنهار»، أي: كرور الليل والنهار"^(٧).

قوله تعالى: {وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ} [سبأ : ٣٣]، أي: "وأسر كل من الفريقين الحسرة حين رأوا العذاب الذي أعد لهم"^(٨).

عن قتادة: "وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ} بينهم، {لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ}"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) علقه يحيى بن سلام ٧٦٢/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٤) الدر المنثور: ٧٠٣/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والزيادات في تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٢/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٣٥/٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٠.

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} (٣٤) {سبأ : ٣٤} [سبأ : ٣٤]

التفسير:

وما أرسلنا في قرية من رسول يدعو الى توحيد الله وإفراده بالعبادة، إلا قال المنغمسون في اللذات والشهوات من أهلها: إننا بالذي جنتم به -أيها الرسل- جاحدون. قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} [سبأ : ٣٤]، أي: "وما أرسلنا في قرية من رسول يدعو الى توحيد الله وإفراده بالعبادة إلا قال المنغمسون في اللذات والشهوات من أهلها: إننا بالذي جنتم به -أيها الرسل- جاحدون" (١).

عن قتادة: {مُتْرَفُوهَا}، قال: "هم رؤوسهم وقادتهم في الشر" (٢).

عن أبي رزين قال: "كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله: ما فعل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش، إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم. قال: فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه - قال: وكان يقرأ الكتب، أو بعض الكتب - قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الإلم تدعو؟ قال: "إلى كذا وكذا". قال: أشهد أنك رسول الله. قال: "وما علمك بذلك؟" قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم. قال: فنزلت هذه الآية: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} {الآيات، قال: فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أنزل تصديق ما قلت» (٣) (٤).

القرآن

{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} (٣٥) {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٣٦) {سبأ : ٣٥ - ٣٦}

التفسير:

وقالوا: نحن أكثر منكم أموالاً وأولاداً، والله لم يعطنا هذه النعم إلا لرضاه عنا، وما نحن بمعذبين في الدنيا ولا في الآخرة. قل لهم -أيها الرسول-: إن ربي يوسّع الرزق في الدنيا لمن يشاء من عباده، ويضيّق على من يشاء، لا لمحبة ولا لبغض، ولكن يفعل ذلك اختباراً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون.

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [سبأ : ٣٦]، أي: "قل لهم -أيها الرسول-: إن ربي يوسّع الرزق في الدنيا لمن يشاء من عباده، ويضيّق على من يشاء، لا لمحبة ولا لبغض، ولكن يفعل ذلك اختباراً" (٥).

عن الحسن، في قوله: "إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر"، قال: ينظر له، فإن كان الغنى خيراً له أغناه وإن كان الفقر خيراً له أفقره" (٦).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦، ورواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في الدر المنثور (٧٠٤/٦) ووقع في الدر: "ابن زيد" بدل: "أبو رزين".

(٤) قال ابن كثير: "وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل، قال فيها: وسألتك: أضعفاء الناس اتبعه أم أشرفهم فزعمت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل". [تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦].

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٦١): ص ٢٣٢٧/٧.

القرآن

{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ (٣٧)} [سبأ : ٣٧]

التفسير:

وليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا قربي، وترفع درجاتكم، لكن من آمن بالله وعمل صالحاً فهو لاء لهم ثواب الضعف من الحسنات، فالحسنة بعشر أمثالها إلى ما يشاء الله من الزيادة، وهم في أعالي الجنة آمنون من العذاب والموت والأحزان.

قوله تعالى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [سبأ : ٣٧]، أي: "وليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا قربي، وترفع درجاتكم، لكن من آمن وعمل صالحاً فإيمانهم وعملهم يقربانهم مني"^(١).

عن مجاهد، قوله: "{عِنْدَنَا زُلْفَىٰ}"، قال: قربي"^(٢).

قال قتادة: "لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، وإن الكافر قد يعطى المال، وربما حبس عن المؤمن. وقال جل ثناؤه: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ}"^(٣).

وروى ليث، عن طاووس، أنه كان يقول: "اللهم ارزقني الإيمان والعمل، وجنبي المال والولد، فإني سمعت فيما أوحيت: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ}"^(٤)^(٥).

عن أبي هريرة، قال: "جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله مالي أرى لونك منكفئاً؟ قال: الخمص فانطلق الأنصاري إلى رحله فلم يجد فيه شيئاً، فخرج يطلب فإذا هو بيهودي يسقي نخلاً له، فقال الأنصاري لليهودي: أسقي لك؟ قال: نعم كل دلو بتمرة واشترط عليه الأنصاري أن لا يأخذ فيه خدره ولا تارزة ولا حشفة، ولا يأخذ إلا جيدة فاستقى له بنحو من صاعين تمراً، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "من أين لك هذا؟" فأخبره الأنصاري وكان يسأل عن الشيء إذا أتى به، فأرسل إلى نسائه بصاع، وأكل هو وأصحابه صاعاً، وقال للأنصاري: أتحنيني؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق لأحبك، قال: "إن كنت تحبني فأعد للبلاء تجفافاً، فوالذي نفسي بيده للبلاء أسرع إلى من يحبني من الماء الجاري من قلة الجبل إلى حضيض الأرض"، ثم قال: "اللهم فمّن أحبني فارزقه العفاف والكفاف، ومن أبغضني فأكثر ماله وولده"^(٦).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"^(٧).

قوله تعالى: {فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا} [سبأ : ٣٧]، أي: "فهؤلاء لهم ثواب الضعف من الحسنات"^(٨).

عن مجاهد: "{جَزَاءُ الضَّعْفِ}"، قال: تضعيف الحسنة"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤١١ / ٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٤١١ / ٢٠.

(٤) نقلاً عن تفسير القرطبي: ٣٠٥ / ١٤.

(٥) قال القرطبي: "قول طاووس فيه نظر، والمعنى والله أعلم: جنبني المال والولد المطغين أو اللذين لا خير فيهما، فأما المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح فنعم هذا!". [تفسير القرطبي: ٣٠٥ / ١٤].

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٤ / ٢)، رقم (١٤٧٥)، وابن عساكر (١١٥ / ٤) قال ابن عساكر: قال البيهقي: عبد الله بن سعيد غير قوى في الحديث.

(٧) المسند (٥٣٩ / ٢) وصحيح مسلم برقم (٢٥٦٤) وسنن ابن ماجه برقم (٤١٤٣).

وعن الحسن مرسلًا: «ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم». رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٤ / ٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٩) أخرجه يحيى بن سلام ٧٦٤ / ٢. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

قوله تعالى: {وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ أَمْثُونَ} [سبأ : ٣٧]، أي: " وهم في أعالي الجنة آمنون من العذاب والموت والأحزان" (١).
قال الضحاك: " الغرفة: الجنة" (٢) وروى عن سعيد بن جبير وأبي جعفر محمد بن علي والسدي مثل ذلك (٣).

القرآن

{وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨)} [سبأ : ٣٨]
التفسير:

والذين يسعون في إبطال حججنا، ويصدون عن سبيل الله مشاقين مغالبين، هؤلاء في عذاب جهنم يوم القيامة، تحضرهم الزبانية، فلا يخرجون منها.
قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [سبأ : ٣٨]، أي: " والذين يسعون في إبطال حججنا، ويصدون عن سبيل الله مشاقين مغالبين" (٤).
قال الحسن: " يَطْنُونَ أَنَّهُمْ يَسْبِقُونَا حَتَّى لَا نَقْدِرَ عَلَيْهِمْ فَنَعَذِبُهُمْ" (٥).
قوله تعالى: {أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} [سبأ : ٣٨]، أي: " هؤلاء في عذاب جهنم يوم القيامة، تحضرهم الزبانية، فلا يخرجون منها" (٦).
قال قتادة: " محضرون في العذاب" (٧).

القرآن

{قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)} [سبأ : ٣٩]
التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد: إن ربي يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيِّقه على من يشاء؛ لحكمة يعلمها، ومهما أعطيتهم من شيء فيما أمركم به فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب، وهو - سبحانه - خير الرازقين، فاطلبوا الرزق منه وحده، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها.

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} [سبأ : ٣٩]، أي: " قل -أيها الرسول- لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد: إن ربي يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيِّقه على من يشاء؛ لحكمة يعلمها" (٨).

عن الحسن، في قوله: " {إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر}، قال: ينظر له، فإن كان الغنى خيرا له أغناه وإن كان الفقر خيرا له أفقره" (٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٤٩٥): ص ٢٧٤٣/٨.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٧٤٣/٨.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٥) علقه يحيى بن سلام ٧٦٥ / ٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٥/٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٦١): ص ٢٣٢٧/٧.

قوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ : ٣٩]، أي: "ومهما أعطيتم من شيء فيما أمركم به فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب"^(١).
قال سعيد بن جبير: "ما كان في غير إسراف ولا تقتير"^(٢).
في الحديث: يقول الله تعالى: أنفق أنفق عليك"^(٣).
وفي الحديث: أن ملكين يصيحان كل يوم ، يقول أحدهما : "اللهم أعط مُسِكَا ثَلَاثًا" ، ويقول الآخر :
"اللهم أعط منفقًا خلفًا"^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا"^(٥).
قوله تعالى: {وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ : ٣٩]، أي: "وهو - سبحانه - خير الرازقين، فاطلبوا الرزق منه وحده، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها"^(٦).
قال مجاهد : " إذا كان في يد أحدكم ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولا تناول هذه الآية: { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ }"^(٧).
وفي رواية: " لا يتأول أحدكم هذه الآية: { أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ }، يعني: أن يسرف في ماله فينفقه، فإن الرزق مقسوم"^(٨).
قال مكحول: "بلغني عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا إن بعدكم زمان عضوض ، يعض الموسر على ما في يده حذار الإنفاق». ثم تلا هذه الآية : { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }"^(٩).

القرآن

{وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُولَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠)} [سبأ : ٤٠]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله المشركين والمعبودين من دونه من الملائكة، ثم يقول للملائكة على وجه التوبيخ لمن عبدهم: أهولاء إياكم كانوا يعبدون من دوننا؟

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٨٤) ومسلم في صحيحه برقم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٤٤٢) ومسلم في صحيحه برقم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

(٥) جاء عن جماعة من الصحابة ، فرواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٠/١) من طريق قيس بن الربيع عن أبي حصين ، عن يحيى بن وثاب ، عن مسروق عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، وقيس بن الربيع ضعفه. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٢/١) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٩/١٠) وأبو نعيم في الحلية (٢٨٠/٢) عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، رضي الله عنه. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٥٩/١) من طريق أبي إسحاق عن مسروق عن بلال ، رضي الله عنه ، وفيه ابن زبالة وهو ضعيف.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٧) أخرجه سفيان الثوري في التفسير (٧١: ٨٥): ص ٥٩/١.

(٨) تفسير سفيان الثوري (٧٨٤: ٦: ٧): ص ٢٤٤.

(٩) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٦، وذكره السيوطي في الدر (٧٠٧/٦) وقال : "أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف فذكره".

وفي رواية في آخره: "ويَهْل شرار الخلق يبيعون كل مضطر ، ألا إن بيع المضطرين حرام ، ألا إن بيع المضطرين حرام المسلم أخو المسلم. لا يظلمه ولا يخذله ، إن كان عندك معروف ، فعد به على أخيك ، وإلا فلا تزد هلاكاً إلى هلاكه".
قال ابن كثير: " هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفي إسناده ضعف".

انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٦، وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٦١/١) وعزاه لأبي يعلى في مسنده.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا} [سبأ : ٤٠]، أي: "واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله المشركين والمعبودين من دونه من الملائكة"^(١).

عن مجاهد: "ويوم نحشرهم جميعا"، قال: الحشر: الموت"^(٢).
قوله تعالى: {ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُولَاءُ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} [سبأ : ٤٠]، أي: "ثم يقول للملائكة على وجه التوبيخ لمن عبدهم: أهولاء إياكم كانوا يعبدون من دوننا؟"^(٣).
عن السدي، قوله: {أهولاء إياكم كانوا يعبدون}، قال: "يعني: يطيعون في الشرك"^(٤).
قال قتادة: "استفهام كقوله لعيسى: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ}"^(٥).

القرآن

{قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)} [سبأ : ٤١]
التفسير:

قالت الملائكة: ننزهك يا الله عن أن يكون لك شريك في العبادة، أنت ولينا الذي نطيعه ونعبده وحده، بل كان هؤلاء يعبدون الشياطين، أكثرهم بهم مصدقون ومطيعون.
قوله تعالى: {قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ} [سبأ : ٤١]، أي: "قالت الملائكة: ننزهك يا الله عن أن يكون لك شريك في العبادة، ولينا الذي نطيعه ونعبده وحده، بل كان هؤلاء يعبدون الشياطين"^(٦).
عن مجاهد، قوله: {بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ}، قال: "الشيطان"^(٧).
عن السدي: {قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ}، يعني: "يطيعون الشياطين في عبادتهم إيانا"^(٨).

القرآن

{وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَافٍ مَفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣)} [سبأ : ٤٣]
التفسير:

وإذا تتلى على كفار «مكة» آيات الله واضحات قالوا: ما محمد إلا رجل يرغب أن يمنعكم عن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آبائكم، وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا -يا محمد- إلا كذب مخلوق، جئت به من عند نفسك، وليس من عند الله، وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح.
قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} [سبأ : ٤٣]، أي: "وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح"^(٩).
عن ابن إسحاق: "هذا سحر مبين"، أي: ما ساحر أسحر منك"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٨٨٩): ص ٤/١٣٨٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٤) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٧/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٤١٤/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٧) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٧/٢.

(٨) علقه يحيى بن سلام ٧٦٧/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦١٦٨): ص ٩/٢٨٥٢.

القرآن

{وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤)} [سبأ : ٤٤]

التفسير:

وما أنزلنا على الكفار من كُتُبٍ يقرؤونها قبل القرآن فتدلهم على ما يزعمون من أن ما جاءهم به محمد سحر، وما أرسلنا إليهم قبلك -أيها الرسول- من رسول ينذرهم بأسنا.

قوله تعالى: {وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا} [سبأ : ٤٤]، أي: "وما أنزلنا على الكفار من كُتُبٍ يقرؤونها قبل القرآن فتدلهم على ما يزعمون من أن ما جاءهم به محمد سحر" (١).

عن قتادة، قوله: " {وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا}، أي: يقرؤونها" (٢).

قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ} [سبأ : ٤٤]، أي: "وما أرسلنا إليهم قبلك -أيها الرسول- من رسول ينذرهم بأسنا" (٣).

قال قتادة: " ما أنزل الله على العرب كتابًا قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيًا قبل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (٤).

القرآن

{وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)} [سبأ : ٤٥]

التفسير:

وكذب الذين من قبلهم كعاد وثمود رسلنا، وما بلغ أهل «مكة» عُشْرَ ما آتينا الأمم السابقة من القوة، وكثرة المال، وطول العمر وغير ذلك من النعم، فكذبوا رسلِي فيما جاؤوهم به فأهلكناهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كان إنكاري عليهم وعقوبتي إياهم؟

قوله تعالى: {وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ} [سبأ : ٤٥]، أي: "وكذب الذين من قبلهم كعاد وثمود رسلنا وما بلغ أهل «مكة» عُشْرَ ما آتينا الأمم السابقة من القوة، وكثرة المال، وطول العمر وغير ذلك من النعم" (٥).

عن قتادة: {وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ}، قال: " يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك" (٦).

وقال الحسن: " ما عملوا بعُشْرَ ما أمروا به" (٧).

قوله تعالى: {فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [سبأ : ٤٥]، أي: " فكذبوا رسلِي فيما جاؤوهم به فأهلكناهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كان إنكاري عليهم وعقوبتي إياهم؟" (٨).

قال قتادة: " يقول: فقد أهلك الله أولئك وهم أقوى وأجلد" (٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤١٦ / ٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤١٦ / ٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤١٦ / ٢٠ - ٤١٧.

(٧) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٦٩ / ٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٩) أخرجه عبد الرزاق ١٣٢ / ٢ بنحوه، وابن جرير ٤١٦ - ٤١٧، من طريق سعيد مختصرًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى تُمْ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)} [سبأ : ٤٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين المعاندين: إنما أنصح لكم بخصلة واحدة أن تنهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، ثم تتفكروا في حال صاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما نسب إليه، فما به من جنون، وما هو إلا مخوَّف لكم، ونذير من عذاب جهنم قبل أن تقاسوا حرها.

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بَوَاحِدَةٍ} [سبأ : ٤٦]، أي: "قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين المعاندين: إنما أنصح لكم بخصلة واحدة"^(١).

وفي قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بَوَاحِدَةٍ} [سبأ : ٤٦]، أقوال:

أحدها : يعني: بطاعة الله -عز وجل- ، قاله مجاهد^(٢).

الثاني : بلا إله إلا الله ، قاله مجاهد-أيضا-^(٣)، والسدي^(٤).

الثالث : المعنى: إنما أعظم بخصلة واحدة، ثم بينها فقال: {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى}. وهذا قول قتادة^(٥).
عن قتادة، قوله: "{قل إنما أعظم بواحدة}"، يقول بواحدة: {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى}، فهذه واحدة وعظمهم بها"^(٦).

قوله تعالى: {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى تُمْ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ} [سبأ : ٤٦]، أي: "وهي أن تنهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا ثم تتفكروا في حال صاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما نسب إليه، فما به من جنون"^(٧).

عن مجاهد: "أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى}، قال: واحدًا واثنين"^(٨).

قال قتادة: "رجلًا ورجلين"^(٩).

قال السدي: "ليس بالقيام على الأرجل، كقوله: {كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ} [النساء: ١٣٥]"^(١٠).

عن محمد بن كعب القرظي، في قوله: {قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى}، قال: يقوم الرجل مع الرجل أو وحده، فيتفكر {مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ}"^(١١).

القرآن

{قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧)} [سبأ : ٤٧]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للكفار: ما سألتكم على الخير الذي جننكم به من أجر فهو لكم، ما أجري الذي أنتظره إلا على الله المطَّلَع على أعمالكم وأعمالكم، لا يخفى عليه شيء فهو يجازي الجميع، كلُّ بما يستحقه.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١٧/٢٠.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٧١٠/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد.

(٤) الدر المنثور: ٧١٠/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٢٦): ص ٦٥/٣.

(٦) أخرجه عبدالرزاق (٢٤٢٦): ص ٦٥/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤١٨/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤١٨/٢٠.

(١٠) الدر المنثور: ٧١٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١) الدر المنثور: ٧١٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} [سبأ : ٤٧]، أي: "قل -أيها الرسول- للكفار: ما سألتكم على الخير الذي جنتكم به من أجر فهو لكم"^(١).
 عن قتادة، قوله: "قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ، أي: جُعِلَ {فَهُوَ لَكُمْ}، يقول: لم أسألكم على الإسلام جعلاً"^(٢).

القرآن

{قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَامَ الْغُيُوبِ (٤٨)} [سبأ : ٤٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمن أنكر التوحيد ورسالة الإسلام: إن ربي يقذف الباطل بحجج من الحق، فيفضحه ويهلكه، والله علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.
 قوله تعالى: {قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ} [سبأ : ٤٨]، أي: "قل -أيها الرسول- لمن أنكر التوحيد ورسالة الإسلام: إن ربي يقذف الباطل بحجج من الحق، فيفضحه ويهلكه"^(٣).
 عن قتادة، قوله: "إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ"، أي: بالوحي"^(٤).
 قال السدي: "ينزل بالوحي"^(٥).
 قوله تعالى: {عَلَامَ الْغُيُوبِ} [سبأ : ٤٨]، أي: "والله علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء"^(٦).

القرآن

{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩)} [سبأ : ٤٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: جاء الحق والشرع العظيم من الله، وذهب الباطل واضمحلاً سلطانه، فلم يبق للباطل شيء يبدؤه ويعيده.
 قوله تعالى: {قُلْ جَاءَ الْحَقُّ} [سبأ : ٤٩]، أي: "قل -أيها الرسول-: جاء الحق والشرع العظيم من الله"^(٧).
 عن قتادة، قوله: "قُلْ جَاءَ الْحَقُّ"، أي: جاء القرآن"^(٨).
 أبو جعفر الباقر: "جاء الحق"، يعني: السيف"^(٩).
 قوله تعالى: {وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} [سبأ : ٤٩]، أي: "ذهب الباطل بالمرّة فلم يبق له شيء يبدؤه ويعيده"^(١٠).
 وقال الحسن: "وما يبدئ الباطل" لأهله خيراً {وما يعيد}، أي: بخير الآخرة"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤١٩ / ٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٢٠ / ٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٠٤): ص ٣١٦٨ / ١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٢٠ / ٢٠، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٩) تفسير الثعلبي ٩٤ / ٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٤. [بتصرف]

(١١) حكاه عنه ابن فورك في التفسير: ٥٥! / ٢.

وقال الضحاك: "الباطل: الآلهة، وقال: {وما يبدي وما يعيد}، أي: ما يحيى وما يميت"^(١).

قال قتادة: "و«الباطل»: إبليس، أي: ما يخلق إبليس أحدًا ولا يبعثه"^(٢). وفي رواية: "الشيطان: ما يبدي وما يعيد إذا هلك"^(٣).

القرآن

{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)} [سبأ : ٥٠]

التفسير:

قل: إن ملئت عن الحق فأثم ضلالي على نفسي، وإن استنقمت عليه فبوحى الله الذي يوحيه إليّ، إن ربي سميع لما أقول لكم، قريب ممن دعاه وسأله.

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي} [سبأ : ٥٠]، أي: قل: إن ملئت عن الحق فأثم ضلالي على نفسي"^(٤).

عن عمر بن سعد: "{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي}، قال: أخذ بجنايتي"^(٥).

القرآن

{وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١)} [سبأ : ٥١]

التفسير:

ولو ترى -أيها الرسول- إذ فزع الكفار حين معابنتهم عذاب الله، لرأيت أمرًا عظيمًا، فلا نجاة لهم ولا مهرب، وأخذوا إلى النار من موضع قريب تناول.

قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا فَوْتَ} [سبأ : ٥١]، أي: "ولو ترى -أيها الرسول- إذ فزع الكفار حين معابنتهم عذاب الله، لرأيت أمرًا عظيمًا، فلا نجاة لهم ولا مهرب"^(٦).

واختلف أهل التفسير في فزعهم، على خمسة أقوال:

أحدها: فزعهم يوم القيامة، قاله مجاهد^(٧)، وابن معقل^(٨).

وقال مجاهد: "حين عابنوا عذاب الله"^(٩).

عن الأوزاعي، قال: "سمعت بلال بن سعد يقول في قوله تعالى: {ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت}،

قال: ذلك قوله تعالى: {يقول الإنسان يومئذ أين المفر} [القيامة: ١٠]"^(١٠).

الثاني: فزعهم في الدنيا حين عند نزول نعمة الله بهم. قاله قتادة^(١١)، والضحاك^(١٢)، وزيد بن أسلم^(١٣).

(١) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٤٢/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٠٣): ص ٣١٦٨/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٥) الدر المنثور: ٧١١/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٧) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٩): ص ١١/١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٠.

(١٠) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/٢٢٧.

(١١) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٢٩): ص ٦٦/٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٢١/٢٠.

(١٣) الدر المنثور: ٧١٢/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.

قال قتادة: " فزعوا " في الدنيا حين رأوا بأس الله {فلا فوت} "(١).
قال قتادة: " في الدنيا، عند الموت، حين عاينوا الملائكة، ورأوا بأسَ الله "(٢).
قال الضحاك: " هذا عذاب الدنيا "(٣).
قال الضحاك: " هو يوم بدر "(٤). وروى عن زيد بن أسلم مثله (٥).
قال السدي: " هذا يوم بدر حين ضُربت أعناقهم، فعاينوا العذاب، فلم يستطيعوا فرارًا من العذاب، ولا رجوعًا إلى التوبة "(٦).
الثالث : هو الجيش الذي يخسف بهم في البيداء فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي أصحابه، فيفزعوا فهذا هو فزعهم ، قاله سعيد بن جبير (٧).
قال سعيد بن جبير: " هم الجيش الذي يخسف بهم بالبيداء، يبقى منهم رجل يخبر الناس بما لقي أصحابه "(٨).
وقال سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى: " خُسف بالبيداء "(٩).
وعن عطية بن سعد العوفي: " قوم خُسف بهم؛ أخذوا من تحت أقدامهم "(١٠).
عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: "فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فورة ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين؛ جيشًا إلى المشرق، وجيشًا إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويقرّون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هذا من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنفذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة، فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل، فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبأ: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا قَلًا قُوْتَ ... } الآية، ولا يفلت منهم إلا رجلا؛ أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، فذلك جاء القول (١١):

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٢٩): ص ٦٦/٣.
(٢) أخرجه عبد الرزاق ١٣٣ /٢ من طريق معمر. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال ١٩٧ /٦ (١٤٧) من طريق سعيد بلفظ: حين عاينوا عذاب الله.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٢١ /٢٠.
(٤) الدر المنثور: ٧١٢/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٥) الدر المنثور: ٧١٢/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٦) الدر المنثور: ٧١١/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢ /٢٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢ /٢٠.
(٩) أخرجه الثعلبي ٩٤ /٨.
(١٠) الدر المنثور: ٧١٢/٦، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(١١) هذا عجز بيت من الوافر. وصدرة: تُسائل عن خُصين كلّ ركب (مجمع الأمثال الميداني ٣٤ /١) والشطر الثاني من الأمثال الثائرة. وله قصة مطولة ذكرها الميداني خلاصتها: أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب والأخنس بن شريق الجهني خرج لما يخرج له الفتيان الصعاليك؛ ليغيرا ويكسبا ويغنما، فلما غنما بعض الشيء عدا الجهني على صاحبه فقتله، ثم رجع إلى قومه جهينة، وأخبرهم بالذي صنع بصاحبه، وقال أبياتًا من الشعر تتضمن القصة -ويلوح لي أن هذه القصة موضوعة- ولهذا يروى المثل: "وعند جهينة الخير اليقين" كما في (الاقتضاب شرح أدب الكتاب) لابن السيد البطليوسي. وأما استشهاد المؤلف به في قصة السفيناني، فيدل على أن جهينة كانت قبيلة مشهورة بتتبع أخبار العرب ومعرفة الأحداث؛ حتى كان عندها علم كل شيء. ولكثرة ذلك فيها نسب إليها العلم بما يقع من الأحداث المستقبلية.

..... وَعِنْدَ جُهِينَةَ الْخَبْرِ الْيَقِينِ^(١).

الرابع : هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة ،
قاله السدي^(٢).

الخامس : هو فزعهم يوم القيامة حين يخرجون من قبورهم. قاله الحسن^(٣).

قال الحسن: " في القبور من الصيحة"^(٤).

وقال الحسن: " يعني: النفخة الأولى التي يُهلك الله بها كفارَ آخر هذه الأمة"^(٥).

والذي هو أولى بالصواب في تفسير ذلك، وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: وعيد الله
المشركين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه، لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت بالإخبار
عنهم وعن أسبابهم، وبوعيد الله إياهم مغبته، وهذه الآية في سياق تلك الآيات، فلأن يكون ذلك خبراً عن
حالهم أشبه منه بأن يكون خبراً لما لم يجر له ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد
هؤلاء المشركين من قومك، فتعابنهم حين فزعوا من معابنتهم عذاب الله {فلا قوت} يقول: فلا سبيل حينئذٍ
أن يفوتوا بأنفسهم، أو يعجزونا هرباً، وينجوا من عذابنا"^(٦).

وفي قوله تعالى: {فَلَا قُوَّةَ} [سبأ : ٥١]، قولان:

أحدهما : فلا هرب. قاله الضحاك^(٧). وهو معنى قول مجاهد^(٨).

قال مجاهد: "يوم القيامة {فلا قوت} فلم يفوتوا ربك"^(٩).

الثاني : فلا سبق ، قاله قتادة^(١٠).

قوله تعالى: {وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ} [سبأ : ٥١]، أي: "وأخذوا إلى النار من موضع قريب

التناول"^(١١).

وفي قوله تعالى: {وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ} [سبأ : ٥١]، وجوه من التفسير:

أحدها : من تحت أقدامهم ، قاله مجاهد^(١٢)، وعطية العوفي^(١٣).

الثاني : يعني: قتلهم يوم بدر ، قاله الضحاك^(١٤)، وزيد بن أسلم^(١٥).

الثالث : هو جيش السفيناني ، قاله سعيد بن جبير^(١٦).

الرابع : عذاب الدنيا، قاله الضحاك^(١٧).

(١) أخرجه ابن جرير ٤٢٢/٢٠، والثعلبي ٩٥ / ٨.

قال ابن كثير في تفسيره ٥٢٨ / ٦: «ثم أورد -أي: ابن جرير- في ذلك حديثاً موضوعاً بالكافية، ثم لم ينبّه على ذلك، وهذا أمر عجيب غريب منه». وقال الألباني في الضعيفة ١٢٥ / ١٤ - ١٢٦ (٦٥٥٢): «موضوع».

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥٨/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٣ / ٢٠ - ٤٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٢٣ / ٢٠ - ٤٢٤، وابن أبي حاتم (١٧٩٠٧): ص ٣١٦٨/١٠.

(٥) أخرجه يحيى بن سلام ٧٧٠ / ٢.

(٦) تفسير الطبري: ٤٢٤ / ٢٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤ / ٢٠.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٩٠٦): ص ٣١٦٨/١٠.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٠٦): ص ٣١٦٨/١٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٥٨/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥٩/٤.

(١٣) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦.

(١٤) انظر: تفسير الثعلبي: ١٣٤/٢٢.

(١٥) انظر: تفسير الثعلبي: ١٣٤/٢٢.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢ / ٢٠.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢١ / ٢٠.

الخامس : حين خرجوا من القبور ، قاله الحسن^(١) .
 وقال الحسن: " وأي شيء أقرب من أن كانوا في بطن الأرض فإذا هم على ظهرها"^(٢) .
 السادس : هو يوم القيامة ، قاله مجاهد -أيضا-^(٣) ، والقاسم بن نافع^(٤) .
 والصحيح : أن المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامة العظمى، وإن كان ما ذكر متصلا بذلك-والله أعلم-^(٥) .

القرآن

{وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢)} [سبأ : ٥٢]

التفسير:

وقال الكفار -عندما رأوا العذاب في الآخرة-: آمنا بالله وكتبه ورسله، وكيف لهم تناول الإيمان في الآخرة ووصولهم له من مكان بعيد؟ قد حيل بينهم وبينه، فمكانه الدنيا، وقد كفروا فيها.
 قوله تعالى: {وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ} [سبأ : ٥٢]، أي: "وقال الكفار -عندما رأوا العذاب في الآخرة-: آمنا بالله وكتبه ورسله"^(٦) .

قال مجاهد: يعني: «بالله»^(٧) .

قوله تعالى: {وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٢]، أي: "وكيف لهم تناول الإيمان في الآخرة ووصولهم له من مكان بعيد؟ قد حيل بينهم وبينه، فمكانه الدنيا، وقد كفروا فيها"^(٨) .

قال ابن كثير: "أي : وكيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة ، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء ، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم ، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان ، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد"^(٩) .
 وفي معنى: «التناوش»، أقوال:

أحدها : هو الرجعة إلى الدنيا، قاله مجاهد^(١٠) . والضحاك^(١١) ، ومنه قول الشاعر^(١٢) :
 نَمَى أَنْ تَوُوبَ إِلَيَّ مَيٌّ ... وليس إلى تناوشها سبيلٌ
 وقال سعيد: "التناوب"^(١٣) .

قال مجاهد: "وأنى لهم الرد على الدنيا وليس بحين الرد"^(١٤) .
 الثاني : هو التوبة، قاله الحسن^(١٥) ، وقتادة^(١٦) ، وأبو مالك^(١) ، والسدي^(٢) .

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٤٢٣-٤٢٤، وتفسير يحيى بن سلام: ٧٧١/٢، والنكت والعيون: ٤٥٩/٤ .

(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٧١/٢ .

(٣) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٩): ص ١١/١ .

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٩/٤ .

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦ .

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٤ .

(٧) تفسير مجاهد: ٥٥٦ .

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٤ .

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦ .

(١٠) اخرج الطبري: ٢٠/٤٢٧ .

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٤٢٨ .

(١٢) البيت بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥٩/٤، والمحزر الوجيز: ٤٢٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٦٦/٨، وغيرها .

(١٣) اخرج الطبري: ٢٠/٤٢٧ .

(١٤) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٧٢/٢ .

(١٥) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٧/٥ .

(١٦) تفسير عبدالرزاق (٢٤٣١): ص ٦٦/٣ .

قال قتادة: " أنى لهم أن يتناولوا التوبة"^(٣).
 عن محمد بن كعب القرظي، قال: "اجتمع نفرٌ من علماء أهل الشام وعلماء أهل الحجاز، فكلمنا عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، ونحن نسمع عن قول الله - عز وجل -: {وَأْتَى لَهُمُ التَّنَاوُسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ} قال: فسأله ونحن نسمع، فقال عمر: سألت عن التناوش، وهي التوبة، طلبوها حين لم يقدرُوا عليها"^(٤).
 وقال الزهري: "التناوش: تناولهم الإيمان وهم في الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا"^(٥).
 وقال الحسن البصري: "أما إنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال تعاطوا الإيمان من مكان بعيد"^(٦).
 الثالث: هو التناول، قاله مجاهد^(٧)، ومنه قول الشاعر^(٨):
 فهى تنوش الحوض نوشاً من علا ... نوشاً به تقطع أجواز الفلا
 عن مجاهد: "{وَأْتَى لَهُمُ التَّنَاوُسُ}" قال: التناول لذلك"^(٩).
 قال مجاهد: "التناوش التناول، سألوا الرد وليس بخير رد"^(١٠).
 الرابع: أن التناوش: تناول التوبة. قاله قتادة^(١١).
 وهذا القول الأخير أبينها، يقال: ناش ينوش، إذا تناول.. والمعنى: ومن أين لهم تناول التوبة {من مكان بعيد}، أي: يبعد منه تقبل التوبة^(١٢).
 وفي قوله تعالى: {مَنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ: ٥٢]، أقوال:
 أحدها: يعني: من الآخرة إلى الدنيا، قاله مجاهد^(١٣).
 الثاني: ما بين الآخرة والدنيا، رواه القاسم بن نافع عن مجاهد^(١٤).
 الثالث: هو طلبهم الأمر من حيث لا ينال، قاله الحسن^(١٥).

القرآن

{وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَفْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣)} [سبأ: ٥٣]

التفسير:

وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، ليس لهم فيها مستند لظنهم الباطل، فلا سبيل لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرامي إلى إصابة الغرض من مكان بعيد.

-
- (١) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٧/٥.
 - (٢) حكاه عنه الماوردي في لنكت والعيون: ٤٥٩/٤.
 - (٣) تفسير عبدالرزاق (٢٤٣١): ص ٦٦/٣.
 - (٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة ٣/ ٤١٦ (١٤٥).
 - (٥) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٦.
 - (٦) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٦.
 - (٧) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٨/٥.
 - (٨) البيت لغيلان بن حريث كما في اللسان (نوش) والضمير في «فهى» للابل. وقوله: «من علا» أي من فوق يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق. وهذا النوش الذي تترتوى به يعينها على قطع الفلوات. والأجواز جمع جوز وهو الوسط.
 - (٩) البيت في معاني القرآن للفراء: ٣٦٥/٢.
 - (١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٦، والدر المنثور: ٧١٤/٦، وعزاه إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
 - (١١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٩): ص ١١/١.
 - (١٢) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٨/٥.
 - (١٣) معاني القرآن: ٤٢٨/٥.
 - (١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٨/٢٠.
 - (١٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٩): ص ١١/١، وانظر: النكت والعيون: ٤٥٩/٤.
 - (١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٥٩/٤.

قوله تعالى: {وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٣]، أي: "وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل"^(١).

عن قتادة، قوله: {وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ}، "أي: بالإيمان في الدنيا"^(٢).

قوله تعالى: {وَيَذْفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٣]، أي: "ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، ليس لهم فيها مستند لظنهم الباطل، فلا سبيل لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرامي إلى إصابة الغرض من مكان بعيد"^(٣).

وفي قوله تعالى: {وَيَذْفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما : معناه: يرجمون بالظن ويقولون في الدنيا لا بعث ولا جنة ولا نار ، قاله الحسن^(٤)، وقاتدة^(٥).

عن الحسن، قال: "كذبوا بالساعة، وكذبوا بالبعث، وافتروا على الله"^(٦).

الثاني: أنه طعنهم في رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بأنه شاعر أو ساحر أو كاهن، قاله مجاهد^(٧)، وسماه: قذفاً، لخروجه عن غير حق^(٨).

القرآن

{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (٥٤)} [سبأ : ٥٤]
التفسير:

وحيل بين الكفار وما يشتهون من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا، كما فعل الله بأمثالهم من كفره الأمم السابقة، إنهم كانوا في الدنيا في شكٍّ من أمر الرسل والبعث والحساب، مُحْدِثٍ للريبة والقلق، فلذلك لم يؤمنوا.

قوله تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٤]، أي: "وحيل بين الكفار وما يشتهون من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا"^(٩).

وفي قوله تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ : ٥٤]، وجوه:

أحدها : حيل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا، قاله مجاهد^(١٠).

الثاني : بينهم وبين الإيمان بالله، قاله الحسن^(١١).

الثالث : بينهم وبين التوبة ، قاله السدي^(١٢).

الرابع : بينهم وبين طاعة الله تعالى ، قاله قتادة^(١٣)، وخليد^(١٤).

قال قتادة: "كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا"^(١٥).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٢٩ / ٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٤) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٧٢/٢، وانظر: النكت والعيون: ٤٦٠/٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩ / ٢٠.

(٦) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٧٢/٢، وانظر: النكت والعيون: ٤٦٠/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩ / ٢٠.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠ / ٢٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠ / ٢٠.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠/٤، وتفسير ابن كثير: ٥٢٩/٦.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠ / ٢٠.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠/٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٣٠ / ٢٠.

الخامس : بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد أو زهرة الدنيا. قاله مجاهد -أيضا-^(١).
السادس: حيل بين المؤمن وبين العمل ، وبين الكافر وبين الإيمان ، قاله يزيد بن أبي يزيد^(٢).
قوله تعالى: {كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٤]، أي: " كما فعل الله بأمثالهم من كفره الأمم السابقة"^(٣).

وفي قوله تعالى: {كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٤]، وجوه:
أحدهما: أنه أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة ، قاله الضحاك^(٤).
الثاني : هم أمثالهم من الكفار الذين لم يقبل الله سبحانه منهم التوبة عند المعاينة. وهو معنى قول مجاهد^(٥).
عن مجاهد: {كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ}، قال: كما فعل بالكفار من قبلهم"^(٦).
والظاهر أن المعنى: "فعلنا بهؤلاء المشركين؛ فعلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم، ومعاينتهم بأسه، كما فعلنا بأشياءهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفر الأمم؛ فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضربائهم"^(٧).
عن ابن عمر رضي الله عنه: " أنه شرب ماء باردا فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله: {وحيل بينهم وبين ما يشتهون}، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد، وقال الله: {أفيضوا علينا من الماء}"^(٨).
قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ} [سبأ : ٥٤]، أي: " إنهم كانوا في الدنيا في شكٍّ من أمر الرسل والبعث والحساب، مُحْدِثٍ للريبة والقلق، فذلك لم يؤمنوا"^(٩).
قال قتادة: " إياكم والشك والريبة، فإنه من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه"^(١٠).

«آخر تفسير سورة (سبأ)، والحمد لله وحده»

-
- (١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣١ / ٢٠.
 - (٢) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠ / ٤.
 - (٣) التفسير الميسر: ٤٣٤.
 - (٤) انظر النكت والعيون: ٤٦٠ / ٤، وتفسير السمعاني: ٣٤٣ / ٤.
 - (٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢ / ٢٠.
 - (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٩١٢): ص ٣١٦٩، ١٠، والطبري: ٤٣٢ / ٢٠. باختلاف يسير.
 - (٧) تفسير الطبري: ٤٣١ / ٢٠.
 - (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩١٣): ص ٣١٦٩ / ١٠.
 - (٩) التفسير الميسر: ٤٣٤.
 - (١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩١٤): ص ٣١٦٩ / ١٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تفسير سورة «فاطر»

سورة «فاطر»: هي السورة «الخامسة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثالثة والأربعون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «الفرقان»^(١)، عدد آياتها خمس وأربعون عند الأكثرين، وعند الشاميين ست. وكلماتها سبعمائة وسبعون. وحروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثة وثلاثون^(٢). والمختلف فيها سبع آيات؛ {الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [فاطر : ٧]، {جَدِيدٌ} [فاطر : ١٦]، {الثُّورُ} [فاطر : ٢٠]، {البصيرُ} [فاطر : ١٩]، {مَنْ فِي الضُّبُورِ} [فاطر : ٢٢]، {أَنْ نَزَّلْنَا} [فاطر : ٤١]، {نَبْدِيلَا} [فاطر : ٤٣]، وفواصل آياتها: «زاد من بز»^(٣).

■ مكان نزول السورة:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٤)، وقتادة^(٥)، ومقاتل^(٦)، ويحيى بن سلام^(٧).

قال ابن الجوزي: "هي مكة بإجماعهم"^(٨).

قال القرطبي: "سورة فاطر مكة في قول الجميع"^(٩).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكة إجماعاً"^(١٠).

الثاني: أنها مكة إلا آيتين: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ} [فاطر : ٢٩] الآية: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ} [فاطر : ٣٢] الآية. حكاها الطبرسي عن الحسن^(١١).

(١) انظر: الكشاف: ٥٩٥/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٨٦/١.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٩/٣.

(٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٧٤/٢.

(٨) زاد المسير: ٥٠٥/٣.

(٩) تفسير القرطبي: ٣١٨/١٤.

(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٨٦/١.

(١١) نقلا عن روح المعاني (تفسير الألوسي: ٣٣٤/١١).

القرآن

{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} [فاطر : ١]

التفسير:

الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدينيوية، خالق السماوات والأرض ومبدعهما، جاعل الملائكة رسلا إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه، ومن عظيم قدرة الله أن جعل الملائكة أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع تطير بها؛ لتبليغ ما أمر الله به، يزيد الله في خلقه ما يشاء. إن الله على كل شيء قدير، لا يستعصي عليه شيء.

قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر : ١]، أي: "الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدينيوية، خالق السماوات والأرض ومبدعهما"^(١).
عن قتادة، قوله: {فاطر السماوات والأرض}، قال: خالق السماوات والأرض"^(٢).
قال الضحاك: "كل شيء في القرآن فاطر السماوات والأرض فهو خالق السماوات والأرض"^(٣).
بئر، فقال أحدهما لصاحبه: «أنا فطرناها»، يقول: أنا ابتدأها"^(٤).
قوله تعالى: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} [فاطر : ١]، أي: "جاعل الملائكة رسلا إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه"^(٥).

عن السدي: "جاعل الملائكة رسلا"، قال: إلى العباد"^(٦).
قوله تعالى: {أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} [فاطر : ١]، أي: "ومن عظيم قدرة الله أن جعل الملائكة أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع تطير بها؛ لتبليغ ما أمر الله به"^(٧).
قال قتادة: "بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة"^(٨).
عن شقيق بن سلمة، قال: "سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «رأيت جبريل على سدرة المنتهى، وله ستمائة جناح»، قال سألت عاصما عن الأجنحة؟، فأبى أن يخبرني، قال: فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب"^(٩).
قوله تعالى: {يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} [فاطر : ١]، أي: "يزيد الله في خلقه ما يشاء"^(١٠).
قال الحسن: "يزيد في أجنحتها ما يشاء"^(١١).
عن السدي: "يزيد في الخلق ما يشاء": يزيد في أجنحتهم وخلقهم ما يشاء"^(١٢).
وروي عن الزهري، قوله: "يزيد في الخلق ما يشاء"، قال: حسن الصوت"^(١٣).
وقال قتادة: "الملاحة في العينين"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٢) أخرجه الطبري (١٣١١٣): ص ٣٨٣/١١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩١٧): ص ٣١٧٠/١٠.

(٤) أخرجه الطبري (١٣١١١): ص ٣٨٣/١١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩١٨): ص ٣١٧٠/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٣٤ / ٢٠.

(٩) مسند أحمد (٣٨٦٢): ص ٦٣/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٧٧/٢.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٠): ص ٣١٧٠/١٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢١): ص ٣١٧٠/١٠.

(١٤) الدر المنثور: ٤/٧، وعزاه إلى البيهقي.

روي عن حذيفة: "أنه سمع أبا التياح يؤذن، فقال: من يرد الله أن يجعل رزقه في صوته فعل" (١).
وقرى في الشاذ: «يَزِيدُ فِي الْحَلْقِ»، بالحاء المهملة (٢).

القرآن

{مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)}

[فاطر : ٢]

التفسير:

ما يفتح الله للناس من رزق ومطر وصحة وعلم وغير ذلك من النعم، فلا أحد يقدر أن يمسك هذه الرحمة، وما يمسك منها فلا أحد يستطيع أن يرسلها بعده سبحانه وتعالى. وهو العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يرسل الرحمة ويمسكها وفق حكمته.

قوله تعالى: {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر : ٢]، أي: "ما يفتح الله للناس من رزق ومطر وصحة وعلم وغير ذلك من النعم، فلا أحد يقدر أن يمسك هذه الرحمة، وما يمسك منها فلا أحد يستطيع أن يرسلها بعده سبحانه وتعالى" (٣).
عن قتادة: "مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ، أي: من خير {فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}: فلا يستطيع أحد حبسها" (٤).

عن السدي: "ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، قال: المطر" (٥).
عن وراد - مولى المغيرة بن شعبة - قال: "كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: اكتب لي بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني المغيرة فكتبت إليه: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة قال: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد"، وسمعت ينهاي عن قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال، وعن وأد البنات، وعقوق الأمهات، ومنع وهات" (٦).
وعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: "سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماء والأرض وملء ما شئت من شيء بعد. اللهم، أهل الثناء والمجد. أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد" (٧).

عن ابن وهب، قال: "سمعت مالكا يحدث أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أصبح في الليلة التي يمتطرون فيها وتحدث مع أصحابه، قال: مطرنا الليلة بنوء الفتح ثم يتلو: {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} (٨).

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [فاطر : ٢]، أي: "وهو العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يرسل الرحمة ويمسكها وفق حكمته" (٩).

(١) الدر المنثور: ٤/٧، وعزاه إلى ابن أبي شيبة في "المصنف".

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٢/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٠، وابن أبي حاتم (١٧٩٢٤): ص ٣١٧١/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٥): ص ٣١٧١/١٠.

(٦) المسند (٢٥٤/٤) وصحيح البخاري برقم (٨٤٤) وصحيح مسلم برقم (٥٩٣).

(٧) صحيح مسلم برقم (٤٧٧).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٦): ص ٣١٧١/١٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٤.

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"^(١)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"^(٢).

قال أبو العالية: " {عزيز} في نعمته إذا انتقم"^(٣). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(٤).
عن أبي العالية: " {حكيم}، قال: حكيم في أمره"^(٥).
قال محمد بن جعفر بن الزبير " الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"^(٦).

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣)} [فاطر : ٣]

التفسير:

يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، فلا خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالماء والمعادن وغير ذلك. لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف تُصرفون عن توحيده وعبادته؟

قوله تعالى: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [فاطر : ٣]، أي: " فلا خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالماء والمعادن وغير ذلك"^(٧).
قال السدي: " الرزق من السماء: المطر، ومن الأرض: النبات"^(٨).
قوله تعالى: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [فاطر : ٣]، أي: " لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف تُصرفون عن توحيده وعبادته؟"^(٩).
قال الحسن: " أنى تصرفون"^(١٠).

القرآن

{وَإِنْ يَكْذِبُوا قَوْمًا فَذُكِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤)} [فاطر : ٤]

التفسير:

وإن يكذبك قومك -أيها الرسول- فقد كُذِّبَ رسل من قبلك، وإلى الله تصير الأمور في الآخرة، فيجازي كلا بما يستحق.
قوله تعالى: {وَإِنْ يَكْذِبُوا قَوْمًا فَذُكِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ} [فاطر : ٤]، أي: " وإن يكذبك قومك -أيها الرسول- فقد كُذِّبَ رسل من قبلك"^(١١).
عن قتادة: " {وَإِنْ يَكْذِبُوا قَوْمًا فَذُكِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ}، يعزي نبيه كما تسمعون"^(١٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤):ص٥/١٦٦٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦):ص٥/١٦٦٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣):ص٥/١٦٦٤.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢):ص٦/١٧٦٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣):ص٦/١٧٦٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٧):ص١٠/٣١٧١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٦٦٧):ص٤/١٣٥٣.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٠.

عن الحسن، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده ما أحد من هذه الأمة أصابه من الجهد في الله الذي أصابني»^(١).
 قوله تعالى: {وَاللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [فاطر : ٤]، أي: "وإلى الله تصير الأمور في الآخرة، فيجازي كلا بما يستحق"^(٢).
 عن ابن جرير، في قوله: {وإليه يُرجع الأمر كله}، قال: "فيقضي بينهم بحكمه العدل"^(٣).

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)} [فاطر : ٥-٦]
 التفسير:

يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والثواب والعقاب حق ثابت، فلا تخدعكم الحياة الدنيا بشهواتها ومطالبها، ولا يخدعكم بالله الشيطان. إن الشيطان لبني آدم عدو، فاتخذوه عدوًّا ولا تطيعوه، إنما يدعو أتباعه إلى الضلال؛ ليكونوا من أصحاب النار الموقدة.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [فاطر : ٥]، أي: "يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والثواب والعقاب حق ثابت، فلا تخدعكم الحياة الدنيا بشهواتها ومطالبها"^(٤).
 قال سعيد بن جبیر: "غرور الحياة الدنيا أن يشغل الإنسان بنعيمها وفتنتها عن عمل الآخرة حتى يقول: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر : ٢٤]"^(٥).
 وفي الأثر: "أن الله تعالى ما أعطي أحدا شيئا من الدنيا إلا اغترارا، وما زوى من أحد شيئا من الدنيا إلا اختبارا"^(٦).

قوله تعالى: {وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ} [فاطر : ٥]، أي: "ولا يخدعكم بالله الشيطان"^(٧).
 قال الحسن: "من الغرور أن تعمل المعصية، وتتنمى على الله المغفرة"^(٨).
 قال سعيد بن جبیر: "الغرور بالله جلّ وعزّ أن يكون الإنسان يعمل المعاصي ثم يتمنى على الله جلّ وعزّ المغفرة"^(٩)^(١٠).

ويقول: «الغرور» بضم الغين، وهي: الأباطيل^(١١).
 قوله تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر : ٦]، أي: "إن الشيطان لبني آدم عدو، فاتخذوه عدوًّا ولا تطيعوه"^(١٢).
 قال قتادة: "فإنه لحق على كل مسلم عداوته، وعداوته أن يعاديه بطاعة الله"^(١٣).

(١) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٧٧/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٣) أخرجه الطبري (١٨٧٦٦): ص ٥٤٥/١٥، وانظر: الدر المنثور: ٤/٤٩٣، وعزاه إلى أبي الشيخ.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٥) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٤٥/٣.

(٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٤٥/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٨) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٣٤٥/٤.

(٩) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٤٥/٣.

(١٠) قال النحاس: "هذا أحسن ما قيل فيه". [إعراب القرآن: ٢٤٥/٣].

(١١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٦٣/٤.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٠.

قوله تعالى: {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر : ٦]، أي: "إنما الشيطان يدعو أتباعه إلى الضلال؛ ليكونوا من أصحاب النار الموقدة"^(١).
 عن قتادة: " {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ}، وحزبه: أولياؤه {لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، أي: ليسوقهم إلى النار فهذه عداوته"^(٢).
 وقال بعض العلماء: "وتحت هذا الخطاب نوع لطيف من العتاب كأنه يقول: إنما عاديت إبليس من أجل أبيكم ومن أجلكم، فكيف يحسن بكم أن توالوه؟ بل اللائق بكم أن تعادوه وتخالفوه ولا تطاوعوه"^(٣).

القرآن

{الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} (٧) { [فاطر : ٧]

التفسير:

الذين جحدوا أن الله هو وحده الإله الحق وجحدوا ما جاءت به رسله لهم عذاب شديد في الآخرة، والذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات لهم عفو من ربهم وتجاوز عن ذنوبهم بعد سترها عليهم، ولهم أجر كبير، وهو الجنة.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [فاطر : ٧]، أي: "والذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات لهم عفو من ربهم وتجاوز عن ذنوبهم بعد سترها عليهم، ولهم أجر كبير، وهو الجنة"^(٤).

عن قتادة: " {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، وهي الجنة"^(٥).

عن ابن جريج، في قوله: " {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، قال: كل شيء في القرآن: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} فهو الجنة"^(٦).

القرآن

{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (٨) { [فاطر : ٨]

التفسير:

أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فرآه حسناً جميلاً كمن هداه الله تعالى، فرأى الحسن حسناً والسيئ سيئاً؟ فإن الله يضل من يشاء من عباده، ويهدي من يشاء، فلا تُهلك نفسك حزناً على كفر هؤلاء الضالين، إن الله عليم بقبائحهم وسيجازيهم عليها أسوأ الجزاء.

قوله تعالى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} [فاطر : ٨]، أي: "أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فرآه حسناً جميلاً كمن هداه الله تعالى، فرأى الحسن حسناً والسيئ سيئاً؟"^(٧).

قال قتادة والحسن: "الشيطان زَيَّنَ لهم"^(٨).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٠ / ٢٠.

(٣) حكاه ابن كثير في التفسير: ٥٣٤ / ٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٠ / ٢٠.

(٦) الدر المنثور: ٢٤٦ / ٥، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤١ / ٢٠.

عن أبي قلابة: " أنه سئل، عن هذه الآية: {أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً}، أهم عمالنا هؤلاء الذين يصنعون؟ قال: ليس هم. إن هؤلاء ليس أحدهم يأتي شيئاً مما لا يحل له إلا قد عرف أن ذلك حرام عليه. إن أتى الزنا فهو حرام، أو قتل النفس فهو حرام، إنما أولئك أهل الملل. اليهود، والنصارى، والمجوس، وأظن الخوارج منهم، لأن الخارجي يخرج بسيفه على جميع أهل البصرة، وقد عرف أنه ليس ينال حاجته منهم، وأنهم سوف يقتلونه، ولولا أنه من دينه ما فعل ذلك" (١).

عن عبد الله بن الديلمي، قال: " أتيت عبد الله بن عمرو وهو في حائط بالطائف يقال له: الوهط قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن خطأه منه ضل، فلذلك أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل» ثم قال: حدثني يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حشان البصري، ثنا إبراهيم بن بشير، ثنا يحيى بن معن، ثنا إبراهيم القرشي، عن سعيد بن شريحيل، عن زيد بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «الحمد لله الذي يهدي من الضلالة، ويلبس الضلالة على من أحب»" (٢).

وقرئت: «فلا تذهب نفسك»، بضم التاء وجرم الباء ونصب النفس (٣).
قوله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تُدْرِكُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ} [فاطر : ٨]، أي: " فإن الله يضل من يشاء من عباده، ويهدي من يشاء، فلا تُهلك نفسك حزناً على كفر هؤلاء الضالين" (٤).

قال قتادة: " أي: لا يحزنك ذلك عليهم" (٥).
قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر : ٨]، أي: " إن الله عليم بقبائحهم وسيجازيهم عليها أسوأ الجزاء" (٦).

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون" (٧).

القرآن

{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ
[٩] { [فاطر : ٩]

التفسير:

والله هو الذي أرسل الرياح فتحرك سحاباً، فسقناه إلى بلد جدد، فينزل الماء فأحيينا به الأرض بعد يُبْسها فتخضر بالنبات، مثل ذلك الإحياء يحيي الله الموتى يوم القيامة.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} [فاطر : ٩]، أي: " والله هو الذي أرسل الرياح فتحرك سحاباً" (٨).

قال قتادة: " يرسل الرياح فتسوق السحاب" (٩).

قوله تعالى: {فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [فاطر : ٩]، أي: " فسقنا السحاب الذي يحمل الغيث إلى بلدٍ مجدب قاحل، فأحيينا به الأرض بعد يُبْسها فتخضر بالنبات" (١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣١): ص ٣١٧٢/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٢): ص ٣١٧٢/١٠-٣١٧٣.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤٢٦٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٤١ / ٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤١): ص ١٧٦٤/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٤٣ / ٢٠.

قال قتادة: " فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء" (٢).
 قوله تعالى: {كَذَلِكَ النُّشُورُ} [فاطر : ٩]، أي: " مثل ذلك الإحياء يحيي الله الموتى يوم القيامة" (٣).
 قال قتادة: " فكذاك يبعثه يوم القيامة" (٤).

قال ابن مسعود: " يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فلا يبقى خلق الله في السموات والأرض إلا ما شاء الله ثم يرسل الله من تحت العرش منيا كمني الرجال، فتنتبت أجسامهم ولحمانهم من ذلك الماء كما تنتبت الأرض من الثرى، ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه: {اللَّهُ الَّذِي [يرسل] أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْفَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} يكون بين النفختين ما شاء الله، ثم يقول ملك فينفخ فيه فتنتطق كل نفس إلى جسدها، « فتدخل فيه» (٥) (٦).

عن أبي رزينة العقيلي- رضي الله عنه، قال: "قلت: يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى؟ قال: أما مررت بأرض مجدبة، ثم مررت بها مخضبة تهتز خضراء؟ قال: بلى، قال: كذلك يحيي الله الموتى وكذلك النشور" (٧).

القرآن

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
 السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ} (١٠) [فاطر : ١٠]
 التفسير:

من كان يطلب عزة في الدنيا أو الآخرة فليطلبها من الله، ولا تُنال إلا بطاعته، فله العزة جميعاً، فمن اعتز بالمخلوق أدله الله، ومن اعتز بالخالق أعزه الله، إليه سبحانه يصعد ذكره والعمل الصالح يرفعه. والذين يكتسبون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك يهلك ويفسد، ولا يفيدهم شيئاً.

قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر : ١٠]، أي: " من كان يطلب عزة في الدنيا أو الآخرة فليطلبها من الله، ولا تُنال إلا بطاعته، فله العزة جميعاً" (٨).
 قال مجاهد، قوله: " {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ}، قال: بعبادة الأوثان {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} قال: فليتعزز بطاعة الله" (٩).

عن قتادة، قوله: " {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}، يقول: فليتعزز بطاعة الله" (١٠).
 قوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر : ١٠]، أي: " إليه سبحانه يصعد ذكره" (١١).
 عن شهر بن حوشب: " {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}، قال: القرآن" (١٢).
 عن مطر: " {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}، قال: الدعاء" (١٣).

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٣٥.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٠.
 - (٣) التفسير الميسر: ٤٣٥.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٠.
 - (٥) الزيادة في رواية الطبري: ٤٤٣/٢٠.
 - (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٥): ص ٣١٧٣/١٠، والطبري الطبري: ٤٤٣/٢٠. [باختلاف يسير في الالفاظ].
 - (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٦): ص ٣١٧٣/١٠.
 - (٨) التفسير الميسر ٤٣٥.
 - (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٧): ص ٣١٧٣/١٠.
 - (١٠) أخرجه الطبري: ٤٤٣-٤٤٤/٢٠.
 - (١١) التفسير الميسر ٤٣٥.
 - (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٨): ص ٣١٧٤/١٠.
 - (١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٩): ص ٣١٧٤/١٠.

قوله تعالى: {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر : ١٠]، أي: "أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب"^(١).

قال مجاهد، والضحاك، وشهر بن حوشب: "العمل الصالح يرفع الكلام الطيب"^(٢).

قال الحسن: "العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب"^(٣).

قال الحسن: "العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله، قال: «فإذا كان كلام طيب وعمل سيئ رد القول على العمل، وكان عملك أحق بك من قولك»"^(٤).

قال الحسن وقتادة: "لا يقبل الله قولاً إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه"^(٥).

قال كعب: "قال كعب: إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لدويًا حول العرش كدوي النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن"^(٦).

عن المخارق بن سليم، قال: "قال لنا عبد الله: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقاتلهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}"^(٧).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [فاطر : ١٠]، أي: "والذين يكتسبون السيئات لهم عذاب شديد"^(٨).

عن قتادة، قوله: "والذين يمكرون السيئات"، قال: يعملون السيئات"^(٩)، قال: "هؤلاء أهل الشرك"^(١٠).

قوله تعالى: {وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ} [فاطر : ١٠]، أي: "ومكر أولئك يهلك ويفسد، ولا يفيدهم شيئاً"^(١١).

عن قتادة: "وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ"، أي: يفسد"^(١٢).

قال السدي: "يهلك، فليس له ثواب في الآخرة"^(١٣).

قال شهر بن حوشب: "هم أصحاب الرياء"^(١٤).

القرآن

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)} [فاطر : ١١]

-
- (١) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٠. وهو قول مجاهد وشهر بن حوشب في تفسير الطبري.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٠. عن مجاهد وشهر بن حوشب، وقول شهر بن حوشب "الكلم الطيب". وأخرج ابن أبي حاتم (١٧٩٤١) ص: ٣١٧٤/١٠ قول الضحاك. وانظر: تفسير مجاهد: ٥٥٧.
(٣) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٠/٢.
(٤) تفسير عبدالرقيق (٢٤٣٥) ص: ٦٨/٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٤٥-٤٤٤/٢٠.
(٨) التفسير الميسر: ٤٣٥.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٣) ص: ٣١٧٤/١٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٠.
(١١) التفسير الميسر: ٤٣٥.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٠.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٤) ص: ٣١٧٤/١٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٠.

التفسير:

والله خلق أباكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم جعلكم رجالا ونساءً. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يعمر من معمر، فيطول عمره، ولا ينقص من عمره إلا في كتاب عنده، وهو اللوح المحفوظ، قبل أن تحمل به أمه وقبل أن تضعه. قد أحصى الله ذلك كله، وعلمه قبل أن يخلقه، لا يزداد فيما كتب له ولا ينقص. إن خلقكم وعلم أحوالكم وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [فاطر : ١١]، أي: "والله خلق أباكم آدم من تراب" (١).
قال قتادة: "يعني: آدم" (٢).

قوله تعالى: {ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} [فاطر : ١١]، أي: "ثم خلق ذريته من ماء مهين وهو المنى الذي يُصب في الرحم" (٣).

قال قتادة: "يعني: ذريته" (٤).

قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا} [فاطر : ١١]، أي: "ثم جعلكم رجالا ونساءً" (٥).

قال قتادة: "فزوج بعضكم بعضاً" (٦).

قوله تعالى: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ} [فاطر : ١١]، أي: "وما يعمر من معمر، فيطول عمره، ولا ينقص من عمره إلا في كتاب عنده، وهو اللوح المحفوظ، لا يزداد فيما كتب الله ولا ينقص" (٧).

وفي قوله تعالى: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ} [فاطر : ١١]، وجهان من

التفسير:

أحدهما: معناه: ما يزداد عمر معمر حتى يدركه الهرم، ولا ينقص آخر من عمر الهرم إلا في كتاب، يعني: هذا مكتوب في اللوح المحفوظ ومفروغ منه فلا يكون فيه زيادة ونقص. والهاء في قوله: {من عمره} يرجع إلى آخر. قال بهذا المعنى: مجاهد (٨)، والضحاك (٩).

قال أبو معاذ: "من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الكبر، أو يعمر أنقص من ذلك، فكل بالغ أجله الذي قد قضى له، كل ذلك في كتاب" (١٠).

عن مجاهد: "وما يعمر من معمر إلا كتب الله له أجله في بطن أمه {ولا ينقص من عمره} يوم تضعه أمه بالغا ما بلغ، يقول: لم يخلق الناس كلهم على عمر واحد. لذا عمر ولذا عمر هو أنقص من عمر هذا وكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغا ما بلغ" (١١).

قال قتادة: "أما العمر فمن بلغ ستين سنة، وأما الذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل أن يبلغ ستين سنة" (١٢).

عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو بخمسة وأربعين ليلة فيقول: أي رب أشقي أم سعيد؟ أذكر أم أنثى؟ فيقول

(١) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٠.

(٣) صفوة التفسير: ٥٢١/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٠.

(٧) انظر: التفسير الميسر: ٤٣٥، و صفوة التفسير: ٥٢١/٢.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٩٥١): ص ٣١٧٥/١٠.

(٩) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٤٣/٥-٤٤٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٠.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥١): ص ٣١٧٥/١٠.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٥): ص ٣١٧٦/١٠.

الله ... ويكتبان ثم يكتب عمله، ورزقه وأجله وأثره ومصيبته، ثم تنطوي الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص منها»^(١).

الثاني: معناه: ما يطول عمر أحد، ولا يذهب من عمره شيء، فيُنْقَصُ إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب، قد أحصاه وعلمه. و«الهاء» على هذا التفسير للمعمر الأول. به قال عكرمة^(٢)، وأبو مالك^(٣).

عن أبي مالك في هذه الآية: «{وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ}»، قال: ما يقضي من أيامه التي عدت له إلا في كتاب»^(٤).

قال أبو مالك: "ليس يوم يسلبه من عمره إلا في كتاب كل يوم في نقصان"^(٥).

قال سعيد بن جبير: "مكتوب في أول الصحيفة عمره كذا وكذا، ثم يكتب في أسفل ذلك: ذهب يوم كذا وكذا، ومضى يوم كذا حتى يأتي على أجله"^(٦).

قال حسان بن عطية: "كل ما ذهب من يوم وليلة فهو نقصان من عمره"^(٧).

قال السدي: "ليس من مخلوق إلا كتب الله له عمره جملة فكل يوم يمر به أو ليلة يكتب: نقص من عمر فلان كذا وكذا. حتى يستكمل بالنقصان عدة ما كان له من أجل مكتوب فعمره جميعا في كتاب ونقصانه في كتاب"^(٨).

عن عكرمة، قال: "وما يعمر من معمر ولا ينقص: من عمر آخر"^(٩).

وقال عكرمة: "ما من يوم يعمر في الدنيا إلا ينقص من أجله"^(١٠).

قال عطاء الخراساني: "لا يذهب من عمر إنسان يوم ولا شهر ولا ساعة إلا ذلك مكتوب محفوظ معلوم"^(١١).

والقول الأول وأولى القولين بالصواب، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه، وأشبههما بظاهر التنزيل^(١٢)، والأولى أن يقال: ظاهر النظم القرآني أن تطويل العمر وتقصيره: هما بقضاء الله وقدره لأسباب تقتضي التطويل، وأسباب تقتضي التقصير.

فمن أسباب التطويل: ما ورد في صلة الرحم عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك. ومن أسباب التقصير الاستكثار من معاصي الله عز وجل، فإذا كان العمر المضروب للرجل مثلا سبعين سنة، فقد يزيد الله له عليها إذا فعل أسباب الزيادة، وقد ينقصه منها إذا فعل أسباب النقصان، والكل في كتاب مبين فلا تخالف بين هذه الآية، وبين قوله سبحانه: {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف : ٣٤]، ويؤيد هذا قوله سبحانه: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد : ٣٩]»^(١٣).

قال كعب الأحبار: "لما طعن عمر بن الخطاب لو دعا الله لزداد في أجله، فأنكر ذلك عليه المسلمون، وقالوا: إن الله عز وجل يقول: {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف : ٣٤]، فقال:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٨): ص ٣١٧٦/١٠.

(٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨١/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٨): ص ٣١٧٥/١٠.

(٦) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨١/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٩): ص ٣١٧٥/١٠، بلفظ: «ثم يكتب في أسفل ذلك: يوم ذلك يومان حتى يأتي على آخر عمره»

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٠): ص ٣١٧٥/١٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٣): ص ٣١٧٦-٣١٧٥/١٠.

(٩) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨١/٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٧): ص ٣١٧٥/١٠.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٤): ص ٣١٧٦/١٠.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٤٨-٤٤٩.

(١٣) فتح القدير: ٣٩٢/٤-٣٩٣.

وإن الله تعالى يقول: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ}، قال الزهري نرى أنه يؤخر ما لم يحضر الأجل فإذا حضر الأجل لم يزد في العمر ولم يقع تأخير^(١). وفي رواية: "فقال: هذا إذا حضره الأجل، فأما قبل ذلك فيجوز أن يزداد وينقص، وقرأ هذه الآية"^(٢). وروى ن أبي الدرداء رضي الله، عنه قال: "ذكرنا، عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده، فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر»"^(٣). قوله تعالى: {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [فاطر : ١١]، أي: "إن خلقكم وعلم أحوالكم وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله"^(٤). قال السدي: "يعني: هين عليه وليس بشديد عليه"^(٥).

القرآن

{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَمَنْ كُلُّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طريًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)} [فاطر : ١٢]

التفسير:

وما يستوي البحرين: هذا عذب شديد العذوبة، سهلٌ مروره في الحلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة، ومن كل من البحرين تأكلون سمگا طريًّا شهيًّا الطعم، وتستخرجون زينة هي اللؤلؤ والمرجان تلبسونها، وترى السفن فيه شاقات المياه؛ لتبتغوا من فضله من التجارة وغيرها. وفي هذا دلالة على قدرة الله ووحدانيته؛ ولعلكم تشكرون لله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم. قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ} [فاطر : ١٢]، أي: "وما يستوي البحرين: هذا عذب شديد العذوبة، سهلٌ مروره في الحلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة"^(١).

عن قتادة، قوله: "وهذا ملحٌ أجاجٌ"، والأجاج: المر"^(٢).

عن سنان بن سلمة: "أنه سأل ابن عباس، عن ماء البحر فقال: بحران لا يضرك فمن أيهما توضأت ماء البحر وماء الفرات"^(٣).

قوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طريًّا} [فاطر : ١٢]، أي: "ومن كل من البحرين تأكلون سمگا طريًّا شهيًّا الطعم"^(٤).

عن قتادة، قوله: "وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طريًّا"، أي: منهما جميعًا"^(٥).

عن السدي، قوله: "وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طريًّا"، قال: السمك"^(٦).

- (١) رواه النحاس في معاني القرآن: ٤٤٥/٥.
- (٢) نقلًا عن تفسير السمعاني: ٣٥١/٤.
- (٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٢): ص ٣١٧٤/١٠.
- (٤) التفسير الميسر: ٤٣٥.
- (٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨١/٢.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.
- (٧) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢٠.
- (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٠): ص ٣١٧٧/١٠.
- (٩) التفسير الميسر: ٤٣٦.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢٠.
- (١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦١): ص ٣١٧٧/١٠.

قوله تعالى: {وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا} [فاطر : ١٢]، أي: "وتستخرجون زينة هي اللؤلؤ والمرجان تلبسونها"^(١).

عن قتادة، قوله: "وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا"، هذا اللؤلؤ"^(٢).

عن السدي، قوله: "وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا"، قال: اللؤلؤ من البحر الأجاج"^(٣).

قوله تعالى: {وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ} [فاطر : ١٢]، أي: "وترى السفن فيه شاقات المياه"^(٤).

عن قتادة، قوله: "وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ"، فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة، ولكي تشكروا الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم"^(٥).

وقال مجاهد: "تمخر الريح السفن، ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام"^(٦).

قوله تعالى: {لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [فاطر : ١٢]، أي: "لتبتغوا من فضله من التجارة وغيرها"^(٧).

عن مجاهد: {لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ}، قال: "طلب التجارة في البحر"^(٨).

القرآن

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣)} [فاطر : ١٣]
التفسير:

والله يدخل من ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقدر ما نقص من الليل، ويدخل من ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقدر ما نقص من النهار، وذلك الشمس والقمر، يجريان لوقت معلوم، ذلكم الذي فعل هذا هو الله ربكم له الملك كله، والذين تعبدون من دون الله ما يملكون من قطمير، وهي القشرة الرقيقة البيضاء تكون على النواة.

قوله تعالى: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [فاطر : ١٣]، أي: "والله يدخل من ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقدر ما نقص من الليل، ويدخل من ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقدر ما نقص من النهار"^(٩).

عن قتادة، قوله: "يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ"، زيادة هذا في نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا"^(١٠).

قال مجاهد: "هو أخذ أحدهما من صاحبه"^(١١).

وقال القرظي: "يدخل من ليل الشتاء في نهار الصيف، ويدخل من نهار الصيف في ليالي الشتاء"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٠ / ٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦١) :ص ٣١٧٧/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٠ / ٢٠.

(٦) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٥٤٠ / ٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٨) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٢ / ٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٥٠ / ٢٠.

(١١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٢ / ٢.

(١٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٠٨) :ص ٥٥ / ٢.

قوله تعالى: {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} [فاطر : ١٣]، أي: "وذلل الشمس والقمر، يجريان لوقت معلوم"^(١).

قال قتادة: "أجل معلوم، وحد لا يقصر دونه ولا يتعداه"^(٢).

وقال السدي: "وهو مطالع الشمس والقمر إلى غاية لا يجاوزانه في شتاء ولا صيف"^(٣).

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ} [فاطر : ١٣]، أي: "ذلكم الذي فعل هذا هو الله ربكم له الملك كله"^(٤).

عن قتادة، قوله: "ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ"، أي: هو الذي يفعل هذا"^(٥).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر : ١٣]، أي: "والذين تعبدون من دون الله ما يملكون من قطمير، وهي القشرة الرقيقة البيضاء تكون على النواة"^(٦).

قال قتادة: "القطمير: القشرة التي على رأس النواة"^(٧).

قال عطية: "القطمير: قشر النواة"^(٨).

عن جويبر عن بعض أصحابه في قوله: "مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ"، قال: هو القمع الذي يكون على

التمر"^(٩).

وقال مجاهد: "لغافة النواة كسحاة البيضة"^(١٠). وفي لفظ: "لغافة النواة كشحاة البصلة"^(١١).

القرآن

{إِنْ تَدْعُوهُمْ لَأَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ

خَبِيرٍ (١٤)} [فاطر : ١٤]

التفسير:

إن تدعوا -أيها الناس- هذه المعبودات من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا على سبيل الفرض ما أجابوكم، ويوم القيامة يتبرؤن منكم، ولا أحد يخبرك -أيها الرسول- أصدق من الله العليم الخبير.

قوله تعالى: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَأَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ} [فاطر : ١٤]، أي: "إن تدعوا -أيها الناس- هذه

المعبودات من دون الله لا يسمعوا دعاءكم"^(١٢).

عن السدي، قوله: "إِنْ تَدْعُوهُمْ لَأَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ"، قال: هي الآلهة لا تسمع دعاء من دعاها

وعبدها من دون الله تعالى"^(١٣).

قوله تعالى: {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ} [فاطر : ١٤]، أي: "ولو سمعوا على سبيل الفرض ما

أجابوكم"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥١ / ٢٠.

(٣) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٢ / ٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥١ / ٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٥٢ / ٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٥٢ / ٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٢ / ٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٥٢ / ٢٠.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٣): ص ٣١٧٧ / ١٠.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٥): ص ٣١٧٧ / ١٠.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٣٦.

عن قتادة، قوله: "{إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}، أي: ما قبلوا ذلك عنكم، ولا نفعوكم فيه"^(١).
 عن السدي، قوله: "{وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}، قال: ولو سمعت الآلهة دعاءكم ما استجابوا لكم بشيء من الخير"^(٢).
 قوله تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ} [فاطر : ١٤]، أي: وفي الآخرة حين ينطقهم الله يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم"^(٣).
 عن قتادة: "{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ} إياهم ولا يرضون ولا يقرون به"^(٤).
 عن السدي، قوله: "{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ}، قال: بعبادتكم إياهم"^(٥).
 قوله تعالى: {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر : ١٤]، أي: "ولا أحد يخبرك -أيها الرسول- أصدق من الله العليم الخبير"^(٦).
 عن قتادة، قوله: "{وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}، والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة"^(٧).

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦)}
 [فاطر : ١٥ - ١٦]
 التفسير:

يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، لا تستغنون عنه طرفة عين، وهو سبحانه الغني عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بالناس منه، فله الحمد والشكر على كل حال، إن يشأ الله يهلككم أيها الناس، ويأت بقوم آخرين يطيعونه ويعبدونه وحده.
 قوله تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} [فاطر : ١٦]، أي: "إن يشأ الله يهلككم أيها الناس ويأت بقوم آخرين يطيعونه ويعبدونه وحده"^(٨).
 قال قتادة: "أي: ويأت بغيركم"^(٩).

القرآن

{وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)} [فاطر : ١٧]
 التفسير:

وما إهلاككم والإتيان بخلق سواكم على الله بممتنع، بل ذلك على الله سهل يسير.
 قال السدي: "يعني: وما ذلك على الله بشديد"^(١٠).

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٥): ص ٣١٧٧/١٠.

(٣) صفة التفسير: ٥٢٢/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٥): ص ٣١٧٧/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٠.

(١٠) علقه يحيى بن سلام ٧٨٣/٢.

القرآن

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨)} [فاطر : ١٨]

التفسير:

ولا تحمل نفس مذنب ذنب نفس أخرى، وإن تسأل نفساً مثقلة بالخطايا من يحمل عنها من ذنوبها لم تجد من يحمل عنها شيئاً، ولو كان الذي سألته ذا قرابة منها من أب أو أخ ونحوهما. إنما تنذر -أيها الرسول- الذين يخافون عذاب ربهم بالغيب، وأدوا الصلاة حق أدائها. ومن تطهر من الشرك وغيره من المعاصي فإنما يتطهر لنفسه. وإلى الله سبحانه مآل الخلائق ومصيرهم، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} [فاطر : ١٨]، أي: "ولا تحمل نفس مذنب ذنب نفس أخرى"^(١).

قال السدي: يعني: "لا تحمل حاملة ذنب نفس أخرى"^(٢).

عن مجاهد، في قوله: "وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء" كنعو ولا تزر وازرة وزر أخرى"^(٣).

قوله تعالى: {وَأَن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} [فاطر : ١٨]، أي: "وإن تسأل نفساً مثقلة بالخطايا من يحمل عنها من ذنوبها لم تجد من يحمل عنها شيئاً، ولو كان الذي سألته ذا قرابة منها من أب أو أخ ونحوهما"^(٤).

عن قتادة: "وإن تدع مثقلة إلى حملها إلى ذنوبها، لا يحمل منها شيء" ولو كان ذا قرابي، أي: قريب القرابة منها، لا يحمل من ذنوبها شيئاً، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئاً"^(٥).

قال عطاء الخراساني: "إن تدع نفس مثقلة من الخطايا ذا قرابة أو غير ذي قرابة لا يحمل، عنها من خطاياها شيء"^(٦).

قال عبد الكريم بن الحارث: "يمر الوالد بولده يوم القيامة وهو يحمل ما عليه فيقول لابنه: يا بني، ادن مني خفف عني مما أحمل، فيقول ابنه: إليك عني يا أبتاه، فإن علي ما شغلني وأثقلني؛ فهذا تفسير قول الله تبارك وتعالى: {وإن تدع مثقلة إلى حملها ولا يحمل منه شيء ولو كان ذا قرابي}"^(٧).

قال عكرمة: "إن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم كان يخلق بابه دوني، وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له: يا مؤمن إن لي، عندك يدا قد عرفت كيف كنت في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربه حتى يرده إلى منزلة دون منزلة وهو في النار، وأن الوالد يتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيراً فيقول: يا بني إنني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول له ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت؟ ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخوفت، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجه فيقول: يا فلانة، أي زوج كنت لك؟ فتثني خيراً فيقول لها: فإني أطلب إليك حسنة واحدة تهيبها لي، لعلي أنجو مما ترين قالت:

(١) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٣/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٨) ص: ٣١٧٨/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٥ / ٢٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٦) ص: ٣١٧٧/١٠.

(٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢١٣) ص: ١٠٨/٢.

ما أيسر ما طلبت! لكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخوفت يقول الله: وإن تدع مثقلة إلى حملها... ويقول الله: {يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ} [لقمان : ٣٣] ، و {يَوْمَ يَوْرُ الْمَرْءِ مِنْ أَخِيهِ} (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ} [عبس : ٣٤-٣٥]"^(١).

قوله تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ} [فاطر : ١٨]، أي: "إنما تحذر -أيها الرسول- الذين يخافون عذاب ربهم بالغيب"^(٢).

عن قتادة، قوله: {إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ}، أي: يخشون النار «والحساب»^(٣)"^(٤).

قوله تعالى: {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [فاطر : ١٨]، أي: "وأدوا الصلاة حق أدائها"^(٥).

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"^(٦).

قال الحسن: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"^(٧). وروي عن عطاء بن أبي رباح، وفتادة نحو ذلك^(٨).

قوله تعالى: {وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ} [فاطر : ١٨]، أي: "ومن تطهر من الشرك وغيره من المعاصي فإنما يتطهر لنفسه"^(٩).

قال قتادة: "أي: من يعمل صالحاً فإنما يعمل لنفسه"^(١٠).

القرآن

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)} [فاطر : ١٩-٢٤]
التفسير:

وما يستوي الأعمى عن دين الله، والبصير الذي أبصر طريق الحق واتبعه، وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، ولا الظل ولا الريح الحارة، وما يستوي أحياء القلوب بالإيمان، وأموات القلوب بالكفر. إن الله يسمع من يشاء سماع فهم وقبول، وما أنت -أيها الرسول- بمسمع من في القبور، فكما لا تُسمع الموتى في قبورهم فكذلك لا تُسمع هؤلاء الكفار لموت قلوبهم، إن أنت إلا نذير لهم غضب الله وعقابه. إنا أرسلناك بالحق، وهو الإيمان بالله وشرائع الدين، مبشراً بالجنة من صدقك وعمل يهديك، ومحذراً من كذبك وعصاك النار. وما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذرنا عاقبة كفرها وضلالها.

قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} [فاطر : ١٩]، أي: "وما يستوي الأعمى عن دين الله، والبصير الذي أبصر طريق الحق واتبعه"^(١١).

عن السدي: "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ": قال: الكافر والمؤمن"^(١٢).

قال السدي: "يعني: بصر القلب بالإيمان وهو المؤمن"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٧): ص ٣١٧٨/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٣) زيادة في رواية ابن أبي حاتم (١٧٩٧٠): ص ٣١٧٨/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٦ / ٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٢٢): ص ١٠٠٤/٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٢١): ص ١٠٠٤/٣.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥٦٢٢): ص ١٠٠٤/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٥٦ / ٢٠.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧١): ص ٣١٧٩/١٠.

قوله تعالى: {وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ} [فاطر : ٢٠]، أي: "وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان"^(٢).
 عن السدي: " {وَلَا الظُّلُمَاتُ} قال: الكفر {وَلَا النُّورُ}، قال: الإيمان"^(٣).
 قوله تعالى: {وَلَا الظُّلْمُ وَلَا الْحَرُورُ} [فاطر : ٢١]، أي: "وما يستوي الظلم، والريح الحارة"^(٤).
 عن السدي: " {وَلَا الظُّلْمُ} قال: الجنة، {وَلَا الْحَرُورُ}، قال: النار"^(٥).
 قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ} [فاطر : ٢٢]، أي: "وما يستوي أحياء القلوب
 بالإيمان، وأموات القلوب بالكفر"^(٦).
 عن السدي: " {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ}، قال: المؤمن والكافر"^(٧).
 عن قتادة، قوله: " { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلْمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الْحَرُورُ}،
 الآية، خلقاً فضل بعضه على بعض؛ فأما المؤمن فعبد حي الأثر، حي البصر، حي النية، حي العمل، وأما
 الكافر فعبد ميت؛ ميت البصر، ميت القلب، ميت العمل"^(٨).
 قال قتادة: " هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن يقول: «كما لا يستوي هذا كذلك لا يستوي الكافر
 والمؤمن»"^(٩).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر : ٢٢]، أي: "إن الله يسمع
 من يشاء إسماعه دعوة الحق، فيحبه بالإيمان ويشرح صدره للإسلام، وما أنت يا محمد بمسمع هؤلاء
 الكفار، لأنهم أموات القلوب لا يدركون ولا يفقهون"^(١٠).
 عن السدي: " {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ}، قال: يهدي من يشاء"^(١١).
 عن قتادة: {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} ، قال: " كذلك الكافر لا يسمع، ولا
 ينتفع بما يسمع"^(١٢).

قوله تعالى: {إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر :
 ٢٤]، أي: "إن أنت إلا نذير لهم غضب الله وعقابه إنا أرسلناك بالحق، وهو الإيمان بالله وشرائع الدين،
 مبشراً بالجنة من صدقك وعمل بهديك، ومحذراً من كذبك وعصاك النار، وما من أمة من الأمم إلا جاءها
 نذير يحذرنا عاقبة كفرها وضلاله"^(١٣).
 عن قتادة: {وَأَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}، قال: " كل أمة كان لها رسول"^(١٤).

القرآن

{وَأَنْ يَكُذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥)} [فاطر :
 ٢٥]

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٤/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧١): ص ٣١٧٩/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧١): ص ٣١٧٩/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧١): ص ٣١٧٩/١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٥٨ / ٢٠.

(٩) تفسير عبدالرزاق (٢٤٤٠): ص ٦٩/٣.

(١٠) صفوة التفاسير: ٥٢٥/٢.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧١): ص ٣١٧٩/١٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٥٩ / ٢٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٦٠ / ٢٠.

التفسير:

وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم الذين جاؤوهم بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم، وجاؤوهم بالكتب المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر.

قوله تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [فاطر : ٢٥]، أي: "وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم" (١).

قال قتادة: "يعزي نبيه" (٢).

قوله تعالى: {جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [فاطر : ٢٥]، أي: "جاءتهم رسلهم بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم" (٣).

عن السدي: {بِالْبَيِّنَاتِ}، يعني: "الآيات التي كانت تجيء بها الأنبياء إلى قومهم" (٤).

قوله تعالى: {وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} [فاطر : ٢٥]، أي: "وجاؤوهم بالكتب المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر" (٥).

قال أبو سليمان في قوله: {والكتاب المنير}: "يعني به الكتاب النيرة بالبراهين والحجج" (٦).

عن قتادة، قوله: "بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ"، أي: الكتب، {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}، يضعف الشيء وهو واحد" (٧).

القرآن

{ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)} [فاطر : ٢٦]

التفسير:

ثم أخذت الذين كفروا بأنواع العذاب، فانظر كيف كان إنكاري لعملمهم وحلول عقوبتي بهم؟ بهم؟" (٨).

عن قتادة: "فكيف كان نكير"، قال: شديد. والله لقد عجل لهم عقوبة الدنيا ثم صيرهم إلى النار" (٩).
وأثبت ورش عن نافع وشيبة الياء في: «نكيري»، حيث وقعت في الوصل دون الوقف. وأثبتها يعقوب في الحاليين، وحذفها الباقيون في الحاليين (١٠).

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ (٢٧)} [فاطر : ٢٧]

التفسير:

- (١) التفسير الميسر: ٤٣٧.
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٢): ص ٣١٧٩/١٠.
- (٣) التفسير الميسر: ٤٣٧. [بتصرف]
- (٤) علقه يحيى بن سلام ٧٨٥ / ٢.
- (٥) التفسير الميسر: ٤٣٧. [بتصرف]
- (٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٥٥/١.
- (٧) أخرجه الطبري: ٤٦٠ / ٢٠.
- (٨) التفسير الميسر: ٤٣٧.
- (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٢): ص ٣١٧٩/١٠.
- (١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٣٤١/١٤.

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فسقينا به أشجاراً في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها، منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك؟ وخلقنا من الجبال طرائق بيضاً وحمراً مختلفاً ألوانها، وخلقنا من الجبال جبلاً شديدة السواد.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا} [فاطر : ٢٧]، أي: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فسقينا به أشجاراً في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها"^(١).

عن قتادة، قوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا}، أحمر وأخضر وأصفر"^(٢).

قوله تعالى: {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا} [فاطر : ٢٧]، أي: "وخلقنا من الجبال طرائق بيضاً وحمراً مختلفاً ألوانها"^(٣).

عن قتادة، قوله: {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ}، أي: طرائق بيض {وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا} أي: جبال حمر وبيض"^(٤).

عن الضحاك، قوله: {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ}، طرائق بيض وحمرة وسود"^(٥).
قوله تعالى: {وَعَرَابِيْبُ سُودٌ} [فاطر : ٢٧]، أي: "وخلقنا من الجبال جبلاً شديدة السواد"^(٦).
قال عكرمة: "الغرابيب: الجبال الطوال السود"^(٧).

عن أبي مالك، قوله: {وَعَرَابِيْبُ سُودٌ}، قال: جبال سود"^(٨).
عن قتادة، قوله: {وَعَرَابِيْبُ سُودٌ}، هو الأسود، يعني: لونه"^(٩).

القرآن

{وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر : ٢٨]

التفسير:

وخلقنا من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم ما هو مختلف ألوانه كذلك، فمن ذلك الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك كاختلاف ألوان الثمار والجبال. إنما يخشى الله ويتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماء به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء، ومنها اختلاف هذه المخلوقات مع اتحاد سببها، ويتدبرون ما فيها من عظات وعبر. إن الله عزيز قوي لا يغالب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم.

قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ} [فاطر : ٢٨]، أي: "وخلقنا من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم ما هو مختلف ألوانه كذلك، فمن ذلك الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك كاختلاف ألوان الثمار والجبال"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٦٢ / ٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٦٢ / ٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٦٢ / ٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٧) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٥٤٤ / ٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٥): ص ٣١٧٩ / ١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٢ / ٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٧.

قال أبو مالك: "كذلك اختلاف الناس والدواب والأنعام كاختلاف الجبال"^(١).
قال قتادة: "كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك"^(٢).
قال الضحاك: "وكذلك الناس مختلف ألوانهم"^(٣).
قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر : ٢٨]، أي: "إنما يخشى الله ويتقى عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماء به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء"^(٤).
قال أبو مالك: "ثم قال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، فلا فضل لما قبلها"^(٥).
عن صالح أبي الخليل، قوله: " {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} قال: أعلمهم بالله أشدهم له خشية"^(٦).
قال قتادة: "كان يقال: كفى بالرهبة علماً"^(٧).
عن عبد الله بن مسعود قال: "ليس العلم رواية الحديث ولكن العلم الخشية"^(٨). قال يحيى: نراه أنه، يعني: أنه من خشى الله فهو عالم"^(٩).
قال مالك بن أنس: "إن العلم ليس بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله في القلب"^(١٠).
قال الحسن: "الإيمان: من خشى الله بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما أسخط، ثم تلا: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}"^(١١).
عن أبي حيان التميمي، عن رجل قال: "كان يقال: العلماء ثلاثة عالم بالله، وعالم بأمر الله، وعالم بغير الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود: لا الفرائض والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله: الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله"^(١٢).
قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر : ٢٨]، أي: "إن الله عزيز قوي لا يغالب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم"^(١٣).
عن أبي العالية: {والله عزيز}، يقول: عزيز في نعمته إذا انتقم"^(١٤).
عن ابن إسحاق: {والله غفور}، "أي: يغفر الذنوب"^(١٥).

-
- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٥): ص ٣١٧٩/١٠-٣١٨٠.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٤٦٢ / ٢٠.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٤٦٢ / ٢٠.
 - (٤) التفسير الميسر: ٤٣٧.
 - (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٥): ص ٣١٧٩/١٠-٣١٨٠.
 - (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٩): ص ٣١٨٠/١٠.
 - (٧) أخرجه الطبري: ٤٦٣ / ٢٠.
 - (٨) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٦/٢.
 - (٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٦/٢.
 - قال أحمد بن صالح المصري: "معناه: أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وأما العلم الذي فرض الله، عز وجل، أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة، رضي الله عنهم، ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله: "نور" يريد به فهم العلم، ومعرفة معانيه". [نقلا عن تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦]
 - (١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٨١): ص ٣١٨٠/١٠.
 - (١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٨٢): ص ٣١٨٠/١٠.
 - (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٨٠): ص ٣١٨٠/١٠.
 - (١٣) التفسير الميسر: ٤٣٧.
 - (١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٢٤): ص ١٢١٠/٤.
 - (١٥) أخرجه الطبري (٧٨٢٢): ص ٢٠٣/٧.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)} [فاطر : ٢٩-٣٠] التفسير:

إن الذين يقرؤون القرآن، ويعملون به، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سرًّا وجهراً، هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه؛ ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص، ويضاعف لهم الحسنات من فضله، إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [فاطر : ٢٩]، أي: "إن الذين يقرؤون القرآن، ويعملون به، وداوموا على الصلاة في أوقاتها"^(١).

عن الزهري: {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ}، قال: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"^(٢).

قوله تعالى: {وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} [فاطر : ٢٩]، أي: "وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سرًّا وجهراً"^(٣).

عن سعيد بن جبير، في قوله: "وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ" يعني: من الأموال {سرًّا وعلانية} يعني: في حق الله وطاعته"^(٤).

قال ابن مسعود: "إن فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على العلانية"^(٥).
قوله تعالى: {يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ} [فاطر : ٢٩]، أي: "هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه"^(٦).

عن السدي: "لَّنْ تَبُورَ"، قال: لن تهلك"^(٧).

قال قتادة: "الجنة، لن تبور لا تبيد"^(٨).

عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول: «تعلموا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة». قال: ثم سكت ساعة، ثم قال: "تعلموا سورة البقرة، وآل عمران؛ فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب. فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه، والخذل بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن. ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هذا كان أو ترتيلا»"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٢٢) بس ١٠٠٤/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٤) الدر المنثور: ٦٣٧/٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٧/٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٨٤) بص ٣١٨١/١٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٨٣) بص ٣١٨٠/١٠.

(٩) رواه أحمد (٢٢٩٥٠) بص ٤١/٣٨، إسناده حسن في المتابعات والشواهد من أجل بشير بن المهاجر الغنوي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وحسنه الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ٦٢/١، ولبعضه شواهد يصح بها. أبو نعيم: هو الفضل بن دكين الملائي.

قوله تعالى: {لِيُوقِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [فاطر : ٣٠]، أي: "ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملا غير منقوص ويضاعف لهم الحسنات من فضله"^(١).
 عن الحسن: "وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ"، قال: "تضاعف لهم الحسنات، يثابون عليها في الجنة"^(٢).
 قوله تعالى: {إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر : ٣٠]، أي: "إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب"^(٣).
 قال قتادة: "إنه غفور لذنوبهم، شكور لحسناتهم"^(٤).
 قال قتادة: "كان مطرف إذا مر بهذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ يَنْتَلُونَ كِتَابَ}، يقول: هذه آية القراء"^(٥).

القرآن

{وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} (٣١) [فاطر : ٣١]

التفسير:

والذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- من القرآن هو الحق المصدق للكتب التي أنزلها الله على رسله قبلك. إن الله لخبير بشؤون عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.
 قوله تعالى: {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [فاطر : ٣١]، أي: "والذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- من القرآن هو الحق المصدق للكتب التي أنزلها الله على رسله قبلك"^(٦).
 عن قتادة، قوله: {مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}، قال: "للكتب التي خلت قبله"^(٧).
 قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} [فاطر : ٣١]، أي: "إن الله لخبير بشؤون عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها"^(٨).
 عن قتادة: "{خبير}"، قال: "خبير بخلقه"^(٩).

القرآن

وأخرجه مطولا ومختصرا أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٨٤-٨٥، وابن أبي شيبة في "مسنده" كما في "إتحاف الخيرة" (٧٩٧٩)، وفي "مصنفه" ٤٩٢/١٠-٤٩٣، والدارمي (٣٣٩١)، ومحمد بن نصر المروزي في "قيام الليل" (٢٠٢)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٩٩)، وابن عدي في "الكامل" ٤٥٤/٢، والحاكم ٥٦٠/١، والواحدي في "الوسيط" ٤١١/١، وأبو محمد البغوي في "تفسيره" ٣٣/١-٣٤، وفي "شرح السنة" (١١٩٠) وحسنه بإثره - من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين. وبعضهم لم يسق لفظه.

وأخرجه مطولا ومختصرا كذلك البزار (٢٣٠٢ - كشف الأستار)، والعقيلي في "الضعفاء" ١٤٤/١، والأجري في "أخلاق أهل القرآن" (٢٤)، وابن عدي ٤٥٤/٢، والحاكم ٥٥٦/١ و٥٦٠ و٥٦٨-٥٦٧، والبيهقي في "شعب الإيمان" (١٩٨٩) و (١٩٩٠) من طرق عن بشير بن المهاجر، به. ورواية الحاكم في الموضع الأخير مختصرة بلفظ: "من قرأ القرآن وتعلمه، وعمل به، ألبس يوم القيامة تاجا من نور، ضوءه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا تقوم بهما الدنيا، فيقولان: بم كسبنا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن".

- (١) التفسير الميسر: ٤٣٧.
- (٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٧/٢.
- (٣) التفسير الميسر: ٤٣٧.
- (٤) أخرجه الطبري: ٤٦٤ / ٢٠.
- (٥) أخرجه الطبري: ٤٦٤ / ٢٠.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٣٨.
- (٧) أخرجه الطبري: ٤٦٤-٤٦٥ / ٢٠.
- (٨) التفسير الميسر: ٤٣٨.
- (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٩٤): ص ٢٧١٣/٨.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ
اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)﴾ [فاطر : ٣٢]

التفسير:

ثم أعطينا -بعد هلاك الأمم- القرآن من اخترناهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم: فمنهم ظالم لنفسه بفعل بعض المعاصي، ومنهم مقتصد، وهو المؤدي للواجبات المجتنب للمحرمات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، أي مسارع مجتهد في الأعمال الصالحة، فرضيها ونفلها، ذلك الإعطاء للكتاب واصطفاء هذه الأمة هو الفضل الكبير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر : ٣٢]، أي: "ثم أعطينا -بعد هلاك الأمم- القرآن من اخترناهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم" (١).

قال مجاهد: "هذا مثل التي في الواقعة {وكنتم أزواجا ثلاثة} [الواقعة: ٧]" (٢).

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [فاطر : ٣٢]، أي: "فمنهم ظالم لنفسه بفعل بعض المعاصي، ومنهم المؤدي للواجبات المجتنب للمحرمات" (٣).

وأما «الظالم لنفسه» -ها هنا-، ففيه أقوال:

أحدها : أنهم أصحاب المشأمة، قاله مجاهد (٤).

الثاني : أنهم أصحاب الكبائر من أهل التوحيد. قاله السدي (٥).

قال السدي: "يعني: أصحاب الكبائر من أهل التوحيد ظلموا أنفسهم بذنوبهم من غير شرك" (٦).

عن الحسن، قال: "أهل الكبائر لا شفاعة لهم، أي: لا يشفعون لأحد" (٧).

الثالث : أنه المنافق. قاله الحسن (٨)، وقتادة (٩).

قال الحسن: "أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق، سقط هذا" (١٠).

وفي رواية "والظالم لنفسه منافق قطع به دونهم" (١١). قال يحيى: "نراه، يعني: أن المنافق أقر به المؤمن فلم يدخل في الآية" (١٢).

وروي عن الضحاك، أن قرأ: "﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ [فاطر : ٣٢] فقال: سقط هذا" (١٣). قال يحيى: "فلا

أدري أيعني ما قال الحسن أنه المنافق أم، يعني به: الجاحد" (١٤).

الرابع : أنه الجاحد والمنافق، قاله مجاهد -أيضا- (١٥).

الخامس : أنهم أهل الكتاب، حكاه الماوردي عن الحسن (١٦).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٢) تفسير عبدالرزاق (٢٤٤١): ص ٦٩/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٠.

(٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٩/٢.

(٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٩/٢.

(٧) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٩/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠، وتفسير عبدالرزاق (٢٤٤٣): ص ٦٩/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٠/٢.

(١٣) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(١٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٠/٢.

(١٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩١/٢.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٧٣/٤.

السادس : أنه الكافر. وهذا قول ابن عباس^(١).

رُوي عن غير واحد من السلف : أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين ، على ما فيه من عوج وتقصير، .. وهذا اختيار ابن جرير^(٢) كما هو ظاهر الآية ، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من طرق يشد بعضها بعضا^(٣).

الحديث الأول : عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية : "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ" قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة»^(٤).

ومعنى قوله : "بمنزلة واحدة" أي : في أنهم من هذه الأمة ، وأنهم من أهل الجنة ، وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة^(٥).

الحديث الثاني : عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قال الله : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ } ، فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ، ثم هم الذين تلافاهم برحمته ، فهم الذين يقولون : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ }"^(٦).

الحديث الثالث : عن أسامة بن زيد : " { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } الآية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كلهم من هذه الأمة»^(٧).

الحديث الرابع : عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "أمتي ثلاثة أثلاث : فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة ، وثلث يُمَحَّصُونَ وَيُكْشَفُونَ ، ثم تأتي الملائكة فيقولون : وجدناهم يقولون : "لا إله إلا الله وحده". يقول الله عز وجل : صدقوا ، لا إله إلا أنا ، أدخلوهم الجنة بقولهم : "لا إله إلا الله وحده" واحملوا خطاياهم على أهل النار ، وهي التي قال الله تعالى : { وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ } [العنكبوت : ١٣] ، وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة ، قال الله تعالى : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا } فجعلهم ثلاثة أنواع ، وهم أصناف كلهم ، فمنهم ظالم لنفسه ، فهذا الذي يكشف ويمحص^(٨).

وأما «المقتصد» ، ففيه أقوال :

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٩٨٦):ص٣١٨١/١٠، وتفسير ابن كثير: ٥٤٧/٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٩ / ٢٠ وما بعدها.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤٧/٦.

(٤)المسند (٧٨/٣). قال ابن كثير٥٤٧/٦:" هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسم ، وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث شعبة ، به نحوه".

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٤٧/٦.

(٦)المسند (١٩٨/٥).

(٧)المعجم الكبير (١٦٧/١) وقد وقع في إسناده سقط ، ورواه البيهقي في البعث برقم (٦٤) من طريق محمد بن سعيد ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلي ، عن أخيه عيسى ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد ، به ، ورواه أيضا برقم (٦٣) من طريق حصين بن نمير عن ابن أبي ليلي ، عن أخيه ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد ، بنحوه.

(٨) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٦-٥٤٩، وقال:" غريب جدا". ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٠/١٨) من طريق محمد بن عزيز ، به ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٦/٧) : "فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان ، وضعفه جماعة ، وبقيته رجاله ثقات".

أحدها : أنه المتوسط في الطاعات. وهذا معنى حديث أبي الدرداء ، روى عن أبي الدرداء قال: "قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال: «أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا، وأما الظالم فيحبس في طول المحبس ثم يتجاوز الله عنه»^(١).

عن أبان بن أبي عياش ، قال: "دخل رجل مسجد دمشق فقام على باب المسجد فقال: اللهم ارحم غربتي ، وأنس وحشتي ، وصل وحدتي ، وارزقني جليسا صالحا ينفعني ، ثم صلى ركعتين وجلس إلى شيخ ، فقال: من أنت يا عبد الله؟ فقال: أنا أبو الدرداء ، فجعل يكبر ويحمد الله ، فقال له أبو الدرداء: ما لك يا عبد الله؟ قال: دخلت هذه القرية وأنا لا أعرف بها أحدا ، فقلت: «اللهم ارحم غربتي ، وأنس وحشتي ، وصل وحدتي ، وارزقني جليسا صالحا ينفعني» قال: فقال أبو الدرداء: وأنا أحق أن أحمد الله أن جعلني ذلك الجليس ، أما إني سأحدثك بشيء ما حدثت به أحدا غيرك أتحدك به ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يجيء السابقون فيدخلون الجنة بغير حساب ، وأما المقتصدون فيحاسبون حسابا يسيرا ، ويجيء الظالم فيحبس حتى يصيبه كظ العذاب ، وسوء الحساب ، ثم يدخل الجنة»^(٢).

الثاني : أنهم أصحاب الميمنة، قاله مجاهد^(٣)، وقتادة^(٤).
وقال الحسن: "وأما المقتصد والسابق بالخيرات فهما صاحبا الجنة"^(٥).
الثالث : أنهم الذين اتبعوا سنن النبي -صلى الله عليه وسلم- من بعده ، قاله الحسن^(٦).
قال الحسن: "المقتصد رجل سأل عن آثار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعهم"^(٧).
قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ} [فاطر : ٣٢] ، أي: "ومنهم مسارع مجتهد في الأعمال الصالحة، فرضاها ونفلها، بتوفيق الله وتيسيره"^(٨).

وفي قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ} [فاطر : ٣٢] ، قولان:
أحدهما : أنهم المقربون ، قاله قتادة^(٩).

قال مجاهد: "هم السابقون من الناس كلهم"^(١٠).

قال قتادة: "كان الناس ثلاث منازل في الدنيا، وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل في الآخرة؛ أما الدنيا فكانوا: مؤمن ومناق ومشرك، وأما عند الموت فإن الله قال {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ فَنَزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٌ} وأما في الآخرة فكانوا أزواجا ثلاثة {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ}"^(١١).
الثاني: أن السابقين: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. قاله الحسن^(١٢).

روى عقبه بن صهبان قال : "سألت عائشة عن هذه الآية، فقالت: نعم يا بني، كلهم من أهل الجنة، السابق من مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياة

(١) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٧/٢.

(٢) تفسير عبدالرزاق(٤٤٩) (٢٤٩) :ص٧٢/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٠٩/٢.

(٧) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٨. [بتصرف]

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٦٨ /٢٠.

(١٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

والرزق، والمقتصد من اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، والظالم لنفسه مثلي ومثلك ومن اتبعنا، فألحقت نفسها بنا من أجل الحدث الذي أصابها"^(١).

عن عقبة بن صهبان: " أن عائشة ، قالت له: «الظالم لنفسه: أنا وأنت»"^(٢).

قال عمرو: " وسمعت عبيد بن عمير، يقول: كلهم صالح"^(٣).

قال محمد بن الحنفية: " إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له والمقتصد في الجنات عند الله والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله"^(٤).

قوله تعالى: {ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر : ٣٢]، أي: " ذلك الإعطاء للكتاب واصطفاء هذه الأمة هو الفضل الكبير"^(٥).

قال قتادة: " ذاك من نعمة الله"^(٦).

القرآن

{جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَآ يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)} [فاطر : ٣٣-٣٥]

التفسير:

جنات إقامة دائمة للذين أورثهم الله كتابه يُحَلَوْنَ فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة حرير أي: ثياب رقيقة. وقالوا حين دخلوا الجنة: الحمد لله الذي أذهب عنا كل حزن، إن ربنا لغفور؛ حيث غفر لنا الزلات، شكور؛ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها. وهو الذي أنزلنا دار الجنة من فضله، لا يمسننا فيها تعب ولا إعياء.

قوله تعالى: {جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا} [فاطر : ٣٥]، أي: " جنات إقامة دائمة للذين أورثهم الله كتابه"^(٧).

عن عبد الله بن الحارث: " عن كعب ، قال له: اقرأ هذه الآية {فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد}

[فاطر: ٣٢] حتى بلغ {جنات عدن يدخلونها} [فاطر: ٣٣] فقال كعب: «دخلوها ورب الكعبة»"^(٨).

قوله تعالى: {يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا} [فاطر : ٣٥]، أي: " كتابه يُحَلَوْنَ فيها بأساور

الذهب وباللؤلؤ"^(٩).

عن مجاهد، في قوله: " {أساور من ذهب}، قال: الأساور: المسك"^(١٠).

عن سعيد بن المسيب، قال: " ليس من أهل الجنة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة: إسوار من ذهب،

وإسوار من فضة، وإسوار من لؤلؤ. قال: وهو قوله: {يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا} [فاطر: ٣٣]

، وقوله: {وحلوا أساور من فضة} [الإنسان: ٢١]"^(١١).

(١) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(٢) تفسير عبدالرزاق (٢٤٤٤): ص ٧١/٣.

(٣) تفسير عبدالرزاق (٢٤٤٥): ص ٧١/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٧٦ / ٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٦) الدر المنثور: ٢٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٨) تفسير عبدالرزاق (٢٤٤٨): ص ٧١/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٠) الدر المنثور: ٣٨٧/٥، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١٨٤/١.

قال سعيد بن جبير: "يُحَلَى كُلُّ واحد منهم ثلاثة من الأساور: واحدًا من فضّة، وواحدًا من ذهب، وواحدًا من لؤلؤ وياقوت"^(١).

عن ابن لهيعة، في قوله: {يحلون فيها من أساور من ذهب}، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إنَّ الرجل من أهل الجنة لو بدا إسواره لغلب على ضوء الشمس»^(٢).

قوله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} [فاطر : ٣٥]، أي: "وقالوا حين دخلوا الجنة: الحمد لله الذي أذهب عنا كل حزن"^(٣).

وفي قوله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} [فاطر : ٣٥]، وجوه من التفسير: أحدها : أنه خوف النار ، قاله الحسن^(٤).

وقال الحسن: "إن المؤمنين قوم دُلَّتْ دَلَّتْ والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مَرَضَى، وما بالقوم مرض، وإنهم لأصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} والحزن، والله ما حزنهم حزن الدنيا ولا تعاضم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار، وأنه من لا يتعزَّ بعزاء الله يقطع نفسه على الدنيا حشرات، ومن لم ير الله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه"^(٥).

الثاني : أنه حزن الموت ، قاله عطية^(٦).

الثالث : تعب الدنيا وهمومها، قاله قتادة^(٧).

قال قتادة: "كانوا في الدنيا يعملون وينصبون وهم في خوف، أو يحزنون"^(٨).

الرابع : حزن المنة ، قاله سمر^(٩).

الخامس : حزن الجوع. قاله شمر بن عطية^(١٠).

السادس : الحزن للمعاش وهموم الدنيا، قاله الشعبي^(١١).

قال الشعبي: "طلب الخبز في الدنيا، فلا نهتم له كاهتمامنا له في الدنيا طلب الغذاء والعشاء"^(١٢).

السابع : حزن الخبز، قاله شمر^(١٣).

وقال شمر: "لما أدخل الله أهل الجنة الجنة قالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} قال: حزن الخبز"^(١٤).

وهذا القول ضمن القول السابق، لأن المعنى: همّ العيش في الدنيا، لأن العيش فيها قوامه الطعام والخبز. والله أعلم.

والصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} وخوف دخول النار من الحزن، والجَزَع من الموت من

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٦٩، وتفسير البيهقي ٥/ ١٦٩.

(٢) أورده يحيى بن سلام ١/ ١٨٤، ٣٦١، ٧٩٢/ ٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/ ٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٧٢/ ٢٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/ ٢٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣/ ٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٧٣/ ٢٠.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٧٥/ ٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٩٩٦): ص ٣١٨٣/ ١٠.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٩٩٧): ص ٣١٨٣/ ١٠.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٩٧): ص ٣١٨٣/ ١٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣/ ٢٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٧٣/ ٢٠.

الحنن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن. ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن^(١).

قال إبراهيم التيمي: "ينبغي لمن يحزن أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا: {الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن} وينبغي لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا: {إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين}"^(٢).

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدنيا سجن المؤمن»^(٣).
قيل لبعض النساك: "ما بال أكثر النساك محتاجين إلى ما في يد غيرهم؟ قال: لأن الدنيا سجن المؤمن، وهل يأكل المسجون إلا من يد المطلق"^(٤).

قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر : ٣٥]، أي: "إن ربنا لغفور؛ حيث غفر لنا الزلات، شكور؛ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها"^(٥).
قال قتادة: "يقول: غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم"^(٦).

قال شمر: "غفر لهم ما كان من ذنب، وشكر لهم ما كان منهم"^(٧).
قال أبو رافع: "يأتي يوم القيامة العبد بدواوين ثلاثة بدويان فيه النعم، ودويان فيه حسناته، فيقال لأصغر نعمة عليه: قومي فاستوفي ثمنك من حسناته، فتقوم فتستوهب تلك النعمة حسناته كلها وتبقى بقية النعم عليه وذنوبه كاملة فمن ثم يقول العبد إذا أدخله الله الجنة: {إن ربنا لغفور شكور}"^(٨).
قوله تعالى: {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ} [فاطر : ٣٥]، أي: "وهو الذي أنزلنا دار الجنة من فضله"^(٩).

قال قتادة: "أقاموا فلا يتحولون ولا يحولون"^(١٠).
قوله تعالى: {لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر : ٣٥]، أي: "لا يمسننا في الجنة تعب ولا إعياء"^(١١).

قال قتادة: "قد كان القوم ينصبون في الدنيا في طاعة الله وهم قوم جهدهم الله قليلاً، ثم أراحهم كثيراً فهنيئاً لهم"^(١٢).

قال عبد الله بن أبي أوفى: "قال رجل: يا رسول الله، إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا فهل في الجنة من نوم؟ قال: «لا، إن النوم شريك الموت، وليس في الجنة موت، قال: يا رسول الله، فما راحتهم؟

(١) تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٧٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧): ص ٣١٨٣/١٠.

(٣) الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». أخرجه مسلم في كتاب الزهد برقم (٢٩٥٦)، وأحمد في المسند ٢ / ٣٢٣، وابن ماجه (٤١١٣).

وفي آخر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا سجن المؤمن وسنته، وإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة». أخرجه أحمد ١ / ٩١٧، والحاكم ٤ / ٣١٥.

(٤) نقلاً عن احكام القرآن للجصاص: ٣ / ٤٩٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٠): ص ٣١٨٣/١٠-٣١٨٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٧٤.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٩٩): ص ٣١٨٣/١٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٠): ص ٣١٨٣/١٠-٣١٨٤.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٠): ص ٣١٨٣/١٠-٣١٨٤.

فأعظم ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ليس فيها لغوب، كل أمرهم راحة، فنزلت: {ولا يمسننا فيها لغوب} (١).

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: «لغوب» - بفتح اللام - (٢). قال الزجاج: "والضم أكثر، ومعنى لغوب شيء يلغب منه، أي: لا نتكلف شيئاً نعيماً منه" (٣).

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوهُمْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ [فاطر : ٣٦]}

التفسير:

والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم الموقدة، لا يُقضى عليهم بالموت، فيموتوا ويستريحوا، ولا يُخفف عنهم من عذابها، ومثل ذلك الجزاء يجزي الله كل من هو مبالغ في الكفر متماد في الكفر مُصيراً عليه.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوهُمْ} [فاطر : ٣٦]، أي: "والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم الموقدة، لا يُقضى عليهم بالموت، فيموتوا ويستريحوا" (٤).

قال السدي: "يعني: لا ينزل بهم الموت فيموتوا" (٥).

عن قتادة: "لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ، بالموت {فِيمَوْتُوهُمْ}، لأنهم لو ماتوا لاستراحوا" (٦).

قال ابو السوداء: "مساكين أهل النار لا يموتون، لو ماتوا لاستراحوا" (٧).

وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فلا يموتون فيها ولا يحيون» (٨).

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، لكن ناساً، أو كما قال، تُصيبيهم النارُ بذنوبهم، أو قال: بخطاياهم، فَيَمِيتُهُمْ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا فَحْمًا أَذْنٌ فِي الشَّفَاعَةِ، فجاء بهم ضبائرٌ ضبائرٌ، فَبُتُّوا عَلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فَيَبْتُتُونَ كما تَبْتُتُ الحبة في حَمِيلِ السَّيْلِ" فقال رجل من القوم حينئذٍ: كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية" (٩).

قوله تعالى: {وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا} [فاطر : ٣٦]، أي: "ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذاب النار" (١٠).

عن قتادة، أن عبد الله بن عمرو، كان يقول: "ما نزل في أهل النار آية هي أشد من هذه" (١١).

قوله تعالى: {كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ} [فاطر : ٣٦]، أي: "ومثل ذلك الجزاء يجزي الله كل من هو مبالغ في الكفر متماد في الكفر مُصيراً عليه" (١٢).

قال قتادة: "كل كفور بربه" (١٣).

(١) أخرجه ابن ابي حاتم (١٨٠٠١): ص ٣١٨٤/١٠.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٧١/٤.

(٣) معاني القرآن: ٢٧١/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٣/٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٠.

(٨) صحيح مسلم برقم (١٨٥).

(٩) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٩٤/٢.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٣) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٩٤/٢.

القرآن

{وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)} [فاطر : ٣٧]

التفسير:

وهؤلاء الكفار يَصْرُخُونَ من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا أخرجنا من نار جهنم، وردنا إلى الدنيا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمن بدل الكفر، فيقول لهم: أو لم نُعْمِرْكُمْ في الحياة قُدْرًا وافيًا من العُمُر، يتعظ فيه من اتعظ، وجاءكم النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا؟ فذوقوا عذاب جهنم، فليس للكافرين من ناصر ينصرهم من عذاب الله.

قوله تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [فاطر : ٣٧]، أي: "وهؤلاء الكفار يَصْرُخُونَ من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا أخرجنا من نار جهنم، وردنا إلى الدنيا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمن بدل الكفر" (١).

قوله تعالى: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ} [فاطر : ٣٧]، أي: "فيقول لهم: أو لم نُعْمِرْكُمْ في الحياة قُدْرًا وافيًا من العُمُر، يتعظ فيه من اتعظ" (٢).

وفي قوله تعالى: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ} [فاطر : ٣٧]، وجوه:

أحدها : أنه البلوغ ، قاله الحسن (٣) . لأنه أول زمان التذکر .

الثاني : سبع عشرة سنة . قاله علي بن الحسين زين العابدين (٤) .

الثالث : ثماني عشرة سنة . قاله قتادة (٥) ، وأبو غالب الشيباني (٦) .

وقال قتادة: "اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نغير بطول العمر، قال: نزلت وإن فيهم لابن ثمان عشرة سنة" (٧).

عن قتادة، قال: "نزلت في الآية وفيها ابن ثمان عشرة سنة، وكل شيء ذكر الله من كلام أهل النار فهو قبل أن يقول الله لهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون} [المؤمنون: ١٠٨]" (٨).

الرابع: عشرون سنة . قاله وهب بن منبّه (٩).

الخامس: أربعون سنة ، قاله ابن عباس (١٠) ، والحسن (١١) ، ومسروق (١٢).

قال مسروق: "إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله" (١٣).

السادس : ستون سنة ، قاله علي بن أبي طالب (١٤) ، وابن عباس ورواه مرفوعا (١٥).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٧٦/٤.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

(٥) انظر: تفسير ابن حاتم (١٨٠٠٨): ص ٣١٨٥/١٠.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٨): ص ٣١٨٥/١٠.

(٨) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٩٤/٢.

(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٠.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٠٧): ص ٣١٨٥/١٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٧٧/٢٠.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٠.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٠.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يومُ القيامةِ تُودي: أين أبناءُ الستين، وهو العمر الذي قال الله: {أولم نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ}"^(١).
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عمَّرهُ اللهُ ستين سنةً فقد أَعَدَرَ اللهُ إليه في العُمُر" ^(٢).

والأشبه بالصواب" إذ كان الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبراً في إسناده بعض من يجب التثبت في نقله، قول من قال ذلك أربعون سنة، لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين^(٣)، وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة، فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم، كما قال الشاعر^(٤):

إِذَا بَلَغَ الْفَتَى سِتِينَ عَامًا... فَقَدْ ذَهَبَ الْمَسْرَّةُ وَالْفَتَاءُ

ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله إلى عباده به، ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة، كما ورد بذلك الحديث.. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»^(٥)^(٦).

قوله تعالى: {وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ} [فاطر: ٣٧]، أي: "وجاءكم النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا؟"^(٧).

عن السدي، في قوله: "{وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ}"، قال: محمد صلى الله عليه وسلم-^(٨).

وعن عكرمة، قوله: "{وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ}"، قال: الشيب^(٩).

والقول الأول أن النبي - صلى الله عليه وسلم - النذير أكثر التفسير عليه^(١٠).

قال قتادة: "احتج عليهم بالعمر والرسول"^(١١).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)} [فاطر: ٣٨]
التفسير:

(١) أخرجه الطبري: ٤٧٧ / ٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٧٨ / ٢٠.

(٣) تفسير الطبري: ٤٧٨ / ٢٠.

(٤) يروى البيت:

إذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد ذهب اللذاعة والفتاء

وهو للربيع بن ضبع في أمالي المرتضى ١ / ٢٥٤، وخزانة الأدب ٧ / ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٥، والدرر ٤ / ٤١، وشرح التصريح ٢ / ٢٧٣، وشرح عمدة الحافظ ص ٥٢٥، والكتاب ١ / ٢٠٨، ٢ / ١٦٢، ولسان العرب (فتا)، والمقاصد النحوية ٤ / ٤٨١، وهمع الهوامع ١ / ١٣٥، وبلا نسية في أدب الكاتب ص ٢٩٩، وأوضح المسالك ٤ / ٢٥٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٣٢، وشرح الأشموني ٣ / ٦٢٣، وشرح المفصل ٦ / ٢١، ومجالس ثعلب ص ٣٣٣، والمقتضب ٢ / ١٦٩، والمنقوص والممدود ص ١٧.

(٥) سنن الترمذي برقم (٣٥٥٠) وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٣٦).

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٥٥ / ٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠١٠): ص ٣١٨٥ / ١٠.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠١٢): ص ٣١٨٥ / ١٠.

(١٠) معاني القرآن: ٢٧٢ / ٤.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٨): ص ٣١٨٥ / ١٠.

إن الله مطلع على كل غائب في السموات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تُضمرون الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أو أن تعصوه بما دون ذلك. قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر : ٣٨]، أي: "ن الله مطلع على كل غائب في السموات والأرض، فلا يخفى عليه شأن من شؤونهما"^(١).

قال الحسن: "الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"^(٢).
عن الضحاك، في قوله: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، قال: "جميع ما غاب عن العباد"^(٣).
قوله تعالى: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [فاطر : ٣٨]، أي: "وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطلع عليكم وأنتم تُضمرون الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أو أن تعصوه بما دون ذلك"^(٤).

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"^(٥).
عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة- قال: {والله عليم بذات الصدور}، أي: لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم"^(٦).
عن الحسن: "إنه عليم بذات الصدور}، يعلم تلك الساعة"^(٧).

القرآن

{هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)} [فاطر : ٣٩]

التفسير:

الله هو الذي جعلكم -أيها الناس- يخلف بعضكم بعضاً في الأرض، فمن جحد وحدانية الله منكم فعلى نفسه ضرره وكفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بغضاً وغبناً، ولا يزيدهم كفرهم بالله إلا ضلالاً وهلاكاً.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} [فاطر : ٣٩]، أي: "الله هو الذي جعلكم -أيها الناس- يخلف بعضكم بعضاً في الأرض"^(٨).
قال قتادة: "أمة بعد أمة، وقرناً بعد قرن"^(٩).

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠)} [فاطر : ٤٠]

التفسير:

- (١) التفسير الميسر: ٤٣٨.
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠٤): ص ١٨٦٤/٦-١٨٦٥.
- (٣) تفسير الثعلبي ١٩٥/٥.
- (٤) التفسير الميسر: ٤٣٨.
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٤٣): ص ٢١٠٤/٧.
- (٦) أخرجه الطبري (٨٠٩٦): ص ٣٢٥/٧-٣٢٦، وابن المنذر (١٠٩٢): ص ٤٥٨/٢، وابن أبي حاتم (٤٣٧٨): ص ٧٩٦/٣.
- (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٧٤): ص ٢٠٠/٦.
- (٨) التفسير الميسر: ٤٣٨.
- (٩) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٠.

قل -أيها الرسول- للمشركين: أخبروني أي شيء خلق شركاؤكم من الأرض، أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركا مع الله في خلق السموات، أم أعطيناكم كتابا فهم على حجة منه؟ بل ما يعبد الكافرون بعضهم بعضا إلا غرورا وخداغا.

قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [فاطر : ٤٠]، أي: "أخبروني عن شأن آلهتكم الأوثان والأصنام، الذين عبدتموهم من دون الله، وأشركتموهم معه في العبادة، بأي شيء استحقوا هذه العبادة؟"^(١).

قوله تعالى: {أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} [فاطر : ٤٠]، أي: "أروني أي شيء خلقوه في هذه الدنيا من المخلوقات حتى عبدتموهم من دون الله؟"^(٢).

قال قتادة: "لا شيء والله خلقوا منها"^(٣).

عن السدي: {مِنَ الْأَرْضِ}، "يعني: في الأرض"^(٤).

قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} [فاطر : ٤٠]، أي: "أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركا مع الله في خلق السموات؟"^(٥).

قال قتادة: "لا والله ما لهم فيها شرك"^(٦).

قوله تعالى: {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِنْهُ} [فاطر : ٤٠]، أي: "أم أعطيناكم كتابا فهم على حجة منه؟"^(٧).

قال قتادة: "يقول: أم آتيناكم كتابا فهو يأمرهم أن يشركوا"^(٨).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [٤١ : فاطر]

التفسير:

إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا عن مكانهما، ولنن زالت السماوات والأرض عن مكانهما ما يمسكها من أحد من بعده. إن الله كان حلِيمًا في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورًا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} [فاطر : ٤١]، أي: "إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا عن مكانهما"^(٩).

عن السدي: {أَنْ تَزُولَا}، يعني: "لئلا تزولا"^(١٠).

عن قتادة، قوله: "إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا" من مكانهما"^(١١).

(١) انظر: الكشاف: ٦١٧/٣، وصفوة التفسير: ٥٣٢/٢.

(٢) صفوة التفسير: ٥٣٢/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٠.

(٤) علقه يحيى بن سلام ٧٩٥/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٠-٤٨١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(١٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٩٥/٢-٧٩٦.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٨١/٢٠.

قوله تعالى: {وَلَنْ زَالًا إِنْ أُمْسَكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر : ٤١]، أي: "ولئن زالت السماوات والأرض عن مكانهما ما يمسكهما من أحد من بعده"^(١).

عن هارون بن موسى الأعمش - من طريق النضر - : {ولئن زالتا إن أمسكتهما من أحد من بعده}، تفسيرها في قول أبي: لو زالتا. وهي لغة أهل اليمن، يجعلون «لو»: «لئن» في كلام أهل اليمن"^(٢).

قال أبو وائل: "جاء رجل إلى عبد الله فقال: من أين جئت؟ قال: من الشام. قال: من لقيت؟ قال: لقيت كعبًا. فقال: ما حدثك كعب؟ قال: حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك. قال: فصدفته أو كذبتة؟ قال: ما صدفته ولا كذبتة. قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحتك ورحلها، وكذب كعب، إن الله يقول: {إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ}"^(٣).

قال إبراهيم: "ذهب جندب البجلي إلى كعب الأحبار فقدم عليه ثم رجع فقال له عبد الله: حدثنا ما حدثك. فقال: حدثني أن السماء في قطب كقطب الرحا، والقطب عمود على منكب ملك. قال عبد الله: لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل رحلتك، ثم قال: ما تنتكت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه، ثم قال: {إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} كفى بها زوالا أن تدور"^(٤).

قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر : ٤١]، أي: "إن الله كان حلِيمًا في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورًا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه"^(٥).

عن قتادة: "{إنه كان حلِيمًا} عن خلقه، فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض، {غفورًا} لهم إذا تابوا"^(٦).

قال الحسن: "الحليم: الرحيم"^(٧).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليعفر"^(٨).

القرآن

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا} {٤٢} [فاطر : ٤٢]

التفسير:

وأقسم كفار قريش بالله أشد الأيمان: لئن جاءهم رسول من عند الله يخوفهم عقاب الله ليكونن أكثر استقامة واتباعًا للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم ذلك إلا بُعدًا عن الحق ونفورًا منه.

قوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} [فاطر : ٤٢]، أي: "وأقسم كفار قريش بالله أشد الأيمان: لئن جاءهم رسول من عند الله يخوفهم عقاب الله ليكونن أكثر استقامة واتباعًا للحق من اليهود والنصارى وغيرهم"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٢) أخرجه إسحاق البستي ص ١٧٥.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٨١-٤٨٢ / ٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٢ / ٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٦/١٧.

(٧) أخرجه إمام أبي حاتم (١١٠٤٢): ص ٢٠٥٨/٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٩.

عن ابن جريج، في قوله: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} قال: قريش {لِيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إْحْدَى الْأُمَّمِ} قال: أهل الكتاب^(١).

عن مجاهد: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}، قال: هي يمين^(٢).
عن مجاهد، قال: القَسَمُ يمين. ثم قرأ: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}^(٣).
عن زائدة، قال: "قرأ سليمان الأعمش وزعم أن يحيى بن وثاب قرأ: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم" هو الحلف"^(٤).

عن أبي هلال: "أنه بلغه أن قريشا كانت تقول: أن الله بعث منا نبيا ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها ولا أسمع لنبياها ولا أشد تمسكا بكتابها منا، فأنزل الله: {لَوْ أَنَّ عِبْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ} [الصفات : ١٦٨] {لَوْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ} [الأنعام : ١٥٧]، {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إْحْدَى الْأُمَّمِ} [فاطر : ٤٢]، وكانت اليهود تستفتح به على الأنصار فيقولون: إنا نجد نبيا يخرج"^(٥).

قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا} [فاطر : ٤٢]، أي: "فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم ذلك إلا بُعْدًا عن الحق ونفورًا منه"^(٦).
عن قتادة، قوله: "فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ"، وهو محمد صلى الله عليه وسلم^(٧).

القرآن

{اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} {٤٣} [فاطر : ٤٣]
التفسير:

ليس إقسامهم لَقَصْدِ حَسَنٍ وَطَلْبًا لِلْحَقِّ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْتِكْبَارٌ فِي الْأَرْضِ عَلَى الْخَلْقِ، يَرِيدُونَ بِهِ الْمَكْرَ السَّيِّئَ وَالْخِدَاعَ وَالْبَاطِلَ، وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئَ إِلَّا بِأَهْلِهِ، فَهَلْ يَنْتَظِرُ الْمُسْتَكْبِرُونَ الْمَاكِرُونَ إِلَّا الْعَذَابَ الَّذِي نَزَلَ بِأَمْثَالِهِمُ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ، فَلَنْ تَجِدَ لَطَرِيقَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا تَحْوِيلًا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُبَدِّلَ، وَلَا أَنْ يُحَوِّلَ الْعَذَابَ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ.

قوله تعالى: {اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ} [فاطر : ٤٣]، أي: "ليس إقسامهم لَقَصْدِ حَسَنٍ وَطَلْبًا لِلْحَقِّ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْتِكْبَارٌ فِي الْأَرْضِ عَلَى الْخَلْقِ، يَرِيدُونَ بِهِ الْمَكْرَ السَّيِّئَ وَالْخِدَاعَ وَالْبَاطِلَ"^(٨).
عن قتادة: "وَمَكْرَ السَّيِّئِ"، وهو الشرك^(٩).

قوله تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر : ٤٣]، أي: "ولا يحيط وبال المكر السييء إلا بمن مكره ودبره"^(١٠).
عن قتادة: "وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ"، وهو الشرك^(١١).

(١) الدر المنثور: ٣٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٤٩) ص ٢٦٢٤/٨.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٥٥٨ / ٧ (١٢٤٥٦).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٥٠) ص ٢٦٢٤/٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠١٨) ص ٣١٨٧/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٨٣ / ٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٨٣ / ٢٠.

(١٠) صفوة التفاسير: ٥٣٢/٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٨٤ / ٢٠.

عن أبي زكريا الكوفي عن رجل حدثه: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إياك ومكر السيئ ، فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، ولهم من الله طالب"^(١).
 عن محمد بن كعب الفرطبي : "ثلاث من فعلهن لم ينجُ حتى ينزل به من مكر أو بغي أو نكث ، وتصديقها في كتاب الله : { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ } . { إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ } [يونس : ٢٣] ، { فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ } [الفتح : ١٠]"^(٢).
 قوله تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ} [فاطر : ٤٣]، أي: "فهل ينتظر هؤلاء المشركون إلا عادة الله وسنته في الأمم المتقدمة، من تعذيبهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسول؟"^(٣).
 عن قتادة، قوله: " {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ}، أي: عقوبة الأولين"^(٤).
 قال الضحاك: " هل ينظرون إلا أن يصيبهم من العذاب مثل ما أصاب الأولين من العذاب"^(٥).

القرآن

{أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)} [فاطر : ٤٤]
 التفسير:

أو لم يسير كفار «مكة» في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمود وأمثالهم، وما حلَّ بهم من الدمار، وبديارهم من الخراب، حين كذبوا الرسل، وكان أولئك الكفرة أشد قوة وبطشًا من كفار «مكة» ؟ وما كان الله تعالى ليعجزه ويفوته من شيء في السماوات ولا في الأرض، إنه كان عليمًا بأفعالهم، قديرًا على إهلاكهم.

قوله تعالى: {أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [فاطر : ٤٤]، أي: "أو لم يسير كفار «مكة» في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمود وأمثالهم، وما حلَّ بهم من الدمار، وبديارهم من الخراب، حين كذبوا الرسل"^(٦).
 عن عباد بن منصور، قال: "سألت الحسن، عن قوله: {قل سيروا في الأرض}، قال: لم يسيروا في الأرض"^(٧).

قال الحسن: " فينظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله"^(٨).
 قال قتادة: " عاقبة الأولين والأمم قبلكم. قال: كان سوء عاقبة، متعمهم الله قليلا ثم صاروا إلى النار"^(٩).

قال قتادة: " بنس والله، كان عاقبة المجرمين، دمر الله عليهم، وأهلكهم، ثم صيرهم إلى النار"^(١٠).
 قوله تعالى: {وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [فاطر : ٤٤]، أي: " وكان أولئك الكفرة أشد قوة وبطشًا من كفار «مكة»"^(١١).

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٩/٦، وهذا مرسل ولم أجد من أخرجه غير ابن أبي حاتم ، وقد روى ابن المبارك في الزهد برقم (٧٢٥) عن الزهري مرسلًا نحوه.
 (٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٦.
 (٣) صفوة التفاسير: ٥٣٢/٢.
 (٤) أخرجه الطبري: ٤٨٤ /٢٠.
 (٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٢٢):ص٣١٨٧/١٠، وانظر: لدر المنثور: ٣٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
 (٦) التفسير الميسر: ٤٣٩.
 (٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٢):ص٢٩١٦/٩.
 (٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٤):ص٢٩١٦/٩.
 (٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٥):ص٢٩١٦/٩.
 (١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٣):ص٢١٦/٩، والطبري(١٣٠٩٥):ص٢٧٣/١١ [باختصار].
 (١١) التفسير الميسر: ٤٣٩.

قال السدي: "يعني: بطشا"^(١).
 قال قتادة: "يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم"^(٢).
 عن عبد الله بن عمرو، في قوله: {كأنوا هم أشد منهم قُوَّةً}، قال: "كان الرجل ممن كان قبلكم بين منكبَيْه ميل"^(٣).
 قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}، أي: "وما كان الله تعالى ليعجزه ويفوته من شيء في السماوات ولا في الأرض"^(٤).
 عن السدي، قوله: "وما كان الله ليعجزه"، قال: "لن يفوته"^(٥).
 قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر : ٤٤]، أي: "إنه كان عليماً بأفعالهم، قديراً على إهلاكهم"^(٦).
 عن محمد بن إسحاق، قوله: " {عليم}، أي: عليم بما تخفون"^(٧)، {قَدِيرٌ}، أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نعمة أو عفو فهو قدير"^(٨).

القرآن

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)} [فاطر : ٤٥]
 التفسير:

ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدب عليها، ولكن يُمهّلهم ويؤخر عقابهم إلى وقت معلوم عنده، فإذا جاء وقت عقابهم فإن الله كان بعباده بصيراً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمورهم، وسيجازيهم بما عملوا من خير أو شر.
 قوله تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر : ٤٥]، أي: "ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدب عليها"^(٩).
 عن سعيد بن جبير، قوله: " {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ}"^(١٠)، قال: ما سقاها المطر"^(١١).

قال السدي: "إذا قحط المطر لم يبق في الأرض دابة إلا ماتت"^(١٢).
 وفي قوله تعالى: {مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر : ٤٥]، قولان:
 أحدهما: يعني: جميع الحيوان مما دب ودرج، رواه معمر عن ابن مسعود^(١٣)، وبه قال قتادة^(١٤).

(١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٤٧/٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٠.

(٣) الدر المنثور: ٤٨٥/٣، ٤٨٤/٦، ٤٨٥-٤٨٤، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٣): ص ٣١٨٧/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٤٣): ص ٢١٠٤/٧.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٢١٤): ص ٥٩/١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(١٠) [النحل : ٦١].

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٥٤٩): ص ٢٢٨٧/٧.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٥٥٠): ص ٢٢٨٧/٧.

(١٣) انظر: عبدالرزاق في التفسير (٢٤٥٢): ص ٧٣/٣، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٠١٩): ص ٣١٨٧/١٠.

(١٤) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤٥١): ص ٧٣/٣.

قال ابن مسعود: "كاد الجعل إن يعذب في جحره بذنب ابن آدم، ثم قرأ: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ ذَابَّةٍ}"^(١).
وفي رواية، قال معمر: "بلغني أن ابن مسعود كان يقرأ هذه الآية فيقول: «كاد الجعل أن يهلك بذنب غيره»"^(٢).

وفي رواية: "خطيئة ابن آدم قتلت الجعل"^(٣).
قال أبو حمزة الثمالي، في هذه الآية: "يحبس المطر، فيهلك كل شيء"^(٤).
وقال أنس: "إن الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم"^(٥).
قال قتادة: "قد فعل ذلك زمان نوح"^(٦).
عن قتادة: "{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ ذَابَّةٍ}" إلا ما حمل نوح في السفينة"^(٧).

وعن أبي سلمة، قال: "سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، قال: فالتفت إليه فقال: بلى، والله إن الحبارى لتموت في وكرها هزلا بظلم الظالم"^(٨).
الثاني: من الناس وحدهم، قاله ابن جريج^(٩).
آدم"^(١٠).

«آخر تفسير سورة (فاطر)، والحمد لله وحده»

-
- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠١٩): ص ٣١٨٧/١٠.
 - (٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤٥٢): ص ٧٣/٣.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٢٣١/١٧.
 - (٤) تفسير الثعلبي ١١٧/٨.
 - (٥) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٧/٨.
 - (٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤٥١): ص ٧٣/٣.
 - (٧) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٠.
 - (٨) أخرجه الطبري: ٢٣١/١٧.
 - (٩) انظر: النكت والعيون: ٤٧٩/٤.
 - (١٠) الكشف: ٦١٩/٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «يس»

سورة «يس»: هي السورة «السادسة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الحادية والأربعون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «الجن»^(١)، عدد آياتها ثمانون وثلاث آيات عند الكوفيين واثنان عند الباقيين، وكلماتها سبعمائة وتسع وعشرون، وحروفها ثلاثة آلاف، المختلف فيها آية واحدة {يس} [يس : ١]، مجموع فواصل آياتها: «من»^(٢).

■ مكان نزول السورة:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٣)، وعائشة^(٤)، والحسن^(٥)، وعكرمة^(٦)، وقتادة^(٧)، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور^(٨).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالإجماع"^(٩).

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية بإجماع"^(١٠).

الثاني: أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ال} [يس : ٤٧]، حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس، وقتادة^(١١).

قال ابن الجوزي: وحكي أبو سليمان الدمشقي أنها مدنية، وقال: ليس بالمشهور"^(١٢).

وقال ابن عطية: "إلا أن فرقة قالت إن قوله، ونكتب ما قدموا وأثارهم [يس : ١٢] نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: «دياركم تكتب آثاركم»، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفوا المدينة، وعلى هذا فالآية مدنية وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية بمكة ولكنه احتج بها عليهم في المدينة ووافقها قول النبي صلى الله عليه وسلم في المعنى، فمن هنا قال من قال إنها نزلت في بني سلمة"^(١٣).

(١) انظر: الكشاف: ٣/٤.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٩٠.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٨) انظر: زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٩) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/ ٣٩٠.

(١٠) المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ٥١٦/٣.

(١٢) زاد المسير: ٥١٦/٣.

(١٣) المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.

القرآن

{يس (١)} [يس : ١]

التفسير:

{يس}: سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
وذكر أهل التفسير في قوله تعالى: {يس} [يس : ١]، وجوها من التفسير:
أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة^(١).
قال قتادة: " كل هجاء في القرآن اسم من أسماء القرآن"^(٢).
الثاني : أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ، به قال مالك بن أنس^(٣).
قال أشهب: "سألت مالك بن أنس، أينبغي لأحد أن يتسمى بيس؟ فقال: ما أراه ينبغي، لقوله: {يس
والقرآن الحكيم}، يقول: هذا أسمى، تسميت به"^(٤).
عن يحيى بن أبي كثير، قوله: "{يس والقرآن الحكيم}، قال: يقسم بألف عالم إنك لمن المرسلين"^(٥).
الثالث : أنه فواتح من كلام الله تعالى افتتح به كلامه ، قاله مجاهد^(٦).
الرابع : أنه : يا محمد، قاله محمد بن الحنفية^(٧)، وسعيد بن جبير^(٨)، والضحاك^(٩).
دليله قوله: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٣]، وقال السيد الحميري^(١٠):
يا نفسُ لا تَمْحُضِي بالنصح جامدة ... على المودّة إلا آل ياسينا"^(١١).
وقال أبو بكر الوراق: "يا سيد البشر"^(١٢).
وعن الحسن، قوله: "{يس والقرآن الحكيم}، قال: يقسم الله بما يشاء، ثم نزع بهذه الآية {سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} [الصافات : ١٣٠]، كأنه يرى أنه سلم على رسوله"^(١٣).
وروى علي -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : «إن الله تعالى
سماني في القرآن سبعة أسماء : محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله»^(١٤).
الخامس : أنه: يا إنسان : قاله الحسن^(١٥)، وسعيد بن جبير^(١٦)، والضحاك^(١٧)، وقتادة^(١٨)، وعكرمة^(١٩).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩ / ٢٠.

(٢) أخرجه الطبري : ٤٩٠ / ٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٥):ص: ٣١٨٨/١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٥):ص: ٣١٨٨/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٧):ص: ٣١٨٨/١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨ / ٢٠.

(٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٥/٥، وابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٨) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٨.

(٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(١٠) اونظر: البيت في المحرر الجيز: ٤٤٥/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٤٨/٩.

ورواية البحر: "يا نفسُ لا تَمْحُضِي بالودّ جاهدة".

(١١) الكشف والبيان: ١٢٠/٨.

(١٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٨.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٦):ص: ٣١٨٨/١٠.

(١٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ٥/٥، والقرطبي في التفسير: ٣/١٥، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات: ٣٧٢/٣.

ولم اجد له إسناد فيما توفرت عندي من المصادر.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨ / ٢٠.

(١٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(١٧) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٧١/٥.

(١٨) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٩٩/٢.

(١٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

ثم اختلفوا فيه:

فقال سعيد بن جبير، وعكرمة هو: "بلغة الحبشة"^(١).
وقال الشعبي: "هو بلغة طيء"^(٢).

عن قتادة، قال: "يا إنسان، والسين حرف من اسم الإنسان يقول النبي صلى الله عليه وسلم: يا إنسان"^(٣).

السادس: أنه: يا رجل، قاله الحسن^(٤)، وأبو العالية^(٥).

وذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا الى ادراك معاني الحروف المقطعة في أوائل السور وقالوا ان الله تعالى متفرد بعلمها ونحن نومن بانها من جملة القرآن العظيم ونكل علمها اليه تعالى ونقرأها تعبدا وامتثالاً لامر الله وتعظيماً لكلامه وان لم نفهم منها ما نفهمه من سائر الآيات^(٦).

وهذا القول هو الأصح الأسلم الذي عليه أكثر السلف. والله أعلم.

قرأ حمزة والكسائي وخلف في أكثر الروايات: «يس»، بكسر الياء بين اللفظين قراءة أهل المدينة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. والباقون: يفتح الياء، وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وحمزة وأيوب وأبو حاتم وعاصم في أكثر الروايات، «يسين»، بإظهار النون والسكون. واختلف فيه عن نافع وابن كثير، فقرأ عيسى بن عمر: «يس» بالنصب، شبهه بـ «أين» و«كيف»، وقرأ ابن أبي إسحاق بكسر النون، شبهه بـ «أمس» ورقاش وخدام، وقرأ هارون الأعور: بضم النون، شبهه بـ: «منذ وحيث وقط». الآخرون: بإخفاء النون^(٧).

القرآن

{وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)} {يس : ٢ - ٤} التفسير:

يقسم الله تعالى بالقرآن المحكم بما فيه من الأحكام والحكم والحجج، إنك -أيها الرسول- لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده، على طريق مستقيم معتدل، وهو الإسلام.

قوله تعالى: {وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٤]، أي: "يقسم الله تعالى بالقرآن المحكم بما فيه من الأحكام والحكم والحجج، إنك -أيها الرسول- لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده"^(٨).

عن قتادة: "وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ"، قسم كما تسمعون"^(٩).

عن يحيى بن أبي كثير، في قوله: {يس * وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ} قال: يُقْسِمُ بِالْفِ عَالَمٍ، {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}^(١٠).

قوله تعالى: {عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يس : ٤]، أي: "على طريق مستقيم معتدل، وهو الإسلام"^(١١).

عن قتادة: "عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"، أي: على الإسلام"^(١٢).

(١) حكاه الطبري عن ابن عباس، في التفسير: ٤٨٨ / ٢٠، وحكاه ابن الجوزي عن سعيد بن جبير وعكرمة في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٢) انظر: الكشف والبيان: ١٢٠/٨.

(٣) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٩٩/٢.

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٥) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٨.

(٦) روح البيان: ٣٦٥/٧.

(٧) انظر: السبعة في القراءات: ٥٣٨، والكشف والبيان: ١٢٠/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٠ / ٢٠.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٧): ص ٣١٨٨/١٠.

(١١) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٩٠ / ٢٠.

عن قتادة: " { إنك على صراط مستقيم } : أي الإسلام" (١).
 عن مجاهد: { إن ربي على صراط مستقيم } [هود: ٥٦] ، يعني: «على الحق» (٢).
 وعن مجاهد: " { أمن يمشي سويا على صراط مستقيم } [الملك: ٢٢] ، يعني: «على الحق المستقيم» (٣).
 عن مجاهد، قوله: " { صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ، قال: الحق" (٤).
 عن مجاهد، { صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } : " يعني: الإسلام: الدين الحق" (٥).
 عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: "الصرط المستقيم، قال: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن. فقال صدق أبو العالية ونصح" (٦).

القرآن

{ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) } [يس : ٥]

نزل الله هذا القرآن تنزيل العزيز في انتقامه من أهل الكفر والمعاصي، الرحيم بمن تاب من عباده وعمل صالحاً.

عن قتادة: " { تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ } قال: هو القرآن" (٧).
 وقرئ: «تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ» برفع «تنزيل» (٨).

القرآن

{ لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) } [يس : ٦]

التفسير:

أنزلناه عليك -أيها الرسول- لتحذر به قومًا لم يُنذَرِ آبَاؤُهُمْ من قبلك، وهم العرب، فهؤلاء القوم ساهون عن الإيمان والاستقامة على العمل الصالح.
 قوله تعالى: { لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ } [يس : ٦] ، أي: " أنزلناه عليك -أيها الرسول- لتحذر به قومًا لم يُنذَرِ آبَاؤُهُمْ من قبلك، وهم العرب" (٩).
 وفي قوله تعالى: { لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ } [يس : ٦] ، وجهان من التفسير:
 أحدهما : أنه عام، ومعناه: لتنذر قومًا كما أنذر آبَاؤُهُمْ ، يعني: من كانوا قبل قريش. قاله عكرمة (١٠)، والسدي (١١).
 عن عكرمة في هذه الآية: " { لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ } ، قال: قد أنذروا" (١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(٢) تفسير مجاهد: ٣٨.

(٣) تفسير مجاهد: ٦٦٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٨): ص ١٢٨٧/٤.

(٥) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٧): ص ١٢٨٧/٤.

(٧) الدر المنثور: ٤٢/٧ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١ / ٢٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١ / ٢٠.

(١١) حكاه يحيى بن سلام عنه في التفسير: ٨٠٠/٢ ، والماوردي في النكت والعيون: ٦/٥.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٩١ / ٢٠.

الثاني : أنهم قريش أنذروا بنبوّة محمد -صلى الله عليه وسلم- ولم ينذر أبأؤهم من قبلهم ، حكاة قتادة^(١). قال قتادة: " يقول بعضهم: لم يأتهم نذير قبلك، ويقول بعضهم: {ما أنذر أبأؤهم}، يقول: مثل الذي أنذر أبأؤهم"^(٢).

عن قتادة: " {لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ}، قال: قال بعضهم: {لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ} ما أنذر الناس من قبلهم. وقال بعضهم: {لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ}، أي: هذه الأمة لم يأتهم نذير حتى جاءهم محمدٌ - صلى الله عليه وسلم -"^(٣).

القرآن

{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِيٰ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ (٨) } [يس : ٧-٨]

التفسير:

لقد وجب العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين، بعد أن عُرِضَ عليهم الحق فرفضوه، فهم لا يصدقون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بشرعه. إنا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عُرِضَ عليهم الحق فردّوه، وأصرّوا على الكفر وعدم الإيمان، كمن جُعِلَ في أعناقهم أغلال، فجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فهم مغلولون عن كل خير، لا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه. قوله تعالى: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [يس : ٧]، أي: لقد وجب العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين، بعد أن عُرِضَ عليهم الحق فرفضوه، فهم لا يصدقون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بشرعه"^(٤).

عن الضحاك: " {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ}، قال: سَبَقَ في علمه"^(٥). قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا فِيٰ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ} [يس : ٨]، أي: "إنا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عُرِضَ عليهم الحق فردّوه، وأصرّوا على الكفر وعدم الإيمان، كمن جُعِلَ في أعناقهم أغلال، فجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فهم مغلولون عن كل خير، لا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه"^(٦).

عن مجاهد، قوله: " {فَهُمْ مُّقْمَحُونَ}، قال: رافعو رؤوسهم، وأيديهم موضوعة على أفواههم"^(٧). قال قتادة: " أي: فهم مغلولون عن كل خير"^(٨).

القرآن

{وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) } [يس : ٩]

التفسير:

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٦١): ص٧٦/٣، وتفسير يحيى بن سلام: ٧٩٩/٢-٨٠٠.
(٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤٦١): ص٧٦/٣.
(٣) أخرجه يحيى بن سلام ٧٩٩ / ٢ بنحوه، وعبد الرزاق (٢٤٦١): ص٧٦/٣-كما سبق-. من طريق معمر، والطبري: ٤٩٢/٢٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٤٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٢٨): ص٣١٨٨/١٠.
(٦) التفسير الميسر: ٤٤٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٩٤ / ٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٤ / ٢٠.

وجعلنا من أمام الكافرين سداً ومن ورائهم سداً، فهم بمنزلة من سدَّ طريقه من بين يديه ومن خلفه، فأعمينا أبصارهم؛ بسبب كفرهم واستكبارهم، فهم لا يبصرون رشداً، ولا يهتدون. وكل من قابل دعوة الإسلام بالإعراض والعناد، فهو حقيق بهذا العقاب.
سبب النزول:

عن عكرمة قال: "قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً} .. إلى قوله: {فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}، قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول أين هو، أين هو؟ لا يبصره"^(١).

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا} [يس: ٩]، أي: "وجعلنا من أمام الكافرين سداً ومن ورائهم سداً، فهم بمنزلة من سدَّ طريقه من بين يديه ومن خلفه"^(٢).

عن مجاهد، قوله: "{مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا}، قال: عن الحق فهم يترددون"^(٣).

عن قتادة: "وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً"، قال: ضلالات"^(٤).
قوله تعالى: {فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس: ٩]، أي: "فأعمينا أبصارهم؛ بسبب كفرهم واستكبارهم، فهم لا يبصرون رشداً، ولا يهتدون"^(٥).

عن قتادة: "{فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}، هدى، ولا ينتفعون به"^(٦).

وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: "{فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} بالعين، بمعنى: أعشيناهم عنه، وذلك أن العشا هو أن يمشي بالليل ولا يبصر"^(٧).

قال السدي: "انتم ناس من قريش بالنبى صلى الله عليه وسلم ليسطوا عليه فجاؤا يريدون ذلك فجعل الله: {من بين أيديهم سداً}، قال: ظلمة، {ومن خلفهم سداً}، قال: ظلمة {فأعشيناهم فهم لا يبصرون}، قال: فلم يبصروا النبي صلى الله عليه وسلم"^(٨).

قال محمد بن كعب القرظي: "اجتمع قريش. وفيهم أبو جهل على باب النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا على بابه: إن محمدا يزعم أنكم إن بايعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، وبعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ حفنة من تراب في يده قال: «نعم. أقول ذلك، وأنت أدهم، وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو هذه الآيات: {يس * وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ}، إلى قوله: {فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}، حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات، فلم يبق رجل إلا وضع على رأسه تراباً، فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، وإذا عليه تراب فقالوا: لقد كان صدقنا الذي حدثنا"^(٩).

قال ابن إسحاق: "وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال: "وأنا أقول ذلك: إن لهم مني لذبحا، وإنه أدهم"^(١٠).

القرآن

(١) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٩٥-٤٩٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٩٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٩٥.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٩٥.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٩٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٣٣): ص ٣١٨٩/١٠.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٩): ص ٣١٨٨/١٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦ / ٥٦٤-٥٦٥.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)﴾ [يس : ١٠]
التفسير:

يستوي عند هؤلاء الكفار المعاندين تحذيرك لهم -أيها الرسول- وعدم تحذيرك، فهم لا يصدّقون ولا يعملون.
قال السدي: "يعني: إن أنذرت الكفار أم لم تنذرهم فهو عليهم سواء، يعني: الذين لا يؤمنون"^(١).

القرآن

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)﴾ [يس : ١١]
التفسير:

إنما ينفع تحذيرك من آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله، وخاف الرحمن، حيث لا يراه أحد إلا الله، فبشّره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه في الآخرة على أعماله الصالحة، وهو دخوله الجنة.
قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ [يس : ١١]، أي: "إنما ينفع تحذيرك من آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله"^(٢).

قال قتادة: "واتباع الذكر: اتباع القرآن"^(٣).
قوله تعالى: ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [يس : ١١]، أي: "وخاف الرحمن، حيث لا يراه أحد إلا الله"^(٤).

قال قتادة: "خشي عذاب الله وناره"^(٥).
قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس : ١١]، أي: "فبشّره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه في الآخرة على أعماله الصالحة، وهو دخوله الجنة"^(٦).
عن قتادة: "﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾، قال: الجنة"^(٧).

القرآن

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)﴾ [يس : ١٢]
التفسير:

إننا نحن نحْيي الأموات جميعاً ببعثهم يوم القيامة، ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وآثارهم التي كانوا سبباً فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير، كالولد الصالح، والعلم النافع، والصدقة الجارية، ومن شر، كالشرك والعصيان، وكلّ شيء أحصيناه في كتاب واضح هو أمُّ الكتب، وإليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ.
سبب النزول:

عن أبي سعيد الخدري، قال: "شكت بنو سلّمة بعد منازلهم إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فنزلت:
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾، فقال: «عَلَيْكُمْ مَنَازِلُكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ»"^(٨).
قال ابن عباس: "كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت:
﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾، فقالوا: نثبت في مكاننا"^(٩).

(١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٢/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٣٦): ص ٣١٨٩/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٣٦): ص ٣١٨٩/١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٧-٤٩٨/٢٠.

قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس: ١٢]، أي: "إنا نحن نحْيي الأموات جميعاً ببعثهم يوم القيامة، ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وآثارهم التي كانوا سبباً فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير، كالولد الصالح، والعلم النافع، والصدقة الجارية، ومن شر، كالشرك والعصيان"^(١).

وفي قوله تعالى: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس: ١٢]، وجهان من التفسير: أحدهما: {ما قدموا}: هو ما عملوا من خير أو شر، {وآثارهم}: ما أثاروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعدهم، قاله سعيد بن جبير^(٢).

قال سعيد: "سئوا من سنة فعملوا بها من بعد موتهم"^(٣).
وقال مجاهد: "ما قدموا من خير وآثارهم قال: ما أورتوا من الضلالة"^(٤).
وفي الحديث: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجرهم شيئاً ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً»^(٥).

الثاني: {ما قدموا}: أعمالهم، {وآثارهم}: خطاهم إلى المساجد، قاله مجاهد^(٦).
عن مجاهد، قوله: "ما قدموا"، قال: أعمالهم"^(٧)، "وآثارهم"، قال: خطاهم بأرجلهم"^(٨).
عن الحسن: "وآثارهم"، قال: خطاهم"^(٩).
قال أنس: "هذا في الخطو يوم الجمعة"^(١٠).
عن قتادة، قوله: "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا"، من عمل"^(١١).

قال قتادة: "لو كان مغفلاً شيئاً من أثر ابن آدم لأغفل هذا الأثر التي تعفها الرياح، ولكن أحصر على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو في طاعة الله أو معصيته فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله، فليفعل"^(١٢).

قال جابر: "أراد بنو سلمة قرب المسجد، قال: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا بَنِي سَلْمَةَ دِيَارِكُمْ إِنَّهَا تُكْتَبُ آثَارُكُمْ»"^(١٣).

وفي رواية قال جابر: "أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، قال: والبقاع خالية، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «يَا بَنِي سَلْمَةَ دِيَارِكُمْ إِنَّهَا تُكْتَبُ آثَارُكُمْ»، قال: فأقاموا وقالوا: ما يسرنا أننا كنا نحولنا"^(١٤).

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٤٠.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٤٢): ص ٣١٩٠/١٠.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤٢): ص ٣١٩٠/١٠.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤٣): ص ٣١٩٠/١٠.
(٥) أخرجه الطيالسي (ص ٩٢، رقم ٦٧٠)، وأحمد (٣٥٧/٤، رقم ١٩١٧٩)، ومسلم (٢٠٥٩/٤، رقم ١٠١٧)، والترمذي (٤٣/٥، رقم ٢٦٧٥)، والنسائي (٧٥/٥، رقم ٢٥٥٤)، وابن ماجه (٧٤/١، رقم ٢٠٣)، وابن حبان (١٠١/٨، رقم ٣٣٠٨) وأخرجه أيضاً: ابن أبي شيبة (٣٥٠/٢، رقم ٩٨٠٣)، والطبراني (٣٤٣/٢، رقم ٢٤٣٧)، والبيهقي (١٧٥/٤، رقم ٧٥٣٠). من حديث جرير.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٤٠): ص ٣١٩٠/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٠، وابن أبي حاتم (١٨٠٤٠): ص ٣١٩٠/١٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٠.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٣٩): ص ٣١٩٠/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٠.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤١): ص ٣١٩٠/١٠، والطبري: ٤٩٩/٢٠. [باختصار].
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٠.

عن الحسن: " أن بني سلمة كانت دورهم قاصية عن المسجد، فهموا أن يتحولوا قرب المسجد، فيشهدون الصلاة مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا تَحْسِبُونَ أَثَارَكُمْ يَا بَنِي سَلْمَةَ؟" فمكثوا في ديارهم" (٢).

قال ثابت: " مشيت مع أنس، فأسرعت المشي، فأخذ بيدي، فمشينا رويدا، فلما قضينا الصلاة قال أنس: مشيت مع زيد بن ثابت، فأسرعت المشي، فقال: يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب؟" (٣). وهذا القول الأخير لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأخرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكْتَبُ، فلأن تُكْتَبَ تلك التي فيها فُدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى، والله أعلم (٤).

قوله تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} [يس: ١٢]، أي: " وكلَّ شيء أحصيناه في كتاب واضح هو أمُّ الكتاب، وإليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ" (٥). عن مجاهد: " {فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ}، قال: في أم الكتاب" (٦). قال قتادة: " كل شيء محصى عند الله في كتاب" (٧).

القرآن

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِتَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ (١٤)} [يس: ١٤]

التفسير:

واضرب -أيها الرسول- لمشركي قومك الراديين لدعوتك مثلا يعتبرون به، وهو قصة أهل القرية، حين ذهب إليهم المرسلون، إذ أرسلنا إليهم رسولين لدعوتهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة غيره، فكذب أهل القرية الرسولين، فقويناهما برسول ثالث، فقال الثلاثة لأهل القرية: إنا إليكم -أيها القوم- مرسلون.

قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ} [يس: ١٣]، أي: " واضرب -أيها الرسول- لمشركي قومك الراديين لدعوتك مثلا يعتبرون به، وهو قصة أهل القرية، حين ذهب إليهم المرسلون" (٨).

واختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية على قولين:

أحدهما: نهم كانوا رسلا أرسلهم الله إليهم. قاله كعب الأخبار (٩)، ووهب بن منبه (١٠).

عن ابن إسحاق، فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأخبار، وعن وهب بن منبه، قال: "كان بمدينة أنطاكية، فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس بن أبطيحس يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله المرسلين، وهم ثلاثة: صادق، ومصدوق، وسلوم، فقدم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما، ثم عزز

(١) أخرجه الطبري: ٤٩٨ / ٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٩٨ / ٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٩٨ / ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٦٨ / ٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٩٩ / ٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٩٩ / ٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.

الله بثالث، فلما دعت الرسل ونادته بأمر الله، وصدعت بالذي أمرت به، وعابت دينه، وما هم عليه، قال لهم (إِنَّا نَطْبِرُنَا بِكُمْ لِيُنْ لَمْ نَتَّهُوا لِنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)"^(١).

الثاني: أنهم كانوا رسل عيسى ابن مريم، وعيسى الذي أرسلهم إليهم. قاله قتادة^(٢).
قال قتادة: "ذكر لنا أن عيسى ابن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية -مدينة بالروم-

فكذبوهما فأعزهما بثالث {فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ}"^(٣).
عن عكرمة: "وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ"، قال: أنطاكية"^(٤).

عن بريدة: {أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ}، قال: أنطاكية"^(٥).
عن عبد الملك يعني ابن عمير قال: "قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي صلى الله عليه وسلم: ابعثني

إلى قومي أذعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «انطلق» فانطلق فمر على اللات والعزى لا عزى، أسلموا تسلموا. يا معشر الأحلاف، إن العزى لا عزى، وإن اللات لا لات، أسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات، فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هذا مثله كمثل صاحب يس قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين"^(٦).

قوله تعالى: {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا} [يس: ٤٤]، أي: "إذ أرسلنا إليهم رسولين لدعوتهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة غيره، فكذب أهل القرية الرسولين"^(٧).

واختلف أهل التفسير في اسمي الرسولين على أقوال:
أحدها: أنهم: شمعون ويوحنا، قاله شعيب الجبائي^(٨)، وسعيد بن جبير.

قال سعيد بن جبير: "اسم الثالث الذي عَزَّرَ به شمعون ويوحنا: بولص، فزعموا أن الثلاثة قتلوا جميعاً"^(٩).

الثاني: صادق وصدوق، قاله كعب الأخبار^(١٠)، ووهب بن منبه^(١١).
الثالث: يحيى وبولس. قاله وهب -أيضا-^(١٢).

الرابع: تومان ويونس. قاله مقاتل^(١٣).
قوله تعالى: {فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} [يس: ٤٤]، أي: "فقويناهما برسول ثالث"^(١٤).

قال مجاهد: "يعني: «فشددنا بثالث»"^(١٥).
قال السدي: "يعني: فشددنا"^(١٦).

وفي قوله تعالى: {فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} [يس: ٤٤]، وجهان:

-
- (١) أخرجه الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.
 - (٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.
 - (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤٦): ص ٣١٩١ / ١٠.
 - (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤٧): ص ٣١٩١ / ١٠.
 - (٧) التفسير الميسر: ٤٤١.
 - (٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٥٠): ص ٣١٩٢ / ١٠.
 - (٩) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
 - (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.
 - (١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.
 - (١٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل: ١٨٥ / ١٦.
 - (١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٥ / ٣.
 - (١٤) التفسير الميسر: ٤٤١.
 - (١٥) أخرجه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٣ / ٢، والطبري: ٥٠١ / ٢٠، وانظر: تفسير مجاهد: ٥٥٩.
 - (١٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٣ / ٢.

أحدهما : فشددنا ، قاله مجاهد^(١)، والسدي^(٢).
قال أبو العالية: " لكي تكون عليهم الحجة أشد، فأتوا أهل القرية فدعوهم إلى الله وحده وعبادته لا شريك له، فكذبهم"^(٣).
الثاني : فزدنا، قاله مجاهد في رواية أخرى-^(٤). وحكاها الماوردي عن ابن جريج^(٥).
واختلف في اسم الرسول الثالث، على أقوال:
أحدها : بولص. قاله شعيب^(٦).
الثاني: يونس. حكاها الماوردي عن شعيب^(٧).
الثالث : سلوم^(٨)، قاله كعب الأحبار^(٩)، ووهب بن منبه^(١٠).
واختلف في اسم الملك على قولين :
أحدهما : أن اسمه: أنطيوخس ، قاله كعب الأحبار^(١١)، ووهب بن منبه^(١٢).
الثاني : انطرا ، حكاها الماوردي عن شعيب^(١٣).

القرآن

{قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا لِإِذْبَاعِ الْمُؤْمِنِينَ (١٧)} [يس : ١٦-١٧]

التفسير:

قال المرسلون مؤكدين: ربُّنا الذي أرسلنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، وما علينا إلا تبليغ الرسالة بوضوح، ولا نملك هدايتكم، فالهداية بيد الله وحده.
قوله تعالى: {وَمَا عَلَيْنَا لِإِذْبَاعِ الْمُؤْمِنِينَ} [يس : ١٧]، أي: "وما علينا إلا تبليغ الرسالة بوضوح، ولا نملك هدايتكم، فالهداية بيد الله وحده"^(١٤).
عن سعيد بن جبيرة: "{المبين}" يعني: "البين"^(١٥).

القرآن

{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨)} [يس : ١٨]

التفسير:

قال أهل القرية: إنا نطهرنا بكم، لئن لم تكفوا عن دعوتكم لنا لنقتلنكم رمياً بالحجارة، وليصيبنكم ممًّا عذاب أليم موجع.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠١ / ٢٠.

(٢) حكاها عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٣ / ٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤٩): ص ٣١٩١ / ١٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠١ / ٢٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ١٠ / ٥.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٥٠): ص ٣١٩٢ / ١٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ١٠ / ٥.

(٨) وفي بعض الروايات: «شلوم».

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ / ٢٠.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٠ / ٥.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٤١.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٢٢٠): ص ٣٠٤٥ / ٩.

قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} [يس: ١٨]، أي: "قال أهل القرية: إنا نَسَاءَمْنَا بكم" (١).
وفي قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} [يس: ١٨]، ثلاثة وجوه:
عن قتادة، قال: قالوا: "إن أصابنا سوء فهو من قبلكم" (٢). وفي رواية: "إن أصابنا شر، فإنما هو من أجلكم" (٣).

قوله تعالى: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ} [يس: ١٨]، أي: "لئن لم تكفوا عن دعوتكم لنا لنقتلنكم رمياً بالحجارة" (٤).

عن قتادة: " {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ} بالحجارة" (٥).

قال السدي: "يعني: لنقتلنكم" (٦).

قال الحسن: "لنرجمنكم بالحجارة حتى نقتلكم بها" (٧).

قوله تعالى: {وَأَلَيْمَسَّكُمْ مِثْلُ آبٍ أَلِيمٍ} [يس: ١٨]، أي: "وليصينكم مئاً عذاب أليم موجع" (٨).
قال أبو العالية: "الأييم: الموجع في القرآن كله" (٩)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقاتدة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك (١٠).

القرآن

{قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} [يس: ١٩]

التفسير:

قال المرسلون: شؤمكم وأعمالكم من الشرك والشر معكم ومردودة عليكم، إن وعظتم بما فيه خيركم تشاءتم وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب؟ بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والتكذيب.

قوله تعالى: {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} [يس: ١٩]، أي: "قال المرسلون: شؤمكم وأعمالكم من الشرك والشر معكم ومردودة عليكم" (١١).

وفي تفسير قوله تعالى: {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} [يس: ١٩]، وجهان:

أحدهما: معناه: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم، قاله قتادة (١٢).

عن قتادة: "أي: أعمالكم معكم" (١٣).

وروي عن الحسن وقاتدة في رواية أخرى: "عملكم معكم" (١٤).

وقال مجاهد: "يقولون: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها" (١٥).

الثاني: يقولون: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها. قاله مجاهد (١٦).

(١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٢) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٣/٢، وابن أبي حاتم (١٨٠٥١): ص ٣١٩٢/١٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥١): ص ٣١٩٢/١٠.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٤/٢.

(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٤/٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(١١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٥١): ص ٣١٩٢/١٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥١): ص ٣١٩٢/١٠.

(١٤) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٣/٢.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٥٠٦-٥٠٥/٦.

قوله تعالى: {أَنْزِلْ دُكْرُكُمْ} [يس: ١٩]، أي: "إِنْ وُعِظْتُمْ بِمَا فِيهِ خَيْرِكُمْ تَشَاءْتُمْ وَتُوَعِدْتُمُونَا بِالرَّجْمِ وَالتَّعْذِيبِ؟"^(٢).

قال السدي: "يعني: وعظتم"^(٣).

عن قتادة، قال: قالت لهم الرسل: {أَنْزِلْ دُكْرُكُمْ} [يس: ١٩] ، أي: أَنْزِلْ دُكْرُنَاكُمْ بِاللَّهِ تَطِيرْتُمْ بِنَا، عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ"^(٤).

ومقرأ قتادة فيها، بالتشديد: "ذكرتم"^(٥).

القرآن

{وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١)} [يس: ٢١]

التفسير:

وجاء من مكان بعيد في المدينة رجل مسرع (وذلك حين علم أن أهل القرية هموا بقتل الرسل أو تعذيبهم) ، قال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم من الله، اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أموالاً على إبلاغ الرسالة، وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده.

قوله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس: ٢١]، أي: "وجاء من مكان بعيد في المدينة رجل مسرع، قال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم من الله"^(٦).

قال أبو مجلز: "كان صاحب يس «حبيب بن مري»"^(٧).

قال قتادة: "ذكر لنا أن اسمه «حبيب»، وكان في غار يعبد ربه، فلما سمع بهم أقبل إليهم"^(٨). وفي رواية: قال قتادة: "بلغني أنه كان يعبد الله في غار واسمه حبيب سمع بهؤلاء نفر الذين أرسلهم عيسى إلى أنطاكية"^(٩).

قال عمر بن الحكم: "بلغنا أنه كان قصاراً"^(١٠).

عن محمد بن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اليماني أنه كان رجلاً من أهل أنطاكية، وكان اسمه "حبيباً" وكان يعمل الجريز، وكان رجلاً سقيماً، قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصياً، وكان مؤمناً ذا صدقة، يجمع كسبه إذا أمسى فيما يذكرون، فيقسمه نصفين، فيطعم نصفاً عياله، ويتصدق بنصف، فلم يهمله سقمه ولا عمله ولا ضعفه، عن عمل ربه، قال: فلما أجمع قومه على قتل الرسل، بلغ ذلك: "حبيباً" وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذکرهم بالله، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين، فقال: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ}"^(١١).

عن كعب الأحبار: "ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيئمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يقول: أتشهد أن محمداً

(١) تفسير ابن كثير: ٥٠٥-٥٠٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٤/٢.

(٤) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٣/٢.

(٥) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٣/٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٠.

(٩) تفسير عبدالرزاق (٢٤٧١): ص ٧٨/٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥٥): ص ٣١٩٢/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٠٤-٥٠٥.

رسول الله؟ فيقول: نعم، ثم يقول: أتشهد أنني رسول الله؟ فيقول له: لا أسمع، فيقول مسيلمة: أسمع هذا، ولا تسمع هذا؟ فيقول: نعم، فجعل يقطعه عضواً عضواً، كلما سأله لم يزد على ذلك حتى مات في يديه، قال كعب حين قيل له اسمه "حبيب": وكان والله صاحب يس اسمه: «حبيب»^(١).

قوله تعالى: {اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [يس: ٢١]، أي: "اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أموالاً على إبلاغ الرسالة، وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده"^(٢).
عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه: "اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ"، أي: لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى، وهم لكم ناصحون، فاتبعوهم تهتدوا بهداهم"^(٣).

قال قتادة: "لما انتهى إليهم -يعني إلى الرسل- قال: هل تسألون على هذا من أجر؟ قالوا: لا فقال عند ذلك: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ}"^(٤).
قال مجاهد: "كان رجلاً من قوم يونس، وكان به جذام، وكان يطيف بالهتيم يدعوها، إذ مر على قوم مجتمعين، فأتاهم فإذا هم قد قتلوا نبيين، فبعث الله إليهم الثالث، فلما سمع قوله: قال: يا عبد الله إن معي ذهباً فهل أنت آخذة مني وأتبعك وتدعو الله لي؟ قال: لا أريد ذهبك، ولكن اتبعني، فلما رأى الذي به دعا الله له فبرأ، فلما رأى ما صنع به {قال يا قوم اتبعوا المرسلين} {٢٠} اتبعوا من لا يسألكم أجراً {يس: ٢٠-٢١}، لما كان عرض عليه من الذهب فلم يقبله منه {وهم مهتدون}"^(٥).

القرآن

{وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)} [يس: ٢٢]
التفسير:

وأى شيء يمنعني من أن أعبد الله الذي خلقني، وإليه تصيرون جميعاً؟
قال قتادة: "هذا رجل دعا قومه إلى الله، وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك"^(٦).
عن قتادة قوله: "{إلا على الذي فطرني}"، أي: خلقني"^(٧).

القرآن

{أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدَّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون (٢٣) إِنْ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنْ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ (٢٥)} [يس: ٢٣-٢٥]
التفسير:

أعبد من دون الله آلهة أخرى لا تملك من الأمر شيئاً، إن يردني الرحمن بسوء فهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا تستطيع إنقاذي مما أنا فيه؟ إنني إن فعلت ذلك لفي خطأ واضح ظاهر. إنني آمننت بربكم فاستمعوا إلى ما قلته لكم، وأطيعوني بالإيمان.

قوله تعالى: {أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدَّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون إِنْ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يس: ٢٣]، أي: "أعبد من دون الله آلهة أخرى لا تملك من الأمر شيئاً، إن يردني

(١) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٠، وانظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٧١): ص ٧٨/٣.

(٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٥/٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري (١٨٢٦٠): ص ٣٥٨/١٥.

الرحمن بسوء فهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا تستطيع إنقاذي مما أنا فيه؟ إني إن فعلت ذلك لفي خطأ واضح ظاهر"^(١).

عن السدي: {إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}، "يعني: في خسران بين"^(٢).
قوله تعالى: {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ} [يس: ٢٥]، أي: "إني آمنت بربكم فاستمعوا إلى ما قلته لكم، وأطيعوني بالإيمان"^(٣).

قال قتادة: "هذا رجل دعا قومه إلى الله، وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك. وذكر لنا أنهم كانوا يرمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، حتى أفصوه وهو كذلك"^(٤).

عن كعب، وعن وهب بن منبه قال لهم: {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي} .. إلى قوله {فَاسْمِعُونِ} وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واسضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يكن أحد يدفع عنه"^(٥).
عن ابن إسحاق، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول: "وطئوه بأرجلهم حتى خرج فُصْبُهُ من دُبْرِهِ"^(٦).

أخرج يحيى بن سلام بسند له عن مجاهد، قال: "كان رجلا من قوم يونس، وكان به جذام، وكان يطيف بالهتهم يدعوها، إذ مر على قوم مجتمعين، فأتاهم فإذا هم قد قتلوا نبيين، فبعث الله إليهم الثالث، فلما سمع قوله: قال: يا عبد الله إن معي ذهباً فهل أنت آخذة مني وأتبعك وتدعو الله لي؟ قال: لا أريد ذهبك، ولكن اتبعني، فلما رأى الذي به دعا الله له فبرأ، فلما رأى ما صنع به {قال يا قوم اتبعوا المرسلين} {٢٠} اتبعوا من لا يسألكم أجراً {يس: ٢٠-٢١} لما كان عرض عليه من الذهب فلم يقبله منه {وهم مهتدون} {٢١} وما لي لا أعبد الذي فطرني {يس: ٢١-٢٢} خلقتني {وإليه ترجعون} {٢٢} أتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً {يس: ٢٢-٢٣} لما كان يدعو الهتهم لما به من الجذام فلم يغن عنه شيئاً {ولا ينقذون} {يس: ٢٣} من ضري، يعني: الجذام الذي كان به. {إني إذا لفي ضلال مبين} {٢٤} إني آمنت بربكم فاسمعون {يس: ٢٤-٢٥}، أي: فاستمعوا قولي، فاقبلوه فدعاهم إلى الإيمان، -وليس هذا الحرف من تفسير مجاهد-، قال مجاهد: فلما سمعوه قتلوه"^(٧).

وفي قوله تعالى: {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ} [يس: ٢٥]، وجهان من التفسير:
أحدهما: أنه خاطب الرسل بذلك أنه يؤمن بالله ربهم {فَاسْمِعُونِ}، أي: فاشهدوا لي، قاله كعب^(٨).
قال كعب: إنه قال لقومه: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} إلى قوله: {إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}. ثم أقبل على الرسل فقال: {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ} ليشهدهم على إيمانه"^(٩).
الثاني: أنه خاطب قومه بذلك، ومعناه: إني آمنت بربكم الذي كفرتم به فاسمعوا قولي، قاله كعب^(١٠)، وهب بن منبه^(١١)، ومحمد بن إسحاق^(١٢).

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٤١.
 - (٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٥/٢.
 - (٣) التفسير الميسر: ٤٤١.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٥٠٧-٥٠٨/٢٠.
 - (٥) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٠.
 - (٦) أخرجه الطبري: ٥٠٨-٥٠٩/٢٠.
 - (٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٥/٢.
 - (٨) التفسير البسيط للواحد: ٤٦٨/١٨.
 - (٩) التفسير البسيط للواحد: ٤٦٨/١٨، و"المحرر الوجيز" ٤/٤٥١، "القرطبي" ١٥/١٩، وأورده السيوطي في "الدر" ٧/٥١، وعزاه لابن أبي شيبه وابن المنذر.
 - (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٠.
 - (١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٠.
 - (١٢) التفسير البسيط للواحد: ٤٦٧/١٨.

قال محمد بن إسحاق: "إني أمنت بربكم الذي كفرتم به، فاسمعوا قولي"^(١).
 فيحتمل أن يكون خطابه للرسول بقوله: {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ}، أي: الذي أرسلكم، {فَاسْمَعُونَ}، أي: فاشهدوا لي بذلك عنده. وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسول، وقال لهم: اسمعوا قولي، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني قد أمنت بربكم واتبعتمكم. وهذا القول الذي حكاه هؤلاء أظهر في المعنى، والله أعلم^(٢).

القرآن

{قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)} [يس: ٢٦ - ٢٧]

التفسير:

قيل له بعد قتله: ادخل الجنة، إكراماً له. قال وهو في النعيم والكرامة: يا ليت قومي يعلمون بغفران ربي لي وإكرامه إياي؛ بسبب إيماني بالله وصبري على طاعته، واتباع رسله حتى قُتلت، فيؤمنوا بالله فيدخلوا الجنة مثلي.

قوله تعالى: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ} [يس: ٢٦]، أي: "قيل له بعد قتله: ادخل الجنة، إكراماً له"^(٣).
 عن مجاهد، قوله: " {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ}، قال: وجبت له الجنة"^(٤).

قال محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود: "إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج فُصْبُهُ من دبره وقال الله له: { ادْخُلِ الْجَنَّةَ }، فدخلها فهو يرزق منها، قد أذهب الله عنه سُقْمَ الدُّنْيَا وحرزها ونَصَبَهَا"^(٥).

قوله تعالى: {قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)} [يس: ٢٦ - ٢٧]، أي: "قال وهو في النعيم والكرامة: يا ليت قومي يعلمون بغفران ربي لي وإكرامه إياي؛ بسبب إيماني بالله وصبري على طاعته، واتباع رسله حتى قُتلت، فيؤمنوا بالله فيدخلوا الجنة مثلي"^(٦).
 عن مجاهد، قوله: " {قال يا ليت قومي يعلمون}، قال: هذا حين رأى الثواب"^(٧) (٨).

قال مجاهد: "لما قيل له: ادخل الجنة" {قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين} [يس: ٢٧] «وذلك حين رأى الثواب»^(٩).

عن أبي مجلز: "بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}: بإيماني بربي وتصديقي المرسلين"^(١٠).
 قال قتادة: "فرجموه بالحجارة، فجعل يقول رب اهد قومي، أحسبه قال: فإنهم لا يعلمون، قال: فلم يزالوا يرجموه حتى قتلوه فدخل الجنة، فقال {يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي} [يس: ٢٦] حتى بلغ {إن كانت إلا صيحة واحدة} [يس: ٢٩] قال: فما نوظروا بعد قتلهم إياه حتى أخذتهم صيحة واحدة، {فإذا هم خامدون} [يس: ٢٩]"^(١١).

(١) التفسير البسيط للواحد: ٤٦٧/١٨.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥٦): ص ٣١٩٣/١٠.

(٥) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥٦): ص ٣١٩٣/١٠.

(٨) قال ابن كثير: "مقصوده: أنهم لو اطلعوا على ما حصل من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسول، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصاً على هداية قومه". [تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦].

(٩) تفسير مجاهد: ٥٥٩.

(١٠) رواه سفيان كما تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

(١١) تفسير عبدالرزاق (٢٤٧١): ص ٧٨/٣.

وقال قتادة: " فلا تلقى المؤمن إلا ناصحًا، ولا تلقاه غاشيًا، فلما عاين من كرامة الله {قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}، تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله، وما هجم عليه"^(١).

القرآن

{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨)} [يس: ٢٨]

التفسير:

وما احتاج الأمر إلى إنزال جند من السماء لعذابهم بعد قتلهم الرجل الناصح لهم وتكذيبهم رسلهم، فهم أضعف من ذلك وأهون، وما كنا منزلين الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عذابًا يدمرهم. قوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ} [يس: ٢٨]، أي: "وما احتاج الأمر إلى إنزال جند من السماء لعذابهم بعد قتلهم الرجل الناصح لهم وتكذيبهم رسلهم، فهم أضعف من ذلك وأهون"^(٢).

وفي قوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ} [يس: ٢٨]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : معنى: «جند من السماء»، أي: رسالة، قاله مجاهد^(٣)، لأن الله تعالى قطع عنهم الرسل حين قتلوا رسله.

وقال قتادة: " فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله، {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ}"^(٤). الثاني : أن «الجند»: الملائكة الذين يجيئون بالوحي إلى الأنبياء، فانقطع عنهم الوحي واستوجبوا العذاب، فجاءهم العذاب. وهذا تفسير الحسن^(٥).

وهذا التفسير قريب المعنى من الأول.

الثالث: أن «الجند» الملائكة، والمعنى: أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودًا يقاتلهم بها، ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة. وهذا معنى قول الضحاك^(٦).

عن الضحاك، في قوله: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ} الآية، قال: "ما استعنت عليهم جنودًا من السماء ولا من الأرض"^(٧).

والقول الثاني أولى بتفسير الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرُّسُل، فيكون وجهًا، وإن كان أيضًا من المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخير في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جنودًا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم^(٨).

قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ} [يس: ٢٨]، أي: "وما كنا منزلين الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عذابًا يدمرهم"^(٩).

(١) أخرجه الطبري: ٥٠٩ / ٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥١٠ / ٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٥١٠ / ٢٠.

(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٦ / ٢، وانظر: النكت والعيون: ١٥ / ٥.

(٦) الدر المنثور: ٥٢ / ٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٧) الدر المنثور: ٥٢ / ٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٨) تفسير الطبري: ٥١١ / ٢٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٢.

قال قتادة: "فلا، والله، ما عاتب الله قومه بعد قتله، {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ}"^(١).

القرآن

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩)} [يس: ٢٩]

التفسير:

ما كان هلاكهم إلا بصيحة واحدة، فإذا هم ميتون لم تَبْقَ منهم باقية.
قوله تعالى: {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً} [يس: ٢٩]، أي: "ما كان هلاكهم إلا بصيحة واحدة"^(٢).
عن الحسن: " {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً}، الصيحة: العذاب"^(٣).
عن السُّدِّي: " {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً} صيحة إسرافيل"^(٤).
قال قتادة: "ما نوظروا بعد قتلهم إياه حتى أخذتهم الصيحة"^(٥).
قال ابن سريين: "في قراءة ابن مسعود «إن كانت إلا رتقة واحدة»، وفي قراءتنا: «إن كانت إلا صيحة واحدة»"^(٦).

قوله تعالى: {فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ} [يس: ٢٩]، أي: "فإذا هم ميتون لم تَبْقَ منهم باقية"^(٧).
عن سعيد بن جبيرة من طريق الخفاف: " {فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ}، قال: أحمدوا، والله"^(٨).
عن السُّدِّي، في قوله: " {فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ}، قال: ميتون"^(٩). وفي رواية، قال: "مستون"^(١٠).
عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سباق الأمم ثلاثة، لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب آل يس، ومؤمن آل فرعون، فهم الصديقون وعلي أفضلهم»^(١١)^(١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٣) علقه يحيى بن سلام ٨٠٦/٢.

(٤) علقه يحيى بن سلام ٨٠٦/٢.

(٥) التفسير البسيط للواحدي: ٤٧٤/١٨، و"المحرر الوجيز" ٤/٤٥٢، "ابن كثير" ٣/٥٦٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥٨): ص ٣١٩٣/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٨) أخرجه الحربي في غريب الحديث ٦٧١/٢.

(٩) الدر المنثور: ٥٢/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥٩): ص ٣١٩٣/١٠. والأثر السابق في الدر المنثور: ٥٢/٧: "ميتون"، والمعنيان متقاربان

لأن الاستواء بالقوم أي: تدميرهم. والله أعلم.

(١١) أخرجه الثعلبي في "تفسيره" ١٢٦/٨، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه. وأورده الطبرسي في "مجمع البيان"

٨/ ٦٥٩، ونسبه للثعلبي، وأورده الزمخشري في "الكشاف" ٢٨٣/٣. وقال الزيلعي في "تخريج أحاديث الكشاف" ٣/ ١٦٢:

رواه الطبراني بنقص في "معجمه" من حديث حسين بن حسن الأشقر، عن سفیان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد،

عن ابن عباس، ورواه كذلك ابن مردويه في "تفسيره"، والعقيلي في "الضعفاء" وأعله بحسين الأشقر وقال: إنه شيعي

متروك، ولا يعرف هذا إلا من جهته، وهو حديث منكر، ورواه بلفظ الثعلبي من حديث عمرو بن جميع، عن محمد بن أبي

ليلى، عن أخيه عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه. قال: وفيه عمرو بن جميع، وهو متروك.

(١٢) قال المفسرون: "بعث الله إليهم جبريل، عليه السلام، فأخذ بعضادتي باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة

فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم يبق فيهم روح تتردد في جسدهم. وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية،

وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح، عليه السلام، كما نص عليه قتادة وغيره، وهو الذي لم يذكر عن واحد من

متأخري المفسرين غيره، وفي ذلك نظر من وجوه:

أحدها: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله، عز وجل، لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: {إِذْ أَرْسَلْنَا

إِلَيْهِمْ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ} إلى أن قالوا: {رَبَّنَا عَلَّمْنَا مَا لَا بَلَاغَ

القرآن

{يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} {يس : ٣٠}

التفسير:

يا حسرة العباد وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، ما يأتيهم من رسول من الله تعالى إلا كانوا به يستهزئون ويسخرون.

قوله تعالى: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ} {يس : ٣٠}، أي: "يا حسرة العباد وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب"^(١).

قال مجاهد: "يا حسرة لهم"^(٢).

عن عكرمة: "يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ"، يعني: على أنفسهم"^(٣).

قال مجاهد: "كان حسرة عليهم استهزأؤهم بالرسول"^(٤).

عن قتادة: "يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ" في أنفسهم"^(٥).

قال قتادة: "أي: يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيقت من أمر الله، وفرطت في جنب الله. قال:

وفي بعض القراءات: «يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهَا»"^(٦).

قال أبو العالية الرياحي: "لَمَّا عَايَنُوا الْعَذَابَ قَالُوا: {يَا حَسْرَةً} أي: ندامة على العباد، يعني: على

الرسول الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم، فَتَمَّتُوا الْإِيمَانَ حِينَ لَمْ يَنْفَعَهُمْ"^(٧).

القرآن

{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ} {يس : ٣١}

التفسير:

ألم ير هؤلاء المستهزئون ويعتبرون بمن قبلهم من القرون التي أهلكناها أنهم لا يرجعون إلى هذه الدنيا؟

المُؤَيَّنُ {يس : ١٤ - ١٧}. ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح ، عليه السلام ، والله أعلم. ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم : { مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا } {يس : ١٥}.

الثاني : أن أهل أنطاكية آمنوا برسول المسيح إليهم ، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ؛ ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بئاركة ، وهن القدس لأنها بلد المسيح ، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها ، والإسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البئاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والراهبين. ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأطّده. ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البئاركة من رومية إليها ، كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين ، فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت ، فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخدمتهم، فإله أعلم. الثالث : أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف : أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم ، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ، ذكروه عند قوله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى } [القصص : ٤٣]. فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن العظيم قرية أخرى غير أنطاكية ، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا. أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة ، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك ، والله ، سبحانه وتعالى ، أعلم". [انظر: تفسير ابن كثير: ٥٧٣/٦-٥٧٤].

(١) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٦٤):ص:٣١٩٣/١٠.

(٣)تفسير الثعلبي ١٢٧ / ٨ ، وتفسير البغوي ١٦ / ٧ .

(٤) أخرجه الطبري: ٥١٢ / ٢٠ .

(٥)أخرجه يحيى بن سلام ٨٠٦ / ٢ .

(٦) أخرجه الطبري: ٥١٢ / ٢٠ .

(٧)تفسير الثعلبي ١٢٧ / ٨ ، وتفسير البغوي ١٦ / ٧ .

عن قتادة: "ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون"، قال: عاد وثمود، وقرون بين ذلك كثير" (١).

روي عن الأعرج وأبي عمرو في قوله: "أنهم إليهم لا يرجعون"، قال: ليس في مدة اختلاف هذا من رجوع الدنيا" (٢).

وللمفسرين في المراد بـ«القرن»، أقوال:

أحدها: أن القرن: سبعون سنة. قاله قتادة (٣).

الثاني: أنه ستون سنة. قاله الحسن (٤).

الثالث: أن القرن أربعون سنة. قاله إبراهيم (٥).

الرابع: أنه عشرون سنة. وهذا مروى عن الحسن -أيضا (٦)-.

عن مالك بن دينار، قال: "سألت الحسن، عن القرن، فقال: عشرون سنة" (٧).

الخامس: أنه مائة وعشرون سنة، قاله زرارة بن أوفى (٨)، وإياس بن معاوية (٩).

السادس: أن القرن: أمد. قاله أبو مالك (١٠).

السابع: أنه مائة سنة، قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن (١١)، وهو قول الجمهور (١٢).

والراجح أن القرن مئة سنة، إذ ورد فيه الحديث مرفوعا (١٣) وهو حديث قوي. والله أعلم.

وروي عن أبي إسحق، قال: قيل لابن عباس أن ناسا يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة

فسكت ساعة ثم قال: بنس القوم نحن إن كنا أنكحنا نساءه واقتسمنا ميراثه، أما تقراون ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون" (١٤).

وروي عن قتادة، قوله: "وأقسّموا باللّه جهّد أيمانهم لا يبعث اللّه من يموت"، تكذيبا بأمر الله أو

بأمرنا، فإن الناس صاروا في البعث فريقين: مكذب ومصّدق، ذكر لنا أن رجلا قال لابن عباس: إن ناسا

(١) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٦٦): ص ٣١٩٤/١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٣٧): ص ٢٩٨٢/٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٣٨): ص ٢٩٨٢/٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٤٠): ص ٢٩٨٢/٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٤١): ص ٢٩٨٢/٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٤١): ص ٢٩٨٢/٩.

(٨) انظر: زاد المسير: ١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(٩) انظر: زاد المسير: ١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧١٠٩): ص ١٢٦٣/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ١٠/٢.

(١٢) انظر: الدر المصون: ٥٤١/٤.

(١٣) ورد ذلك مرفوعا وهو حديث قوي. علقه البخاري في «التاريخ الكبير» ٣٢٣/١ و«الصغير» ٢١٦/١ قال داود

بن رشيد حدثنا أبو حياة شريح بن يزيد الحضرمي عن إبراهيم بن محمد بن زياد عن أبيه عن عبد الله بن بسر أن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: «يعيش هذا الغلام قرنا»، فعاش مائة سنة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٦١١٩ بآتم منه وقال رواه

الطبراني والبخاري باختصار إلا أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدركن قرنا» ورجال أحد إسنادي البزار رجال

الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي، وهو ثقة اهـ.

وورد بنحوه عن الحسن بن أيوب الحضرمي قال: أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه فوضعت إصبعي عليها فقال: وضع

رسول الله صلى الله عليه وسلم إصبعه عليها وقال: «لتبلغن قرنا» أخرجه أحمد ١٨٩/٤ والطبراني كما في «المجمع»

١٦١٢٠. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب، وهو ثقة، ورجال الطبراني ثقات اهـ. وانظر

«الإصابة» ٢٨١/٢ - ٢٨٢ (٤٥٦٥).

الخلاصة هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهد..

(١٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

بهذا العراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، ويتأولون هذه الآية، فقال ابن عباس: كذب أولئك، إنما هذه الآية للناس عامة، ولعمري لو كان علي مبعوثا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه" (١).

القرآن

{وَأِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)} [يس: ٣٢]

التفسير:

وما كل هذه القرون التي أهلكناها وغيرهم، إلا محضرون جميعاً عندنا يوم القيامة للحساب والجزاء. عن قتادة: "وَأِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ"، أي: هم يوم القيامة" (٢). قال السدي: "وَأِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ"، يعني: إلا جميع {لديننا محضرون}" (٣). وقرئ: «وَأِنْ كُلُّ لَمَّا» بالتخفيف، فيكون أن «إِنْ» للإثبات، ومنهم مَنْ شدد «لَمَّا»، وجعل «إِنْ» نافية، و «لَمَّا» بمعنى «إِلَّا»، تقديره: وما كل إلا جميع لديننا محضرون، ومعنى القراءتين واحد، والله أعلم (٤).

القرآن

{وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣)} [يس: ٣٣]

التفسير:

ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على البعث والنشور: هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها، أحييناها بإنزال الماء، وأخرجنا منها أنواع النباتات مما يأكل الناس والأنعام، ومن أحيا الأرض بالنبات أحيا الخلق بعد الممات.

قوله تعالى: {وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا} [يس: ٣٣]، أي: "ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على البعث والنشور: هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها، أحييناها بإنزال الماء" (٥). قال السدي: "المجدبة، أي: الذي أحياها بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى" (٦). ويقرأ: «الْمَيِّتَةُ»، بالتشديد (٧).

القرآن

{وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤)} [يس: ٣٤]

التفسير:

وجعلنا في هذه الأرض بساتين من نخيل وأعناب، وفجّرنا فيها من عيون المياه ما يسقيها. قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} [يس: ٣٤]، أي: "وجعلنا في هذه الأرض بساتين من نخيل وأعناب" (٨). قال مجاهد: "الجنات: حوائط" (٩).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٣/١٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢٠.

(٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٧/٢.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٧/٢.

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٨٦/٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٩) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

القرآن

{لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)} [يس: ٣٥]

التفسير:

كل ذلك؛ ليأكل العباد من ثمره، وما ذلك إلا من رحمة الله بهم لا بسعيهم ولا بكدّهم، ولا بحولهم وبقوتهم، أفلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعدّ ولا تحصى؟
قوله تعالى: {لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ} [يس: ٣٥]، أي: "كل ذلك؛ ليأكل العباد من ثمره، وما ذلك إلا من رحمة الله بهم لا بسعيهم ولا بكدّهم، ولا بحولهم وبقوتهم" (١).
قال السدي: "لم يكن ذلك من فعلهم" (٢).

القرآن

{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)} [يس: ٣٦]

التفسير:

تنزّه الله العظيم الذي خلق الأصناف جميعها من أنواع نبات الأرض، ومن أنفسهم ذكورا وإناثا، ومما لا يعلمون من مخلوقات الله الأخرى. قد انفرد سبحانه بالخلق، فلا ينبغي أن يُشْرَكَ به غيره.
قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} [يس: ٣٦]، أي: "تنزّه وتقدّس الله العليّ الجليل الذي خلق الأصناف كلها، والمختلفة الألوان والطعوم والأشكال من جميع الأشياء" (٣).
عن ميمون بن مهران: {سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من سوء" (٤).
عن الحسن قال: "سبحان الله": اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه" (٥).
عن السدي: {خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا}، يعني: "الأصناف كلها" (٦).
عن ابن جرّيج، في قوله: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} قال: "الأصناف كلها؛ الملائكة زوج، والإنس زوج، والجن زوج، وما تنبت الأرض زوج، وكل صنف من الطير زوج. ثم فسّره فقال: {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ}.." (٧).
قوله تعالى: {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: ٣٦]، أي: "مِمَّا تُخْرِجُ الْأَرْضُ مِنَ النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ، وَالزَّرُوعِ وَالثَّمَارِ، وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ، وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ مِنَ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الْآخَرَى" (٨).
عن قتادة: {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ}، "يعني الذكر والأنثى، والأزواج من النبات أجناسه، ومن الأنفس الذكر والأنثى" (٩).
عن ابن جرّيج، قال: "ثم فسّره فقال: {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} الروح؛ لا يعلمه إلا الله، لا الملائكة، ولا خلق الله، ولم يطلع على الروح أحد. وقوله: {وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلم الملائكة، ولا غيرها الروح" (١٠).

(١) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٧/٢.

(٣) صفوة التفاسير: ١٢/٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٤): ص ٨١/١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٥): ص ٨١/١.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٨/٢.

(٧) الدر المنثور: ٥٥/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨) صفوة التفاسير: ١٢/٣، والتفسير الميسر: ٤٤٢.

(٩) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٤٨٠/١٨.

القرآن

{وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ (٣٧)} [يس: ٣٧]

التفسير:

وعلامة لهم دالة على توحيد الله وكمال قدرته: هذا الليل نزرع منه النهار، فإذا الناس مظلومون.

قال مجاهد: "أُخْرِجُ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ، وَيَجْرِي كُلُّ مَنَّهُمَا فِي قَلْبِكَ"^(٢).

وعن قتادة: "{وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ}"، قال: يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل"^(٣) (٤).

القرآن

{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)} [يس: ٣٨]

التفسير:

وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها، قدره الله لها لا تتعداه ولا تقصر عنه، ذلك تقدير العزيز الذي لا يغالب، العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء.

قوله تعالى: "{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا}" [يس: ٣٨]، أي: "وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها،

قدره الله لها لا تتعداه ولا تقصر عنه"^(٥).

قال قتادة: "وقت واحد لا تعدوه"^(٦). وفي لفظ: "لوقتها ولأجل لا تعدوه"^(٧).

قال السدي: "يعني: لمنتهاها"^(٨).

عن الحسن البصري: "{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا}"، ثم ترجع إلى أدنى منازلها إلى يوم القيامة،

حيث تُكْوَرُ فيذهب ضوءها"^(٩).

عن أبي ذر الغفاري، قال: "كنت جالسا عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد، فلما غربت

الشمس، قال: يا أبا ذر هل تدري أين تذهب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب فتسجد بين يدي

ربها، ثم تستأذن بالرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مكانها وذلك

مستقرها"^(١٠).

(١) الدر المنثور: ٥٥/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢) أخرجه الفريابي -كما في التعليق ٣/ ٤٩١ - . وعزاه أوله السيوطي إلى ابن جرير، وورد عند الطبري (٦٧٩٨)ص:

٣٠٣/٦، في تفسير قوله تعالى: {تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل} [أل عمران: ٢٧] بلفظ: ما ينقص من أحدهما

يدخل في الآخر، متعاقبان ذلك من الساعات.

(٣) أخرجه الطبري: ٥١٦ / ٢٠. وابن أبي حاتم (١٨٠٦٧):ص ٣١٩٤/١٠، بلفظ: "كقوله: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ

فِي اللَّيْلِ} [الحج: ٦١، والحديد: ٦]".

(٤) أخرجه الطبري: ٥١٦ / ٢٠. قال الطبري: "وهذا الذي قاله قتادة بعيد، وذلك أن إيلاج الليل في النهار، إنما هو زيادة ما

نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلخ من ذلك في شيء، لأن النهار يسلك من الليل كله، وكذلك الليل من

النهار كله، وليس يولج كلَّ الليل في كلَّ النهار، ولا كلَّ النهار في كلَّ الليل".

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٥١٧/٢٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٧٣): ٣١٩٥/١٠.

(٨) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٨/٢.

(٩) علقه يحيى بن سلام ٨٠٨/٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥١٧-٥١٦ / ٢٠.

وفي رواية عن أبي ذر قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن قوله: {والشمس تجري لمستقر لها}، قال: «مستقرها تحت العرش»" (١).

قال ابن عمرو: "لو أن الشمس تجري مجرى واحدا من أهل الأرض فيخشى منها، ولكنها تلحق في الصيف وتعترض في الشتاء فلو أنها طلعت مطلعها في الشتاء في الصيف لانضجهم الحر، ولو أنها طلعت مطلعها في الصيف لقطعهم البرد" (٢).

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأها: «والشمس تجري لا مستقر لها» (٣) (٤).

وفي قراءة عبدالله: «وذلك مستقر لها» (٥).

قوله تعالى: {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [يس: ٣٨]، أي: "ذلك تقدير العزيز الذي لا يغالب، العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء" (٦).

قال الضحاك: "بقدر يجريان، يعني: الشمس والقمر، يجريان بإذن الله" (٧).

القرآن

{وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)} [يس: ٣٩]

التفسير:

والقمر آية في خلقه، قدرناه منازل كل ليلة، يبدأ هلالا ضئيلا حتى يكمل قمرا مستديرا، ثم يرجع ضئيلا مثل عذق النخلة المتقوس في الرقة والانحاء والصفرة؛ لقدمه ويئسه.

قوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ} [يس: ٣٩]، أي: "والقمر قدرنا مسيره في منازل يسير فيها لمعرفة الشهور" (٨).

قال الحسن: "لا يطلع ولا يغيب إلا في زيادة أو نقصان" (٩).

قوله تعالى: {حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [يس: ٣٩]، أي: "حتى صار كغصن النخل اليابس" (١٠).

قال أبو عاصم: "سمعت سليمان التيمي في قوله: {حتى عاد كالعرجون القديم}، قال: العذق" (١١).

قال قتادة: "قدره الله منازل، فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة، شبهه بعذق النخلة" (١٢).

وفي قوله تعالى: {حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [يس: ٣٩]، وجهان:

أحدهما: أنه العذق اليابس إذا استقوس، وهو معنى قول مجاهد (١٣)، ومنه قول مرار بن منقذ التميمي (١٤):

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٦٩): ص ٣١٩٤/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٧٢): ص ٣١٩٥/١٠.

(٣) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٨/٢.

(٤) قال الماوردي: "وتأويل هذه القراءة أنها تجري في الليل والنهار ولا وقوف لها ولا قرار". [النكت والعيون: ١٨/٥].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٧٠): ص ٣١٩٤/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٧) أخرجه إسحاق البستي ص ١٨٦.

(٨) صفوة التفاسير: ١٣/٣.

(٩) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٨/٢.

(١٠) صفوة التفاسير: ١٣/٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥١٨/٢٠.

(١٤) البيت للمرار بن منقذ التميمي، وهو من المفضلية: (رقم/ ١٥) في شرح المفضليات: (١/ ٤٣٧)، وروايته:

عَبَقُ الْعَنْبَرِ وَالْمَسْكَ بِهَا ... فَهِيَ صَفْرَاءُ كَعُرْجُونِ الْعُمُرِ

وقال في شرحه: العُرْجُونُ: عَوْذُ الْكِبَاسَةِ- وَالْكَبَاسَةُ مِنَ التَّمْرِ: كَالْعَنْقُودِ مِنَ الْعَنْبِ- وَالْعُمُرُ: نَخْلَةُ السُّكَّرِ، وَالسُّكَّرُ: ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ جَيِّدٌ. وَجَاءَتْ رِوَايَةُ الْبَيْتِ فِي اللِّسَانِ (عَبَقُ) كِرْوَايَةِ الْمَوْلَفِ، وَجَاءَتْ فِي التَّكْمَلَةِ وَالتَّاجِ (عَمْرُ) كِرْوَايَةِ الْمَفْضَلِيَّاتِ.

عَبَقَ العنبرُ والمسكُ بها... فهي صفراء كعرجون القمر الثاني : أنه عذق النخلة إذا قدم فانحنى مائلاً، قاله الحسن^(١)، ويزيد بن الأصم^(٢) - وسليمان التيمي^(٣). وقال عكرمة: "النخلة القديمة"^(٤).

عن الحسين بن الوليد، قال: "أعتق رجلٌ كلَّ غلامٍ له قديم، فسُئِلَ يعقوب، فقال: مَنْ كان لِسَنَّةٍ فهو حرٌّ؛ قال الله: {حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} فهو لِسَنَةٌ"^(٥).

القرآن

{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)} [يس : ٤٠] التفسير:

لكل من الشمس والقمر والليل والنهار وقت قدره الله له لا يتعداه، فلا يمكن للشمس أن تلحق القمر فتمحو نوره، أو تغير مجراه، ولا يمكن لليل أن يسبق النهار، فيدخل عليه قبل انقضاء وقته، وكل من الشمس والقمر والكواكب في فلكٍ يَجْرُونَ.

قوله تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} [يس : ٤٠]، أي: "لا يمكن للشمس أن تلحق القمر فتمحو نوره، أو تغير مجراه، ولا يمكن لليل أن يسبق النهار، فيدخل عليه قبل انقضاء وقته"^(٦).

عن مجاهد: "أن أناساً من اليهود قالوا لعمر بن الخطاب: تقولون: جنة عرضها السموات والأرض فأين تكون النار؟ قال: رأيت إذا جاء النهار أين يكون الليل وإذا جاء الليل أين يكون النهار؟ يفعل الله ما يشاء"^(٧).

وفي قوله تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ} [يس : ٤٠]، وجوه من التفسير: أحدها : أي: لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر ، قاله مجاهد^(٨). قال مجاهد: "لا يشبه ضوءها ضوء الآخر، لا ينبغي لها ذلك"^(٩).

الثاني : لا يجتمع ضوء أحدهما مع ضوء الآخر، لأن ضوء القمر ليلاً وضوء الشمس نهاراً ، فإذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر ، قاله قتادة^(١٠)، والحسن في رواية^(١١)، وأبو صالح^(١٢)، والضحاك^(١٣). قال قتادة: "ولكل حد وعلم لا يعدوه، ولا يقصر دونه؛ إذا جاء سلطان هذا، ذهب سلطان هذا، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا"^(١٤).

قال الحسن: "لكل واحد منهما سلطان، للقمر سلطان بالليل وللشمس سلطان بالنهار، فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل"^(١٥).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥١٨/٢٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥١٨/٢٠.

(٣)

(٤) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٠.

(٥) الدر المنثور: ٥٨/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٧) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٠/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٠.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٧٩): ص ٣١٩٦/١٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٠.

قال أبو صالح: " لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا"^(٢).
قال الضحاك: " وهذا في ضوء القمر وضوء الشمس، إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء"^(٣).
الثالث : أنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة، وهذا معنى قول الحسن^(٤).
قال الحسن: " ذاك ليلة الهلال"^(٥).
وفي قوله تعالى: {وَلَمَّا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} [يس : ٤٠]، وجهان من التفسير:
أحدهما : المعنى: لا يأتي ليل بعد ليل من غير نهار فاصل بينهما، أي: لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ ؛ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثيثاً^(٦). وهذا معنى قول مجاهد^(٧)، والضحاك^(٨)، وعكرمة^(٩).
قال الضحاك: " في قضاء الله وعلمه أن لا يفوت الليل النهار حتى يدركه، فيذهب ظلمته، وفي قضاء الله أن لا يفوت النهار الليل حتى يدركه، فيذهب بضوئه"^(١٠).
وقال الضحاك: " لا يذهب الليل من هاهنا حتى يجيء النهار من هاهنا، وأوماً بيده إلى المشرق"^(١١).
قال أبو صالح: " لا ينبغي للشمس أن تدرك القمر، يعني: أن الليل والنهار يجتمعان، قال: الليل سابق النهار، قال: لا ينبغي لليل أن يدرك ضوء النهار"^(١٢).
قال الأسود: " يطالبان حثيثين ينسلخ أحدهما من الآخر، ويجري كل واحد منهما"^(١٣).
الثاني : يعني: أنه لا يتقدم الليل قبل استكمال النهار. وهو معنى قول قتادة^(١٤).
قال قتادة: " ولكل حد وعلم لا يعدوه، ولا يقصر دونه؛ إذا جاء سلطان هذا، ذهب سلطان هذا، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا"^(١٥) (١٦).
قوله تعالى: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس : ٤٠]، أي: " وكل من الشمس والقمر والكواكب في فلك يَجْرُونَ"^(١٧).
عن نوف البكالي قال: "إن السماء خلقت مثل القبة، وإن الشمس والقمر والنجوم ليس منها شيء لاصق بالسماء، وإنما تجري في فلك دون السماء"^(١٨).
قال حسان بن عطية: " والقمر والنجوم مسخرة في فلك بين السماء والأرض"^(١٩).

-
- (١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٧٩):ص٣١٩٦/١٠.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٠.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٠.
 - (٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٠٧٨):ص٣١٩٥/١٠، والنكت والعيون: ١٨/٥.
 - (٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٧٨):ص٣١٩٥/١٠.
 - (٦) تفسير ابن كثير: ٥٧٩/٦.
 - (٧) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩/٢٠.
 - (٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠٨٠):ص٣١٩٦/١٠، وتفسير الطبري: ٥٢٠/٢٠.
 - (٩) انظر: النكت والعيون: ١٨/٥.
 - (١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٠.
 - (١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٨٠):ص٣١٩٦/١٠.
 - (١٢) تفسير سفيان الثوري: ٢٥٠-٢٤٩.
 - (١٣) تفسير مجاهد: ٥٦٠.
 - (١٤) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٠.
 - (١٥) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٠.
 - (١٦) قال ابن كثير: المعنى: "لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار ، فسلطان الشمس بالنهار ، وسلطان القمر بالليل". [تفسير ابن كثير: ٥٧٩/٦].
 - (١٧) التفسير الميسر: ٤٤٢.
 - (١٨) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢-٨١٠.

واختلف أهل العلم في قوله تعالى: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس : ٤٠] ، على ثلاثة أقوال: أحدها : يجرون ، قاله مجاهد^(١) .

الثاني : يدورون كما يدور المغزل في الفلكة ، قاله الحسن^(٢) ، وعكرمة^(٤) ، ومجاهد-أيضا-^(٥) . قال مجاهد: " {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} والشمس والقمر بالليل والنهار {يسبحون} يدورون كما يدور فلك المغزل"^(٦) .

قال الحسن: " مثل فلكة المغزل يدور"^(٧) .

وقال الحسن: "الفلك طاحونة مستديرة كفلكة المغزل بين السماء والأرض، وتجري فيها الشمس والقمر والنجوم، وليست بملتصقة بالسماء، ولو كانت ملتصقة ما جرت"^(٨) . الثالث : يعملون ، قاله الضحاك^(٩) .

القرآن

{وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ (٤١)} [يس : ٤١]

التفسير:

ودليل لهم وبرهان على أن الله وحده المستحق للعبادة، المنعم بالنعمة، أننا حملنا من نجا من ولد آدم في سفينة نوح المملوءة بأجناس المخلوقات؛ لاستمرار الحياة بعد الطوفان.

عن الحسن، قوله: "{المشحون}"، قال: المحمول^(١٠) .

عن سعيد والضحاك: "{الفلك المشحون}"، قالوا: "الموقر"^(١١) .

قال قتادة: "الموقر، يعني: سفينة نوح"^(١٢) .

قال الضحاك: "يعني: سفينة نوح عليه السلام"^(١٣) .

وذكروا في قوله تعالى: {أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ} [يس : ٤١] وجهان من التفسير:

أحدها : أن الذرية الآباء حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام ، قاله أبان بن عثمان^(١٤) ، وسمى الآباء ذرية لأن منهم ذرية الأبناء.

وقيل: هو حمل الأنبياء في أصلاب الآباء حين ركبوا السفينة، ومنه قول العباس^(١٥):

بل نُطْفَةُ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ... أَلْجَمُ نَسْرًا^(١٦) وَأَهْلُهُ الْعَرَقُ^(١) .

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥١):ص٢٤٥٢/٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٢١ / ٢٠.

(٣) أخرجه إسحاق البستي ص ١٨٦.

(٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ١٩/٥.

(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢.

(٦) علقه يحيى بن سلام ٨٠٩ / ٢.

(٧) أخرجه إسحاق البستي ص ١٨٦.

(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢، وانظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/١٨.

(٩) انظر: النكت والعيون: ١٩/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٢ / ٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٢٣-٥٢٢ / ٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٢٢ / ٢٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٢٢ / ٢٠.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٩/٤.

(١٥) في شعر العباس بمدح النبي - صلى الله عليه وسلم -: في اللسان (نسر)، وفي أمالي الزجاجي/ ٦٥ ضمن سبعة أبيات للعباس بن عبد المطلب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

(١٦)النسر: صنم من أصنام قوم نوح عليه السلام.

الثاني : أن الذرية الأبناء والنساء لأنهم ذرة الآباء حملوا في السفن ، والفلك هي السفن الكبار ، قاله السدي^(٢).

القرآن

{وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)} [يس : ٤٢]

التفسير:

وخلقنا لهؤلاء المشركين وغيرهم مثل سفينة نوح من السفن وغيرها من المراكب التي يركبونها وتبلغهم أوطانهم.

وذكر أهل التفسير في قوله تعالى: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} [يس : ٤٢]، وجوها: أحدها : أنه خلق مثل سفينة نوح مما يركبونها من السفن، نحوه قال قتادة^(٣)، والضحاك^(٤). وقال الضحاك: "يعني: السفن التي اتخذت بعدها، يعني بعد سفينة نوح"^(٥). وقال قتادة: "هي السفن التي ينتفع بها"^(٦).

الثاني : أنها السفن الصغار خلقها لهم مثل السفن الكبار ، قاله الحسن-في رواية-^(٧)، وأبو مالك^(٨)، وأبو صالح^(٩).

قال أبو مالك: "ألا ترى أنه قال: {وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم}؟"^(١٠).

الثالث : أنها سفن الأنهار خلقها لهم مثل سفن البحار، قاله السدي^(١١).
الرابع : أنها الإبل، خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر ، قاله الحسن-في رواية أخرى-^(١٢)، وعبد الله بن شداد^(١٣)، وعكرمة^(١٤).

وقال مجاهد: "يعني: من الأنعام ما يركبون"^(١٥).

والعرب تشبه الإبل بالسفن ، قال طرفة^(١٦):

كأنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ عُذْوَةٌ ... خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوْاصِفِ مِنْ دَدٍ

والأكثر في التفسير أن {مِنْ مِثْلِهِ} من مثل سفينة نوح^(١٧)، وذلك لدلالة قوله: {وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم} على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر^(١٨).

(١) زاد المسير: ٥٢٥/٣.

(٢) انظر: النكت والعيون: ١٩/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٣ / ٢٠.

(١١) انظر: النكت والعيون: ١٩/٥.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٠.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٠.

(١٥) تفسير مجاهد: ٥٦٠، وأخرجه الطبري: ٥٢٤ / ٢٠. مختصراً.

(١٦) ديوانه: ١٩.

(١٧) معاني القرآن: ٢٨٨/٤.

(١٨) تفسير الطبري: ٥٢٥ / ٢٠.

القرآن

{وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ} {يس: ٤٣}

التفسير:

وإن نشأ نغرقهم، فلا يجدون مغيبًا لهم من غرقهم، ولا هم يخلصون من الغرق.
قوله تعالى: {فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ} [يس: ٤٣]، أي: "فلا يجدون مغيبًا لهم من غرقهم" (١).
قال مجاهد: "لا مغيب لهم يستغيثون به" (٢).
قال قتادة: "لا مغيب لهم" (٣).

القرآن

{إِنَّا رَحْمَةٌ مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ} {يس: ٤٤}

التفسير:

إلا أن نرحمهم فننجيهم ونمتعهم إلى أجل؛ لعلهم يرجعون ويستدركون ما فرطوا فيه.
قوله تعالى: {وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ} [يس: ٤٤]، أي: "وتمتعنا لهم إلى انقضاء آجالهم، لعلهم يرجعون ويستدركون ما فرطوا فيه" (٤).
عن قتادة: "ومتاعا إلى حين"، أي: إلى الموت" (٥).

القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} {يس: ٤٥}

التفسير:

وإذا قيل للمشركين: احذروا أمر الآخرة وأهوالها وأحوال الدنيا وعقابها؛ رجاء رحمة الله لكم، أعرضوا، ولم يجيبوا إلى ذلك.
قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ} [يس: ٤٥]، أي: "وإذا قيل للمشركين: احذروا أمر الآخرة وأهوالها وأحوال الدنيا وعقابها" (٦).
قال السدي: "اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم": عذاب الدنيا وعذاب الآخرة" (٧).
عن مجاهد، قوله: "ما بين أيديكم"، قال: ما مضى من ذنوبهم" (٨).
عن قتادة، قوله: "وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم": وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الأمم وما خلفهم من أمر الساعة" (٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٨٨): ص ٣١٩٧/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٦٠/٧، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢٤٨٥): ص ٨٤/٣ من طريق معمر، والطبري: ٥٢٥/٢٠، وابن أبي حاتم (١٨٠٨٩): ص ٣١٩٧/١٠، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٦٠/٧، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) صفوة التفسير: ١٤/٣، والتفسير الميسر: ٤٤٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٢٥/٢٠، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور": ٦٠/٧، إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١١/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٢٦/٢٠. ثم علق عليه قائلا: "وهذا القول قريب المعنى من القول الذي قلنا، لأن معناه: اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم، وما خلفكم مما تعملون من الذنوب ولم تعملوه بعد، فذلك بعد تخويف لهم العقاب على كفرهم".

(٩) أخرجه الطبري: ٥٢٦/٢٠.

القرآن

{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦)} [يس: ٤٦]

التفسير:

وما تجيء هؤلاء المشركين من علامة واضحة من عند ربهم؛ لتهديبهم للحق، وتبين لهم صدق الرسول، إلا أعرضوا عنها، ولم ينتفعوا بها.

قال قتادة: "يقول: ما تأتيهم من شيء من كتاب الله إلا أعرضوا عنه"^(١).
عن الحسن، قوله: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ}، قال: "ما يأتيهم من رسول"^(٢).

القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)} [يس: ٤٧]

التفسير:

وإذا قيل للكافرين: أنفقوا من الرزق الذي من الله عليكم، قالوا للمؤمنين مُحْتَجِّينَ: أنطعم من لو شاء الله أطعمه؟ ما أنتم -أيها المؤمنون- إلا في بُعدٍ واضح عن الحق، إذ تأمروننا بذلك.
سبب النزول:

عن قتادة، قوله: "{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ}"، قال: نزلت في الزنادقة، كانوا لا يطعمون فقيراً، فعاب الله ذلك عليهم وعبرهم"^(٣).

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ} [يس: ٤٧]، أي: "وإذا قيل للكافرين: أنفقوا من الرزق الذي من الله عليكم، قال الكفار للمؤمنين مُحْتَجِّينَ: أنطعم من لو شاء الله أطعمه؟"^(٤).

عن الحسن، {قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ}، قال: "اليهود تقوله"^(٥).

القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩)} [يس: ٤٨ - ٤٩]

التفسير:

ويقول هؤلاء الكفار على وجه التكذيب والاستعجال: متى يكون البعث إن كنتم صادقين فيما تقولونه عنه؟ ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعد الله إياهم إلا نفخة الفزع عند قيام الساعة، تأخذهم فجأة، وهم يختصمون في شؤون حياتهم.

قوله تعالى: {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ} [يس: ٤٩]، أي: "ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعد الله إياهم إلا نفخة الفزع عند قيام الساعة، تأخذهم فجأة"^(٦).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٠٧): ص ٤/١٢٦٣. في تفسير قوله تعالى: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} [الأنعام: ٤].

(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١١/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٨٩): ص ١٠/٣١٩٧، وانظر: الدر المنثور: ٦٠/٧، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٩١): ص ١٠/٣١٩٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٣.

قال قتادة: "قضى الله ألا تأتیکم الساعة إلا بغتة"^(١).
 قوله تعالى: {وَهُمْ يَخِصِّمُونَ} [يس: ٤٩]، أي: "وهم يختصمون في شؤون حياتهم"^(٢).
 عن السدي: "وهم يخاصمون"، قال: يتكلمون"^(٣).
 قال الضحاك: "تذرم في أسواقهم وطرقهم"^(٤).

قال قتادة: "ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته، والرجل يصلح حوضه، والرجل يقيم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتهيج بهم وهم كذلك، {فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون}"^(٥).

عن عبد الله بن عمرو قال: "البنفخ في الصور وإن الناس لفي طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، وحتى إن الرجل ليساوم الرجل بالثوب والثوب بينهما في يد هذا وهذا فلا يدعانه حتى يصعق بهما، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته وما يرجع حتى يصعق به، وتلا هذه الآية: {فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون}"^(٦).

عن محمد بن زياد، مولى بني جمح في قوله تعالى: {صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون} [يس: ٤٩] قال: "سمعت أبا هريرة يقول: «إن الساعة لتقوم على الرجلين، وهما ينشران الثوب يتبايعانه»"^(٧).
 عن الزبير بن العوام، قال: "إن الساعة تقوم والرجل يذرع الثوب، والرجل يحلب الناقة. ثم قرأ: {فلا يستطيعون توصية} الآية"^(٨).

عن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب، فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه، فما يصدر حتى تقوم»"^(٩).

عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر، قال أبو هريرة: يا رسول الله: وما الصور؟ قال: قرن قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات، الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره الله فيديهما ويطولها، فلا يفتر، وهي التي يقول الله {وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق} ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فيقول: انفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم خامدون، ثم يميت من بقي، فإذا لم يبق إلا الله الواحد الصمد، بدل الأرض غير الأرض والسموات، فيبسطها ويسطحها، ويمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجا ولا أمثا، ثم يزرع الله الخلق زجرة، فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها كان في بطنها، وما كان على ظهرها كان على ظهرها"^(١٠).

(١) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٢/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٩١): ص ٣١٩٧/١٠.

(٤) الدر المنثور: ٦٢/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢٠.

(٦) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٢/٢، وأخرجه الطبري بنحوه في التفسير: ٥/٢٠.

(٧) تفسير عبدالرزاق (٢٤٨٨): ص ٨٤/٣.

(٨) الدر المنثور: ٦٢/٧، وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٩) صحيح مسلم (٢٩٥٤): ص ٢٢٧٠/٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٨-٥٢٩.

القرآن

{فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)} [يس : ٥٠]

التفسير:

فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في «القرن» أن يوصوا أحدًا بشيء، ولا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم.

قوله تعالى: {فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً} [يس : ٥٠]، أي: "فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في «القرن» أن يوصوا أحدًا بشيء" (١).

عن قتادة: "فلا يستطيعون توصية، أي: فيما في أيديهم" (٢).

قال الضحاك: "لا يوصي بعضهم إلى بعض" (٣).

قوله تعالى: {وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ} [يس : ٥٠]، أي: "ولا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم" (٤).

عن قتادة: "ولا إلى أهلهم يرجعون"، قال: أعجلوا عن ذلك" (٥).

القرآن

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١)} [يس : ٥١]

التفسير:

ونُفِخَ في «القرن» النفخة الثانية، فتردُّ أرواحهم إلى أجسادهم، فإذا هم من قبورهم يخرجون إلى ربهم سرعًا.

قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} [يس : ٥١]، أي: "ونُفِخَ في «القرن» النفخة الثانية، فتردُّ أرواحهم إلى أجسادهم" (٦).

عن قتادة: "ونُفِخَ في الصور"، أي: في الخلق" (٧).

عن مجاهد: "ونُفِخَ في الصور"، قال: كهيئة البوق" (٨).

عن مجاهد: "الصور": البوق" (٩).

قال مجاهد: "هو القرن، صاحبه أخذ به، فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف القرن، بين طرفيه، وبين قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعيا على قدمي عقبه تحت فخذة وإليته وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب" (١٠).

قال عكرمة: "الصور مع إسرافيل فيه أرواح كل شيء تكون فيه، ثم ينفخ فيه الصاعقة فإذا نفخ نفخة البعث قال: الله! بعزتي ليرجعن كل روح إلى جسده وداره ... أعظم من سبع سموات ومن الأرض قال: فخلق الصور على في إسرافيل وهو شاخص بصره متى يؤمر بالنفخ في الصور" (١١).

(١) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٣٠ / ٢٠.

(٣) الدر المنثور: ٦٢ / ٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٣٠ / ٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٤): ص ٢٩٢٩ / ٩، ورواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣ / ٢.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٣): ص ٢٩٢٩ / ٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٤): ص ٢٩٢٩ / ٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٤): ص ٢٩٢٩ / ٩.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٢): ص ٢٩٢٨ / ٩.

قال يحيى: "بلغني عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، قال: تجعل الأرواح في الصور ثم ينفخ فيه صاحب الصور، فيذهب كل روح إلى جسده مثل النحل، فتدخل الأرواح في أجسادها"^(١).
 عن ابن عمر، قال: "جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عن الصور فقال: «قرن ينفخ فيه»"^(٢).
 قوله تعالى: {فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} [يس: ٥١]، أي: "فإذا هم من قبورهم يخرجون إلى ربهم سراعا"^(٣).
 عن قتادة، قال: "فإذا هم من القبور إلى ربهم يخرجون، يعني: جميع الخلق"^(٤).
 عن ابن عباس، قوله: " {مِنَ الْأَجْدَاثِ}، يقول: من القبور، {يَنْسِلُونَ} يخرجون"^(٥). وروي عن قتادة مثله^(٦).
 وفي الحديث: "شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الضعف، فقال: «عليكم بالنسل»"^(٧).

القرآن

{قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)} [يس: ٥٢]
 التفسير:

قال المكذوبون بالبعث نادمين: يا هلاكنا من أخرجنا من قبورنا؟ فيجابون ويقال لهم: هذا ما وعد به الرحمن، وأخبر عنه المرسلون الصادقون.
 قوله تعالى: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} [يس: ٥٢]، أي: "قال المكذوبون بالبعث نادمين: يا هلاكنا من أخرجنا من قبورنا؟"^(٨).
 قال قتادة: "هذا قول أهل الضلالة. والرقدة: ما بين النفختين"^(٩).
 عن مجاهد، قوله: "يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا"، قال: الكافرون يقولونه"^(١٠).
 قال قتادة: "تكلم بأول هذه الآية أهل الضلالة وبآخرها أهل الإيمان، قال أهل الضلالة: {يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا}، قال المؤمنون: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}"^(١١).
 عن أبي بن كعب، قوله: "يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا"، قال: ناموا نومة قبل البعث"^(١٢).
 عن منصور، عن رجل يقال له خيثمة في قوله: "يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا"، قال: ينامون نومة قبل البعث"^(١٣).
 وفي قراءة ابن مسعود: «من أهبنا من مرقدنا هذا»^(١٤).

-
- (١) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٣/٢.
 (٢) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٢/٢.
 (٣) التفسير الميسر: ٤٤٣.
 (٤) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.
 (٥) أخرجه الطبري: ٥٣١ / ٢٠.
 (٦) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
 (٧) أخرجه الخطابي في "غريب الحديث" ٣٧١ / ٢، وابن الأثير في "غريب الحديث" ٤٩ / ٥ (نسل)، والزمخشري في "الفائق في غريب الحديث" ٤٢١ / ٣ (نسل)، وابن الجوزي في "غريب الحديث" ٤٠٥ / ٢ باب النون مع السين.
 (٨) التفسير الميسر: ٤٤٣.
 (٩) أخرجه الطبري: ٥٣٢ / ٢٠.
 (١٠) أخرجه الطبري: ٥٣٢ / ٢٠.
 (١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٣/٢.
 (١٢) أخرجه الطبري: ٥٣٢ / ٢٠.
 (١٣) أخرجه الطبري: ٥٣٢ / ٢٠.
 (١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢ / ٢٠.

وفي قراءة ابن مسعود -أيضا-: «من ميتنا»^(١).
 قوله تعالى: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥٢]، أي: "؟ فيجابون ويقال لهم: هذا ما وعد به الرحمن، وأخبر عنه المرسلون الصادقون"^(٢).
 وفي قائلتي هذا الكلام: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥٢]، قولان: أحدهما: أنه قول المؤمنين، قاله قول مجاهد^(٣)، وقتادة^(٤)، وابن أبي ليلى^(٥).
 قال مجاهد: "مما سر المؤمنون يقولون هذا حين البعث"^(٦).
 قال قتادة: "قال أهل الهدى: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون"^(٧).
 الثاني: أنه قول الملائكة لهم، قاله الحسن^(٨)، وزيد بن أسلم^(٩).
 عن زيد بن أسلم قال: "قال الكفار: {يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا} [يس: ٥٢] قالت الملائكة: {هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون} [يس: ٥٢]"^(١٠).
 والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين، لأن الكفار في قيلهم {من بعثنا من مرقدنا} دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهالا ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك^(١١).
 عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بين النفختين أربعون، الأولى يميت الله بها كل حي، والآخرة يحيي بها كل ميت»^(١٢).
 عن عكرمة، قال: "النفخة الأولى من الدنيا، والنفخة الثانية من الآخرة"^(١٣).
 وقال الحسن: "القيامة اسم جامع يجمع النفختين جميعا"^(١٤).

القرآن

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣)} [يس: ٥٣]

التفسير:

ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة في «القرن»، فإذا جمع الخلق لدينا ماثلون للحساب والجزاء.

قوله تعالى: {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} [يس: ٥٣]، أي: "ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة في «القرن»"^(١٥).

(١) نقلا عن تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٣/٢٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٣/٢٠.

(٥) انظر: زاد المسير: ٥٢٧/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٣٣/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٣٣/٢٠.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٤/٥، وزاد المسير: ٥٢٧/٣.

(٩) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

(١٠) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

(١١) تفسير الطبري: ٥٣٣/٢٠.

(١٢) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

(١٣) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

(١٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

(١٥) التفسير الميسر: ٤٤٣.

قال السدي: " {إن كانت} يعني: ما كانت {إلا صيحة واحدة} قال: وكذلك كل «إن» خفيفة تستقبلها «إلا»" (١).

قوله تعالى: {فإذا هم جميع لدينا محضرون} [يس: ٥٣]، أي: "فإذا جميع الخلق لدينا ماثلون للحساب والجزاء" (٢).

عن مجاهد، في قوله: {فإذا هم جميع لدينا محضرون}، قال: "عند الحساب" (٣).

القرآن

{فاليوم لا تُظلم نفس شيئاً ولا تُجزون إلا ما كنتم تعملون (٥٤)} [يس: ٥٤]

التفسير:

في ذلك اليوم يتم الحساب بالعدل، فلا تُظلم نفس شيئاً بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها، ولا تُجزون إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا.

قوله تعالى: {فاليوم لا تُظلم نفس شيئاً} [يس: ٥٤]، أي: "في ذلك اليوم يتم الحساب بالعدل، فلا تُظلم نفس شيئاً بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها" (٤).

قال السدي: "يعني: في الآخرة، يقوله يومئذ" (٥).

القرآن

{إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون (٥٥)} [يس: ٥٥]

التفسير:

إن أهل الجنة في ذلك اليوم مشغولون عن غيرهم بأنواع النعيم التي يتفكحون بها. واختلف أهل العلم في معنى «الشغل» الذي وصف الله جل ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة، على أقوال:

أحدها: أن ذلك افتضااض العذارى، قاله سعيد بن المسيب (٦)، وقتادة (٧).

الثاني: في ضرب الأوتار، قاله مسافع بن أبي شريح (٨).

الثالث: أنهم في نعمة، قاله الحسن (٩)، ومجاهد (١٠).

وقال الحسن: "شغلهم النعيم عما فيه أهل النار من العذاب" (١١).

الرابع: في شغل مما يلقي أهل النار، قاله إسماعيل بن أبي خالد (١٢)، وأبان بن تغلب (١٣).

الخامس: في التزاور. قاله ابن كيسان (١٤).

(١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٤/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٣) أخرجه الفريابي - كما في التعليق ٥١٤ / ٣ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٤/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥ / ٢٠.

(٧) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٤/٢.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٤/٥.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥ / ٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥ / ٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٣٥ / ٢٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥ / ٢٠.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٤/٥.

(١٤) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ٢١/٤.

السادس: وقال وكيع بن الجراح: {فِي شُغْلِ فَاكُهُونٍ}، يعني: في السماع^(١). وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} وهم أهلها {فِي شُغْلِ فَاكُهُونٍ} بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، واقتضاض أبقار، ولهو ولذة، وشغل عما يلقي أهل النار^(٢).

وفي معنى «فاكهون» -ها هنا- وجوه:

أحدها: مسرورون، قاله الحسن^(٣).

الثاني: ناعمون، قاله قتادة^(٤)، السدي^(٥).

قال مقاتل: "يعني: ناعمين في ظلال كبار القصور"^(٦).

الثالث: معجبون، قاله حسن-في رواية عنه-^(٧)، ومجاهد^(٨)، ووقتادة-في رواية عنه-^(٩)، والضحاك^(١٠).

والظاهر أن قوله تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ} حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم. في مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود، وتمكين له في النفوس، وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في أى شغل وفي شغل لا يوصف، وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين، ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم، ووقع في تلك الملاذ التي أعدها الله للمرتضين من عباده، ثوبا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم، وذلك بعد الوله والصبابة، والتقصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية، وتخطى الأهوال، وتجاوز الأخطار وجواز الصراط. ومعينة ما لقي العصاة من العذاب^(١١).

عن موسى بن أيوب أنه سمع إياس بن عامر يقول: " {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلِ فَاكُهُونٍ}، إن الرجل من أهل الجنة في الخيمة مع نسائه حتى تأتيه نساء فيقلن له: اخرج إلى أهلك، فيقول: ما أنتن لي بأهل، فيقلن: بلى، نحن مما أخفى الله لك، فقد زوجتنا؛ فيشتغل بهن عن أهله الأولين؛ فذلك قول الله: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلِ فَاكُهُونٍ}، قال: فذكرت ذلك لتببيع برودس، فقال: ذلك أبو فلان، فعرفه صدق كما قال"^(١٢).

القرآن

{هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ (٥٦)} [يس: ٥٦]

التفسير:

هم وأزواجهم متنعمون بالجلوس على الأسرة المزيّنة، تحت الظلال الوارفة.
عن مجاهد، قوله: " {هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ}، قال: حلائهم في ظلل"^(١٣).
قال مجاهد: " الأرائك: من لؤلؤ وياقوت"^(١).

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٣١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٣٥.

(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٤ / ٢.

(٤) انظر: النكت والعين: ٢٥ / ٥.

(٥) تفسير الثعلبي ٨ / ١٣١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٥٨٢.

(٧) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢٤٩٢): ص ٨٥ / ٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٣٦.

(٩) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢٤٩٢): ص ٨٥ / ٣.

(١٠) تفسير الثعلبي ٨ / ١٣١.

(١١) الكشاف: ٤ / ٢١.

(١٢) التفسير القرآن من الجامع لابن وهب: (٢٩٣): ص ١٤٤ / ٢.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٣٨.

قال عكرمة: " {على الأرائك} السرر في الحجال" (٢).
 عن الحسن البصري -من طريق أبي رجاء- وسأله رجل عن الأرائك. فقال: "هي الحجال. وأهل اليمن يقولون: أريكة فلان" (٣). قال: "وسمعت عكرمة وسئل عنها، فقال: هي الحجال على السرر" (٤).
 عن قتادة: " {على الأرائك مُكُونٌ}، قال: هي الحجال فيها السرر" (٥).

القرآن

{لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٥٨)} [يس : ٥٧ - ٥٨]

التفسير:

لهم في الجنة أنواع الفواكه اللذيذة، ولهم كل ما يطلبون من أنواع النعيم، ولهم نعيم آخر أكبر حين يكلمهم ربهم، الرحيم بهم بالسلام عليهم. وعند ذلك تحصل لهم السلامة التامة من جميع الوجوه.
 قال عمر بن عبد العزيز: "إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار، أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة، فيقف على أول أهل درجة، فيسلم عليهم، فيردون عليه السلام، وهو في القرآن {سلام قولاً من رب رحيم}، فيقول: سلوا، فيقولون: ما نسألك وعزتك وجلالك، لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم، فيقول: سلوا، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: رضائي أحلكم دار كرامتي، فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهي، قال: ولو أن امرأة من الحور العين طلعت لأطفأ ضوء سواربها الشمس والقمر، فكيف بالمسورة" (٦).

وفي رواية عن عمر بن عبد العزيز -من طريق محمد بن كعب القرظي- قال: "إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل الله في ظلل من الغمام والملائكة، قال: فیسلم على أهل الجنة في أول درجة، فيردون - عليه السلام - . قال القرظي: وهذا في القرآن: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ}. فيقول: سلوني. فيقولون: ماذا نسألك، أي رب. قال: بلى، سلوني. قالوا: نسألك -أي رب- رضاك. قال: رضائي أدخلكم دار كرامتي. قالوا: يا رب، وما الذي نسألك؟! فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك، لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم ولأسقيناهم ولألبسناهم ولأخدمناهم، لا ينقصنا من ذلك شيئاً. قال: إن لدي مزيداً. قال: فيفعل الله ذلك بهم في درجاتهم، حتى يستوي في مجلسه. قال: ثم تأتيهم التحف من الله، تحمله إليهم الملائكة. قال: وليس في الآخرة ليل ولا نصف نهار، إنما هو بكرة وعشيء، وذلك في القرآن، في آل فرعون: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [غافر: ٤٦]، وكذلك قال لأهل الجنة: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم: ٦٢]، وقال: والله الذي لا إله إلا هو، لو أن امرأة من حور العين أطلعت سواربها لأطفأ نور سواربها الشمس والقمر، فكيف المسورة؟! وإن خلق الله شيئاً يلبسه إلا عليه مثلما عليها من ثياب أو حلي" (٧).

وروي عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بيننا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا

(١) تفسير مجاهد: ٥٦١.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٠.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ١٤٥/٢، وابن جرير ٤٦٦/١٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٠.

(٧) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع - تفسير القرآن ١/ ٨٣ - ٨٤ (١٨٧)، والطبري: ٥٤٠/٢٠. وأورد السيوطي قول القرظي بنحوه، وعزاه إلى ابن جرير، وأبي نصر السجزي في الإبانة، وأخره: فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهي، ثم يأتيهم التحف من الله تحمله إليهم الملائكة.

أهل الجنة. فذلك قوله : { سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ } . قال : "فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم" (١) . وفي قراءة عبد الله «سلامًا قولًا» (٢) .

القرآن

{وَأَمَّا زُورُ الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) } [يس : ٥٩]

التفسير:

ويقال للكفار في ذلك اليوم: تميّزوا عن المؤمنين، وانفصلوا عنهم.

قال أبو العالية: "تميّزوا" (٣) .

قال السدي: "كونوا على حدة" (٤) .

قال قتادة: "عزلوا عن كل خير" (٥) .

قال الضحاك: "إن لكل كافر في النار بيتًا يدخل ذلك البيت ويردم بابه في النار، فيكون فيه أبد الآبدين، لا يرى ولا يرى" (٦) .

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول: {ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان} .. الآية، إلى قوله {هذه جهنم التي كنتم توعدون} {وأمّا زوروا اليوم أيها المجرمون}، فيتميز الناس ويجثون، وهي قول الله: {وترى كل أمة} ... الآية" (٧) .

القرآن

{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) } [يس : ٦٠]

التفسير:

ويقول الله لهم توبيخًا وتذكيرًا: ألم أوصكم على السنة رسلي أن لا تعبدوا الشيطان ولا تطيعوه؟ إنه لكم عدو ظاهر العداوة.

قوله تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} [يس : ٦٠]، أي: "ويقول الله لهم توبيخًا وتذكيرًا: ألم أوصكم على السنة رسلي أن لا تعبدوا الشيطان ولا تطيعوه؟" (٨) . قال السدي: "يعني: ألا تطيعوا الشيطان في الشرك" (٩) .

القرآن

{وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) } [يس : ٦١]

التفسير:

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٣/٦، وقال: "في إسناده نظر"، ورواه ابن ماجه في السنن برقم (١٨٤) وقال البوصيري في الزوائد (٨٦/١) : "هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان القرشي".

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٨٠/٢ .

(٣) تفسير الثعلبي: ٢٩٤/٢٢ .

(٤) تفسير الثعلبي: ٢٩٤/٢٢ .

(٥) أخرجه الطبري: ٥٤٢ /٢٠ .

(٦) تفسير الثعلبي: ٢٩٤/٢٢ .

(٧) أخرجه الطبري: ٥٤٢ /٢٠ .

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٤ .

(٩) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٦/٢ .

وأمرتكم بعبادتي وحدي، فعبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان هي الدين القويم الموصل لمرضاتي وجنّاتي.
 قوله تعالى: {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [يس: ٦١]، أي: "عبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان هي الدين القويم الموصل لمرضاتي وجنّاتي"^(١).
 عن مجاهد، {صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}: "يعني: الإسلام: الدين الحق"^(٢).
 عن مجاهد في قوله: "صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ"، قال: الحق"^(٣).
 عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: "الصراط المستقيم، قال: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن. فقال صدق أبو العالية ونصح"^(٤).

القرآن

{وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} [يس: ٦٢]

التفسير:

ولقد أضلّ الشيطان عن الحق منكم خلقًا كثيرًا، أفما كان لكم عقل -أيها المشركون- ينهاكم عن اتباعه؟
 قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا} [يس: ٦٢]، أي: "ولقد أضلّ الشيطان عن الحق منكم خلقًا كثيرًا"^(٥).

عن مجاهد: "ولقد أضل منكم جبلا"، قال: خلقا"^(٦).
 وقال ابن عباس: "خلقًا كثيرًا"^(٧). وروي عن مجاهد^(٨)، ومطرف مثله^(٩).
 قال قتادة: "جموعًا كثيرة"^(١٠).
 وحكى الضحاك: "أن الجبل الواحد: عشرة آلاف، والكثير ما لا يحصيه إلا الله تعالى"^(١١).
 قال السدي: "يعني: قد أغوى إبليس منكم جبلا، يعني: خلقا كثيرا، فكفروا فلم يكونوا يعقلون"^(١٢).
 قوله تعالى: {أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} [يس: ٦٢]، أي: "أفما كان لكم عقل -أيها المشركون- ينهاكم عن اتباعه؟"^(١٣).
 قال السدي: "فكفروا فلم يكونوا يعقلون"^(١٤).

القرآن

{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [يس: ٦٣ - ٦٤]

التفسير:

- (١) التفسير الميسر: ٤٤٤.
- (٢) تفسير مجاهد: ٣٣٣.
- (٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٨): ص ١٢٨٧/٤.
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٧): ص ١٢٨٧/٤.
- (٥) التفسير الميسر: ٤٤٤.
- (٦) أخرجه الطبري: ٥٤٣ / ٢٠.
- (٧) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٥١١/١٨.
- (٨) تفسير مجاهد: ٥٦١.
- (٩) النكت والعيون: ٢٧/٥.
- (١٠) النكت والعيون: ٢٧/٥.
- (١١) النكت والعيون: ٢٧/٥.
- (١٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٦/٢.
- (١٣) التفسير الميسر: ٤٤٤.
- (١٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٦/٢.

هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله وتكذيبكم رسله، ادخلوها اليوم وقاسوا حرّها؛ بسبب كفركم.
قال السدي: " {اليوم} ، يعني: في الآخرة" (١).

القرآن

{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس: ٦٥]

التفسير:

اليوم نطبع على أفواه المشركين فلا ينطقون، وتكلمنا أيديهم بما بطشت به، وتشهد أرجلهم بما سعت إليه في الدنيا، وكسبت من الآثام.

قوله تعالى: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ} [يس: ٦٥]، أي: "اليوم نطبع على أفواه المشركين فلا ينطقون" (٢).

قال السدي: " فلا يتكلمون" (٣).

عن قتادة، قوله: "{اليوم نختم على أفواههم} الآية، قال: قد كانت خصومات وكلام، فكان هذا آخره، {نختم على أفواههم}" (٤).

عن أنس بن مالك قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : " أتدرون مم أضحك ؟ " قلنا : الله ورسوله أعلم. قال : "من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول : رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلى. فيقول : لا أجز علي إلا شاهدًا من نفسي، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا ، وبالكرام الكاتبين شهدا. فيختم على فيه ، ويُقال لأركانها : انطقي. فتنتطق بعمله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا ، فعنكَّ كُنْتُ أَناضِلُ" (٥).

قوله تعالى: {وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس: ٦٥]، أي: " وتكلمنا أيديهم بما بطشت به، وتشهد أرجلهم بما سعت إليه في الدنيا، وكسبت من الآثام" (٦).

قال الشعبي: " يقال للرجل يوم القيامة: عملت كذا وكذا، فيقول: ما عملت، فيختم على فيه، وتنطق جوارحه، فيقول لجوارحه: أبعدكن الله، ما خاصمت إلا فيكن" (٧).

عن عقبة بن عامر، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أول شيء يتكلم من الإنسان، يوم يختم الله على الأفواه، فخذ من رجله اليسرى" (٨).

قال أبو موسى: " يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أي رب عملت عملت عملت، قال: فيغفر الله له ذنوبه، ويستتره منها، فما على الأرض خليفة ترى من تلك الذنوب شيئًا، وتبدو حسناته، فود أن الناس كلهم يرونها؛ ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجده، ويقول أي رب، وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أي رب، ما عملته، فإذا فعل ذلك

(١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٧/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٩٩): ص ٣١٩٩/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٤٤-٥٤٥ / ٢٠.

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٥-٥٨٦، وانظر الحديث في صحيح مسلم برقم (٢٩٦٩) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٦٥٣).

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٤٤ / ٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٤٥ / ٢٠.

ختم على فيه. قال الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى، ثم تلا: {اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون} (١).

القرآن

{وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦)} [يس: ٦٦]

التفسير:

ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نذهب أبصارهم، كما ختمنا على أفواههم، فبادروا إلى الصراط ليجوزوه، فكيف يتحقق لهم ذلك وقد طمست أبصارهم؟

قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ} [يس: ٦٦]، أي: "ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نذهب أبصارهم، كما ختمنا على أفواههم" (٢).

قال الحسن: "لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يترددون" (٣).

قال قتادة: "لو شئنا لتركناهم عميا يترددون" (٤).

والمطموس: "هو الأعمى الذي لا يكون بين جفنيه شق" (٥).

قوله تعالى: {فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ} [يس: ٦٦]، أي: "فبادروا إلى الصراط ليجوزوه، فكيف يتحقق لهم ذلك وقد طمست أبصارهم؟" (٦).

عن قتادة: "فاستبقوا الصراط، الطريق" (٧).

عن قتادة: "فَأَنَّى يُبْصِرُونَ} فكيف يبصرون إذا أغشيناهم؟! (٨).

عن مجاهد، قوله: {فاستبقوا الصراط}، قال: الطريق" (٩)، "فَأَنَّى يبصرون}، وقد طمسنا على أعينهم" (١٠).

قال قتادة، و عطاء: "يعني: ولو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم وأعميناهم عن غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فاهتدوا وأبصروا رشدهم، فأنى يبصرون ولم أفعل ذلك بهم؟! (١١).

وقال الحسن، والسدي: "يعني: ولو نشاء لتركناهم عمياً يترددون، فكيف يبصرون الطريق حينئذ" (١٢). وفي رواية عنهما: "فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم؟! (١٣).

القرآن

{وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتِحِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٧)} [يس: ٦٧]

التفسير:

ولو شئنا لغيرنا خلقهم وأقعدناهم في أماكنهم، فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم.

(١) أخرجه الطبري: ٥٤٤ / ٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٤٥ / ٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٤٦-٥٤٥ / ٢٠.

(٥) غريب القرآن: ٣٦٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٧) أخرجه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٧ / ٢.

(٨) أخرجه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٧ / ٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٠٢): ص ٣١٩٩ / ١٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٤٦ / ٢٠، وابن أبي حاتم (١٨١٠٢): ص ٣١٩٩ / ١٠.

(١١) تفسير الثعلبي: ٢٩٩ / ٢٢.

(١٢) تفسير الثعلبي: ٢٩٩ / ٢٢.

(١٣) تفسير البغوي ٦ / ٢٥.

قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ} [يس: ٦٧]، أي: "ولو شئنا لغيرنا خلقهم وأقعدناهم في أماكنهم"^(١).

وفي قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ} [يس: ٦٧]، ثلاثة وجوه من التفسير: أحدها: لأقعدناهم على أرجلهم، قاله الحسن^(٢)، وقتادة^(٣).

قال الحسن: "لو نشاء لجعلناهم كسحا لا يقومون"^(٤).
الثاني: لغيرنا خلقهم فلا ينقلبون، قاله السدي^(٥).

الثالث: معناه: لجعلناهم حجارة. قاله أبو صالح^(٦).

والظاهر أن المعنى: "أقعدناهم في منازلهم قردة وخنازير، و«المسخ»: تحويل الصورة"^(٧).

قوله تعالى: {فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ} [يس: ٦٧]، أي: "فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم"^(٨).

وفي قوله تعالى: {فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ} [يس: ٦٧]، وجهان:

أحدهما: فما استطاعوا لو فعلنا ذلك بهم أن يتقدموا ولا يتأخروا، قاله قتادة^(٩).

الثاني: فما استطاعوا مضياً في الدنيا، ولا رجوعاً فيها، قاله أبو صالح^(١٠).

القرآن

{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ} [يس: ٦٨]

التفسير:

ومن نُطِلُّ عمره حتى يهرم نُعِدُّه إلى الحالة التي ابتداء منها حالة ضعف العقل وضعف الجسد، أفلا يعقلون أن من فعل مثل هذا بهم قادر على بعثهم؟

قوله تعالى: {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ} [يس: ٦٨]، أي: "ومن نُطِلُّ عمره حتى يهرم نُعِدُّه إلى الحالة التي ابتداء منها حالة ضعف العقل وضعف الجسد"^(١١).

قال قتادة: "هو الهرم. يتغير سمعه، وبصره وقوته، كما رأيت"^(١٢).

وقال قتادة: "يقول: من نمد له في العمر ننكسه في الخلق، لكيلا يعلم بعد علم شيئاً، يعني: الهرم"^(١٣).

قرأ حمزة: «ننكسه»، مشددة مع ضم النون الأولى وفتح الثانية، والباقون: بفتح النون الأولى وتسكين الثانية من غير تشديد وعن عاصم كالقراءتين^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٠٥): ص ٣١٩٩/١٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٦/٥.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٠٤): ص ٣١٩٩/١٠.

(٧) الكشاف: ١٣٥/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٩/٥.

(١١) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٠٦): ص ٣٢٠٠/١٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٠.

(١٤) انظر: زاد المسير: ٥٣٠/٣.

القرآن
 {وَمَا عَلَّمَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى
 الْكَافِرِينَ (٧٠)} [يس : ٦٩-٧٠]

التفسير:

وما علمنا رسولنا محمداً الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعراً، ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو
 الألباب، وقرآن بين الدلالة على الحق والباطل، واضحة أحكامه وحكمه ومواعظه؛ لينذر من كان حي القلب
 مستنير البصيرة، ويحق العذاب على الكافرين بالله؛ لأنهم قامت عليهم بالقرآن حجة الله البالغة.
 سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في عقبة بن أبي معيط وأصحابه، قالوا إن القرآن شعر" (١).
 قوله تعالى: {وَمَا عَلَّمَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} [يس : ٦٩]، أي: "وما علمنا رسولنا محمداً الشعر،
 وما ينبغي له أن يكون شاعراً" (٢).
 عن قتادة، قوله: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له"، قال: محمد صلى الله عليه وسلم، عصمه الله
 من ذلك" (٣).
 قال الشعبي: "ما ولد عبد المطلب ذكراً ولا أنثى إلا يقول الشعر، إلا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم" (٤).

عن الحسن البصري: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت :

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً

فقال أبو بكر : يا رسول الله :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

قال أبو بكر ، أو عمر : أشهد أنك رسول الله، يقول الله: {وَمَا عَلَّمَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} (٥).

وقالت عائشة رضي الله عنها- : " ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط ، إلا بيتا

واحداً:

تَفَاعُلٌ بِمَا تَهْوَى يَكُنْ فَلَئِمًا... يُقَالُ لَشَيْءٍ كَانَ إِلَّا تَحَقَّقًا" (٦).

عن قتادة : " قيل لعائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت:
 كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس، فيجعل آخره أوله، وأوله آخره، فقال له
 أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: "إني والله ما أنا بشاعر، ولا ينبغي لي" (٧).
 عن أبي نوفل قال : "سألت عائشة : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسامع عنده الشعر ؟
 فقالت : كان أبغض الحديث إليه. وقال عن عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من
 الدعاء ، ويدع ما بين ذلك" (٨).

قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} [يس : ٦٩]، أي: "ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به
 أولو الألباب، وقرآن بين الدلالة على الحق والباطل، واضحة أحكامه وحكمه ومواعظه" (٩).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٤/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١١٠):ص١٠/٣٢٠٠.

(٤) رواه أبو زرعة الرازي كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١١٢):ص١٠/٣٢٠٠-٣٢٠١، وكما في تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦، ورواه ابن سعد في الطبقات

(١/٣٨٢) من طريق عارم عن حماد بن زيد عن علي بن زيد عن الحسن به مرسل.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي (٤٣/٧) وقال : "لم أكتبه إلا بهذا الإسناد ، وفيهم من يجهل حاله".

(٧) أخرجه الطبري: ٥٤٩ /٢٠، وابن أبي حاتم(١٨١١١):ص١٠/٣٢٠٠.

(٨)المسند (١٤٨/٦).

عن قتادة: "إن هو إلا ذكر، قال: هذا القرآن" (٢).
 قوله تعالى: {لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} [يس : ٧٠]، أي: "لينذر من كان حي القلب مستنير البصيرة" (٣).
 عن قتادة: "لينذر من كان حيا، قال: حي القلب، حي البصر" (٤).
 عن الضحاك، قوله: "لينذر من كان حيا، قال: من كان عاقلا" (٥).
 قوله تعالى: {وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} [يس : ٧٠]، أي: "ويحق العذاب على الكافرين بالله؛ لأنهم قامت عليهم بالقرآن حجة الله البالغة" (٦).
 عن قتادة: "ويحق القول على الكافرين، بأعمالهم أعمال السوء" (٧).

القرآن

{أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ} (٧١) [يس : ٧١]

التفسير:

أو لم ير الخلق أنا خلقنا لأجلهم أنعامًا ذللناها لهم، فهم مالكون أمرها؟
 قوله تعالى: {أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا} [يس : ٧١]، أي: "أو لم ير الخلق أنا خلقنا لأجلهم أنعامًا ذللناها لهم" (٨).
 عن السدي: قوله: "مما عملت أيدينا، قال: من صنعنا" (٩).
 قوله تعالى: {فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ} [يس : ٧١]، أي: "فهم مالكون أمرها" (١٠).
 قال قتادة: "أي: ضابطون" (١١).

القرآن

{وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} (٧٢) [يس : ٧٢]

التفسير:

وسخرناها لهم، فمنها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليها الأثقال، ومنها ما يأكلون.
 قوله تعالى: {وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ} [يس : ٧٢]، أي: "وسخرناها لهم، فمنها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليها الأثقال" (١٢).
 قال قتادة: "يركبوها يسافرون عليها" (١٣).
 عن هارون، قال: "قراءة الحسن الأعرج وأبي عمرو والعامية: «فمنها ركوبهم»، يعني: ركوبتهم حمولتهم" (١٤).

- (١) التفسير الميسر: ٤٤٤.
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٠): ص ١٠ / ٣٢٠٠.
- (٣) التفسير الميسر: ٤٤٤.
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٠): ص ١٠ / ٣٢٠٠.
- (٥) أخرجه الطبري: ٥٥٠ / ٢٠.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٤٤.
- (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٠): ص ١٠ / ٣٢٠٠.
- (٨) التفسير الميسر: ٤٤٥.
- (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٣): ص ١٠ / ٣٢٠١.
- (١٠) التفسير الميسر: ٤٤٥.
- (١١) أخرجه الطبري: ٥٥٠ / ٢٠.
- (١٢) التفسير الميسر: ٤٤٥.
- (١٣) أخرجه الطبري: ٥٥١ / ٢٠.
- (١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٥): ص ١٠ / ٣٢٠١.

قوله تعالى: {وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} [يس: ٧٢]، أي: "ومنها ما يأكلون"^(١).
قال قتادة: "ومنها يأكلون": لحومها"^(٢).

القرآن

{وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: ٧٣]

التفسير:

ولهم فيها منافع أخرى ينتفعون بها، كالانتفاع بأصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ولباسًا، وغير ذلك، ويشربون ألبانها، أفلا يشكرون الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة؟

قوله تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ} [يس: ٧٣]، أي: "ولهم فيها منافع أخرى ينتفعون بها، ويشربون ألبانها"^(٣).

عن قتادة: "ولهم فيها منافع"، يلبسون أصوافها، {ومشارب}، يشربون ألبانها"^(٤).

قوله تعالى: {أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: ٧٣]، أي: "أفلا يشكرون الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة؟"^(٥).

القرآن

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس: ٧٤]

التفسير:

واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها؛ طمعًا في نصرها لهم وإنقاذهم من عذاب الله.

عن قتادة، في قوله: "وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً"، قال: هي الأصنام"^(٦).

عن ابن جريج، في قوله: "لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ"، قال: يُمنعون"^(٧).

القرآن

{لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ} [يس: ٧٥]

التفسير:

لا تستطيع تلك الآلهة نصر عابديها ولا أنفسهم ينصرون، والمشركون وآلهتهم جميعًا محضرون في العذاب، متبرئ بعضهم من بعض.

قوله تعالى: {لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ} [يس: ٧٥]، أي: "لا تستطيع تلك الآلهة نصر عابديها ولا أنفسهم ينصرون"^(٨).

قال السدي: "لا تستطيع الآلهة نصرهم"^(٩).

قوله تعالى: {وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ} [يس: ٧٥]، أي: "والمشركون وآلهتهم جميعًا محضرون في العذاب، متبرئ بعضهم من بعض"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٥١ / ٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٥١ / ٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٦) الدر المنثور: ٧٣/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٧) الدر المنثور: ٧٣/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٦): ص ٣٢٠١/١٠.

واختلف أهل العلم في قوله تعالى: {وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ} [يس: ٧٥]، على أقوال: أحدها: محضرون عند الحساب، قاله مجاهد^(١).

الثاني: محضرون في النار، قاله الحسن^(٢).

قال الحسن: "هم لهم جند في الدنيا وهم محضرون في النار"^(٤).

الثالث: محضرون للدفع عنهم والمنع منهم، قاله الحسن في رواية أخرى-^(٥).

الرابع: المعنى: وهم لهم جند محضرون في الدنيا يغضبون لهم. وهذا قول قتادة^(٦).

قال قتادة: "المشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تدفع عنهم سوءاً، إنما هي أصنام"^(٧).

وهذا الذي قاله قتادة أولى الأقوال، لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام، وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جندا حينئذ، ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم، ويقاتلون دونهم^(٨).

القرآن

{فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [يس: ٧٦]

التفسير:

فلا يحزنك -أيها الرسول- كفرهم بالله وتكذيبهم لك واستهزاؤهم بك؛ إنا نعلم ما يخفون، وما يظهرون، وسنجازيهم على ذلك.

قوله تعالى: {فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ} [يس: ٧٦]، أي: "فلا يحزنك -أيها الرسول- كفرهم بالله وتكذيبهم لك واستهزاؤهم بك"^(٩).

عن قتادة: "فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ} إنك ساحر، وإنك شاعر، وإنك كاهن، وإنك مجنون، وإنك كاذب"^(١٠).

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} [يس: ٧٧]

التفسير:

أولم ير الإنسان المنكر للبعث ابتداء خلقه فيستدل به على معاده، أنا خلقناه من نطفة مرتّ بأطوار حتى كبر، فإذا هو كثير الخصام واضح الجدل؟

في سبب نزول هذه الآية والتي بعدها، أقوال:

أحدها: أنها نزلت في «أبي بن خلف الجمحي» أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- يجادله في بعث الموتى، قاله عروة بن الزبير^(١١)، مجاهد^(١)، وعكرمة^(٢)، وقاتادة^(٣)، والسدي^(٤).

(١) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٢ / ٢٠.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١١٨): ص ٣٢٠٢ / ١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٨): ص ٣٢٠٢ / ١٠.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١١٩): ص ٣٢٠٢ / ١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٢ / ٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٥٢ / ٢٠.

(٨) تفسير الطبري: ٥٥٣ / ٢٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(١٠) أخرجه يحيى بن سلام ٨٢٠ / ٢.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٤): ص ٣٢٠٣ / ١٠.

قال عروة: "لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم إن الناس يحاسبون بأعمالهم، ومبعوثون يوم القيامة، أنكروا ذلك

قال ابن الجوزي: وهذا قول: "الجمهور، وعليه المفسرون" (٥).
 قال مجاهد: "أبي بن خلف جاء بعظم، فقال: يا محمد، أتعدنا إنا إذا متنا فكنا مثل هذا العظم البالي في يده ففته، وقال: من يحيينا إذا كنا مثل هذا؟" (٦).
 قال قتادة: "ذكر لنا أن أبي بن خلف، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، ففته، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: «والله يحييه، ثم يميته، ثم يدخلك النار»؛ قال: فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد" (٧).
 قال السدي: "نزلت في أبي بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عظم قد دثر، فجعل يفته بين أصابعه ويقول: يا محمد، أنت الذي تحدث أن هذا سيحيا بعد ما قد بلى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، ليمتتن الآخر، ثم ليحيينه ثم ليدخلنه النار» (٨).
 الثاني: أنها نزلت في «العاص بن وائل» أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا محمد، أيعبى الله هذا بعدما أرم؟ فقال رسول الله (٩): «نعم ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم»، فنزلت هذه الآيات فيه، قاله ابن عباس-في رواية- (١٠)، وسعيد بن جبير (١١).
 الثالث: أنها نزلت في «عبد الله بن أبي»، أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فكسره بيده، ثم قال: يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يبعث الله هذا، ويميتك ثم يدخلك جهنم، فقال الله: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم}. قاله ابن عباس-في رواية أخرى عنه- (١٢).

والظاهر-والله أعلم- أن الخبر ورد في شأن العاص وابن خلف من وجوه متساوية، فأصل الخبر محفوظ، وإن كان اضطرب المفسرون في تعيين أحدهما.
 قوله تعالى: {وَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ} [يس: ٧٧]، أي: "أو لم ير الإنسان المنكر للبعث ابتداء خلقه فيستدل به على معاده، أنا خلقناه من نطفة مرت بأطوار حتى كبر" (١٣).
 اختلف أهل العلم في الإنسان الذي عني بقوله: {وَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ} [يس: ٧٧]، على أقوال:

إنكارا شديدا فعمد أبي بن خلف إلى عظم حائل قد نخر ففته، ثم ذراه في الريح ثم قال: يا محمد، إذا بليت عظامنا إنا لمبعوثون خلقا جديدا؟ فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من استقباله إياه بالتكذيب والأذى في وجهه وجدا شديدا، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة}.

- (١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤-٥٥٣/٢٠.
- (٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٣): ص ٣٢٠٢/١٠.
- قال عكرمة: "جاء أبي بن خلف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم حائل فقال: يا محمد، أتى يحيي الله هذا؟ فأنزل الله: {وضرب لنا مثلا ونسي خلقه}، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلقها قبل أن أعجب من إحيائها وقد كانت».
- (٣) انظر: تفسير الطبري ٥٥٤/٢٠.
- (٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٢): ص ٣٢٠٢/١٠.
- (٥) زاد المسير: ٥٣٣/٣.
- (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٢١): ص ٣٢٠٢/١٠.
- (٧) أخرجه الطبري ٥٥٤/٢٠.
- (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٢٢): ص ٣٢٠٢/١٠.
- (٩) .
- (١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٠): ص ٣٢٠٢/١٠.
- (١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤/٢٠.
- (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤/٢٠. أخرجه بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي، وهو واه عن ابن عباس، وهذا باطل لأن السورة مكية بإجماع، وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كانت أخباره في العهد المدني.
- وقال ابن كثير ٥٩٤/٦: "وهذا منكر؛ لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة".
- (١٣) التفسير الميسر: ٤٤٥.

أحدها : عني به أبي بن خلف. قاله مجاهد^(١)، وقتادة^(٢)، والسدي^(٣).
الثاني : أنه العاص بن وائل السهمي. قاله سعيد بن جبير^(٤).
الثالث: أنه أمية بن خلف، قاله الحسن^(٥).

قوله تعالى: {فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} [يس: ٧٧]، أي: "فإذا هو كثير الخصام واضح الجدل"^(٦).
عن الحسن : " أنه المشرك. قال وهو كقوله: {أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين} {٧٧} وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم {٧٨} { [يس: ٧٧-٧٨] "^(٧).
عن بسر ابن جحاش ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما في كفه ، فوضع عليها أصبعه ، ثم قال : "قال الله تعالى : ابن آدم ، أنى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سوّيتك وعدلتك ، مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق وأنى أوان الصدقة ؟"^(٨).

القرآن

{وَضْرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)} [يس : ٧٨ - ٧٩]

التفسير:

وضرب لنا المنكر للبعث مثلا لا ينبغي ضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، ونسي ابتداء خلقه، قال: من يحيي العظام البالية المتفتتة؟ قل له: يحييها الذي خلقها أول مرة، وهو بجميع خلقه عليم، لا يخفى عليه شيء.

قال قتادة: "نزلت في أبي بن خلف ، جاء بعظم نخر فجعل يذروه في الريح ، فقال: أيحيي الله هذا يا محمد؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم يحيي الله هذا ويميتك ويدخلك النار»"^(٩).

عن عكرمة، قال: "جاء أبي بن خلف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم حائل فقال: يا محمد، أنى يحيي الله هذا؟ فأنزل الله: {وضرب لنا مثلا ونسي خلقه}، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلقها قبل أن تكون أعجب من إحيائها وقد كانت»"^(١٠).

عن ربيعي قال : قال عقبة بن عمرو لحذيفة : ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : سمعته يقول : «إن رجلا حضره الموت ، فلما أيس من الحياة أوصى أهله : إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً ثم أوقدوا فيه ناراً ، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشنت ، فخذوها فدقوها فذروها في اليم. ففعلوا ، فجمعه الله إليه فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك. فغفر الله له». فقال عقبة بن عمرو : وأنا سمعته يقول ذلك ، وكان نبأنا"^(١١).

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٠/٥٥٣-٥٥٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٠/٥٥٤.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٢):ص١٠/٣٢٠٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٥٥٤.

(٥) انظر: زاد المسير: ٣/٥٣٣. وهذا مرسل، ومراسيل الحسن واهية.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٧) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ١/٥٠.

(٨) المسند (٣١٠/٤) وسنن ابن ماجه برقم (٢٧٠٧) وقال البوصيري في الزوائد (٣٦٤/٢) : "إسناد حديثه صحيح ورجاله ثقات".

(٩) تفسير عبدالرزاق(٢٤٩٨):ص٣/٨٧.

(١٠) تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٣):ص١٠/٣٢٠٢، الدر المنثور: ٧/٧٦.

(١١) المسند (٣٩٥/٥)، وانظر: صحيح البخاري برقم (٦٤٨٠) وصحيح مسلم برقم (٢٧٥٦)، بألفاظ كثيرة.

القرآن

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠)} [يس : ٨٠]

التفسير:

الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب ناراً محرقة، فإذا أنتم من الشجر توقدون النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد. وفي ذلك دليل على وحدانية الله وكمال قدرته، ومن ذلك إخراج الموتى من قبورهم أحياء.

قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا} [يس : ٨٠]، أي: "الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب ناراً محرقة"^(١).
قال قتادة: "يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه"^(٢).

القرآن

{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)} [يس

: ٨١]

التفسير:

أو ليس الذي خلق السموات والأرض وما فيهما بقادر على أن يخلق مثلهم، فيعيدهم كما بدأهم؟ بلى، إنه قادر على ذلك، وهو الخلاق لجميع المخلوقات، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} [يس : ٨١]، أي: "أو ليس الذي خلق السموات والأرض وما فيهما بقادر على أن يخلق مثلهم، فيعيدهم كما بدأهم؟"^(٣).
قال السدي: "في الآخرة"^(٤).

عن قتادة، قوله: "أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ" قال: هذا مثل "^(٥).

القرآن

{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)} [يس : ٨٢]

التفسير:

إنما أمره سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له: «كن» فيكون، ومن ذلك الإمامة والإحياء، والبعث والنشور.

عن قتادة: قوله: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" قال: ليس من كلام العرب أهون ولا أخف من ذلك فأمر الله كذلك"^(٦).

عن الضحاك قال: "فإنما يقول له كن فيكون"، وهذا من لغة الأعاجم. وهي بالعبرية: أصنع"^(٧).
عن مجاهد: {ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة} [لقمان : ٢٨] قال: "يقول: القليل والكثير عليه سواء، إنما يقول له: كن فيكون"^(٨).

(١) التفسير الميسر: ٢٢/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ك ٢٠ / ٥٥٦.

(٣) صفوة التفاسير: ٢٢/٣.

(٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٢١/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٥٧ / ٢٠، وابن أبي حاتم (١٨١٢٥): ص ٣٢٠٣/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٥٧ / ٢٠، وابن أبي حاتم (١٨١٢٥): ص ٣٢٠٣/١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٨): ص ٢١٥/١.

(٨) تفسير مجاهد: ٥٤٣.

عن محمد بن إسحاق، في قوله تعالى: {قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}، قال: "إذا قضى أمرا يقول: مما يشاء. وكيف فيكون كما أراد"^(١).
 عن أبي ثر، رضي الله عنه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يقول: يا عبدي، كلكم مذنب إلا من عافيت، فاستغفروني أغفر لكم. وكلكم فقير إلا من أغنيت، إنني جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردت شيئا فإنما أقول له كن فيكون"^(٢).
 قرأ ابن عامر والكسائي {فيكون} نصب نسقا على قوله: {أن يقول له كن فيكون}، وقرأ الباقر {فيكون} رفعا على تقدير: فهو يكون"^(٣).

القرآن

{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} {يس: ٨٣}

التفسير:

فتنزه الله تعالى وتقدس عن العجز والشرك، فهو المالك لكل شيء، المتصرف في شؤون خلقه بلا منازع أو ممانع، وقد ظهرت دلائل قدرته، وتمام نعمته، وإليه تُرجعون للحساب والجزاء.
 قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} {يس: ٨٣}، أي: "تنزهه وتمجد عن صفات النقص الإله العظيم الجليل، الذي بيده الملك الواسع، والقدرة التامة على كل الأشياء"^(٤).
 قال قتادة: "مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ": مفتاح كل شيء"^(٥).
 قال مجاهد: "يعني: «خزائن كل شيء»"^(٦).
 قال عطاء: ملك كل شيء"^(٧).
 قوله تعالى: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} {يس: ٨٣}، أي: "وإليه وحده مرجع الخلائق للحساب والجزاء"^(٨).
 قال أبو العالية: "ترجعون إليه بعد الحياة"^(٩).
 «آخر تفسير سورة (يس)، والحمد لله وحده»

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٧): ص ٢١٤/١.

(٢) المسند (١٧٧/٥).

(٣) انظر: حجة القراءات: ٦-٣-٦٠٤.

(٤) صفوة التفاسير: ٢٢/٣.

(٥) رواه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٧٦/٣.

(٦) تفسير مجاهد: ٤٨٧.

(٧) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٥٢٩/١٨.

(٨) صفوة التفاسير: ٢٢/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠٦٠): ص ٣٠٠٣/٩.

بسم الله الرحمن الرحيم
تفسير سورة « الصافات »

سورة «الصافات»: هي السورة «السابعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والخمسون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة: «الأنعام»^(١). عدد آياتها مائة وثمانون وآية عند البصريين، وآيتان عند الباقيين. وكلماتها ثمانمائة واثنان وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وست وعشرون. المختلف فيها: آيتان: {وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} [الصافات : ٢٢]، {وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ} [الصافات : ١٦٧]، مجموع فواصلها «قدم بنا»^(٢).

■ مكان نزول السورة:

قال ابن عباس: "نزلت سورة الصافات بمكة"^(٣).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(٤).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"^(٥).

(١) انظر: الكشاف: ٣٣/٤.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٩٣ / ١.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧٧/٧، وعزاه إلى ابن الصريسي والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤) زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٥) البصائر: ٣٩٣/١.

القرآن

{وَالصَّافَاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)} [الصافات : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالملائكة تصف في عبادتها صفوفًا مترابطة، وبالملائكة تزجر السحاب وتسوقه بأمر الله، وبالملائكة تتلو ذكر الله وكلامه تعالى. إن معبودكم -أيها الناس- لوحد لا شريك له، فأخلصوا له العبادة والطاعة. ويقسم الله بما شاء من خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالله، فالحلف بغير الله شرك.

قوله تعالى: {وَالصَّافَاتِ صَفًّا} [الصافات : ١]، أي: "أقسم بهذه الطوائف من الملائكة، الصافات قوائهما في الصلاة، أو أجنحتها في ارتقاب أمر الله" (١).

قال قتادة: "قسم أقسم الله بخلق، ثم خلق، ثم خلق، والصافات: الملائكة صفوفًا في السماء" (٢).

وفي تفسير قوله تعالى: {وَالصَّافَاتِ صَفًّا} [الصافات : ١]، قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة، قاله مسروق (٣)، وسعيد بن جبير (٤)، وعكرمة (٥)، ومجاهد (٦)، وقتادة (٧)، والسدي (٨)، وهو قول الجمهور (٩).

قال السدي: "يعني: صفوف الملائكة في الصلاة" (١٠).

قال عطاء: "ليس في السموات السبع موضع شبر إلا عليه ملك قائم أو راعع أو ساجد" (١١).

عن عن أبي ذر، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: "إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظن السماء وحق لها أن تظن ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله" (١٢).

وعن عبد الرحمن بن العلاء بن سعد، عن أبيه - وكان ممن بايع يوم الفتح - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه: "أظن السماء وحق لها أن تظن، ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راعع أو ساجد". ثم قرأ: {وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} (١٣).

الثاني: أنهم عباد السماء، قاله الضحاك (١٤).

واختلف من قال الصافات الملائكة في تسميتها بذلك على قولين:

(١) صفة التفاسير: ٢٦/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٧/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢١.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٦، وزاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٦، وزاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٦، وزاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢١.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٢/٢.

(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٢/٢.

(١٢) أخرجه أحمد (١٧٣/٥)، رقم ٢١٥٥٥، والترمذي (٥٥٦/٤) رقم ٢٣١٢، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١٤٠٢/٢) رقم ٤١٩٠، والحاكم (٥٥٤/٢)، رقم ٣٨٨٣، وقال: صحيح الإسناد. وأبو الشيخ في العظمة (٩٨٢/٣)، رقم ٥٠٧.

(١٣) حديث أنس: أخرجه أيضاً: أبو نعيم في الحلية (٢٦٩/٦). وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٤) وعزاه لابن مردويه. وحديث العلاء بن سعد: أخرجه ابن عساکر (٣٨١/٥٢).

ومن غريب الحديث: "أظن السماء": صاحت وصوتت من ثقل ما عليها من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها. "وحق لها أن تظن": وحق لها أن تصوت لأن كثرة ما فيها من الملائكة قد أنقلها حتى صار لها صوت.

(١٤) (١٤) ورواه عن ابن عباس، انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

أحدهما : لأنها صفوف في السماء ، قاله قتادة^(١) .
الثاني : لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم ، قاله الحسن^(٢) ، والسدي^(٣) .
عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ : جُعِلَتْ صَفُوفُنَا كَصَفُوفِ الْمَلَائِكَةِ ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ لَنَا تُرْبَتُهَا طَهْرًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ"^(٤) .
عن جابر بن سمرّة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ؟" قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : "يُتِمُّونَ الصَّفُوفَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَيَتَرَاوِسُونَ فِي الصَّفِّ"^(٥) .
قوله تعالى: {قَالَزَّاجِرَاتِ زَجْرًا} [الصفافات : ٢] ، أي: "وأقسمُ بالملائكة التي تزجر السحاب، يسوقونه إلى حيث شاء الله"^(٦) .
وفي قوله تعالى: {قَالَزَّاجِرَاتِ زَجْرًا} [الصفافات : ٢] ، قولان:
أحدهما : أنها الملائكة التي تزجر السحاب، قاله مجاهد^(٧) ، والسدي^(٨) ، والجمهور^(٩) .
الثاني : آيات القرآن التي زجر الله بها عما زجر بها عنه في القرآن، قاله قتادة^(١٠) ، والربيع^(١١) .
والذي هو أولى تفسير الآية ما قال مجاهد، ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره، ابتداء القسم بنوع من الملائكة، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه^(١٢) .
قوله تعالى: {قَالَتَالْيَاتِ ذِكْرًا} [الصفافات : ٣] ، أي: "وأقسمُ بالملائكة التالين لآيات الله على أنبيائه وأوليائه، مع التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد"^(١٣) .
وفي قوله تعالى: {قَالَتَالْيَاتِ ذِكْرًا} [الصفافات : ٣] ، قولان:
أحدهما : الملائكة، قاله أبو صالح^(١٤) ، والحسن^(١٥) ، ومجاهد^(١٦) ، والسدي^(١٧) ، والجمهور^(١٨) .
قال أبو صالح: "الملائكة، يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس"^(١٩) .
الثاني : ما يتلى في القرآن من أخبار الأمم السالفة ، قاله قتادة^(٢٠) .

-
- (١) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢١ .
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥ .
(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٢/٢ .
(٤) صحیح مسلم برقم (٥٢٢) .
(٥) صحیح مسلم برقم (٤٣٠) وسنن أبي داود برقم (٦٦١) وسنن النسائي (٩٢/٢) وسنن ابن ماجه برقم (٩٢٢) .
(٦) صفوة التفاسير: ٢٦/٣ .
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١ .
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١ .
(٩) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣ .
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١ .
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٨١٢٨): ص ٣٢٠٤/١٠ .
(١٢) تفسير الطبري: ٨/٢١ .
(١٣) صفوة التفاسير: ٢٦/٣ .
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٨١٢٩): ص ٣٢٠٤/١٠ .
(١٥) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣ .
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١ .
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢١ .
(١٨) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣ .
(١٩) أخرجه ابن ابي حاتم (١٨١٢٧): ص ٣٢٠٤/١٠ .
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢١ .

قوله تعالى: {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ} [الصافات : ٤]، أي: "أي إن إلهكم الذي تعبدونه أيها الناس إله واحد لا شريك له"^(١).
قال قتادة: "وقع القسم على هذا"^(٢).

القرآن

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)} [الصافات : ٥]
التفسير:

هو خالق السموات والأرض وما بينهما، ومدبر الشمس في مطالعها ومغاربها.
قوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [الصافات : ٥]، أي: "هو خالق السموات والأرض وما بينهما"^(٣).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، الله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"^(٤).
قوله تعالى: {وَرَبُّ الْمَشَارِقِ} [الصافات : ٥]، أي: "ومدبر الشمس في مطالعها ومغاربها"^(٥).
قال قتادة: "مشارك الشمس في الشتاء والصيف"^(٦).
قال السدي: "المشارك ستون وثلاث مئة مشرق، والمغرب مثلها، عدد أيام السنة"^(٧).

القرآن

{إِنَّا زَيْنًا لِّلدُّنْيَا الدُّنْيَا زِينَةٌ الْكَوَاكِبِ (٦)} [الصافات : ٦]
التفسير:

إننا زينا السماء الدنيا بزينة النجوم.
قال قتادة: "خلقت النجوم ثلاثا، رجوما للشياطين، ونورا يهتدى بها، وزينة لسماء الدنيا"^(٨).

القرآن

{وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧)} [الصافات : ٧]
التفسير:

وحفظنا السماء بالنجوم من كل شيطان متمرّد عاتٍ رجيم.
عن قتادة، قوله: {وَحِفْظًا} يقول: جعلتها حفظًا-وفي رواية: "جعلناها حفظًا"^(٩). - {من كل شيطان مارد}^(١٠).

(١) صفوة التفاسير: ٢٦/٣.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٢٧): ص ٣٢٠٤/١٠.
(٣) التفسير الميسر: ٤٤٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧٢): ص ١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].
(٥) التفسير الميسر: ٤٤٦.
(٦) أخرجه الطبري: ١٠/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ١٠/٢١.
(٨) انظر: تفسير القرطبي: ٦٤/١٥.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٣٢): ص ٣٢٠٤/١٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ١١/٢١، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور: ٧٩/٧، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

القرآن

{لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) نُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ (٩)} [الصافات : ٨-٩]

التفسير:

لا تستطيع الشياطين أن تصل إلى الملائكة، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، فتستمع إليهم إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى من شرعه وقدره، ويُرجمون بالشهب من كل جهة؛ طردًا لهم عن الاستماع، ولهم في الدار الآخرة عذاب دائم موجه.

قوله تعالى: {لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى} [الصافات : ٨]، أي: "لا تستطيع الشياطين أن تصل إلى الملائكة، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، فتستمع إليهم إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى من شرعه وقدره"^(١).

عن قتادة: "لا يسمعون إلى الملائكة، قال: منعوا بها، يعني: بالنجوم"^(٢).

عن السدي، قوله: "لا يسمعون إلى الملائكة"، قال: الملائكة"^(٣).

عن عروة، عن عائشة أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الملائكة تنزل في العنان- وهو السحاب- فتذكر ما قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم"^(٤).

وقرى: «لَا يَسْمَعُونَ»، بتخفيف السين من يسمعون، بمعنى أنهم يتسمعون ولا يسمعون^(٥).

قوله تعالى: {وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) نُحُورًا} [الصافات : ٨-٩]، أي: "يُرجمون بالشهب من كل جهة طردًا لهم عن الاستماع"^(٦).

عن قتادة: "ويُقذفون من كل جانب دحورًا"، قذفا بالشهب"^(٧).

عن مجاهد، قوله: "ويُقذفون"، يرمون، {من كل جانب}، قال: من كل مكان. وقوله {دحورًا}، قال: مطرودين"^(٨).

قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ} [الصافات : ٩]، أي: "ولهم في الدار الآخرة عذاب دائم موجه"^(٩).

وفي قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ} [الصافات : ٩]، وجهان:

أحدهما: معناه: لهم عذاب موجه. قاله أبو صالح^(١٠)، والسدي^(١١).

الثاني: لهم عذاب دائم. وهذا قول مجاهد^(١٢)، وقاتدة^(١٣)، وعكرمة^(١٤).

والصواب تفسير من قال: معناه: دائم خالص، وذلك أن الله قال: {وله الدين واصبًا}، فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلاج، وإنما وصفه بالثبات والخلوص؛ ومنه قول أبي الأسود الدؤلي^(١):

(١) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٣٢): ص ٣٢٠٤/١٠، والطبري: ١٦/٢١. [باختصار]

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٣٤): ص ٣٢٠٥/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ١٥/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٧) أخرجه الطبري: ١٦/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ١٧-١٦/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٨-١٧/٢١.

لا أشتري الحمد القليل بقاؤه ... يوماً بدم الدهر أجمع واصبا
أي: دائماً^(٢).

القرآن

{إِنَّمَا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)} [الصفات : ١٠]

التفسير:

إِنَّمَا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ، وهي الكلمة يسمعونها من السماء بسرعة، فيلقونها إلى الذي تحته، ويلقبها الآخر إلى الذي تحته، وربما أدركه الشهاب المضيء قبل أن يلقبها، وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب، فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكهنة، فيكذبون معها مائة كذبة.

قال سعيد بن جبيرة: "يقول: إلا من استرق السمع من أصوات الملائكة {فاتبعه شهاب}، يعني: الكواكب"^(٣).

قال ابن زيد: "الثاقب: المستوقد"^(٤)، قال: والرجل يقول: أثقب نارك، ويقول استتقب نارك استوقد نارك"^(٥).

عن قتادة، قوله: "فاتبعه شهاب ثاقب}، من نار وثقوبه: ضوءه"^(٦).

عن الضحاك: "شهاب ثاقب}، قال: ضوءه إذا انقض، فأصاب الشيطان"^(٧).

قال السدي: "شهاب مضيء يحرقه حين يرمى به"^(٨).

وقال السدي الثاقب: المحرق"^(٩).

قال يزيد الرقاشي: "يثقب الشيطان حتى يخرج من الجانب الآخر، فذكر ذلك لابي مجلز رضي الله، عنه، فقال: ليس ذلك، ولكن ثقوبه ضوءه"^(١٠).

وقال الحسن: "أنه يقتله في أسرع من الطرف"^(١١).

عن محمد بن سيرين، عن رجل قال: "كنا مع أبي قتادة على سطح فانقض كوكب، فنهانا أبو قتادة أن نتبعه أبصارنا"^(١٢).

قال عمرو: "سأل حفص الحسن: أتبع بصري الكوكب؟ فقال: قال الله: {وجعلناها رجوما للشياطين} [المالك: ٥] وقال: {أولم ينظروا في ملكوت السموات} [الأعراف: ١٨٥] كيف نعلم إذا لم ينظر إليه؟ لأتبعه بصري"^(١٣).

قال عبيد الله: "سئل الضحاك هل للشياطين أجنحة؟ فقال: كيف يطفرون إلى السماء إلا ولهم أجنحة"^(١٤).

(١) من شواهد ابي عبيدة في مجاز القرآن: ٣٦١/١، وروايته: "لا أبتغى الحمد".

(٢) تفسير الطبري: ١٨/٢١.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٣٦):ص٣٢٠٥/١٠.

(٤) وفي رواية ابن ابي حاتم(١٨١٤٠):ص٣٢٠٥/١٠، قال: «المتوقد».

(٥) أخرجه الطبري: ١٩/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ١٨/٢١.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٣٩):ص٣٢٠٥/١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ١٨/٢١.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٤١):ص٣٢٠٥/١٠.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٣٨):ص٣٢٠٥/١٠.

(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٤/٢.

(١٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٥/٢.

(١٣) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٥/٢.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٩/٢١.

القرآن

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١)} [الصفات : ١١]

التفسير:

فاسأل -أيها الرسول- منكري البعث أهم أشد خلقًا أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟ إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج، يلتصق ببعضه ببعض.
سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في أبي الأشدبين واسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي. وإنما كنى أبا الأشدبين لشدة بطشه وفي ركابة بن عبد يزيد بن هشام ابن عبد مناف.. ونزلت في أبي الأشدبين أيضا {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا} [النازعات : ٢٧]، بعثا بعد الموت {أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا} [النازعات : ٢٧]"^(١).
قال الماوردي: "نزلت هذه الآية في ركابة بن زيد بن هاشم بن عبد مناف وأبي الأشد ابن أسيد بن كلاب الجمحي"^(٢).

قوله تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا} [الصفات : ١١]، أي: "فاسأل -أيها الرسول- منكري البعث أهم أشد خلقًا أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟"^(٣).

عن مجاهد: "أهم أشد خلقًا أم من خلقنا، قال: السموات والأرض والجبال"^(٤).

عن سعيد بن جبير، قوله: "أهم من خلقنا، قال: من الأموات والملائكة"^(٥).

عن السدي: "فاستفتهم أهم أشد خلقًا، قال: يعني المشركين، سلهم أهم أشد خلقًا: {أم من خلقنا}"^(٦).
عن الضحاك، أنه قرأ: «أهم أشد خلقًا أم من عدنا»؟ وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «عدنا»، يقول: {رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق}، يقول: أهم أشد خلقًا، أم السموات والأرض؟ يقول: السموات والأرض أشد خلقًا منهم"^(٧).

عن قتادة: "فاستفتهم أهم أشد خلقًا أم من عدنا» من خلق السموات والأرض، قال الله: {الخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس} ... الآية"^(٨).

قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} [الصفات : ١١]، أي: "إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج، يلتصق ببعضه ببعض"^(٩).

وفي قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} [الصفات : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : اللازق، أي: الذي يلزق باليد، قاله قتادة^(١٠)، والضحاك-في رواية-^(١١).

الثاني: لازم، قاله مجاهد^(١٢)، ومنه قول النابغة^(١٣):

ولا يحسبون الخير لا شرَّ بعده ... ولا يحسبون الشرَّ ضربة لازب

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٣-٦٠٣.

(٢) النكت والعيون: ٤١/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩/٢١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٤٤): ص ٣٢٠٦/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(١٣) ديوانه من الستة : ٣.

وقول النَّجاشي^(١):
 بنى اللوم بيتا فاستقرت عماده ... عليكم بنى التَّجَّار ضربة لازب
 الثالث : لزج ، قاله عكرمة^(٢).
 الرابع: أن «اللازب»: الطين الجيد. قاله الضحاك^(٣).

القرآن

{بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢)} [الصافات : ١٢]

التفسير:

بل عجبت -أيها الرسول- من تكذيبهم وإنكارهم البعث، وأعجب من إنكارهم وأبلغ أنهم يستهزئون بك، ويسخرون من قولك.

وفي قوله تعالى: {عَجِبْتَ} [الصافات : ١٢]، قراءتان:

إحداهما : «عَجِبْتُ»، بضم التاء ، قرأ بها أبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقتادة، وأبو مجلز، والنخعي، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وابن أبي ليلي^(٤).

وفي هذه القراءة: "ويكون التعجب مضافاً إلى الله تعالى، وإن كان لا يتعجب من شيء لأن التعجب من حدوث العلم بما لم يعلم ، والله تعالى عالم بالأشياء قبل كونها"^(٥).

قال شقيق: "قرأت عند شريح: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}، فقال: إن الله لا يعجب من شيء، إنها يعجب من لا يعلم. قال: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال: إن شريحا شاعر يعجبه علمه، وعبد الله أعلم بذلك منه. قرأها : «بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ»"^(٦).

وأصل «العجب» في اللغة: أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجبت من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الأدميون ما ينكره الله جاز أن يقول فيه: عجبت والله قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء"^(٧).

والقراءة الثانية : «عَجِبْتُ»، بفتح التاء. قرأ بها ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر. وأضاف التعجب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كأنه قال: بل عجبت يا محمد، ويسخرون هم، قاله قتادة^(٨).

قال قتادة: "عجب محمد عليه الصلاة والسلام من هذا القرآن حين أعطيه، وسخر منه أهل الضلالة"^(٩).

وفي رواية عن قتادة: "عجبت من كتاب الله ووحيه ويسخرون بما جئت به"^(١٠).

عن قتادة: «ويسخرون»، يعني: أهل مكة"^(١١).

(١) البيت في تفسير الطبري: ٢٠/٢١، وتفسير القرطبي ٦٩/١٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: [٢٢/٢١].

(٤) انظر: السبعة في القراءات: ٥٤٧، ومعاني القرآن للفراء: ٣٨٤/٢، والنكت والعيون: ٤١/٥، وزاد المسير: ٥٣٧/٣.

(٥) النكت والعيون: ٤١/٥.

(٦) أخرجه الفراء في معاني القرآن: ٣٨٤/٢، وابن أبي حاتم (١٨١٥٠): ص ٣٢٠٦-٣٢٠٧.

(٧) معاني القرآن: ٣٠٠/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٣/٢١، وابن أبي حاتم (١٨١٥١): ص ٣٢٠٧/١٠، بزيادة: «ويسخرون»، يعني: أهل مكة".

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥١): ص ٣٢٠٧/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٣/٢١، وابن أبي حاتم (١٨١٥١): ص ٣٢٠٧/١٠، بزيادة: «ويسخرون»، يعني: أهل مكة".

القرآن

{وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣)} [الصفات : ١٣]

التفسير:

وإذا ذكروا بما نسوه أو غفلوا عنه لا ينتفعون بهذا الذكر ولا يتدبرون.
قال قتادة: "أي، لا ينتفعون، ولا يبصرون"^(١).

القرآن

{وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤)} [الصفات : ١٤]

التفسير:

وإذا رأوا معجزة دالة على نبوتك يسخرون منها ويعجبون.
قال قتادة: "أي: يسخرون منه ويستهزئون"^(٢).
قال مجاهد: "يستهزئون، يستخسرون"^(٣).

القرآن

{وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّنَا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧)} [الصفات : ١٥-١٧]

التفسير:

وقالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر ظاهر بَيِّن. إذا متنا وصيرنا ترابًا وعظامًا بالية إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، أو يُبعث أباؤنا الذين مضوا من قبلنا؟
عن قتادة: "أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون، تكذيبا بالبعث"^(٤).

القرآن

{قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨)} [الصفات : ١٨]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: نعم سوف تُبعثون، وأنتم أذلاء صاغرون.
عن قتادة والسدي: "وأنتم داخرون، أي: صاغرون"^(٥).

القرآن

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩)} [الصفات : ١٩]

التفسير:

فإنما هي نفخة واحدة، فإذا هم قائمون من قبورهم ينظرون أهوال القيامة.
قوله تعالى: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} [الصفات : ١٩]، أي: "وما هي إلا صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور للقيام من القبور"^(٦).
عن السدي، قوله: "زجرة واحدة"، قال: نفخة واحدة، وهي النفخة الآخرة"^(٦).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥٢): ص ٣٢٠٧/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥٢): ص ٣٢٠٧/١٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٤ / ٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٥ / ٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٥ / ٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٦.

عن مجاهد، قوله: {فإنما هي زجرة}، قال: صيحة^(٢).
عن العوام بن حوشب، قال: قال إبراهيم التيمي: "إن الله - عز وجل - عندما يريد أن يقيم الساعة
أغضب ما يكون على خلقه، قال العوام: وقال الحسن: الزجرة من الغضب، {فإنما هي زجرة واحدة}^(٣)."

القرآن

{وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)} [الصافات : ٢٠]

التفسير:

وقالوا: يا هلاكنا هذا يوم الحساب والجزاء.

عن قتادة: "هذا يوم الدين"، قال: يدين الله فيه العباد بأعمالهم^(٤).

قال السدي: "يوم الحساب"^(٥).

القرآن

{هَذَا يَوْمُ الْفِصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١)} [الصافات : ٢١]

التفسير:

فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين الخلق بالعدل الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتكفرونه.

قال قتادة: "يعني: يوم القيامة"^(٦).

قال السدي: "يوم يقضى بين أهل الجنة وأهل النار"^(٧).

القرآن

{أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)}

{وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤)} [الصافات : ٢٢-٢٤]

التفسير:

ويقال للملائكة: اجمعوا الذين كفروا بالله ونظراءهم وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فسوقوهم سوقاً

عنيقاً إلى جهنم. واحبسوهم قيل أن يصلوا إلى جهنم؛ إنهم مسؤولون عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت

عنهم في الدنيا، مساءلة إنكار عليهم وتبكييت لهم.

قوله تعالى: {أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ} [الصافات : ٢٤]، أي: "ويقال للملائكة: اجمعوا الذين

كفروا بالله ونظراءهم من العصاة والمجرمين"^(٨).

وفي قوله تعالى: {وَأَزْوَاجَهُمْ} [الصافات : ٢٤]، أربعة أوجه:

أحدها: أمثالهم وأشباههم، قاله هذا قول عمجاهد^(٩)، وفتادة^(١٠)، والسدي^(١١)، والنعمان بن بشير^(١٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥٣): ص ٣٢٠٧/١٠، والطبري: ٢٥/٢١. [باختصار]

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥٤): ص ٣٢٠٧/١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٦٦): ص ٥٠١ / ٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٧، وصفوة التفسير: ٢٨/٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٨/٢١.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٦٠): ص ٣٢٠٨/١٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨/٢١.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٥٣٨/٣.

قال قتادة: " أشباههم. من الكفار مع الكفار" (١).
قال مجاهد: " أمثالهم" (٢).
وقال مجاهد: " القتل مع القتل والزنا مع الزنا وأكلة الربا مع أكلة الربا" (٣).
وعن زيد بن أسلم، في قوله: " {احشروا الذين ظلموا وأزواجهم} قال: أزواجهم في الأعمال وقرأ
{وكنتم أزواجا ثلاثة} [الواقعة: ٧]، الآية {فأصحاب الميمنة} [الواقعة: ٨] زوج، {وأصحاب المشئمة}
[الواقعة: ٩] زوج، {والسابقون} [الواقعة: ١٠] زوج" (٤).
الثاني: الذين ظلموا وأشياعهم، قاله قتادة (٥)، وأبو العالية (٦). ومنه قول الشاعر (٧):
فكبا الثور في وسيل وروض ... مونق النبت شامل الأزواج
قال أبو العالية: " الذين ظلموا وأشياعهم" (٨).
قال قتادة: " وأشياعهم، الكفار مع الكفار" (٩).
السادس: نسأوهم الموافقات على الكفر.
حكي عن الحسن: " أن أزواجهم: المشركات" (١٠).
قوله تعالى: {وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ { [الصفافات : ٢٤]، أي: " وما كانوا يعبدون من
الأوثان والأصنام" (١١).
عن قتادة: " {وما كانوا يعبدون من دون الله}: الأصنام" (١٢).
عن الحسن: " أن كل قوم يلحقون بصنفهم، وما كانوا يعبدون من دون الله" (١٣).
قوله تعالى: {فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصفافات : ٢٤]، أي: " فعرّفوهم طريق الجحيم
ووجهوهم إليها" (١٤).
عن السدي: " {فَاهْدُوهُمْ}: فادعوهم" (١٥).
قوله تعالى: {وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصفافات : ٢٤]، أي: " احبسوهم عند الصراط لأنهم سيسألون
عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا، مساءلة إنكار عليهم وتبكيبت لهم" (١٦).
قال عطية: " يقفون يوم القيامة حتى يسألوا عن أعمالهم" (١٧).
وعن الضحاك: " {إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} عن خطاياهم" (١٨).

-
- (١) أخرجه ابن ابي حاتم (١٨١٦٠): ص ٣٢٠٨/١٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٨/٢١.
(٣) الدر المنثور: ٨٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.
(٤) الدر المنثور: ٨٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٨/٢١.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢١.
(٧) الشعر لا نسبة في النكت والعيون: ٤٣/٥.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٧/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٨/٢١.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٥٣٩/٣.
(١١) صفوة التفاسير: ٢٨/٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٩/٢١.
(١٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٢٧/٢، وقال: " في تفسير الحسن: يعني: الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأوثان،
فإنما عبدوا الشياطين".
(١٤) صفوة التفاسير: ٢٨/٣.
(١٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٢٧/٢.
(١٦) التفسير الميسر: ٤٤٧، وصفوة التفاسير: ٢٨/٣.
(١٧) الدر المنثور: ٥/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٨) تفسير الثعلبي: ١٤٢/٨.

القرآن

{مَا لَكُمْ لَّا تَنَاصِرُونَ (٢٥)} [الصافات : ٢٥]

التفسير:

ويقال لهم توبيحاً: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً؟

عن قتادة، قوله " {ما لكم لا تناصرون}، لا والله لا يتناصرون، ولا يدفع بعضهم عن بعض" (١).
وقال السدي: لا يمنع بعضكم بعضاً من دخول النار" (٢).

القرآن

{بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)} [الصافات : ٢٦]

التفسير:

بل هم اليوم منقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يحددون عنه، غير منتصرين لأنفسهم.
عن قتادة، قوله " {بل هم اليوم مستسلمون}، في عذاب الله" (٣).

القرآن

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧)} [الصافات : ٢٧]

التفسير:

وأقبل بعض الكفار على بعض يتلاومون ويتخاصمون.

عن قتادة، قوله: " {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون}، الإنس على الجن" (٤).

القرآن

{قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩)} [الصافات : ٢٨-٢٩]

التفسير:

قال الأتباع للمتبوعين: إنكم كنتم تأتوننا من قِبَل الدين والحق، فتهوتون علينا أمر الشريعة، وثنقرونا عنها، وتزينون لنا الضلال. وقال المتبوعون للتابعين: ما الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان.

قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} [الصافات : ٢٨]، أي: " قال الأتباع للمتبوعين: إنكم كنتم تأتوننا من قِبَل الدين والحق، فتهوتون علينا أمر الشريعة، وثنقرونا عنها، وتزينون لنا الضلال" (٥).

واختلف أهل العلم في قوله تعالى: {تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} [الصافات : ٢٨]، على وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: من قبل ميامنكم. قاله ابن خفيف (٦).

الثاني : من قبل الخير فتصدوننا عنه وتمنعوننا منه، قاله الحسن (٧)، وقتادة (٨).

قال الحسن: " كانوا يأتونهم، عند كل خير ليصدوهم، عنه" (١).

(١) أخرجه الطبري: ٣٠/٢١.

(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٨/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٠/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٠/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٥/٥.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٦٧): ص ٣٢٠٩/١٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢١.

وقال قتادة: " قالت الإنس للجن: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: من قبل الخير، فتنهوننا عنه، وتبطنوننا عنه" (٢).

الثالث: من حيث نأمنكم، قاله عكرمة (٣).

الرابع: من قبل الحق أنه معكم، قاله مجاهد (٤)، والسدي (٥).

وقال السدي: " تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل، وتصدوننا عن الحق" (٦).

وقال مجاهد: " «يعني عن الحق، الكفار يقولونه للشياطين" (٧).

الخامس: من قبل الأموال، ترغبون فيها أنها تنال بما تدعون إليه فتتبعون عليه، وهو معنى قول الحسن (٨).

قوله تعالى: {قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الصافات: ٢٩]، أي: " وقال المتبوعون للتابعين: ما الأمر

كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان" (٩).

قال الحسن: " لو كنتم مؤمنين مُنِعْتُمْ مِنَّا" (١٠).

قال قتادة: " قالت الجن للإنس: {بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} حتى بلغ {قَوْمًا طَاغِينَ} (١١).

القرآن

{وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)} [الصافات: ٣٠]

التفسير:

وما كان لنا عليكم من حجة أو قوة، فنصدكم بها عن الإيمان، بل كنتم -أيها المشركون- قوماً طاغين متجاوزين للحق.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ} [الصافات: ٣٠]، أي: " وما كان لنا عليكم من حجة أو

قوة، فنصدكم بها عن الإيمان" (١٢).

عن السدي، قوله: " {وما كان لنا عليكم من سلطان}، قال: الحجة" (١٣).

قال قتادة: " قالت لهم الجن: {بل لم تكونوا مؤمنين}، حتى بلغ: {قوما طاغين} (١٤).

قوله تعالى: {بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ} [الصافات: ٣٠]، أي: " بل كنتم -أيها المشركون- قوماً طاغين

متجاوزين للحق" (١٥).

عن السدي، قوله: " {بل كنتم قوما طاغين}، قال: كفار ضلال" (١٦).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٦٧) :ص ٣٢٠٩/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣١/٢١.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١١/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٢/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(٧) تفسير مجاهد: ٥٦٧، وتفسير الطبري: ٣١/٢١.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٦/٥.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(١٠) الدر المنثور: ٨٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١١) أخرجه الطبري: ٣١/٢١، وانظر: الدر المنثور: ٨٦/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(١٥) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(١٦) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

القرآن

{فَحَقُّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١)} [الصافات : ٣١]

التفسير:

فلزمنًا جميعًا وعيد ربنا، إنا لذائقو العذاب، نحن وأنتم، بما قدمنا من ذنوبنا ومعاصينا في الدنيا.
عن قتادة: "فحق علينا قول ربنا، الآية. قال: هذا قول الجن"^(١).

القرآن

{فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢)} [الصافات : ٣٢]

التفسير:

فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به، إنا كنا ضالين من قبلكم، فهلكننا؛ بسبب كفرنا، وأهلكناكم معنا.
قال السدي: "الشياطين تقول {فأعويناكم} في الدنيا {إنا كنا غاوين}"^(٢).

القرآن

{فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣)} [الصافات : ٣٣]

التفسير:

فإن الأتباع والمتبوعين مشتركون يوم القيامة في العذاب، كما اشتروا في الدنيا في معصية الله.
قال السدي: " {فإنهم يومئذ} ومن أعوروا في الدنيا {في العذاب مشتركون}"^(٣).
قال السدي: " لا يمنع بعضكم بعضًا من دخول النار"^(٤).

القرآن

{إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)} [الصافات : ٣٤ -

٣٥]

التفسير:

إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، فنذيقهم العذاب الأليم. إن أولئك المشركين كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ودعوا إليها، وأمروا بترك ما ينافيها، يستكبرون عنها وعلى من جاء بها.

سبب نزول الآية [٣٥]:

قال مقاتل بن سليمان: " {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون} نزلت في الملاء من قريش الذين مشوا إلى أبي طالب، فقال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: «قولوا: لا إله إلا الله. تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم بها»^(٥).

عن السدي: {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون} يعني: المشركين خاصة"^(٦).
عن قتادة، قوله: " {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون}، قال: قال عمر بن الخطاب: احضروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، فإنهم يرون ويسمعون"^(٧).

(١) أخرجه الطبري: ٣٣/٢١.

(٢) الدر المنثور: ٨٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) الدر المنثور: ٨٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤) علقه يحيى بن سلام ٨٢٨ / ٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٦٠٦ / ٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

، قال أبو العلاء: "يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : الله وعزيرًا. فيقال لهم : خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : نعبد الله والمسيح. فيقال لهم : خذوا ذات الشمال. ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم : "لا إله إلا الله" ، فيستكبرون. ثم يقال لهم : "لا إله إلا الله" ، فيستكبرون. ثم يقال لهم : خذوا ذات الشمال - قال أبو نصر : فينطلقون أسرع من الطير - قال أبو العلاء : ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله. فيقال لهم : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم. فيقال لهم : فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ قالوا : نعلم أنه لا عدلَ له. قال : فيتعرف لهم تبارك وتعالى ، وينجي الله المؤمنين"^(١).

القرآن

{وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَنَّا رَكُو إِلَهَيْنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦)} [الصافات : ٣٦]

التفسير:

ويقولون: أنترك عبادة آلهتنا لقول رجل شاعر مجنون؟ يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال قتادة: "يعنون: محمدا صلى الله عليه وسلم"^(٢).

القرآن

{بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧)} [الصافات : ٣٧]

التفسير:

كذبوا، ما محمد كما وصفوه به، بل جاء بالقرآن والتوحيد، وصدق المرسلين فيما أخبروا به عنه من شرع الله وتوحيده.

قوله تعالى: {بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ} [الصافات : ٣٧]، أي: "ليس الأمر كما يفترون بل جاءهم محمد بالتوحيد والإسلام الذي هو الحق الأبلج"^(٣).

عن قتادة: " {بل جاء بالحق}، بالقرآن"^(٤).

قوله تعالى: {وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ} [الصافات : ٣٧]، أي: " وصدق المرسلين فيما أخبروا به عنه من شرع الله وتوحيده"^(٥).

قال قتادة: "أي: صدق من كان قبله من المرسلين"^(٦).

القرآن

{تَنَكَّمُ لَدَائِفُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨)} [الصافات : ٣٨]

التفسير:

إنكم -أيها المشركون- بقولكم وكفركم وتكذيبكم لذائقو العذاب الأليم الموجه.

قال أبو العالية: "الأليم: الموجه في القرآن كله"^(٧)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك^(٨).

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(٣) صفوة التفسير: ٢٩/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

القرآن

{وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣)} [الصافات : ٣٩ - ٤٣]

التفسير:

وما تجزون في الآخرة إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي. إلا عباد الله تعالى الذين أخلصوا له في عبادته، فأخلصهم واختصهم برحمته؛ فإنهم ناجون من العذاب الأليم. أولئك المخلصون لهم في الجنة رزق معلوم لا ينقطع. ذلك الرزق فواكه متنوعة، وهم مكرمون بكرامة الله لهم في جنات النعيم الدائم.

قوله تعالى: {إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ} [الصافات : ٤٠]، أي: "إلا عباد الله تعالى الذين أخلصوا له في عبادته، فأخلصهم واختصهم برحمته؛ فإنهم ناجون من العذاب الأليم" (٢).

عن قتادة: "إلا عباد الله المخلصين"، قال: هذه ثنية الله" (٣).

قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَوَاكِهُ} [الصافات : ٤١]، أي: "أولئك المخلصون لهم في الجنة رزق معلوم لا ينقطع، ذلك الرزق فواكه متنوعة" (٤).

عن قتادة والسدي: "أولئك لهم رزق معلوم"، في الجنة" (٥).

قوله تعالى: {وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [الصافات : ٤٣]، أي: "وهم مكرمون بكرامة الله لهم في رياض وبساتين يتنعمون فيها" (٦).

قال مجاهد: "الجنات: حوائط" (٧).

عن مالك بن دينار، قال: "جنات النعيم بين جنان الفردوس وبين جنات عدن، وفيها جوارى خلقن من ورد الجنة، قيل: فمن يسكنها؟ قال: الذين عملوا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انتنت أصلابهم من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب" (٨).

القرآن

{عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤)} [الصافات : ٤٤]

التفسير:

ومن كرامتهم عند ربهم وإكرام بعضهم بعضاً أنهم على سرر متقابلين فيما بينهم.

عن مجاهد، قوله: "عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ"، قال: لا يرى بعضهم قفا بعض" (٩).

عن أبي صلح في قوله: {إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر : ٤٧]، قال: "عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ملك وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن مسعود" (١٠).

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٥/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٥/٢١.

(٦) صفوة التفاسير: ٢٩/٣.

(٧) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٩٤): ص ١١٧٠/٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٠٤): ص ٢٢٦٧/٧.

(١٠) تفسير سفيان الثوري (٤٧٤ : ٦ : ٩): ص ١٦٠.

عن زيد بن أبي أوفى قال : "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية { عَلَى سُرُرٍ مُّقَابِلِينَ }، ينظر بعضهم إلى بعض" (١).

القرآن

{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيِّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَّا فِيهَا عَوَلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧)}
[الصفات : ٤٥-٤٧]

التفسير:

يدار عليهم في مجالسهم بكؤوس خمر، من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها، بيضاء في لونها، لذيدة في شربها، ليس فيها أذى للجسم ولا للعقل.

قوله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} [الصفات : ٤٥]، أي: "يدار عليهم في مجالسهم بكؤوس خمر، من أنهار جارية" (٢).

عن قتادة: "يطاف عليهم بكأس من معين"، قال: كأس من خمر جارية، والمعين: هي الجارية" (٣).

عن السدي، قوله: "بكأس من معين"، قال: الخمر" (٤).

قال سعيد بن جبير: "المعين: الخمر" (٥).

قال الضحاك: "كل كأس في القرآن فهو خمر" (٦).

قال مالك ، عن زيد بن أسلم : "خمر جارية بيضاء ، أي : لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء ، من حمرة أو سواد أو أصفرار أو كدورة ، إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم" (٧).

قوله تعالى: {بَيِّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} [الصفات : ٤٦]، أي: "هذه الخمر بيضاء في لونها، لذيدة في شربها" (٨).

قال السدي: "في قراءة عبد الله: «صفراء»" (٩).

قوله تعالى: {لَّا فِيهَا عَوَلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [الصفات : ٤٧]، أي: "ليس فيها ما يغال عقولهم فيفسدها، ولا هم يسكرون بشربها كما تفعل خمر الدنيا" (١٠).

وفي قوله تعالى: {لَّا فِيهَا عَوَلٌ} [الصفات : ٤٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : ليس فيها وجع البطن ، قاله مجاهد (١١).

الثاني: ليس فيها أذى ولا مكروه، قاله سعيد بن جبير (١٢).

الثالث : ليس فيها وجع بطن، ولا صداع رأس. قاله قتادة (١).

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٢/٧. وقال: حديث غريب".
ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٣/٣٨٦) في ترجمة زيد بن أبي أوفى من طريق حسان بن حسان به ، وقال : "لا يتابع عليه".

(٢) التفسير الميسر : ٤٤٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٧٩):ص١٠/٣٢١١١.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(٧) نقلًا عن تفسير ابن كثير: ١٣/٧.

(٨) التفسير الميسر : ٤٤٧، وصفوة التفاسير: ٢٩/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(١٠) صفوة التفاسير: ٢٩/٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.

وقال سعيد بن جبير في رواية:- "وجع بطن ولا هم"^(٢)
الرابع : أنها لا تغتال عقولهم، قاله السدي^(٣)، ومنه قول الشاعر^(٤):
وما زالت الكأس تغتالنا ... وتذهب بالأول الأول

ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه، وذلك أن الغول في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به، فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل، فقالوا: غالت فلانا غول، فالذاهب العقل من شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غول. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غول، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جل ثناؤه: {لا فيها غول} فيعم بنفي كل معاني الغول عنه، وأعم ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربها في جسم ولا عقل، ولا غير ذلك^(٥).

وفي قوله تعالى: {وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [الصفافات : ٤٧]، وجوه من التفسير:
أحدها: لا تذهب عقولهم بالسكر، قاله مجاهد^(٦)، وقتادة^(٧)، والسدي^(٨)، ومنه قول الشاعر^(٩):

لعمري لئن أنزقتم أو صحوثم ... لبئس الندامى كنتم آل أبجرا
وقال قتادة: "لا تصدع رءوسهم، ولا توجه عقولهم"^(١٠).

الثاني: معناه: لا مكروه فيها ولا أذى. قاله سعيد بن جبير^(١١).

الثالث : أي: لا تفنى، مأخوذ من: نزف الركبة ، قاله أبو عمرو بن العلاء^(١٢)، ومنه قول الشاعر^(١٣):

دَعِينِي-لَا أَبَا لِكَ- لَنْ تُطِيقِي ... لحاكِ اللّٰه! قَدْ أَنْزَفْتِ رِيقِي

وقد يختلف هذا التفسير باختلاف القراءة، فقرأ حمزة والكسائي: «ينزفون» -بكسر الزاي- ، وقرأ الباقون: «يُنْزَفُونَ» -بفتح الزاي-، والفرق بينهما أن الفتح من: نزف فهو منزوف، إذا ذهب عقله بالسكر، والكسر من: أنزف فهو منزوف، إذا فنيته خمره^(١٤).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٧٩):ص٣٢١١/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.

(٤) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٦٩/٢، وتفسير الطبري: ٣١ / ٢١، وتفسير القرطبي: ٧٩ / ١٥ وهو منسوب لمطيع بن إياس في نسخة.

«مطيع»: الذي ورد اسمه في الفروق: مطيع بن إياس بن أبي قزعة ويكنى مطيع أبا سلم أدرك الدولتين وكان شاعرا ظريفا.
انظر السمط ص ٦٠٠ والأغاني ٧٠ / ١٣.

(٥) تفسير الطبري: ٣٩/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢١.

(٩) البيت للأبي برد الرّياحيّ في مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٦٩/٢، والبيت في الطبري ٣٢ / ٢٣ والصاح واللسان والتاج (نزف) وهو في القرطبي (٧٩ / ١٥) منسوب إلى الخطيب.

وانظر ترجمة «الأبي برد»، في المعمرين: رقم ٥٨، والأغاني: ٩ / ١٢.

(١٠) تفسير عبدالرزاق(٢٥١٦):ص٩٢/٣.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١٧٩):ص٣٢١١/١٠.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٧/٥.

(١٣) البيت لذي جدن الحميري ، في سيرة ابن هشام: ٣٨/١، واخبار مكة للأزرقي: ١٣٤/١، وتاريخ الطبري: ١٢٥/٢، والكشف والبيان: ٢٨٩/١٠، وبلا نسبة في النكت والعيون: ٤٨/٥.

المعنى: أبيضت ريقى في فمى، وقلة الريق من الحصر، وكثرت من قوة النفس وثبات الجأش.

(١٤) انظر: السبعة في القراءات: ٥٤٧، وتفسير الطبري: ٣٩/٢١، والنكت والعيون: ٤٨/٥.

قال أهل العلم " وإنما صرف الله تعالى السكر عن أهل الجنة لئلا ينقطع عنهم التذاد نعيمهم" (١)، فنزه الله خمر الآخرة عن الآفات التي في خمر الدنيا ، من صداع الرأس ووجع البطن - وهو الغول - وذهابها بالعقل جملة" (٢).

القرآن

{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩)} [الصافات : ٤٩]

التفسير:

وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن حسان الأعين، كأنهن بيض مصون لم تمسه الأيدي.

قوله تعالى: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ} [الصافات : ٤٨]، أي: "وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن حسان الأعين" (٣).

عن مجاهد: " {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ}، قال: على أزواجهن; زاد الحارث في حديثه: لا تبغي غيرهم" (٤). وفي رواية: " {قاصرات الطرف على أزواجهن، فلا يبغين غير أزواجهن} " (٥).

قال قتادة: " قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم" (٦).

قال السدي: " قصرن أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم" (٧). وروي عن القرظي نحوه (٨).

وفي «العين»، وجهان من التفسير:

أحدهما : العظام الأعين، قاله السدي (٩).

قال الضحاك: " العين: العظام الأعين" (١٠).

قال السدي: " {عينٌ}، قال: عظام الأعين" (١١).

قال يحيى: "بلغني عن عبد الله بن عمرو، قال: شفر عينها أطول من جناح النسر" (١٢).

وروي عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: قلت: "يا رسول الله أخبرني عن قول الله: {حور عين}، قال: «العين: الضخام العيون; شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر»" (١٣).

الثاني : الحسان العيون، قاله مجاهد (١٤).

أي : حسان الأعين، وقيل : ضخام الأعين. هو يرجع إلى الأول ، وهي النجلاء العيناء ، فوصف عيونهن بالحسن والعفة ، كقول زليخا في يوسف حين جملته وأخرجته على تلك النسوة ، فأعظمته وأكبرنه ، وظنن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره ، قالت : { فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ

(١) النكت والعيون: ٤٨/٥ .

(٢) تفسير ابن كثير: ١٣/٧ .

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٧ .

(٤) أخرجه الطبري: ٤١/٢١ .

(٥) تفسير مجاهد: ٥٦٨ .

(٦) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١ .

(٧) أخرجه الطبري: ٤٢-٤١/٢١ .

(٨) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٠٦): ص ٥٤/٢ .

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢١ .

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٨١): ص ٣٢١٢/١٠ .

(١١) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١ .

(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢ .

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١ .

(١٤) الدر المنثور: ٨٩/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد، وانظر: النكت والعيون: ٤٨/٥ .

فَأَسْتَعَصَمَ { [يوسف : ٣٢] ، أي : هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي ، فأرتهن جماله الظاهر وأخبرتتهن بجماله الباطن، وهكذا الحور العين { خَيْرَاتٌ حِسَانٌ } [الرحمن : ٧٠] ، ولهذا قال : { وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ }^(١).

قوله تعالى: {كَأَنَّهُنَّ بَيِّضٌ مَّكْنُونٌ} [الصفات : ٤٩] ، أي: "كأنهن بيض مصون لم تمسه الأيدي"^(٢). وفي تشبيههم بـ«البيض المكنون»، وجوه :

أحدها : تشبيهاً ببيض النعام يُكَنُّ بالريش من الغبار والريح فهو أبيض إلى الصفرة ، قاله الحسن^(٣).

عن الحسن وزيد بن اسلم: "كأنهن بيض مكنون"، قال: محصون، لم تمرته الأيدي"^(٤). والعرب تشبه النساء ببيض النعام. قال امرؤ القيس^(٥):

كِبْكِرُ الْمُقَانَاتِ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ ... غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرَ مُحَلَّلٍ

و«المكنون»: المصون. يقال. كننت الشيء؛ إذا صنته؛ وأكننته: أخفيتته^(٦).

الثاني : شبهن ببطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء، قاله سعيد بن جبير^(٧)، وقتادة^(٨).

قال سعيد بن جبير: "كأنهن بطن البيض"^(٩).

قال قتادة: "لم تمر به الأيدي ولم تمسه، يشبهن بياضه"^(١٠).

الثالث : تشبيهاً بياض البيض حين ينزع قشرة قبل أن تمسه الأيدي، قاله السدي^(١١).

عن السدي: "كأنهن بيض مكنون"، قال: البيض في عشه"^(١٢).

الرابع : تشبيهاً بالسخاء الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض، قاله عطاء الخراساني^(١٣).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شبهن في بياضهن، وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان بياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملبسة المح قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون؛ فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسه، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها، والعرب تقول لكل مصون مكنون ما كان ذلك الشيء لؤلؤا كان أو بياضا أو متاعا، وتقول لكل شيء أضمرته الصدور: أكننته، فهو مكن^(١٤).

عن أم سلمة "قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: {كأنهن بيض مكنون}، قال: "رقتهن كرقعة الجلدة التي رأيتها في داخل البيضة التي تلي القشر وهي الغرقى"^(١٥).

القرآن

- (١) تفسير ابن كثير : ١٤/٧ .
- (٢) التفسير الميسر : ٤٤٧ .
- (٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٨٦):ص٣٢١٢/١٠، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٨/٥ .
- (٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٨٦)، (١٨١٨٧):ص٣٢١٢/١٠ .
- (٥) ديوانه: ١١٦، والبيت له في اللسان ٦٨/٢٠، والبحر ٣٦٠/٧ .
- (٦) غريب القرآن: ٣٧١ .
- (٧) نانظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١ .
- (٨) نانظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١ .
- (٩) أخرجه الطبري: ٤٣/٢١ . وانظر: الدر المنثور: ٨٩/٧، وزا|نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٤٣/٢١ .
- (١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١ .
- (١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٨٥):ص٣٢١٢/١٠ .
- (١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٨٤):ص٣٢١٢/١٠، وتفسير عبدالرزاق(٢٥١٩):ص٩٢/٣، والدر المنثور: ٨٩/٧ .
- (١٤) تفسير الطبري: ٤٣/٢١-٤٤ .
- (١٥) أخرجه الطبري: ٤٤/٢١ .

{فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١)} [الصفات : ٥٠-٥١]

التفسير:

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ عن أحوالهم في الدنيا وما كانوا يعانون فيها، وما أنعم الله به عليهم في الجنة، وهذا من تمام الأناجس. قال قائل من أهل الجنة: لقد كان لي في الدنيا صاحب ملازم لي.

قوله تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصفات : ٥٠]، أي: "فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ عن أحوالهم في الدنيا وما كانوا يعانون فيها، وما أنعم الله به عليهم في الجنة"^(١).

عن قتادة: "فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ"، أهل الجنة"^(٢).
قوله تعالى: {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ} [الصفات : ٥١]، أي: "قال قائل من أهل الجنة: لقد كان لي في الدنيا صاحب ملازم لي"^(٣).

واختلف أهل التفسير في القرين الذي ذكر في هذا الموضع، على قولين أحدهما: أنه الشيطان كان يغويه فلا يطيعه، قاله مجاهد^(٤).

عن مجاهد: "إني كان لي قرين"، قال: يعني «شيطاناً»^(٥).

الثاني: ما رواه خفيف، عن فرات بن ثعلبة البهراني، في قوله: "إني كان لي قرين"، قال: "إن رجلين كانا شريكين، فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار، وكان أحدهما له حرفة، والآخر ليس له حرفة، فقال الذي له حرفة للآخر: ليس لك حرفة، ما أراني إلا مفارقك ومقاسمك، ففاسمه وفارقه؛ ثم إن الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك قد مات فدعا صاحبه فأراه، فقال: كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار؟ قال: ما أحسنها؛ فلما خرج قال: اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار، وإني أسألك دارا من دور الجنة، فتصدق بألف دينار؛ ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه تزوج امرأة بألف دينار، فدعاه وصنع له طعاما؛ فلما أتاه قال: إني تزوجت هذه المرأة بألف دينار؛ قال: ما أحسن هذا؛ فلما انصرف قال: يا رب إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار، وإني أسألك امرأة من الحور العين، فتصدق بألف دينار؛ قال: ثم دعاه فأراه، فقال: إني ابتعت هذين البستانين، فقال: ما أحسن هذا؛ فلما خرج قال: يا رب إن صاحبي قد اشترى بستانين بألفي دينار، وأنا أسألك بستانين من الجنة، فتصدق بألفي دينار؛ ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما؛ ثم انطلق بهذا المتصدق فأدخله دارا تعجبه، فإذا امرأة تطلع يضيء ما تحتها من حسناتها، ثم أدخله بستانين، وشيئا الله به عليم، فقال عند ذلك: ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا. قال: فإنه ذاك، ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة. قال: فإنه كان لي صاحب يقول: {أنتك لمن المصدقين}، قيل له: فإنه في الجحيم، قال: فهل أنتم مطلعون؟ فاطلع فرآه في سواء الجحيم، فقال عند ذلك: {تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين}. ... الآيات"^(٦).

وقال حفص: "سألت إسماعيل السدي عن هذه الآية: {قال قائل منهم إني كان لي قرين}. يقول إنك لمن المصدقين}، قال: فقال لي: ما ذكرك هذا؟ قلت: قرأته أنفا فأحببت أن أسألك، عنه؟ فقال: أما فاحفظ، كان شريكان في بني إسرائيل، أحدهما مؤمن والآخر كافر، فافترقا على ستة آلاف دينار، كل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار، فمكثا ما شاء الله أن يمكثا، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك؟ أضربت به شيئا؟ أتجرت به في شيء؟ فقال له المؤمن: لا، فما صنعت أنت؟ فقال: اشتريت به أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا. قال: فقال له المؤمن: أو فعلت؟ فقال: نعم. قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه، ثم قال: اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر اشترى

(١) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٥/٢١.

(٥) تفسير مجاهد: ٥٦٨، و تفسير الطبري: ٤٥/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٦-٤٥/٢١.

أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار، ثم يموت غدا ويتركها، اللهم إني اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضا ونخلا وثمارا في الجنة قال: ثم أصبح فقسمها في المساكين. قال: ثم مكثا ما شاء الله أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك، أضربت به في شيء؟ أتجرت به في شيء؟ قال: لا، فما صنعت أنت. قال: كانت ضيعتي قد اشتد علي مؤنتها، فاشتريت رقيقا بألف دينار، يقومون بي فيها، ويعملون لي فيها فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم. قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه، ثم قال: اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر اشتري رقيقا من رقيق الدنيا بألف دينار، يموت غدا ويتركهم أو يموتون فيتركونه، اللهم وإني اشتري منك بهذه الألف الدينار رقيقا في الجنة ثم أصبح فقسمها في المساكين. قال: ثم مكثا ما شاء الله أن يمكثا، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك؟ أضربت به في شيء؟ أتجرت به في شيء؟ قال: لا، فما صنعت أنت؟ قال: أمري كله قد تم إلا شيئا واحدا، فلانة قد مات، عنها زوجها فأصدقته ألف دينار فجاءتني بها ومثلها معها. فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي فلما انصرف أخذ الألف دينار الباقية، فوضعها بين يديه، وقال: «اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر- تزوج زوجة من أزواج الدنيا فيموت غدا فيتركها، أو تموت فتتركه، اللهم وإني أخطب إليك بهذه الألف الدينار حوراء عيناء في الجنة، ثم أصبح فقسمها بين المساكين. قال: فبقي المؤمن ليس، عنده شيء. قال: فلبس قميصا من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبته، يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته. قال: فجاءه رجل فقال: يا عبد الله أتؤاجرني نفسك مشاهرة شهرا بشهر تقوم على دواب لي تعلقها وتكنس سرقيتها؟ قال: نعم: قال فواجره نفسه مشاهرة شهر بشهر، يقوم على دوابه قال: فكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلى دوابه، فإذا رأى منها دابة ضامرة، أخذ برأسه فوجأ، عنقه، ثم يقول له: سرقت شعير هذه البارحة؟ فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال: لا تين شريكي الكافر فلأعملن في أرضه فيطعمني هذه الكسرة يوما، ويكسوني هذين الثوبين إذا بليا قال: فانطلق يريده فلما انتهى إلى بابه وهو ممس فإذا قصر مشيد في السماء، وإذا حوله البوابون فقال لهم: استأذنوا لي صاحب هذا القصر، فإنكم إذا فعلتم سره ذلك. فقالوا له: انطلق إن كنت صادقا فتم في ناحية، إذا أصبحت فتعرض له، قال: فانطلق المؤمن، فألقى نصف كسائه تحته، ونصفه فوقه، ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتعرض له، فخرج شريكه الكافر وهو راكب، فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه، ثم قال: ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت؟ قال: بلى وهذه حالي وهذه حالك؟ قال: أخرني ما صنعت في مالك؟ قال: لا تسألني، عنه. قال: فما جاء بك؟ قال: جئت أعمل في أرضك هذه، فنتعمني هذه الكسرة يوما بيوم، وتكسوني هذين الثوبين إذا بليا. قال: لا، ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا، ولكن لا ترى مني خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك؟ قال: أقرضته قال: من؟ قال: المليء الوفي. قال: من؟ قال: الله ربي. قال وهو مصافحه، فانترع يده من يده، ثم قال: أنك لمن المصدقين. إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمدينون، قال السدي: محاسبون قال: فانطلق الكافر وتركه. قال: فلما رآه المؤمن ليس يلوي عليه رجوع وتركه، يعيش المؤمن في شدة من الزمان، ويعيش الكافر في رخاء من الزمان، قال: فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار، فيقول: لمن هذا؟ فيقال: هذا لك: فيقول: يا سبحان الله. أو بلغ من فضل عملي أن أتاب بمثل هذا؟! قال: ثم يمر فإذا هو برقيق لا تحصى عدتهم، فيقول: لمن هذا؟ فيقال: هؤلاء لك. فيقول: يا سبحان الله، أو بلغ من فضل عملي أن أتاب بمثل هذا؟! قال: ثم يمر فإذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة، فيها حوراء عيناء، فيقول: لمن هذه؟ فيقال: هذه لك. فيقول: يا سبحان الله! أو بلغ من فضل عملي أن أتاب بمثل هذا؟! قال: ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول: { إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ. يَقُولُ أَتَيْتُكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ. أَيُّدًا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أُنْبَا لَمَدِينُونَ }، قال: فالجنة عالية، والنار هاوية، قال: فيريه الله شريكه في وسط الجحيم، من بين أهل النار، فإذا رآه المؤمن عرفه، فيقول: { تَاللَّهِ إِنَّ كِدْتَ لَتُرْدِين. وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ. أَلَمْ نَحْنُ بِمَبْتَئِينَ. إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ }، بمثل ما من عليه.

قال: فيتذكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت"^(١).

القرآن

{يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنََّّا لَمَدِينُونَ (٥٣)} [الصافات : ٥٢-٥٣]

التفسير:

يقول: كيف تصدق بالبعث الذي هو في غاية الاستغراب؟ إذا متنا وتمزقنا وصرنا ترابًا وعظامًا، نُبعث ونُحاسب ونُجازى بأعمالنا؟

قوله تعالى: {إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنََّّا لَمَدِينُونَ} [الصافات : ٥٣]، أي: "إذا متنا وتمزقنا وصرنا ترابًا وعظامًا، نُبعث ونُحاسب ونُجازى بأعمالنا"^(٢).
قال السدي: {إِنََّّا لَمَدِينُونَ}، يعني: "لمحاسبون"^(٣).
عن قتادة، قوله: "أنا لمدينون": "أنا لمحاسبون"^(٤).

القرآن

{قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلِعْ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥)} [الصافات : ٥٤-٥٥]

التفسير:

قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: هل أنتم مُطَّلِعُونَ لنرى مصير ذلك القرين؟ فاطلع فرأى قرينه في وسط النار.

قوله تعالى: {قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ} [الصافات : ٥٤]، أي: "قال ذلك المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مُطَّلِعُونَ إلى النار لتنظر كيف حال ذلك القريب؟"^(٥).
قال قتادة: "سأل ربه أن يطلع"^(٦).

قوله تعالى: {فَاطَّلِعْ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ} [الصافات : ٥٥]، أي: "فنظر فأبصر صاحبه الكافر في وسط الجحيم يتلظى سعيرها"^(٧).

عن قتادة، قوله: "في سواء الجحيم"، وسطها"^(٨).

وقال قتادة: "ذكر لنا أن كعب الأحماس رضي، عنه قال: في الجنة كوى. فإذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فإزداد شكرًا"^(٩).

قال مطرف بن عبد الله: "والله لولا أنه عرفه ما عرفه، لقد غيرت النار حبره وسبره"^(١٠).
عن قتادة، عن خليلد العصري، قال: "لولا أن الله عرفه إياه ما عرفه، لقد تغير حبره وسبرة بعده، وذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم، فقال: {تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين}"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٩١) ص: ٣٢١٣/١٠-٣٢١٥. وهذا من أخبار بني إسرائيل التي لا يعتمد عليها.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٦/٢١، وحكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣١/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٦/٢١.

(٥) صفوة التفسير: ٣١/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

(٧) صفوة التفسير: ٣١/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٩٥) ص: ٣٢١٦/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٩-٤٨/٢١.

قال السدي: "كان ابن عباس يقرؤها: «هل أنتم مطلعوني فاطلع فرآه في سواء الجحيم»، قال: في وسط الجحيم"^(٢).

القرآن

{قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتُرْدِينَ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةٌ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧)} [الصافات : ٥٦-٥٧]

التفسير:

قال المؤمن لقرينه المنكر للبعث: لقد قاربت أن تهلكني بصدق إياي عن الإيمان لو أطعتك. ولولا فضل ربي بهدايتي إلى الإيمان وتثبيتي عليه، لكنت من المحضرين في العذاب معك.

قوله تعالى: {قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتُرْدِينَ} [الصافات : ٥٦]، أي: "قال المؤمن لقرينه المنكر للبعث:

والله لقد قاربت أن تهلكني بصدق إياي عن الإيمان لو أطعتك"^(٣).

عن السدي، قوله: "إن كدت لتردين"، قال: لتهلكني"^(٤).

وقال السدي: "يعني: تالله لقد كدت تغوين"^(٥).

وفي قراءة عبد الله: «إن كدت لتغوين»"^(٦).

قوله تعالى: {وَلَوْلا نِعْمَةٌ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} [الصافات : ٥٧]، أي: "ولولا فضل ربي

بهدايتي إلى الإيمان وتثبيتي عليه، لكنت من المحضرين في العذاب معك"^(٧).

عن قتادة: "لكنت من المحضرين"، أي: في عذاب الله"^(٨).

عن السدي، قوله: "لكنت من المحضرين"، قال: من المعذبين"^(٩).

القرآن

{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠)}

[الصافات : ٥٨-٦٠]

التفسير:

أحقاً أننا مخدّون منعمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة؟ إن ما نحن فيه من نعيم لهُوَ الظَّفَرُ الْعَظِيمُ.

قوله تعالى: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)} [الصافات : ٥٨-٥٩]،

أي: "أحقاً أننا مخدّون منعمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة؟"^(١٠).

قال أبو سليمان الدمشقي: "إنما خاطب المؤمن أهل الجنة بهذا على طريق الفرح بدوام النعيم، لا

على طريق الاستفهام، لأنه قد علم أنهم ليسوا بميتين، ولكن أعاد الكلام ليزداد بتكراره على سمعه سروراً"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٩/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٨. [بتصرف]

(٤) أخرجه الطبري: ٥٠/٢١.

(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٢/٢.

(٦) معاني القرآن للفراء: ٣٨٥/٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٥١/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٥١/٢١.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٨.

قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الصفات : ٦٠]، أي: "إِنَّ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ لَهُوَ الظَّفَرُ الْعَظِيمُ"^(٢).

عن قتادة، قوله: "أفما نحن بميتين" إلى قوله: {الفوز العظيم}، قال: هذا قول أهل الجنة"^(٣). قال الحسن البصري: "علموا أن كل نعيم بعد الموت يقطعه، فقالوا: {أفما نحن بميتين}. إلا مَوْتَنَا الأولى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ}، قيل: لا. قالوا: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}"^(٤).

القرآن

{لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١)} [الصفات : ٦١]

التفسير:

لمثل هذا النعيم الكامل، والخلود الدائم، والفوز العظيم، فليعمل العاملون في الدنيا؛ ليصيروا إليه في الآخرة. عن قتادة: "يقول الله: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ}"^(٥). قال السدي: "بمثل ما قد منَّ عليه"^(٦).

القرآن

{أَذَلِّكَ خَيْرٌ نَزَّلْنَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢)} [الصفات : ٦٢]

التفسير:

أذلك الذي سبق وصفه من نعيم الجنة خير ضيافة وعطاء من الله، أم شجرة الزقوم الخبيثة الملعونة، طعام أهل النار؟

سبب النزول الآيتان [٦٢-٦٣]:

قال السدي: "قال أبو جهل لما نزلت: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ} [الدخان : ٤٣]، قال: تعرفونها في كلام العرب: أنا أتاكم بها، فدعا جارية، فقال: ائتيني بتمر وزبد، فقال: دونكم تزقموا، فهذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تفسيرها: {أَذَلِّكَ خَيْرٌ نَزَّلْنَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)} [الصفات : ٦٢ - ٦٣]، قال: لأبي جهل وأصحابه"^(٧).

القرآن

{إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)} [الصفات : ٦٣]

التفسير:

إننا جعلناها فتنة افتتن بها الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي، وقالوا مستنكرين: إن صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر.

(١) انظر: زاد المسير: ٥٤٢/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٥١/٢١، وانظر: الدر المنثور: ٩٤/٧، وزاد نسبه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٩٧): ص ٣٢١٦/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٥) الدر المنثور: ٩٤/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٩١): ص ٣٢١٥/١٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

عن مجاهد، قوله: "إنا جعلناها فتنة للظالمين"، قال: قول أبي جهل: إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه"^(١).

القرآن

{إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَا لُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨)} [الصافات ٦٤-٦٨]

التفسير:

إنها شجرة تنبت في قعر جهنم، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين، فإذا كانت كذلك فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، فإن المشركين لآكلون من تلك الشجرة فمالئون منها بطونهم. ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شرابًا خليطًا قبيحًا حارًّا، ثم إن مردّهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار. سبب نزول الآيات: [٦٤-٦٨]:

قال قتادة: "لما نزلت هذه الآية [إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ] دعا أبو جهل بتمر وزبد فقال: تزقموا فما نعلم الزقوم إلا هذا، فأنزل الله: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ٦٤] إلى قوله: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ} [٦٧] {ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ} [٦٨-٦٧] [الصافات: ٦٧-٦٨]"^(٢). وفي رواية قال قتادة: "لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة، فقالوا: ينبئكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ما تسمعون: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ٦٤]، غذيت بالنار ومنها خلقت"^(٣).

قال يحيى بن سلام: "أخبرني صاحب لي عن السدي قال: لما نزلت: {أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ} [الصافات: ٦٢]، قالوا: ما نعرف هذه الشجرة، فقال عبد الله بن الزبير: لكنني والله أعرفها، هي شجرة تكون بإفريقية، فلما نزل: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [٦٤] {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [٦٥] [الصافات: ٦٤-٦٥]، قالوا ما يشبه هذه التي يصف محمد ما قال ابن الزبير"^(٤). قوله تعالى: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ٦٤]، أي: "إنها شجرة تنبت في قعر جهنم"^(٥).

قال قتادة: "أي: غذيت بالنار، ومنها خلقت"^(٦). قوله تعالى: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [الصافات: ٦٥]، أي: "ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين"^(٧).

عن قتادة، قوله: "طلعتها كأنه رؤوس الشياطين"، قال: شبهه بذلك"^(٨). عن وهب بن منبه، قوله: "طلعتها كأنه رؤوس الشياطين"، قال: شعور الشياطين، قائمة إلى السماء"^(٩).

في قراءة عبد الله: «إنها شجرة نابثة في أصل الجحيم»^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

(٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٣/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٢/٢١.

(٤) تفسير يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٣/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٩٨): ص ٣٢١٦/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٩٩): ص ٣٢١٦/١٠.

قوله تعالى: {فَأَنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ} [الصافات : ٦٦-٦٧] ، أي: "فإن المشركين لأكلون من تلك الشجرة، فمالئون منها بطونهم، ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شرابًا خليطًا قبيحًا حارًا"^(٢).

قال السدي: "الشوب: الخلط، وهو المزج"^(٣).

عن قتادة، قوله: "ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم"^(٤).

عن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه-، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول: «يقرب يعني إلى أهل النار - ماء فيتكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه فيه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره»^(٥).

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ لِلْإِلَهِ الْجَحِيمِ} [الصافات : ٦٨] ، أي: "ثم إن مردّهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار"^(٦).

قال قتادة: "فهم في عناء وعذاب من نار جهنم، وتلا هذه الآية: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ أَنْ} [الرحمن : ٤٤]"^(٧).

قال سعيد بن جبیر: "إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم، فلو إن مارا يمر بهم يعرفهم لعرف وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش، فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل. - وهو الذي قد انتهى حره- فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت، عنها الجلود، ويصهر ما في بطونهم، فيمشون تسيل أمعاؤهم، وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله، يدعون بالثبور"^(٨).

قال السدي: "في قراءة عبد الله: «ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم»^(٩)، وكان عبد الله يقول: والذي نفسي بيده، لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، ثم قال: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}"^(١٠).

عن أبي عبيدة، قال: "قال عبد الله بن مسعود: لا ينتصف النهار حتى يقيل أهل الجنة وأهل النار ثم قرأ: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}، ثم قرأ: {إِنَّ مَرَجِعَهُمْ لِلْإِلَهِ الْجَحِيمِ} [الصافات : ٦٨]"^(١١).

القرآن

{ثُمَّ أَلْفُوا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)} [الصافات : ٦٩-٧٠]

التفسير:

إنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال، فسارعوا إلى متابعتهم على ذلك.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٠): ص ٣٢١٧/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٦/٢١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٢): ص ٣٢١٧/١٠.

(٩) وفي تفسير ابن كثير: ٢١/٧، بلفظ: «ثم إن مقلبيهم لإلى الجحيم».

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٦/٢١.

(١١) تفسير سفيان الثوري (٧٣٣: ٣: ١): ص ٢٢٦. وفي تفسير ابن كثير: ٢١/٧، بلفظ: «ثم إن مقلبيهم لإلى الجحيم». وقال ابن كثير: "على هذا التفسير تكون "ثم عاطفة لخبر على خبر".

قوله تعالى: {إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ} [الصفات : ٦٩]، أي: "إنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال"^(١).

عن مجاهد، قوله: " {إنهم أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ}، قال جاهلين"^(٢).
قوله تعالى: {فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهَرَّعُونَ} [الصفات : ٧٠]، أي: " فهم يُسرعون في اتباع خطاهم من غير دليل ولا برهان"^(٣).

عن السدي، قوله: " {يُهَرَّعُونَ}، قال: يُسرعون"^(٤).
عن مجاهد: " {فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهَرَّعُونَ}، قال: كهينة الهرولة"^(٥).
عن قتادة: " {فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهَرَّعُونَ}، أي: يُسرعون إسراعاً في ذلك"^(٦).

القرآن

{وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ (٧١)} [الصفات : ٧١]

التفسير:

ولقد ضلَّ عن الحق قبل قومك -أيها الرسول- أكثر الأمم السابقة.
قال السدي: " يعني: غوي قبلهم أكثر الأولين فكفروا"^(٧).

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ (٧٣)} [الصفات : ٧٢ - ٧٣]

التفسير:

ولقد أرسلنا في تلك الأمم مرسلين أنذروهم بالعذاب فكفروا، فتأمل كيف كانت نهاية تلك الأمم التي أنذرت، فكفرت؟ فقد عُدَّت، وصارت للناس عبرة.
عن الحسن: {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ}، قال: " كيف عذب الله قوم نوح، وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله"^(٨).

القرآن

{إِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (٧٤)} [الصفات : ٧٤]

التفسير:

إلا عباد الله الذين أخلصهم الله، وخصَّهم برحمته لإخلصهم له.
عن السدي، قوله: " {إِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ}، قال: الذين استخلصهم الله"^(٩).
قال أبو العالية: " أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٤): ص ٣٢١٧/١٠.

(٣) صفوة التفاسير: ٣٣/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٧/٢١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٤): ص ٣٢١٧/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٧/٢١.

(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٤/٢.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٥): ص ٣٢١٨/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٨/٢١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٢١): ص ٢١٤٦/٧.

القرآن

{وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥)} [الصافات : ٧٥]

التفسير:

ولقد نادانا نبينا نوح؛ لننصره على قومه، فلنعم المجيبون له نحن.
عن قتادة: "وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ"، قال: أجابه الله^(١).

القرآن

{وَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)} [الصافات : ٧٦]

التفسير:

وجعلناه وأهله والمؤمنين معه من أذى المشركين، ومن الغرق بالطوفان العظيم.
عن السدي: {وَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}، قال: من الغرق^(٢)، وفي رواية: "من غرق الطوفان"^(٣).

القرآن

{وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧)} [الصافات : ٧٧]

التفسير:

وجعلنا ذرية نوح هم الباقين بعد غرق قومه.

قال قتادة: "فالناس كلهم من ذرية نوح"^(٤).

عن سعيد بن المسيب في قوله جلّ وعزّ: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ}: "أنّ الناس كلهم من ولد نوح صلى الله عليه وسلم، وأنهم كلهم من ثلاثة أولاد لنوح سام وحام ويافث فالعرب يعني يمنيها ونزارها والروم والفرس من ولد سام، والسودان يعني أجناسهم من السند والهند والزرغاوة وغيرهم والبربر والقبط من ولد حام، والصقالب والترك وأجوج ومأجوج من ولد يافث. والخير في ولد سام"^(٥).
عن سمرّة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في قوله: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ}، قال: «سام وحام ويافث»^(٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولد نوح ثلاثة: سام، وحام، ويافث. فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج، والترك والصقالبة ولا خير فيهم، وأما ولد حام فالقبط، والبربر، والسودان»^(٧).

القرآن

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨)} [الصافات : ٧٨]

التفسير:

وأبقينا له ذكراً جميلاً وثناءً حسناً فيمن جاء بعده من الناس يذكرونه به.

قال السدي: "الثناء الحسن"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٥٨/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٩/٢١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٧): ص ٣٢١٨/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٩/٢١.

(٥) رواه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٨٨/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٩/٢١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢١٠): ص ٣٢١٨/١٠.

قال قتادة: "أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين"^(٢).
وقال مجاهد: "جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم"^(٣).

القرآن

{سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩)} [الصافات : ٧٩]

التفسير:

أمان لنوح وسلامة له من أن يُذكر بسوء في الآخرين، بل تُثني عليه الأجيال من بعده.
قال السدي: "يعني: ما كان بعد نوح الثناء الحسن، يقال لنوح من بعده في الناس"^(٤).
قال سعيد بن المسيب: "وبلغني أنه من قال حين يمسي: {سلام على نوح في العالمين}، لم تلدغه عقرب"^(٥).

القرآن

{إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ (٨٢)} [الصافات :

٨٠ - ٨٢]

التفسير:

مثل جزاء نوح نجزي كلَّ مَنْ أحسن من العباد في طاعة الله. إن نوحًا من عبادنا المصدقين المخلصين العاملين بأوامر الله. ثم أعرَفنا الآخرين المكذبين من قومه بالطوفان، فلم تبق منهم عين تُطرف.
قال قتادة: "أنجاه الله ومن معه في السفينة، وأغرق بقية قومه"^(٦).

القرآن

{وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَيْفَا

أَلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧)} [الصافات : ٨٣-٨٧]

التفسير:

وإنَّ من أشياع نوح على منهاجه وملته نبيُّ الله إبراهيم، حين جاء ربه بقلب بريء من كل اعتقاد باطل وخُلُق ذميم، حين قال لأبيه وقومه منكرًا عليهم: ما الذي تعبدونه من دون الله؟ أتريدون آلهة مختلفة تعبدونها، وتتركون عبادة الله المستحق للعبادة وحده؟ فما ظنكم برب العالمين أنه فاعل بكم إذا أشركتم به وعبدتم معه غيره؟

قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ} [الصافات : ٨٣]، أي: "وإنَّ من أشياع نوح على منهاجه وملته نبيُّ الله إبراهيم"^(٧).

وفي تفسير قوله تعالى: {مِنْ شِيعَتِهِ} [الصافات : ٨٣]، وجهان:
أحدهما: معناه: من أهل دينه، قاله قتادة^(٨)، والسدي^(٩).

(١) أخرجه الطبري: ٦٠/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٠/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٠/٢١.

(٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٣٥/٢.

(٥) ذكره أبو عمر في التمهيد، نقلًا عن تفسير القرطبي: ٩٠/١٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٦١/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢١.

وقال قتادة: "على دينه وملته"^(١).
 الثاني : من شيعه نوح إبراهيم على مناجه وسننه، قاله مجاهد^(٢).
 قوله تعالى: {إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ} [الصافات : ٨٤] ، أي: "حين جاء ربه بقلب بريء من كل اعتقاد باطل وخلق ذميم"^(٣).
 عن مجاهد، قوله: {إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ}، قال: ليس فيه شك"^(٤).
 قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَفَبِكَا إِلَهَةٍ تُولُونَ اللَّهُ تَرِيدُونَ} [الصافات : ٨٥-٨٦]، أي: "حين قال لأبيه وقومه منكرًا عليهم: ما الذي تعبدونه من دون الله؟ أتريدون آلهة مختلفًا تعبدونها وتتركون عبادة الله المستحق للعبادة وحده"^(٥).
 عن قتادة: "أَفَبِكَا إِلَهَةٍ}، قال: أكذبًا آلهة دون الله تريدون"^(٦).
 قوله تعالى: {فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات : ٨٧]، أي: "فما ظنكم برب العالمين أنه فاعل بكم إذا أشركتم به وعبدتم معه غيره"^(٧).
 قال قتادة: يقول: إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره"^(٨).

القرآن

{فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠)} [الصافات : ٨٨-٩٠]
 التفسير:

فنظر إبراهيم نظرة في النجوم -على عادة قومه في ذلك- متفكرًا فيما يعتذر به عن الخروج معهم إلى أعيادهم، فقال لهم: إني مريض. وهذا تعريض منه. فتركوه وراء ظهورهم.
 قوله تعالى: {فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩)} [الصافات : ٨٨ - ٨٩]، أي: "فنظر إبراهيم نظرة في النجوم -على عادة قومه في ذلك- متفكرًا فيما يعتذر به عن الخروج معهم إلى أعيادهم، فقال لهم: إني مريض"^(٩).
 عن السدي: "فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ}، يعني: في الكواكب"^(١٠).
 وفي قوله تعالى: {فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ} [الصافات : ٨٨]، وجوه من التفسير:
 أحدها : أنها كلمة من كلام العرب إذا تفكر الرجل في أمره وتدبر ماذا يفعل، قالوا: قد نظر في النجوم ، قاله قتادة^(١١).

عن الحسن: "أنه نظر فيما نجم من قولهم، أي: ظهر، وذلك أنهم لما كلفوه أن يخرج معهم تفكر نبي الله-عليه السلام- فيما يعمل، فعلم أن كل شيء يسقم، فقال: إني سقيم"^(١٢).
 الثاني: معناه: نظر إلى النباتات، كقوله: {وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ} [الرحمن : ٦]، وأراد بـ«النجم»: ما لا ساق له من النباتات، وبـ«الشجر»: ما له ساق. وهذا قول أبو عمرو بن العلاء^(١).

- (١) أخرجه الطبري: ٦١/٢١.
- (٢) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٢١٣):ص٣٢١٩/١٠.
- (٣) التفسير الميسر: ٤٤٩.
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢١٣):ص٣٢١٩/١٠.
- (٥) التفسير الميسر: ٤٤٩.
- (٦) الدر المنثور: ١٠٠/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
- (٧) التفسير الميسر: ٤٤٩.
- (٨) أخرجه الطبري: ٦٣/٢١.
- (٩) التفسير الميسر: ٤٤٩.
- (١٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٣٦/٢.
- (١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٢١٦):ص٣٢١٩/١٠.
- (١٢) انظر: النكت والعيون: ٥٥/٥.

الثالث: أنه نظر في علم النجوم أو في كتبها أو في أحكامها على ما ينظر فيه أهل النجوم^(٢)، وكأيدهم بذلك عن دينه، وكانوا أهل نجوم، ويزعمون أن الأحكام تصدر منها، والحوادث تكون عنها؛ فنظر في النجوم، وقال هذه المقالة ليتركوه، ويتوصل بذلك إلى كيد أصنامهم. وهذا قول سعيد بن المسيب^(٣).

عن قتادة، عن سعيد بن المسيب: "أنه رأى نجماً طلع فقال: {إني سقيم}، قال: كأيدهم^(٤) نبي الله عن دينه، فقال: إني سقيم"^(٥).

وحكي الماوردي عن عبيد الله بن عائشة: "أن علم النجوم كان من النبوة، فلما حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون أبطل ذلك، فنظر إبراهيم فيها كان علماً نبوياً"^(٦).

وحكى جويبر عن الضحاك: "أن علم النجوم كان باقياً إلى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام حتى دخلوا عليه في موضع لا يطلع عليه فقالت لهم مريم من أين علمتم موضعه؟ قالوا: من النجوم، فدعا ربه عند ذلك فقال: اللهم فوهمهم في علمها فلا يعلم علم النجوم أحد، فصار حكمها في الشرع محظوراً وعلمها في الناس مجهولاً"^(٧).

وقال الجمهور نظر نجوم السماء، وروي أن علم النجوم كان عندهم منظوراً فيه مستعملاً فأوهمهم هو من تلك الجهة، وذلك أنهم كانوا أهل رعاية وفلاحة، وهاتان المعيشتان يحتاج فيهما إلى نظر في النجوم^(٨).

وفي قوله تعالى: {فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ} [الصفوات: ٨٩]، وجهان من التفسير: أحدهما: معناه: سأسقم سقم الموت، لأن من كتب عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت، وهذا تورية وتعريض. قاله الضحاك^(٩).

قال الضحاك: "قالوا لإبراهيم وهو في بيت آلهتهم: أخرج معنا، فقال لهم: إني مطعون، فتركوه مخافة أن يعديهم"^(١٠).

الثاني: أنه أشار لهم إلى مرض وسقم يعدي كاطاعون، وكانوا يهربون من الطاعون. قاله ابن جبير^(١١)، والضحاك-أيضا-^(١٢)، وزيد بن أسلم^(١٣).

(١) نقلا عن تفسير التستري: ١٣١.

(٢) قال أبو السعود: ١٩٧/٧: "ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام إيهامهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام إلى معيدهم ليتركوه فإن القوم كانوا نجامين فأوهمهم أنه قد استدل بأماره في النجوم على أنه سقيم أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسماء عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى معيدهم وتركوه في بيت الأصنام".

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/١٩. ط. هاجر.

(٤) في تفسير ابن كثير: ٢٥/٧: "كابد نبي الله عن دينه".

(٥) أخرجه الطبري: ٥٦٧/١٩. ط. هاجر، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢١٤): ص ٣٢١٩/١٠، وانظر: الدر المنثور: ١٠٠/٧، وزاد نسبه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. وفي المصدرين الآخرين بلفظ: "كأيديني في النجوم، قال: كلمة من كلام العرب يقول: الله عز دينه".

(٥) في تفسير ابن كثير: ٢٥/٧: "كابد نبي الله عن دينه".

(٦) انظر: النكت والعيون: ٥٥/٥، وتفسير السمعاني: ٤٠٤/٤. عبيد الله بن عبيد الله بن معمر: هو عبيد الله بن محمد بن عائشة اسم جده حفص بن عمر ابن موسى ابن عبيد الله بن معمر التيمي ويقال له: ابن عائشة نسبة إلى عائشة بنت طلحة لأنه من ذريتها، وهو ثقة، جواد من كبار العاشرة، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين.

(٧) حكاه الماوردي في النكت والعيون: ٥٦/٥.

(٨) المحرر الوجيز: ٤٧٨/٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٣/٢١، وتفسير القرطبي: ٩٣/١٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣/٢١.

(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٠٠/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وانظر: تفسير القرطبي: ٩٣/١٥.

(١٢) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ٩٣/١٥.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٤-٦٣/٢١.

قال زيد بن أسلم: " أرسل إليه ملكهم، فقال: إن غدا عيدنا، فاحضر معنا، قال: فنظر إلى نجم فقال: إن ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لي، فقال: {إِنِّي سَقِيمٌ}"^(١).
 والظاهر أن قوله {إِنِّي سَقِيمٌ}: أي: طعين، أو لسقم كانوا يهربون منه إذا سمعوا به، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه، ليلبغ من أصنامهم الذي يريد"^(٢).
 وروى أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: " لم يكذب إبراهيم غير ثلاث : ثنتين في ذات الله عز وجل، وقوله: {إِنِّي سَقِيمٌ}، وقوله: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} ، وقوله في سارة : هي أختي"^(٣).
 قال الضحاك: " قالوا لإبراهيم وهو في بيت آلهتهم: أخرج معنا، فقال لهم: إني مطعون، فتركوه مخافة أن يعديهم"^(٤).
 قوله تعالى: {فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ} [الصافات : ٩٠]، أي: " فتركوه وراء ظهورهم"^(٥).
 عن قتادة: " {فَتَوَلَّوْا}، فنكصوا عنه، {مُدْبِرِينَ}: منطلقين"^(٦).
 عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس: " {إِنِّي سَقِيمٌ}، يقول: مطعون فتولوا عنه مدبرين، قال سعيد: إن كان الفرار من الطاعون لقديمًا"^(٧).

القرآن

{فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَّا تَنْتَفُونَ (٩٢)} [الصافات : ٩١-٩٢]
 التفسير:

فمال مسرعًا إلى أصنام قومه فقال مستهزئًا بها: ألا تأكلون هذا الطعام الذي يقدمه لكم سدنتكم؟ ما لكم لا تنتفون ولا تحبون من يسألكم؟
 قوله تعالى: {فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} [الصافات : ٩١]، أي: " فمال مسرعًا إلى أصنام قومه فقال مستهزئًا بها: ألا تأكلون هذا الطعام الذي يقدمه لكم سدنتكم؟"^(٨).
 عن السدي، قوله: " {فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ}، قال: ذهب"^(٩).
 عن قتادة: " {فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ}، أي: فمال إلى آلهتهم، قال: ذهب، {قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ}، يستنطقهم"^(١٠).

(١) أخرجه الطبري: ٦٤-٦٣/٢١.

(٢) تفسير الطبري: ٦٤/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٤/٢١، وأخرجه أحمد (٤٠٣/٢)، رقم (٩٢٣٠)، والبخارى (١٩٥٥/٥)، رقم (٤٧٩٦)، ومسلم (١٨٤٠/٤)، رقم (٢٣٧١).

ونص الحديث: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله {إني سقيم} [الصافات: ٨٩] وقوله {بل فعله كبيرهم هذا} [الأنبياء: ٦٣] وبيننا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها قال من هذه قال: أختي، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبنني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: ادعى الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها ثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعى الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال إنك لم تأتني بإنسان إنما أتيتني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلى فأومأ بيده مهيم قالت رد الله كيد الفاجر في نحره وأخدم هاجر».

(٤) أخرجه الطبري: ٦٣/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٥/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٥/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٦/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٦/٢١.

القرآن

{فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣)} [الصفات : ٩٣]

التفسير:

فأقبل على آلهتهم يضربها ويكسرها بيده اليمني؛ ليثبت لقومه خطأ عبادتهم لها.
قال قتادة: " فأقبل عليهم يكسرههم"^(١). وفي رواية: " أي: فأقبل عليهن فكسرهن"^(٢).
قال ابن إسحاق: " ثم أقبل عليهم كما قال الله ضربا باليمين، ثم جعل يكسرهن بفأس في يده"^(٣).
قال خالد بن عبد الله الجسّمي: "سمعت الحسن قرأ: «فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفَقًا بِالْيَمِينِ» ، أي: ضربا باليمين"^(٤).

القرآن

{فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ (٩٤)} [الصفات : ٩٤]

التفسير:

فأقبلوا إليه يعدّون مسرعين غاضبين.
اختلف أهل العلم في تفسير الآية، على أقوال:
أحدها : معناه: يمشون. قاله السدي^(٥).
الثاني : معناه: يسعون، قاله قتادة^(٦)، والضحاك^(٧).
الثالث : معناه: يبتدرونه. قاله الحسن^(٨).
الرابع: يختالون، وهو مشي الخيلاء، قاله ابن مجاهد عن أبيه^(٩)، ومنه: أخذ زفاف العروس إلى زوجها، وقال الفرزدق^(١٠):
وَجَاءَ قَرِيعَ الشَّوْلِ قَبْلَ إِقَالِهَا ... يَزْفُ وَجَاءَتْ خَلْفَهُ وَهِيَ زَفْفُ
وقرى: «يَزْفُونَ»، بضم الياء وتشديد الفاء، من: أزف فهو يزف^(١١).
قال مجاهد: "الوزيف: النسلان"^(١٢).

القرآن

{قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)} [الصفات : ٩٥-٩٦]

التفسير:

- (١) أخرجه الطبري: ٦٧/٢١.
- (٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٢٠):ص٣٢١٩/١٠.
- (٣) أخرجه الطبري: ٦٧/٢١.
- (٤) أخرجه الطبري: ٦٧/٢١.
- (٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢١.
- (٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٢٠):ص٣٢١٩/١٠.
- (٧) انظر: النكت والعيون: ٥٧/٥، والتفسير البسيط للواحيدي: ٧٧/١٩.
- (٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٦/٣.
- (٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٦/٣، والمارودي في النكت والعيون: ٥٧/٥، والقرطبي في التفسير: ٩٥/١٥.
- (١٠) البيت من الإبل وهو للفرزدق في "ديوانه" ٢/٢٧، "مقاييس اللغة" ١/١١٩، "لسان العرب" ٨/٢٦٧ (قرع).
- والقرع من الإبل الذي يأخذ بذراع الناقة فينيخها، "اللسان" ٨/٢٦٧ (قرع). والشول جمع شائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فحفّ لبنها، "اللسان" ١١/٣٧٤ (شول).
- (١١) انظر: السبعة في القراءات: ٥٤٨، وتفسير الطبري: ٦٨/٢١.
- (١٢) أخرجه الطبري: ٦٩/٢١.

فلقبهم إبراهيم بثبات قائلاً كيف تعبدون أصناماً تتحتونها أنتم، وتصنعونها بأيديكم، وتتركون عبادة ربكم الذي خلقكم، وخلق عملكم؟

قوله تعالى: {قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ} [الصافات : ٩٥]، أي: "أي أتبعدون أصناماً نحتموها بأيديكم، وصنعتموها بأنفسكم؟"^(١).

عن قتادة: "أتعبدون ما تتحتون": من الأصنام"^(٢).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات : ٩٦]، أي: "وتتركون عبادة ربكم الذي خلقكم، وخلق عملكم؟"^(٣).

قال قتادة: "خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم"^(٤).

يحتمل أن تكون «م» مصدرية ، فيكون تقدير الكلام : والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى "الذي" تقديره : والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم ، والأول أظهر ؛ لما رواه البخاري في كتاب «أفعال العباد»، .. عن حذيفة مرفوعاً قال : «إن الله يصنع كل صانع وصنعتة»^{(٥)(٦)}.

القرآن

{قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧)} [الصافات : ٩٧]

التفسير:

فلما قامت عليهم الحجة لجؤوا إلى القوة، وقالوا: ابنوا له بنياناً واملؤوه حطباً، ثم ألقوه فيه.

قال الحسن: "فجمعوا الحطب زماناً حتى إن الشيخ الكبير الذي لم يخرج من بيته قبل ذلك زماناً كان

يجيء بالحطب، فيلقيه يتقرب به إلى ألتهم فيما يزعم، ثم جاءوا بإبراهيم، فألقوه في تلك النار"^(٧).

قال السدي: "فحبسوه في بيت وجمعوا له حطباً حتى إن كانت المرأة لتمرض، فتقول: لئن عافاني

الله لأجمعن حطباً لإبراهيم فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب حتى إن كانت الطير لتمر بها فتحترق من

شدة وهجها فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان فرفع إبراهيم عليه السلام رأسه إلى السماء فقالت السماء

والأرض والجبال والملائكة إبراهيم يحرق فيك فقال: أنا أعلم به وإن دعاكم فاغيثوه، وقال إبراهيم -عليه

السلام- حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض

ولد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل، فنادها: {يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم} [الأنبياء:

٦٩]"^(٨).

القرآن

{فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨)} [الصافات : ٩٨]

التفسير:

(١) التفسير الميسر: ٤٤٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٢٠): ص ٣٢١٩/١٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٢٠): ص ٣٢٢٠/١٠.

(٥) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" (١١٧)، وابن أبي عاصم (٣٥٧)، والبزار (٢١٦٠)، والحاكم ١/ ٣١ - ٣٢،

والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٢٦٠ و٣٨٨، وفي "الاعتقاد" ص ١٤٤، والخطيب في "تاريخه" ٢/ ٣١ من

طريقين عن أبي مالك الأشجعي، عن ربيعي بن حراش، عن حذيفة. وهذا إسناد صحيح.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٦/٧.

(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٧/٢.

(٨) الدر المنثور: ١٠٠/٧-١٠١، وعزاه إلى ابن جرير.

فأراد قوم إبراهيم به كيدًا لإهلاكه، فجعلناهم المقهورين المغلوبين، وردَّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم بردًا وسلامًا.
قال قتادة: "فما ناظرهم الله بعد ذلك حتى أهلكهم"^(١).

القرآن

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)} [الصافات : ٩٩-١٠٠]
التفسير:

وقال إبراهيم: إني مهاجر إلى ربي من بلد قومي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي؛ فإنه سيدلني على الخير في ديني ودنياي. رب أعطني ولدًا صالحًا.

قوله تعالى: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ} [الصافات : ١٠٠]، أي: "وقال إبراهيم: إني مهاجر إلى ربي من بلد قومي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي؛ فإنه سيدلني على الخير في ديني ودنياي"^(٢).
قال قتادة: "ذاهب بعمله وقلبه ونيتة"^(٣).

قال قتادة: "وكان يقال أن الشام عماد دار الهجرة"^(٤).

قال سليمان بن صرد: "لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار {قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ}، فجمع الحطب، فجاءت عجوز على ظهرها حطب، فقيل لها: أين تريدان؟ قالت: أريد أذهب إلى هذا الرجل الذي يلقى في النار؛ فلما ألقى فيها، قال: حسبي الله عليه توكلت، أو قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فقال الله: {يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ}، قال: فقال ابن لوط، أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي، وكان بينهما قرابة، فأرسل الله عليه عُنُقًا من النار فأحرقته"^(٥).

قوله تعالى: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات : ١٠٠]، أي: "رب أعطني ولدًا صالحًا"^(٦).
قال الطبري: "وهذا مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحا؛ يقول: قال: يا رب هب لي منك ولدا يكون من الصالحين الذين يطيعونك، ولا يعصونك، ويصلحون في الأرض، ولا يفسدون"^(٧).
عن السدي، قوله: " {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ}، قال: ولدا صالحا"^(٨).

القرآن

{فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)} [الصافات : ١٠١]

التفسير:

فأجبنا له دعوته، وبشّرناه بغيّام حلِيم، أي: يكون حلِيمًا في كبره، وهو إسماعيل.

قال الحسن: "بولادة إسحاق عليه السلام"^(٩).

قال عكرمة: "هو إسحاق"^(١٠).

قال قتادة: "بشر بإسحاق، قال: لم يُثنِ بالحلم على أحد غير إسحاق وإبراهيم"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٢٠): ص ٣٢٢٠/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٧١/٢١.

(٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٣٨/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٧١/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٩.

(٧) تفسير الطبري: ٧٢/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٧٢/٢١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٢٤): ص ٣٢٢٠/١٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٧٢/٢١.

وقال الشعبي: "هو إسماعيل - عليه السلام-، قال: وبشره الله بنبوته إسحاق بعد ذلك" (٢).
قال الحسن: "ما سمعت الله يحل عباده شيئاً أجلاً من اللحم" (٣).

القرآن

{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)} [الصافات : ١٠٢]

التفسير:

فلما كبر إسماعيل ومشى مع أبيه قال له أبوه: إني أرى في المنام أنني أذبحك، فما رأيك؟ (ورؤيا الأنبياء حق) فقال إسماعيل مُرضياً ربه، باراً بوالده، معيماً له على طاعة الله: أمض ما أمرك الله به من ذبحي، ستجدني -إن شاء الله- صابراً طائعاً محتسباً.

قوله تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ} [الصافات : ١٠٢]، أي: "فلما ترعرع وشبَّ وبلغ السنَّ الذي يمكنه أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحواله" (٤).

وفي تفسير قوله تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ} [الصافات : ١٠٢]، وجوه:

أحدها : يمشي مع أبيه، قاله قتادة (٥)، والسدي (٦).

الثاني : أدرك معه العمل، قاله عكرمة (٧)، ومجاهد (٨).

قال مجاهد: "لما شبَّ حتى أدرك سعيه سَعْيَ إبراهيم في العمل" (٩).

وقال مجاهد: "لما عمل مثل عمل إبراهيم" (١٠).

وقال قتادة: "لما مشى مع أبيه" (١١).

الثالث : أنه سعي العمل الذي تقوم به الحجة، قاله الحسن (١٢).

قوله تعالى: {قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى} [الصافات : ١٠٢]، أي: "قال له أبوه: إني أمرت في المنام أن أذبحك، فانظر في الأمر، ما رأيك فيه؟" (١٣).

قال قتادة: "رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا في المنام شيئاً فعلوه" (١٤).

عن عبيد بن عمير، قال: "رؤيا الأنبياء وحي، ثم تلا هذه الآية: {إني أرى في المنام أنني

أذبحك} (١٥).

(١) أخرجه الطبري: ٧٣-٧٢/٢١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٢٦): ص ٣٢٢٠/١٠.

(٣) النكت والعيون: ٦٠/٥.

(٤) صفوة التفاسير: ٣٦/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٣/٢١-٧٤.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٨/٢.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٢٢٨): ص ٣٢٢٠/١٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٧٣/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٧٣/٢١.

(١٠) تفسير مجاهد: ٥٦٩.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٢٩): ص ٣٢٢١/١٠.

(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٨/٢.

(١٣) صفوة التفاسير: ٣٦/٣. [بتصرف]

(١٤) أخرجه الطبري: ٧٥/٢١.

(١٥) أخرجه الطبري: ٧٥/٢١.

قوله تعالى: {قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصفافات : ١٠٢]، أي: "فقال إسماعيل مُرضياً ربه، باراً بوالده، معيماً له على طاعة الله: أمض ما أمرك الله به من ذبحي، ستجدني -إن شاء الله- صابراً طائعاً محتسباً"^(١).

قال السدي: "قال له إسحاق: يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب وأكف عني ثيابك حتى لا ينضح عليها من دمي شيء فتراه سارة فتحزن وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي فإذا أتيت سارة فاقراً عليها السلام مني"^(٢).

عن أبي منيب الأحدب، قال: "خطب معاذ بالشام، فذكر الطاعون، فقال: إنها رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وقبض الصالحين قبلكم، اللهم، أدخل على آل مُعاذٍ نصيبهم من هذه الرحمة. ثم نزل من مقامه ذلك، فدخل على عبد الرحمن بن معاذ، فقال عبد الرحمن: {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [البقرة: ١٤٧]. فقال معاذ: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}"^(٣).

القرآن

{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣)} [الصفافات : ١٠٣]

التفسير:

فلما استسلما لأمر الله وانقادا له، وألقى إبراهيم ابنه على جبينه -وهو جانب الجبهة- على الأرض؛ ليذبحه. قوله تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا} [الصفافات : ١٠٣]، أي: "فلما استسلما لأمر الله وانقادا له"^(٤).

قال السدي: "يقول: أسلما لأمر الله"^(٥).

قال مجاهد: "أسلما ما أمرا به"^(٦).

قال قتادة: "أسلم هذا نفسه لله، وأسلم هذا ابنه لله"^(٧).

عن أبي صالح، قوله: "فَلَمَّا أَسْلَمَا}، قال: اتفقا على أمر واحد"^(٨).

قال ابن إسحاق: "أي سلم إبراهيم لذبحه حين أمر به وسلم ابنه للصبر عليه، حين عرف أن الله أمره بذلك فيه"^(٩).

قال عكرمة: "أسلما جميعاً لأمر الله ورضي الغلام بالذبح، ورضي الأب بأن يذبحه، فقال: يا أبت اذفني للوجه كيلا تنظر إلي فترحمني، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع، ولكن أدخل الشفرة من تحتي، وامض لأمر الله، فذلك قوله: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}، فلما فعل ذلك {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}"^(١٠).

قوله تعالى: {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصفافات : ١٠٣]، أي: "ألقى إبراهيم ابنه على جبينه -وهو جانب الجبهة- على الأرض؛ ليذبحه"^(١١).

قال قتادة: "أي: وكبه لفيه وأخذ الشفرة"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٤٤٩.

(٢) الدر المنثور: ١١٠/٧، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٠٨٥)؛ بص ٤٠٤ / ٣٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٤٩.

(١٢) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.

قال مجاهد: "وضع وجهه للأرض، قال: لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني، ولا تجهز عليّ، اربط يدي إلى رقبتني ثم ضع وجهي للأرض"^(١).
 عن القاسم بن أبي بزة، قال: "قال إبراهيم لإسحاق: «اعجل علي يا بني، لا يدخل الشيطان فيما بيننا»"^(٢).

عن كعب- رضي الله عنه-، أنه قال لأبي هريرة: "ألا أخبرك عن إسحاق؟ قال: بلى قال: رأى إبراهيم أن يذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن، عند هذه آل إبراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا، فتمثل الشيطان رجلا يعرفونه فأقبل حتى خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة فقال: أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق؟ قالت: لبعض حاجته قال: لا والله قالت: فلم غدا؟ قال: ليذبحه قالت: لم يكن ليذبح ابنه! قال: بلى والله قالت سارة: فلم يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك قالت: قد أحسن أن يطيع ربه إن كان أمره بذلك. فخرج الشيطان، فأدرك إسحاق وهو يمشي على أثر أبيه قال: أين أصبح أبوك غاديا؟ قال: لبعض حاجته قال: لا والله بل غدا بك ليذبحك قال: ما كان أبي ليذبحني، قال: بلى قال: لم؟ قال: زعم أن الله أمره بذلك قال إسحاق: فو الله لئن أمره ليطيعنه. فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غاديا بابنك؟ قال: لبعض حاجتي قال: لا والله ما غدوت به إلا لتذبحه قال: ولم أذبحه؟ قال: زعمت أن الله أمرك بذلك فقال: والله لئن كان الله أمرني لأفعلن قال: فتركه، ويئس أن يطاع، فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه، وسلم إسحاق عافاه الله، وفداه بذبح عظيم قال: قم أي بني فإن الله قد عافاك، فأوحى الله إلى إسحاق متشبها بصديق له فقال له: يا إبراهيم أين تعمد؟ قال: لحاجة قال: والله ما تذهب إلا لتذبح ابنك من أجل رؤيا رأيتها، والرؤيا تخطئ، وتصيب، وليس في رؤيا رأيتها ما تذهب إسحاق، فلما رأى أنه لم يستفد من إبراهيم شيئا لقي إسحاق، فقال: أين تعمد يا إسحاق؟ قال: لحاجة إبراهيم قال: إن إبراهيم إنما يذهب بك ليذبحك فقال إسحاق: وما شأنه يذبحني، وهل رأيت أحدا يذبح ابنه؟ قال: يذبحك الله قال: فإن يذبحني الله أصبر، والله لذلك أهل، فلما رأى أنه لم يستفد من إسحاق شيئا جاء إلى سارة فقال: أين يذهب إسحاق؟ قالت: ذهب مع إبراهيم لحاجته فقال: إنما ذهب به ليذبحه فقالت: وهل رأيت أحدا يذبح ابنه؟ قال: يذبحه الله قالت: فإن ذبحه الله، فإن إبراهيم وإسحاق لله، والله لذلك أهل، فلما رأى أنه لم يستفد منهما شيئا أتى الجمرة، فانفخ حتى سد الوادي، ومع إبراهيم الملك فقال الملك: ارم يا إبراهيم، فرمى بسبع حصيات، يكبر في أثر كل حصاة فأفرج له عن الطريق، ثم انطلق حتى أتى الجمرة الثانية، فانفخ حتى سد الوادي فقال له الملك: ارم يا إبراهيم، فرمى بسبع حصيات، يكبر في أثر كل حصاة، فأفرج له عن الطريق ثم انطلق حتى أتى الجمرة الثالثة، فانفخ حتى سد الوادي عليه فقال له الملك: ارم يا إبراهيم فرمى بسبع حصيات، يكبر في أثر كل حصاة، فأفرج له عن الطريق حتى أتى المنحر"^(٣).

وفي الذبيح قولان :

أحدهما : أنه إسحاق-عليه السلام-. قاله كعب الأخبار^(٤)، وسعيد بن المسيب-في رواية-^(٥)، ومسروق^(٦)، وعبيد بن عمير^(٧)، وابن أبي الهذيل^(٨)، وابن سابط^(٩)، وأبو ميسرة^(١٠).

(١) أخرجه الطبري: ٧٦/٢١.

(٢) أخرجه عبدالرزاق(٢٥٣٦):ص٩٨/٣.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٣٦):ص٣٢٢٢/١٠-٣٢٢٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٠/٢١-٨٢.

(٥) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٥٤٢):ص٩٩/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٨٠/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٨٠/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٨١/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢١.

قال أبو الأحوص: "افتخر رجل عند ابن مسعود، فقال: أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله" (١).
 قال أبو ميسرة: "قال يوسف للملك في وجهه: ترغب أن تأكل معي، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله" (٢).
 الثاني: أنه إسماعيل-عليه السلام-. قاله الحسن (٣)، وأبو الطفيل (٤)، وسعيد بن المسيب (٥)، وسعيد بن جبير (٦)، ومجاهد (٧)، وعامر الشعبي (٨)، ومحمد بن كعب القرظي (٩)، وأبو جعفر محمد بن علي (١٠)، وأبو صالح (١١).
 قال محمد بن كعب: "إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل، وإنما لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه إسماعيل، وذلك أن الله يقول، حين فرغ من قصة المذبوح من إبراهيم، قال: {وَبَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}، يقول: بشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، يقول: بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل" (١٢).

قال أبو حاتم: "الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام" (١٣).

قال الشعبي: "هو إسماعيل، قال: وكان قرنا الكباش مؤطنين بالكعبة" (١٤).

وأولى القولين بالصواب في المَقْدِي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: {وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} فذكر أنه فدَى الغلامَ الحليمَ الذي بُشِّرَ به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدًا صالحًا من الصالحين، فقال: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} فإذا كان المَقْدِي بالذبح من ابنه هو المَبشَّرُ به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بُشِّرَ به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جل ثناؤه: {فَبَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معني به إسحاق، كان بيِّنًا أن تبشيره إياه بقوله: {فَبَشِّرْنَا بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.

وبعد: فإن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشَّره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنه إلا إمام الصالحين، وغير موهم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشَّره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المَقْدِي هو المَبشَّرُ به. وأما الذي اعتلَّ به من اعتلَّ في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزًا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم؛ فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد وُلد لإسحاق فيها أولاد،

(١) أخرجه الطبري: ٨٠/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٨٢/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢١، ٨٥، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢١، ٨٦، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢١، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٨٤، ٨٥/٢١، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٢٣/١٠. أورده بدون إسناد.

(١٢) أخرجه الطبري: ٨٥-٨٤/٢١.

(١٣) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٢٣/١٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٨٤/٢١.

فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدي من ولد إبراهيم بقوله {وَبَشِّرْنَا هَٰؤُلَاءِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} ولو كان المفدي هو إسحاق لم يبشّر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوه إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فُدي تكرامة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبلُ عن ذلك. وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقاً في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حُمل من الشام إلى الكعبة. وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه^(١).

قال ابن جريج: ذبح إبراهيم ابنه إسحاق وهو ابن سبع سنين وولده سارة وهي بنت تسعين سنة^(٢). عن العباس بن عبد المطلب قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نبي الله داود: يا رب أسمع الناس يقولون: رب إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فاجعلني رابعاً قال: إن إبراهيم ألقى في النار فصبر من أجلي، وإن إسحاق جاد لي بنفسه، وإن يعقوب غاب، عنه يوسف وتلك بلية لم تتلك"^(٣).
عن ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله خيرني بين أن يغفر لنصف أمي أو شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت أن تكون أعم لأمتي ولولا الذي سبقني به العبد الصالح لعجلت دعوتي إن الله لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له: يا أبا إسحاق، سل تعطه قال: أما والله لا تعجلها قبل نزغات الشيطان، اللهم من مات لا يشرك بك شيئاً قد أحسن، فاغفر له"^(٤).

القرآن

{وَتَادِينَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥)} [الصافات : ١٠٤-١٠٥]

التفسير:

وناديننا إبراهيم في تلك الحالة العصبية: أن يا إبراهيم، قد فعلت ما أمرت به وصدقت رؤياك، إنا كما جزيناك على تصديقك نجزي الذين أحسنوا مثلك، فنخلصهم من الشدائد في الدنيا والآخرة.
قال مجاهد: "فلما أدخل يده ليذبحه نودي أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فأمسك يده ورفع رأسه، فرأى الكبش ينحط إليه حتى وقع عليه فذبحه"^(٥).

عن مجاهد، قال: "لما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه قال: يا أبتاه، خذ بناصيتي، واجلس بين كتفي؛ حتى لا أؤذيك إذا مسني حر السكين. ففعل، فانقلبت السكين، قال: ما لك، يا أبتاه؟ قال: انقلبت السكين. قال: فاطعن بها طعناً. قال: فتننت. قال: ما لك، يا أبتاه؟ قال: تننت. فعرف الصدق، ففداه الله بذبح عظيم، وهو إسحاق"^(٦).

القرآن

{وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)} [الصافات : ١٠٧]

التفسير:

واستنقذنا إسماعيل، فجعلنا بديلاً عنه كبشاً عظيماً.

(١) .

(٢) انظر: النكت والعيون: ٦٢/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٣٤): ص ٣٢٢٢/١٠.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٢٣٥): ص ٣٢٢٢/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٣٠): ص ٣٢٢١/١٠.

(٦) الدر المنثور: ١١١/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

قال عبيد بن عمير: "ذبح بالمقام"^(١).
وقال مجاهد: "ذبح بمئى في المنحر"^(٢).
وقال كعب: "هو إسحاق، وكان ذلك بالشام"^(٣).
قال الحسن: "كان اسم كبش إبراهيم: جرير"^(٤).
اختلف أهل العلم في {وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} [الصافات : ١٠٧]، على أقوال:
أحدها : أنه فدى بوعل أنزل عليه من ثبير، قاله الحسن^(٥).
قال الحسن: "ما فدى إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير"^(٦).
الثاني : أنه فدى بكبش. قاله السدي^(٧).
قال السدي: "التفت، يعني إبراهيم، فإذا بكبش، فأخذه وخلقى عن ابنه"^(٨).
قال ابن إسحاق: "ويزعم أهل الكتاب الأول وكثير من العلماء أن ذبيحة إبراهيم التي فدى بها ابنه
كبش أملح اقرن أعين"^(٩).
عن صفية بنت شبيبة قالت : "أخبرتني امرأة من بني سليم - ولدت عامة أهل دارنا - أرسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة - وقال مرة : إنها سألت عثمان : لم دعاك النبي صلى الله عليه
وسلم ؟ قال : "إني كنت رأيت قرني الكبش ، حين دخلت البيت ، فنسيت أن أمرك أن تخمرهما ،
فخمرتهما ، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي". قال سفيان : لم يزل قرنا الكبش معلقين
في البيت حتى احترق البيت ، فاحترقا"^(١٠).
الثالث: أنه فدى بشاة: وهي الأنثى من الضأن من الغنم. وهذا قول مجاهد^(١١).
قال مجاهد: "الذبح العظيم: شاة"^(١٢).
وفي قوله: {عَظِيمٍ} [الصافات : ١٠٧]، وجوه من التفسير:
أحدها : لأنه قد رعى في الجنة، قاله سعيد بن جبير^(١٣).
قال سعيد بن جبير: "كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة، وكان كبشا أملح،
صوفه مثل العهن الأحمر"^(١٤).
الثاني : لأنه ذبح بحق وذلك ذبحه بدين إبراهيم، قاله الحسن^(١٥).

-
- (١) أخرجه الطبري: ٨٧/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٨٧/٢١.
(٣) تفسير عبدالرزاق (٢٥٤٠): ص ٩٨/٣.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٤٤): ص ٣٢٢٤/١٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٨٩/٢١.
(٦) أخرجه الطبري: ٨٩/٢١.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٨٨/٢١.
(٨) أخرجه الطبري: ٨٨/٢١.
(٩) أخرجه الطبري: ٨٩/٢١.
(١٠) المسند (٦٨/٤)، وتفسير ابن كثير: ٣١/٧. وقال: "وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل ، عليه السلام ، فإن قريشا
توارثوا قرني الكبش الذي فدى به إبراهيم (١) خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل ، إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم".
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٨٨/٢١.
(١٢) أخرجه الطبري: ٨٨/٢١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٨٨/٢١.
(١٤) أخرجه الطبري: ٨٨/٢١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢١.

عن عمرو بن عبيد، عن الحسن أنه كان يقول: "ما يقول الله: {وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} لذبيحته التي ذبح فقط، ولكنه الذَّبْح على دينه، فتلك السُّنَّة إلى يوم القيامة، فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء، فضحوا عباد الله" (١).

الثالث : لأنه ذبح متقبل ، قاله مجاهد (٢).

ولا قول في ذلك أصح مما قال الله جلّ ثناؤه، وهو أن يقال: فداه الله بذبح عظيم، وذلك أن الله عم وصفه إياه بالعظم دون تخصيصه، فهو كما عمه به" (٣).

عن عكرمة، "أن ابن عباس كان أفتى الذي جعل عليه أن ينحر نفسه، فأمره بمئة من الإبل، قال: فقال ابن عباس بعد ذلك: لو كنت أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا، فإن الله قال في كتابه: {وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ}" (٤).

القرآن

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨)} [الصفات : ١٠٨]

التفسير:

وأبقينا لإبراهيم ثناءً حسناً في الأمم بعده.

قال قتادة: "أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين" (٥).

القرآن

{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢)} [الصفات : ١١٢]

التفسير:

وبشّرنا إبراهيم بولده إسحاق نبياً من الصالحين؛ جزاء له على صبره ورضاه بأمر ربه، وطاعته له.

عن السدي: " {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}، قال: بنبوته" (٦).

عن عكرمة: " {وبشّرناه بإسحاق}، قال: بنبوته إسحاق" (٧).

قال قتادة: " بشر به بعد ذلك نبياً. بعد ما كان هذا من أمره لما جاد الله بنفسه" (٨).

عن ضرار، عن شيخ من أهل المسجد، قال: "بشّر إبراهيم لسبع عشرة ومئة سنة" (٩).

القرآن

{وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)} [الصفات : ١١٣]

التفسير:

وأنزلنا عليهما البركة. ومن ذريتهما من هو مطيع لربه، محسن لنفسه، ومن هو ظالم لها ظملاً بيئاً بكفره ومعصيته.

(١) أخرجه الطبري: ٩٠/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢١.

(٣) تفسير الطبري: ٩٠/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٨٨/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٩١/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٩٢/٢١.

(٧) أخرجه إسحاق البستي ص ٢١٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٤٧): ص ٣٢٢٤/١٠-٣٢٢٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٩٢/٢١.

قوله تعالى: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ} [الصفات : ١١٣]، أي: "ومن ذريتهما من هو مطيع لربه، محسن لنفسه، ومن هو ظالم لها ظلمًا بيِّنًا بكفره ومعصيته"^(١).
قال قتادة: "أي: مؤمن، وكافر"^(٢).
قال السدي: "المحسن: المطيع لله. والظالم لنفسه: العاصي لله"^(٣).

القرآن

{وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥)} [الصفات : ١١٤-١١٥]

التفسير:

ولقد مننا على موسى وهارون بالنبوة والرسالة، ونجيناها وقومهما من الغرق، وما كانوا فيه من عبودية ومدلة.

قوله تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ} [الصفات : ١١٥]، أي: "ونجيناها وقومهما من الغرق، وما كانوا فيه من عبودية ومدلة"^(٤).
عن السدي، قوله: "{وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ}"، قال: من الغرق"^(٥).
وقال قتادة: "أي: من آل فرعون"^(٦).

القرآن

{وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩)} [الصفات : ١١٧-١١٩]

التفسير:

وأتيناها التوراة البينة، وهديناها الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام دين الله الذي ابتعث به أنبياءه، وأبقينا لهما ثناءً حسناً وذكرًا جميلًا فيمن بعدهما.

قوله تعالى: {وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ} [الصفات : ١١٧]، أي: "وأتيناها التوراة البينة"^(٧).
عن قتادة: "قوله: {وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ}"، قال: التوراة"^(٨).
قوله تعالى: {وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الصفات : ١١٨]، أي: "وهديناها الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام دين الله الذي ابتعث به أنبياءه"^(٩).
عن قتادة: "{وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}"، الإسلام"^(١٠).
قوله تعالى: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ} [الصفات : ١١٩]، أي: "وأبقينا لهما ثناءً حسناً وذكرًا جميلًا فيمن بعدهما"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٤٧): ص ٣٢٢٤/١٠-٣٢٢٥.

(٣) أخرجه الطبري: ٩٣/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٩٣/٢١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٤٧): ص ٣٢٢٤/١٠-٣٢٢٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٤٧): ص ٣٢٢٤/١٠-٣٢٢٥.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٩٥/٢١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٥٠.

قال قتادة: "أبقى الله عليهما الثناء الحسن في الآخرين"^(١).

القرآن

{وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذُرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (١٢٦)} [الصفات : ١٢٣-١٢٦]

التفسير:

وإن عبدنا إلياس لمن الذين أكرمناهم بالنبوة والرسالة، إذ قال لقومه من بني إسرائيل: اتقوا الله وحده وخافوه، ولا تشركوا معه غيره، كيف تعبدون صنماً، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين -المتصف بأحسن الصفات وأكملها فلا تعبدونه! -، الله ربكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم الماضين قبلكم؟ قوله تعالى: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الصفات : ١٢٣]، أي: "وإن عبدنا إلياس لمن الذين أكرمناهم بالنبوة والرسالة"^(٢).

واختلف أهل التفسير في «إلياس» على أقوال:

أحدها: أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران. قاله ابن إسحاق^(٣).

الثاني: أنه إدريس، كما أن إسرائيل هو يعقوب. وهذا قول قتادة^(٤).

الرابع: أنه جد نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، و«أخنوخ» هو «إدريس بن يرد بن مهلائيل». وهذا قول وهب بن منبه^(٥)، وبه قال أهل الأنساب^(٦).

ورويت عن ابن مسعود أنه قرأ: «وإن إدريس»، ورويت: «سلام على إدرايين»^(٧).

قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذُرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} [الصفات : ١٢٤-١٢٥]

أي: "إذ قال لقومه من بني إسرائيل: اتقوا الله وحده وخافوه، ولا تشركوا معه غيره، كيف تعبدون صنماً، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين -المتصف بأحسن الصفات وأكملها فلا تعبدونه! -"^(٨).

وفي قوله تعالى: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا} [الصفات : ١٢٥]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: أتدعون رباً؟ قاله عكرمة^(٩)، ومجاهد^(١٠)، وقتادة^(١١)، والسدي^(١٢).

قال عكرمة: "وهي لغة أهل اليمن، تقول: من بعل هذا الثور: أي: من ربه؟"^(١٣).

قال قتادة: "هذه لغة باليمانية: أتدعون ربا دون الله"^(١٤).

وعن قتادة: "أتدعون بعلاً"، قال: ربا، بلغة أزد شنؤة"^(١٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٤٧): ص ٣٢٢٤/١٠-٣٢٢٥.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٩٥/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٥/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/١١. حكاه دون ذكر السند.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/١١.

(٧) معاني القرآن للزجاج: ٣١٢/٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٥٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢١.

(١١) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٥٤٦): ص ١٠٠/٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري ٩٦/٢١.

(١٤) أخرجه الطبري ٩٦/٢١.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٥١): ص ٣٢٢٥/١٠.

قال الضحاك: "مر رجل يقول: من يعرف البقرة؟ فقال رجل: أنا بعلمها فقال له ابن عباس -رضي الله عنهما-: تزعم أنك زوج البقرة؟ قال الرجل: أما سمعت قول الله: {أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} [الصافات: ١٢٥]، قال: تدعون بعلا، وأنا ربكم. فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: صدقت"^(١).
 عن عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: "أنه أبصر رجلا يسوق بقرة، فقال: من بعل هذه؟ فدعاه فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل اليمن، فقال: هي لغة: {أَنْدَعُونَ بَعْلًا}، أي: ربا"^(٢).
 الثاني: أن «بعل» اسم صنمهم، وهذا قول الحسن^(٣)، وزيد بن أسلم^(٤).
 قال زيد بن أسلم: "صنمًا لهم كانوا يعبدونه في بعلبك، وهي وراء دمشق، فكان بها البعل الذي يعبدونه"^(٥).

الثالث: أنه اسم امرأة كانوا يعبدونها، حكاه ابن إسحاق^(٦).
 قوله تعالى: {اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ} [الصافات: ١٢٦]، أي: "ربكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم الماضين قبلكم"^(٧).

عن محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه، قال: "إن الله قبض حزقيلا، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث، ونسوا ما كان من عهد الله إليهم، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبيا. وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يُعْبَثُونَ إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة، فكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل، يقال له: أحاب، كان اسم امرأته: أربل، وكان يسمع منه ويصدقّه، وكان إلياس يقيم له أمره، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله يقال له بعل.

ثم قال ابن إسحاق: "وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله؛ يقول الله لمحمد: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ}، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله، وجعلوا لا يسمعون منه شيئا إلا ما كان من ذلك الملك، والملوك متفرقة بالشام، كل ملك له ناحية منها يأكلها، فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه يقوم له أمره، ويراه على هدى من بين أصحابه يوما: يا إلياس، والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا، يعدد ملوكا من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله- إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون وينعمون مملكين، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما نرى لنا عليهم من فضل؛ فيزعمون- والله أعلم- أن إلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده، ثم رفضه وخرج عنه، ففعل ذلك الملك فعل أصحابه: عبد الأوثان، وصنع ما يصنعون، فقال إلياس: اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا أن يكفروا بك والعبادة لغيرك، فغير ما بهم من نعمتك أو كما قال.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: فذكر لي أنه أوحى إليه: إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك حتى تكون أنت الذي تأذن في ذلك، فقال إلياس: اللهم فأمسك عليهم المطر؛ فحبس عنهم ثلاث سنين، حتى هلكت الماشية والهوام والذوايب والشجر، وجهد الناس جهدا شديدا. وكان إلياس فيما يذكرون حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى، شفقا على نفسه منهم، وكان حيثما كان وضع له رزق، وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت، قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان فطلبوه، ولقي منهم أهل ذلك المنزل شرا. ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له اليسع ابن أخطوب به ضر،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٥٠): ص ٣٢٢٥/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٤٩): ص ٣٢٢٥/١٠.

(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٤٠/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٥٢): ص ٣٢٢٥/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٥٢): ص ٣٢٢٥/١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢١-٩٩.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٠.

فأوته وأخفت أمره، فدعا إلياس لابنها، فعُوفِيَ من الضرّ الذي كان به، واتبع اليسع غلاما شابا، فيزعمون- والله أعلم- أن أوحى إلى إلياس: إنك قد أهلك كثيرا من الخلق ممن لم يعص سوى بني إسرائيل من البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر، بحبس المطر عن بني إسرائيل، فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال: أي ربّ دعني أنا الذي أدعو لهم وأكون أنا الذي آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم، لعلمهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك، قيل له: نعم؛ فجاء إلياس إلى بني إسرائيل فقال لهم: إنكم قد هلكتم جهدا، وهلكت البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر بخطاياكم، وإنكم على باطل وغرور، أو كما قال لهم، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك، وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه، وأن الذي أدعوكم إليه الحقّ، فاخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه، فإن استجابت لكم، فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتم، ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء، قالوا: أنصفت؛ فخرجوا بأوثانهم، وما يتقربون به إلى الله من إحداثهم الذي لا يرضى، فدعوا فلم تستجب لهم، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل، ثم قالوا لإلياس: يا إلياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا، فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه، وأن يسقوا، فخرجت سحابة مثل الثرس بإذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون، ثم ترامى إليه السحاب، ثم أدحست ثم أرسل المطر، فأغاثهم، فحيث بلادهم، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، فلم ينزعوا ولم يرجعوا، وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه؛ فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم، دعا ربه أن يقبضه إليه، فيريه منهم، فقيل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا، فماذا جاءوك من شيء فاركبه ولا تهبه؛ فخرج إلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب، حتى إذا كان في البلد الذي ذكر له في المكان الذي أمر به، أقبل إليه فرس من نار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه، فانطلق به، فناداه اليسع: يا إلياس، يا إلياس ما تأمرني؟ فكان آخر عهدهم به، فكساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وطار في الملائكة، فكان إنسيا ملكيا أرضيا سماويا^(١).

القرآن

{فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨)} [الصافات : ١٢٧-١٢٨]

التفسير:

فكذب قوم إلياس نبيهم، فليجمعهم الله يوم القيامة للحساب والعقاب، إلا عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله، فإنهم ناجون من عذابه.

قوله تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} [الصافات : ١٢٧]، أي: "فكذب قوم إلياس نبيهم، فليجمعهم الله يوم القيامة للحساب والعقاب"^(٢).

عن قتادة: " {فَأِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ}، في عذاب الله"^(٣).

القرآن

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٣٠) إِنَّا كَذَّلْنَا نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)} [الصافات : ١٢٩-١٣٢]

التفسير:

(١) أخرجه الطبري: ٩٧/٢١-٩٩.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٩٩/٢١.

وجعلنا لإلياس ثناءً جميلاً في الأمم بعده. تحية من الله، وثناءً على إلياس. وكما جزينا إلياس الجزاء الحسن على طاعته، نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين. إنه من عباد الله المؤمنين المخلصين له العاملين بأوامره.

قوله تعالى: {سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ} [الصافات : ١٣٠]، أي: "تحية من الله، وثناءً على إلياس"^(١).
عن السدي: "سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ"، قال: إلياس"^(٢).
قال مجاهد: "هو إلياس"^(٣).

وروي عن الضحاك: "أنه قرأ: «سلام على آل ياسين»، وقال: هو مثل إلياس مثل عيسى والمسيح، ومحمد، وأحمد، وإسرائيل، ويعقوب"^(٤).

عن الحسن: "سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ" موصولة، وقرأ: «سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ»"^(٥).
قرأ نافع وابن عامر: «سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ»، بفتح الهمزة ومدّها وكسر اللام، وقرأ الباقون بكسر الهمزة وتسكين اللام، وقرأ الحسن: «سلام على ياسين»، بإسقاط الألف واللام، وقرأ ابن مسعود: «سَلَامٌ عَلَىٰ إِدْرَاسِينَ»، لأنه قرأ: «وإن إدريس لمن المرسلين»"^(٦).

القرآن

{وَإِنَّ لَوْطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥)}
[الصافات : ١٣٣-١٣٥]

التفسير:

وإن عبدنا لوطاً اصطفيناه، فجعلناه من المرسلين، إذ نجيناه وأهله أجمعين من العذاب، إلا عجوزاً هَرَمَةً، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها لكفرها.

قال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، باني جامع دمشق: "لولا أن الله، عز وجل، قص علينا خبر لوط، ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً"^(٧).

قوله تعالى: {إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ} [الصافات : ١٣٤-١٣٥]، أي: "إذ نجيناه وأهله أجمعين من العذاب إلا عجوزاً هَرَمَةً، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها لكفرها"^(٨).

عن قتادة قوله: "إلا عجوزاً في الغابرين"، قال: هي امرأته"^(٩).

وفي قوله تعالى: {إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ} [الصافات : ١٣٥]، وجوه من التفسير:

أحدها: الهالكين، قاله السدي"^(١٠).

الثاني: في الباقين في عذاب الله تعالى، قاله قتادة"^(١١).

قال ابن جريج: "هي امرأته كانت في الغابرين في العذاب"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٠.

(٢) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢١.

(٣) الدر المنثور: ١٢٠/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٥٣): ص ٣٢٢٥/١٠.

(٥) علقه يحيى بن سلام ٨٤١/٢.

(٦) انظر: السبعة في القراءات: ٥٤٩، وتفسير الطبري: ١٠٣/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٤٥/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٥١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٨٩٠): ص ٢٨٠٩/٩.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٠٥/٢١.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨٧٠٣): ص ١٥١٩/٥.

(١٢) أخرجه الطبري (١٨١٧٢): ص ٣٢٤/١٥.

الثالث: فيمن غبر فلم تذهب معهم. قاله قتادة-أيضا-(^١).
قال الضحاك: "يقول: إلا امرأته تخلفت فمسخت حجرا، وكانت تسمى هيشفع"^(٢).

القرآن

{ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٣٦)} [الصفات : ١٣٦]

التفسير:

ثم أهلكنا الباقين المكذبين من قومه.

قال وهب بن منبه: "فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض، ثم حمل قراهم فقلبها عليهم، ونزلت حجارة من السماء فتبعث من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا، فأهلكهم الله عز وجل ونجا لوط وأهله إلا امرأته"^(٣).

القرآن

{وَأَنْتُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)} [الصفات : ١٣٧-١٣٨]

التفسير:

وإنكم يا أهل «مكة» - لتمرون في أسفاركم على منازل قوم لوط وأثارهم وقت الصباح، وتمرون عليها ليلا. أفلا تعقلون، فتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم؟

قوله تعالى: {وَأَنْتُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)} [الصفات : ١٣٧-١٣٨]، أي: "وإنكم يا أهل «مكة» - لتمرون في أسفاركم على منازل قوم لوط وأثارهم وقت الصباح، وتمرون عليها ليلا"^(٤).

عن السدي، قوله: "لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ"، قال: في أسفاركم"^(٥).

قال قتادة: "نعم والله صباحا ومساء يطئونها وطئا، من أخذ من المدينة إلى الشام، أخذ على سدوم قرية قوم لوط"^(٦).

القرآن

{وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠)} [الصفات : ١٣٩-١٤٠]

التفسير:

وإن عبدنا يونس اصطفينا وجعلناه من المرسلين، إذ هرب من بلده غاضبا على قومه، وركب سفينة مملوءة ركابا وأمتعة.

قوله تعالى: {إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ} [الصفات : ١٤٠]، أي: "إذ هرب من بلده غاضبا على قومه، وركب سفينة مملوءة ركابا وأمتعة"^(٧).

عن السدي: "الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ"، قال: الموقر"^(٨).

قال قتادة: "كنا نحدث أنه الموقر من الفلك"^(٩).

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٥٤٨): ص٣/١٠٠.

(٢) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢١. وفي عرائس المجالس للثعالبي، طبعة الحلبي ١٠٦: "وكانت تسمى هلسفع".

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٠٤): ص٥/١٥١٩.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥١.

(٥) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥١.

(٨) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢١.

القرآن

{فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١)} [الصافات : ١٤١]

التفسير:

وأحاطت بها الأمواج العظيمة، فاقترع ركاب السفينة لتخفيف الحمولة خوف الغرق، فكان يونس من المغلوبين.

قوله تعالى: {فَسَاهَمَ} [الصافات : ١٤١]، أي: "فقارع أهل السفينة"^(٢).

عن السدي، قوله: "فَسَاهَمَ"، قال: قارع"^(٣).

قال قتادة: "فاحتبست السفينة، فعلم القوم أنها احتبست من حدث أحدثوه، فتساهموا، ففرع يونس، فرمى بنفسه، فالتقمه الحوت"^(٤).

قوله تعالى: {فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ} [الصافات : ١٤١]، أي: "فكان من المغلوبين بالقرعة"^(٥).

قال مجاهد: "من المسهومين"^(٦).

القرآن

{فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)} [الصافات : ١٤٢]

التفسير:

فألقي في البحر، فابتلعه الحوت، ويونس عليه السلام أت بما يُلام عليه.

عن قتادة: "وَهُوَ مُلِيمٌ"، أي: في صنعه"^(٧).

وفي رواية عن معمر: قال: "قتادة: أي: مسيء"^(٨).

وقال قتادة: "مليم في عباد الله"^(٩).

عن مجاهد، قوله: "وَهُوَ مُلِيمٌ"، قال: مذنب"^(١٠).

القرآن

{قُلُوبًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤)} [الصافات : ١٤٣ - ١٤٤]

التفسير:

فلولا ما تقدّم له من كثرة العبادة والعمل الصالح قبل وقوعه في بطن الحوت، وتسيبته، وهو في بطن الحوت بقوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} ؛ لمكث في بطن الحوت، وصار له قبراً إلى يوم القيامة.

(١) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢١.

(٢) صفوة التفسير: ٤٠/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١.

(٥) صفوة التفسير: ٤٠/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢١.

(٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٥٠): ص ١٠١/٣.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٩٩٠): ص ٢٤٠/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢١.

قوله تعالى: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} [الصافات : ٤٣]، أي: "فلولا ما تقدّم له من كثرة العبادة والعمل الصالح قبل وقوعه في بطن الحوت، وتسيبجه، وهو في بطن الحوت بقوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}"^(١).

قال ميمون بن مهران: "سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس كان عبداً لله ذاكراً، فلما أصابته الشدة دعا الله فقال الله: {لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}، فذكره الله بما كان منه، وكان فرعون طاغياً باغياً فلما: {أُذِرْكَهُ الْعُرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} قال الضحاك: فاذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة"^(٢).

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} [الصافات : ٤٣]، على وجوه: أحدها: من القائلين: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»، قاله الحسن^(٣)، وسعيد بن جبير^(٤). عن الحسن، قوله: "فلولا أنه كان من المسبحين"، قال: ما كان إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت، فذكر ذلك لقتادة رضي الله، عنه فقال: لا. إنما كان يعمل في الرخاء"^(٥).

وقال الحسن: "كان يكثر الصلاة في الرخاء، فلما حصل في بطن الحوت، ظن أنه الموت، فحرك رجليه، فإذا هي تتحرك، فسجد وقال: يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يسجد فيه أحد"^(٦). عن سعيد بن جبير: "قَالَتْقَمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ"، قال: قال: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، فلما قالها، فذفه الحوت، وهو مغرب"^(٧).

الثاني: من المصلين قاله سعيد بن جبير^(٨)، وقتادة^(٩)، والسدي^(١٠). قال قتادة: "كان كثير الصلاة في الرخاء، فنجّاه الله بذلك؛ قال: وقد كان يقال في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عثر، فإذا صرع وجد متكناً"^(١١). وقال قتادة: "كان طويل الصلاة في الرخاء؛ قال: وإنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، إذا صرع وجد متكناً"^(١٢).

الثالث: من العابدين، قاله وهب بن منبه^(١٣). قال وهب: "من العابدين، قال: فركن لعبادته"^(١٤). وقال أبو العلية: "كان له عمل صالح فيما خلا"^(١٥). وفي الحديث: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»^(١٦).

- (١) التفسير الميسر: ٤٥١.
- (٢) أخرجه الطبري: ١١٠/٢١.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢١، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٢٨٦): ص ٣٢٢٩/١٠.
- (٤) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢١.
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٨٦): ص ٣٢٢٩/١٠.
- (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٨٨): ص ٣٢٢٩/١٠.
- (٧) أخرجه الطبري: ١١٠/٢١.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٩/٢١.
- (٩) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢١-١٠٩.
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٠٩/٢١.
- (١١) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢١.
- (١٢) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢١-١٠٩.
- (١٣) انظر: تفسير عبدالرزاق في التفسير (٢٥٥٧): ص ١٠٣/٣.
- (١٤) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٥٧): ص ١٠٣/٣.
- (١٥) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢١.
- (١٦) أخرجه الطبراني (١٢٣/١١)، رقم (١١٢٤٣). وأخرجه أيضاً: أحمد (٣٠٧/١)، رقم (٢٨٠٤)، والضياء (٢٣/١٠)، رقم

قال قتادة: " وبلغني أنه يقال: "إن في الحكمة: «العمل الصالح يرفع صاحبه، كلما عثر وجد متكئاً»"^(١).

وفي مدة لبثه في بطن الحوت أربعة أقوال:

أحدها : بعض يوم، قال الشعبي : " التقمه الحوت ضحى، ولفظه عشية، ما بات في بطنه"^(٢).
الثاني : فالتقمه الحوت يقال له: نجم، وإنه لبث ثلاثة أيام في جوفه. قاله قتادة-في رواية-^(٣).
الثالث : أنه -عليه السلام- لبث في بطن الحوت سبعة أيام، فطاف به البحار كلها، ثم نبذه على شاطئ دجلة ، قاله سعيد بن جبير^(٤).

الرابع : أربعون يوماً، قاله أبو مالك^(٥)، وقتادة-في رواية أخرى-^(٦)، وابن جريج^(٧).

قال قتادة: " مكث في بطنه أربعين يوماً يتردد به في دجلة"^(٨).

قال ابن جريج: "بلغني أن يونس مكث في بطن الحوت أربعين صباحاً"^(٩).
والله أعلم بمقدار ذلك. وفي شعر أمية بن أبي الصلت^(١٠):

وَأَنْتَ بِفَضْلِ مَنْكَ نَجَبْتَ يُونُسًا... وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيْالِيًا"^(١١).

قوله تعالى: {لَلْبَثِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصافات : ١٤٤]، أي: "لمكث في بطن الحوت، وصار له قبراً إلى يوم القيامة"^(١٢).

قال قتادة: "لصار له بطن الحوت قبراً إلى يوم القيامة"^(١٣).

القرآن

{فَتَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥)} [الصافات : ١٤٥]

التفسير:

فطر حناه من بطن الحوت، وألقيناه في أرض خالية عارية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن.

وفي قوله تعالى: {فَتَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ} [الصافات : ١٤٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : بالأرض، قاله السدي^(١٤).

الثاني : نينوى على شط دجلة. قاله قتادة^(١).

١٣). والحديث بتمامه: « يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئاً لم يرد الله أن يعطيكه لم يقدرُوا على ذلك وأن يصرفوا عنك شيئاً أراد الله أن يعطيكه لم يقدرُوا على ذلك وأن قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فإذا سألت فسل الله وإذا استعنت بالله وإذا اعتصمت فاعتصم بالله واعمل لله بالشكر في اليقين واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير فإن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً».

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٥٥):ص١٠٣/٣.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٨٩):ص١٠/٣٢٢٩.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٢):ص١٠/٣٢٣٠.

(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩١):ص١٠/٣٢٣٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٠):ص١٠/٣٢٣٠.

(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٢):ص١٠/٣٢٣٠.

(٧) انظر: تفسير عبدالرزاق في التفسير(٢٥٥٥):ص١٠٣/٣.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٩٢):ص١٠/٣٢٣٠.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٥٥٥):ص١٠٣/٣.

(١٠) البيهقي في السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٨/١).

(١١) تفسير ابن كثير: ٣٩/٧.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٥١.

(١٣) أخرجه الطبري: ١١٠/٢١، وابن ابي حاتم(١٨٢٩٢):ص١٠/٣٢٣٠.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢١.

الثالث : بأرض ليس فيها شيء ولا نبات. قاله قتادة -أيضا-^(٢)، ومنه قول الشاعر^(٣):
 وَرَفَعْتُ رَجُلًا لَا أَخَافُ عِثَارَهَا ... وَتَبَدَّتْ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءُ ثِيَابِي
 يعني بالبلد: الفضاء.
 عن السدي: {وَهُوَ سَقِيمٌ}، قال: "كهينة الصبي"^(٤).

القرآن

{وَأُنَبِّئُكَ عَلَيْهِمْ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦)} [الصفافات : ١٤٦]

التفسير:

وأنبتنا عليه شجرة من القرع تظله، وينتفع بها.

واختلف اهل التفسير في قوله تعالى: {شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ} [الصفافات : ١٤٦]، على أقوال:
 أحدها : أنه القرع ، قاله سعيد بن جبيرة في رواية-^(٥)، ومجاهد في رواية-^(٦)، وفتادة^(٧)، والضحاك^(٨)،
 والسدي^(٩)، وعمرو بن ميمون الأودي^(١٠)، ومغيرة^(١١).

قال فتادة: "كنا نحدث أنها الدُّبَاءُ، هذا القرع الذي رأيتم أنبتنا الله عليه يأكل منها"^(١٢).
 عن ابن قسيط، أنه سمع أبا هريرة يقول: "طرح بالعراء، فأنبت الله عليه يقطينة، فقلنا: يا أبا هريرة
 وما اليقطينة؟ قال: الشجرة الدُّبَاءُ، هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض -أو هَشَّاش- فتفش
 عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت"^(١٣).
 قال السدي: "هو القرع، والعرب تسميه: الدُّبَاءُ"^(١٤).

الثاني : أنه كل شجرة ليس فيها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف، قاله سعيد بن جبيرة^(١٥).
 قال سعيد بن جبيرة: "كل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين، والذي يكون على وجه الأرض من
 البطيخ والقثاء"^(١٦).

وقال سعيد بن جبيرة: "كل شيء ينبت ثم يموت من عامه"^(١٧).
 وقال مجاهد: "غير ذات أصل من الدُّبَاءُ، أو غيره من نحوه"^(١٨).

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٢)ص:١٠/٣٢٣٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢١.

(٣) البيت من الكامل، وهو لرجل من خزاعة يقال له قيس بن جعدة في "مجاز القرآن" ١٧٥ / ٢، "القرطبي" ١٥ / ١٢٩،
 "البحر المحيط" ٧ / ٣٦٨. وبلا نسبة في "تهذيب اللغة" ٣ / ١٥٨، "الطبري" ٢٣ / ١٠١.

(٤) أخرجه الطبري: ١١١/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ١١٣/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ١١٣/٢١.

(١٤) أخرجه الطبري: ١١٤/٢١.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٢/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٢٩٤)ص:١٠/٣٢٣٠.

(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٩٤)ص:١٠/٣٢٣٠.

(١٧) أخرجه الطبري: ١١٢/٢١.

(١٨) أخرجه الطبري: ١١٢-١١٣/٢١.

الثالث : أنه كل ما ينبسط على وجه الأرض من البطيخ والفتاء، رواه القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير^(١).

الرابع : أنها شجرة سماها الله تعالى يقطيناً أظلتها رواه هلال بن خباب عن سعيد بن جبير^(٢). قال سعيد بن جبير: " فيما ذكر أرسل الله عليه دابة الأرض، فجعلت تقرض عروقتها، وجعل ورقها يتساقط حتى أفضت إليه الشمس وشكاها، فقال: يا يونس جزعت من حرّ الشمس، ولم تجزع لمئة ألف أو يزيدون تابوا إليّ، فتبت عليهم؟"^(٣). والجمهور: على أن اليقطين من الشجر، ما له ورق عريض منبسط على وجه الأرض، والأكثر على أن المراد بها في السورة القرع^(٤).

القرآن

{وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَأَمَّا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)} [الصفافات : ١٤٧-١٤٨]

التفسير: وأرسلناه إلى مائة ألف من قومه بل يزيدون، فصدّقوا وعملوا بما جاء به، فمتعناهم بحياتهم إلى وقت بلوغ أجالهم.

قوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصفافات : ١٤٧]، أي: " وأرسلناه إلى مائة ألف من قومه بل يزيدون"^(٥).

قال قتادة: " أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل"^(٦).

عن سعيد بن جبير، في قوله: " {مائة ألف أو يزيدون} قال: يزيدون بسبعين ألفاً"^(٧).

قال نوف: " كانت زيادتهم سبعين"^(٨).

واختلف أهل العلم في رسالته-عليه السلام-، هل كانت قبل النقام الحوت إياه، أم بعد ذلك؟ على قولين:

أحدهما : أنه أرسل إليهم بعدما نبذه الحوت بالعراء، قاله شهر بن حوشب^(٩).

قال شهر بن حوشب: " أتاه جبرائيل، يعني يونس، وقال: انطلق إلى أهل نينوى فأندرهم أن العذاب قد حضرهم؛ قال: ألتمس دابة؛ قال: الأمر أعجل من ذلك، قال: ألتمس حذاء، قال: الأمر أعجل من ذلك، قال: فغضب فانطلق إلى السفينة فركب؛ فلما ركب احتبست السفينة لا تُقدم ولا تُؤخر؛ قال: فتساهموا، قال: فسُهم، فجاء الحوت يبصبص بذنبه، فنودي الحوت: أيا حوت إنا لم نجعل يونس لك رزقا، إنما جعلناك له حوزا ومسجدا؛ قال: فالنقمة الحوت، فانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الأيئلة، ثم انطلق به حتى مر به على دجلة، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى"^(١٠).

الثاني: أنها كانت قبل النقام الحوت له. قاله الحسن^(١١)، ومجاهد^(١٢)، وهو قول الأكثرين^(١).

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٢٩٤): ص ٣٢٣/١٠.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٢٩٥): ص ٣٢٣/١٠.

(٣) أخرجه الطبري: ١١٥/٢١.

(٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٩٨٥/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥١.

(٦) أخرجه الطبري: ١١٦/٢١.

(٧) الدر المنثور: ١٣٢/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٨) الدر المنثور: ١٣٢/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٦/٢١-١١٧.

(١٠) أخرجه الطبري: ١١٦/٢١-١١٧.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١١٦/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١١٦/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٧١.

قال الحسن وقتادة: "بعثه الله تعالى قبل أن يصيبه ما أصابه، أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل"^(٢).

وحكي عن الحسن، قال: "أنه تعالى أعاد الله له الرسالة، فأمنوا عن آخرهم، لم يشذ منهم أحد"^(٣).
والقول الثاني هو "الأصح، والمعنى: وكنا أرسلناه إلى مائة ألف، فلما خرج من بطن الحوت، أمر أن يرجع إلى قومه الذين أرسل إليهم"^(٤).

قوله تعالى: {فَأْمَنُوا فَمَعَنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} [الصافات : ١٤٨]، أي: "فصدّقوا وعملوا بما جاء به، فمعتناهم بحياتهم إلى وقت بلوغ آجالهم"^(٥).

قال الحسن: "أمنوا عن آخرهم، لم يشذ منهم أحد"^(٦).

عن قتادة والسدي: "فَمَعَنَاهُمْ إِلَى حِينٍ": الموت"^(٧).

قال السدي: "يقول إلى أجلهم"^(٨).

وقال سعيد بن جبير: "وقد كان العذاب أرسل عليهم، فلما فرقوا بين النساء وأولادها، والبهائم وأولادها، وعجّوا إلى الله، كشف عنهم العذاب، وأمطرت السماء دما"^(٩).

القرآن

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ (١٤٩)} [الصافات : ١٤٩]

التفسير:

فاسأل -أيها الرسول- قومك: كيف جعلوا لله البنات اللاتي يكرهونهنّ، ولأنفسهم البنين الذين يريدونهم؟

قال قتادة: "لأنهم قالوا يعني مشركي قريش: -: لله البنات، ولهم البنون"^(١٠).

قال السدي: "كانوا يعبدون الملائكة"^(١١).

القرآن

{أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠)} [الصافات : ١٥٠]

التفسير:

واسألهم أخلقنا الملائكة إناثًا، وهم حاضرون؟

عن قتادة: " {أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ}، قال: لأنهم قالوا: لله البنات ولهم البنون. وقالوا: إنّ الملائكة

إناث. فقال: {أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ} لذلك"^(١٢).

القرآن

(١) انظر: زاد المسير: ٥٥٣/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٩٦): ص ٣٢٣٠/١٠.

(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٤٤/٢.

(٤) زاد المسير: ٥٥٣/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥١.

(٦) علقه يحيى بن سلام ٨٤٤/٢.

(٧) أخرجه الطبري: ١١٧/٢١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦١٠): ١٩٩٠/٦.

(٩) أخرجه الطبري: ١١٥/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ١١٨/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ١١٨/٢١.

(١٢) أخرجه ابن جرير ١١٨/٢١ بنحوه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٣٣/٧، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن

أبي حاتم.

{أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَكَذَّابُونَ (١٥٢)} [الصفات : ١٥١-١٥٢]

التفسير:

وإن من كذبهم قولهم: ولد الله، وإنهم لكاذبون؛ لأنهم يقولون ما لا يعلمون.
قوله تعالى: {أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَكَذَّابُونَ (١٥٢)} [الصفات : ١٥١-١٥٢]، أي: "وإن من كذبهم قولهم: ولد الله" (١).
عن قتادة: "أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ" يقول: من كذبهم" (٢).

القرآن

{أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣)} [الصفات : ١٥٣]

التفسير:

لأي شيء يختار الله البنات دون البنين؟
قال قتادة: "يقول: كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات" (٣).

القرآن

{مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤)} [الصفات : ١٥٤]

التفسير:

بئس الحكم ما تحكمونه -أيها القوم- أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم.
قال قتادة: "إن هذا لحكم جائر" (٤).

القرآن

{أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦)} [الصفات : ١٥٦]

التفسير:

بل ألكم حجة بيّنة على قولكم وافترائكم؟
عن قتادة: "أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ" أي: عذر مبين" (٥).
عن السدي، قوله: "سُلْطَانٌ مُبِينٌ" قال: حجة" (٦).

القرآن

{فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧)} [الصفات : ١٥٧]

التفسير:

إن كانت لكم حجة في كتاب من عند الله فأتوا بها، إن كنتم صادقين في قولكم؟
قوله تعالى: {فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الصفات : ١٥٧]، أي: "إن كانت لكم حجة في كتاب من عند الله فأتوا بها" (٧).
عن قتادة: "فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ" أي: بعذرکم" (٨).

(١) التفسير الميسر: ٤٥١.

(٢) أخرجه الطبري: ١١٨/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ١١٩/٢١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٠٢): ص ٣٢٣١/١٠.

(٥) تفسير الطبري: ١٢٠/٢١.

(٦) تفسير الطبري: ١٢٠/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٢.

عن السدي: "فَأْتُوا بِكِنَابِكُمْ"، أن هذا كذا بأن له البنات ولكم البنون"^(٢).

القرآن

{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنْ الْمَشْرُوكِينَ مُحْضَرُونَ لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الصافات : ١٥٨]

التفسير:

وجعل المشركون بين الله والملائكة قرابة ونسبًا، ولقد علمت الملائكة أن المشركين محضرون للعذاب يوم القيامة.

قوله تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا} [الصافات : ١٥٨]، أي: "وجعل المشركون بين الله والملائكة قرابة ونسبًا"^(٣).

وفي قوله تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا} [الصافات : ١٥٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله، فهو النسب الذي جعلوه. قاله الحسن^(٤).

الثاني : أن اليهود قالت: إن الله تعالى تزوج إلى الجن فخرجت من بينهم الملائكة. قاله قتادة^(٥).

قال عطية: "قالوا: صاهر إلى كرام الجن"^(٦).

الثالث : أن كفار قريش قالوا: الملائكة بنات الله، والجنة صنف من الملائكة يقال لهم: الجنة. قاله مجاهد^(٧).

قال السدي: "الجنة: الملائكة، قالوا: هن بنات الله"^(٨).

وفي تسمية «الملائكة»، على هذا الوجه: «جنة»، وجهان:

أحدهما : أنهم بطن من بطون الملائكة يقال لهم: الجنة، قاله مجاهد^(٩).

الثاني : لأنهم كانوا على الجنان، قاله أبو مالك^(١٠).

وقال أبو مالك: "والملائكة كلهم أجنة"^(١١).

قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ مُحْضَرُونَ} [الصافات : ١٥٨]، أي: "ولقد علمت الملائكة أن المشركين محضرون للعذاب يوم القيامة"^(١٢).

وفي قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ مُحْضَرُونَ} [الصافات : ١٥٨]، وجهان:

أحدهما: معناه: ولقد علمت الجنة إنهم لمشهدون الحساب. قاله مجاهد^(١٣).

الثاني: أنهم علموا أن قائل هذا القول سيحضرون العذاب في النار. وهذا قول قتادة^(١٤)، والسدي^(١٥).

(١) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٥٢.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٧٠/٥، وزاد المسير: ٦١/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٠٤) : ١٠ / ٣٢٣١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ١٢١/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٠٥) : ١٠ / ٣٢٣١.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٠٥) : ١٠ / ٣٢٣١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٢.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١-١٢٢.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٣٠٦) : ١٠ / ٣٢٣٢.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢١-١٢٢.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عُنيَ به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع^(١).

القرآن

{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (١٥٩)} [الصفات : ١٥٩]

التفسير:

تنزَّهَ اللهُ عن كل ما لا يليق به ممَّا يصفه به الكافرون.
عن قتادة: " {سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ}، قال: عما يكذبون"^(٢).
قال قتادة: "سبح نفسه"^(٣).
عن ميمون بن مهران: {سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"^(٤).
عن الحسن قال: " {سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"^(٥).

القرآن

{إِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٦٠)} [الصفات : ١٦٠]

التفسير:

لكن عباد الله المخلصين له في عبادته لا يصفونه إلا بما يليق بجلاله سبحانه.
عن قتادة: " {إِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ}، قال: هذه ثنيا الله من الجن والإنس"^(٦).

القرآن

{فَاتَّكُم مَّا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِنَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ (١٦٣)} [الصفات : ١٦٣-١٦١]

التفسير:

فإنكم -أيها المشركون بالله- وما تعبدون من دون الله من آلهة، ما أنتم بمضلين أحدًا إلا من قدر الله عز وجل عليه أن يصلِّي الجحيم؛ لكفره وظلمه.
عن خالد، قال: "قلت للحسن، قوله: {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ} إلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ، إلا من أوجب الله عليه أن يصلِّي الجحيم"^(٧).
عن حميد، قال: "سألت الحسن، عن قول الله: {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ} إلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ، قال: ما أنتم عليه بمضلين إلا من كان في علم الله أنه سيصلِّي الجحيم"^(٨).
عن إبراهيم: " {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ} إلا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ: إلا من قدر عليه أنه يصلِّي الجحيم"^(٩). وفي رواية: " ما أنتم بمضلين إلا من كتب عليه إنه يصلِّي الجحيم"^(١٠).

(١) تفسير الطبري: ١٢٢/٢١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٠٦): ص ٣٢٣٢/١٠ .

(٣) أخرجه الطبري: ١٢١/٢١ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٤): ص ٨١/١ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٥): ص ٨١/١ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٠٦): ص ٣٢٣٢/١٠ .

(٧) أخرجه الطبري ١٢٣/٢١ .

(٨) أخرجه الطبري ١٢٣/٢١ .

(٩) أخرجه الطبري ١٢٣/٢١ .

(١٠) أخرجه الطبري ١٢٤/٢١ .

وذكر أهل العلم في قوله تعالى: {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ} [الصفافات: ١٦٢]، وجهان من التفسير: أحدهما: معناه: يا بني إبليس إنه ليس عليك سلطان {إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ}. قاله الحسن^(١). الثاني: أن الخطاب للمشركين، والمعنى: فإنكم ومعبوديكم ما أنتم على ما تعبدونه بمضلين أحدا {إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ}. وهذا قول قتادة^(٢)، والضحاك^(٣)، والسدي^(٤). قال الضحاك: "لا تضلون بالهتكم أحدا إلا من سبقت له الشقاوة، ومن هو صال الجحيم"^(٥). قال قتادة: "يقول: ما أنتم بمضلين أحدا من عبادي بباطلكم هذا، إلا من تولاكم بعمل النار"^(٦). عن جعفر، "عن العشرة الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز، وكانوا متكلمين كلهم، فتكلموا، ثم إن عمر بن عبد العزيز تكلم بشيء، فظننا أنه تكلم بشيء رد به ما كان في أيدينا، فقال لنا: هل تعرفون تفسير هذه الآية: {فَأَيْنَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ} قال: إنكم والآلهة التي تعبدونها لستم بالذي تفتنون عليها إلا من قضيت عليه أنه يصلّي الجحيم"^(٧). عن عمر بن ذر، أنه سمع عمر بن عبد العزيز، يقرأ هذه الآية {ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم} [الصفافات: ١٦٣] ثم قال: "لو شاء الله أن لا يعصى لم يخلق إبليس، وقد بين الله ذلك في آية من كتابه عقلا من عقلا وجهلها من جهلها، ثم قال: {إنكم وما تعبدون} [الصفافات: ١٦١] الآية"^(٨). عن الحسن أنه قرأ: «{إِلَّا مَنْ هُوَ صَالُ الْجَحِيمِ} برفع اللام"^(٩).

القرآن

{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)} [الصفافات: ١٦٤-١٦٦]

التفسير:

قالت الملائكة: وما منا أحد إلا له مقام في السماء معلوم، وإنا نحن الواقفون صفوفًا في عبادة الله وطاعته، وإنا نحن المنزهون الله عن كل ما لا يليق به. سبب النزول:

عن زيد بن مالك، قال: "كان الناس يصلون متبديدين فأنزل الله: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ}، فأمرهم أن يصفوا"^(١٠).

قوله تعالى: {وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} [الصفافات: ١٦٤]، أي: قالت الملائكة: وما منا أحد إلا له مقام في السماء معلوم"^(١١).

عن السدي، قوله: "وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ"، قال: الملائكة"^(١٢). وفي قوله تعالى: {وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} [الصفافات: ١٦٤]، وجهان: أحدهما: معناه: ما منا ملك إلا له مكان معلوم يعبد الله فيه. قاله السدي^(١).

(١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٤٧/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٢٤/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢١، وتفسير يحيى بن سلام: ٨٤٧/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢١.

(٨) تفسير عبدالرزاق (٢٥٦٢): ص ١٠٦/٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢١-١٢٥.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣١١): ص ٣٢٣٢/١٠.

(١١) التفسير الميسر: ٤٥٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٢٦/٢١.

وفي الحديث: «أطَّت السماء وحقَّ لها أن تَنِيَّطَ ، ليس فيها موضع قَدَمٍ إلا عليه ملك راعع أو ساجد». ثم قرأ : { وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ }^(٢).
 الثاني : ما حكاه قتادة قال : "كان يصلي الرجال والنساء جميعاً حتى نزلت: { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ } ، قال: فتقدم الرجال وتأخر النساء"^(٣).
 قوله تعالى: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} [الصافات : ١٦٥] ، أي: "وإننا نحن الواقفون صفوفًا في عبادة الله وطاعته"^(٤).

وفي قوله تعالى: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} [الصافات : ١٦٥] ، وجهان:
 أحدهما : يعني: صفوف الملائكة في السموات، قيل: حول العرش ينتظرون ما يؤمرون به ، وقيل: في الصلاة مصطفين.

عن قتادة، قوله: " : {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} ، قال: صفوف في السماء"^(٥).
 وفي الحديث: «مفضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجداً ، وتربتها طهورا»^(٦).

عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟" قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : "يؤمنون الصفوف المتقدمة ويترأصون في الصف"^(٧).

عن أبي نضرة، قال: "كان عمر إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه، فقال: يا أيها الناس استموا، إن الله إنما يريد بكم هدى الملائكة {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} استموا، تقدم أنت يا فلان، تأخر أنت أي هذا، فإذا استموا تقدم فكبير"^(٨).

الثاني : ما حكاه زيد بن مالك، قال: كان الناس يصلون متبديدين فأنزل الله: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} ، فأمرهم أن يصفوا"^(٩).

عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث، قال: "كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}"^(١٠).

عن ابن جريج، قال: "أنهم كانوا لا يصفون حتى نزلت: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}"^(١١).
 قوله تعالى: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} [الصافات : ١٦٦] ، أي: "وإننا نحن المنزهون الله عن كل ما لا يليق به"^(١٢).

قال قتادة: "أي" المصلون، هذا قول الملائكة يبينون مكانهم من العباد"^(١٣).
 وقال قتادة: "هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة"^(١٤).

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٤٧/٢.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧٧/١٥).

(٣) اورده السيوطي في الدر المنثور: ١٣٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣١٤): ص ٣٢٣٣/١٠.

(٦) صحيح مسلم برقم (٥٢٢).

(٧) صحيح مسلم برقم (٤٣٠) وسنن أبي داود برقم (٦٦١) وسنن النسائي (٩٢/٢) وسنن ابن ماجه برقم (٩٢٢).

(٨) أخرجه الطبري: ١٢٧/٢١-١٢٨.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣١١): ص ٣٢٣٢/١٠.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣١٢): ص ٣٢٣٢/١٠.

(١١) اورده السيوطي في الدر المنثور: ١٣٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٢.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣١٤): ص ٣٢٣٣/١٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢١.

قال قتادة: " هذا قول الملائكة ينزهون الله عما قالت اليهود حيث جعلوا بينه وبين الجنة نسبا، ويخبرون بمكانهم في السموات في صفوفهم وتسبيحهم وهو قوله في أول السورة: {والصافات صفا} [الصافات: ١]، ليس في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك قائم، أو راعع، أو ساجد" (١).
 قال الضحاك: " كان مسروق بن الأجدع يروي عن عائشة، أنها قالت: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "ما في سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم". فذلك قول الملائكة: {وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} " (٢).
 قال عبد الله: " إن من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدمه قائما؛ قال: ثم قرأ: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} " (٣).

القرآن

{وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَن عِدْنَا نِزْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٦٩)}
 [الصافات: ١٦٧-١٦٩]

التفسير:

وإن كفار «مكة» ليقولون قبل بعثتك -أيها الرسول-: لو جاءنا من الكتب والأنبياء ما جاء الأولين قبلنا، لكننا عباد الله الصادقين في الإيمان، المخلصين في العبادة.
 عن السدي: " {لو أن عندنا نكرا من الأولين}، يعني: خبرا من الأولين" (٤).
 قال السدي: " هؤلاء ناس من مشركي العرب قالوا: لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين، أو جاءنا علم من علم الأولين قال: قد جاءكم محمد بذلك" (٥).
 قال قتادة: " قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم: لو كان عندنا ذكر من الأولين، لكننا عباد الله المخلصين؛ فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به، فسوف يعلمون" (٦).
 قال الضحاك: " هذا قول مشركي أهل مكة، فلما جاءهم ذكر الأولين وعلم الآخرين، كفروا به فسوف يعلمون" (٧).

القرآن

{فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠)} [الصافات: ١٧٠]

التفسير:

فلما جاءهم ذكر الأولين، وعلم الآخرين، وأكمل الكتب، وأفضل الرسل، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، كفروا به، فسوف يعلمون ما لهم من العذاب في الآخرة.
 قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الصافات: ١٧٠]، أي: " فسوف يعلمون ما لهم من العذاب في الآخرة" (٨).
 عن الحسن: " {فسوف يعلمون}، قال: وعيد" (٩).

(١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٤٧/٢.

(٢) أخرجه الطبري: ١٢٦/٢١، ١٢٧.

(٣) أخرجه الطبري: ١٢٧/٢١.

(٤) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٤٧/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٥٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٤٣٧): ص ٣٠٨٢/٩.

القرآن

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)} [الصافات : ١٧١-١٧٣]

التفسير:

ولقد سبقت كلمتنا -التي لا مردَّ لها- لعبادنا المرسلين، أن لهم النصر على أعدائهم بالحجة والقوة، وأن جندنا المجاهدين في سبيلنا لهم الغالبون لأعدائهم في كل مقام باعتبار العاقبة والمآل. قوله تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} [الصافات : ١٧١]، أي: "ولقد سبقت كلمتنا -التي لا مردَّ لها- لعبادنا المرسلين"^(١).

عن قتادة: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ}، حتى بلغ: {لَهُمُ الْغَالِبُونَ}، قال: سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم"^(٢).

وفي قوله تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} [الصافات : ١٧١]، قولان:

أحدهما : سبقت بالحجج ، قاله السدي^(٣).

الثاني : أنهم سينصرون، وهو معنى قول الحسن^(٤).

في قراءة عبد الله: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا عَلَى عِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ»^(٥).

وقرأ الضحاك: «كلماتنا»، بألف على الجمع^(٦).

قوله تعالى: {إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ} [الصافات : ١٧٢]، أي: "إنهم هم المنصورون على أعدائهم

بالحجة والقوة"^(٧).

وفي قوله تعالى: {إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ} [الصافات : ١٧٢]، قولان:

أحدهما : أنهم المنصورون بالحجج في الدنيا والعذاب في الآخرة ، قاله السدي^(٨).

الثاني : بالظفر إما بالإيمان أو بالانتقام ، وهو معنى قول قتادة^(٩).

قال قتادة: "كانت الأنبياء تقتل وهم منصورون، والمؤمنون يقتلون وهم منصورون نصرنا بالحجج

في الدنيا والآخرة، ولم يقتل نبي قط، ولا قوم يدعون إلى الحق من المؤمنين، فنذهب تلك الأمة والقرن،

حتى يبعث الله قرنا ينتصر بهم منهم"^(١٠).

قوله تعالى: {وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات : ١٧٣]، أي: "وأن جندنا المجاهدين في سبيلنا لهم

الغالبون لأعدائهم في كل مقام باعتبار العاقبة والمآل"^(١١).

قال الحسن : "لم يقتل من الرسل أصحاب الشرائع أحد قط"^(١٢).

القرآن

(١) التفسير الميسر : ٤٥٢.

(٢) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢١-١٣١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣١/٢١.

(٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٤٨/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣١/٢١.

(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٤٩٠/٤.

(٧) انظر: التفسير الميسر: ٤٥٢، وصفوة التفسير: ٤٢/٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٣١/٢١.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٣١٥): ص ٣٢٣٣/١٠.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣١٥): ص ٣٢٣٣/١٠.

(١١) التفسير الميسر : ٤٥٢.

(١٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٤٨/٢.

{قَتُولَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)} [الصفات : ١٧٤-١٧٥]

التفسير:

فأعرض -أيها الرسول- عَمَّنْ عانده، ولم يقبل الحق حتى تنقضي المدة التي أمهلهم فيها، ويأتي أمر الله بعذابهم، وأنظرهم وارْتَقِبْ ماذا يحل بهم من العذاب بمخالفتك؟ فسوف يرون ما يحل بهم من عذاب الله. قوله تعالى: {قَتُولَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ} [الصفات : ١٧٥]، أي: "فأعرض -أيها الرسول- عَمَّنْ عانده، ولم يقبل الحق حتى تنقضي المدة التي أمهلهم فيها، ويأتي أمر الله بعذابهم" (١). قال مجاهد: "قيل له أعرض، عنهم" (٢).

وفي بيان هذا «الحين»، أقوال:

أحدها : أنه يوم بدر ، قاله السدي (٣).

الثاني : الموت ، قاله قتادة (٤).

الثالث : يوم القيامة (٥)، وهو قول زيد بن أسلم (٦)، وهو مروى عن السدي في رواية (٧).

والقول الأخير أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه، فقال: {أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ}، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْرَضَ عليهم إلى مجيء حينه. فتأويل الكلام: فتول عنهم يا محمد إلى حين مجيء عذابنا، ونزوله بهم (٨).

قوله تعالى: {وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} [الصفات : ١٧٥]، أي: "وأنظرهم وارْتَقِبْ ماذا يحل بهم من العذاب بمخالفتك؟ فسوف يرون ما يحل بهم من عذاب الله" (٩). عن قتادة: " {وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}، حين لا ينفعم البصر" (١٠).

القرآن

{أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ (١٧٧)} [الصفات : ١٧٦-١٧٧]

التفسير:

أفبنزول عذابنا بهم يستعجلونك أيها الرسول؟ فإذا نزل عذابنا بهم، فبئس الصباح صباحهم. سبب النزول:

قال مقاتل: " فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم:- متى هذا الوعد؟ تكذيبا به فأنزل الله- عز وجل- {أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ...} (١١).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٢.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم (١٨٣٢٠): ٣٢٣٤/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣١/٢١-١٣٢، وتفسير ابن ابي حاتم (١٨٣١٨): ص ٣٢٣٣/١٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣١/٢١.

(٥) والآية منسوخة على هذا القول، فإن قوله تعالى، {قَتُولَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ}، وعد للنبي صلى الله عليه وسلم وأمر بالموادعة، وهذا مما نسخته آية السيف. [انظر: المحرر الوجيز: ٤/٤٩٠].

قال المقرئ: في سورة «الصفات» أربع آيات منسوخات منها آيتان متصلتان أوليان هما قوله تعالى: {قَتُولَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤)} {وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} [الصفات : ١٧٤-١٧٥]، والآيتان المتصلتان الآخرتان قوله تعالى: {وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨)} {وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} [الصفات : ١٧٨-١٧٩]، وبين الحينين فرق كبير، فالحين الأول: انتظار أمر الله تعالى بقتالهم، والحين الثاني: كناية عن يوم بدر، والمشهور نسخت الأربع بآية السيف. [الناسخ والمنسوخ: ١٤٧].

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢١.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٨٣١٧): ص ٣٢٣٣/١٠.

(٨) تفسير الطبري: ١٣٢/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢١.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٣/٣-٦٢٤.

قال الثعلبي: " وذلك أن رسول الله -عليه السلام- لما أوعدهم العذاب، قالوا: متى هذا الوعد؟ فأنزل الله سبحانه هذه الآية"^(١).

عن السدي، قوله: " {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ}، قال: بدارهم، {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}، قال: بنس ما يصبجون"^(٢).

عن أنس رضي الله، عنه قال: "صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقد خرجوا بالمساحي، فلما نظروا إليه قالوا: محمد والخميس. فقال: الله أكبر خربت خيبر، إنا أنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فأصبنا حمرا خارجة من القرية فطبختها فيقال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إن الله ورسوله ينهاكم عن الحمر الأهلية، فإنها رجس من عمل الشيطان"^(٣).

وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران، والجدي، وابن يعمر: «فإذا نزل»، برفع النون وكسر الزاي وتشديدها^(٤). وقرأ ابن مسعود: «فبنس صباح»^(٥).

القرآن

{وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩)} [الصفافات : ١٧٨-١٧٩]

التفسير:

وأعرض عنهم حتى يأذن الله بعذابهم، وأنظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من العذاب والنكال. قوله تعالى: {وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ} [الصفافات : ١٧٩]، أي: "وأعرض عنهم حتى يأذن الله بعذابهم"^(٦).

قال مجاهد: " قيل له: أعرض عنهم"^(٧).

قال السدي: " يعني: إلى حين آجالهم"^(٨).

قال قتادة: " {وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ} نسخها القتال، هي مثل الأولى"^(٩).

قوله تعالى: {وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} [الصفافات : ١٧٩]، أي: " وأنظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من العذاب والنكال"^(١٠).

عن زيد بن أسلم، في قوله: {وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}، قال: يقول: يوم القيامة؛ ما صنعوا من أمر الله وكفرهم بالله ورسوله وكتابه. قال: أبصر وأبصرهم واحد"^(١١).

القرآن

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)} [الصفافات : ١٨٠]

التفسير:

تنزه الله وتعالى رب العزة عما يصفه هؤلاء المفترون عليه.

(١) الكشف والبيان: ١٧٣/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ١٣٣/٢١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣١٩): ص ٣٢٣٣/١٠-٣٢٣٤.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥٥٦/٣.

(٥) انظر: الكشف: ٦٨/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٥٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٢٠): ص ٣٢٣٤/١٠.

(٨) علقه يحيى بن سلام ٨٤٩/٢.

(٩) علقه يحيى بن سلام ٨٤٩/٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٢.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٢١): ص ٣٢٣٤/١٠.

عن قتادة: "سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ"، أي: عما يكذبون، يسبح نفسه إذا قيل عليه البهتان" (١). وفي رواية: "يسبح نفسه إذ كذب عليه، وقيل عليه البهتان عما يصفون قال: عما يكذبون" (٢).

القرآن

{وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١)} [الصافات : ١٨١]

التفسير:

وتحية الله الدائمة وثناؤه وأمانه لجميع المرسلين.

عن السدي: "وسلام على المرسلين"، يعني: الثناء الحسن" (٣).

عن قتادة: "وسلام على المرسلين"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سلمتم علي فسلموا

على المرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين» (٤) (٥).

القرآن

{وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)} [الصافات : ١٨٢]

التفسير:

والحمد لله رب العالمين في الأولى والآخرة، فهو المستحق لذلك وحده لا شريك له.

قال كعب: "«الحمد لله»: ثناء على الله" (٦).

قال الضحاك: "«الحمد لله»: رداء الرحمن" (٧).

وفي قوله تعالى: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات : ١٨٢]، وجوه:

أحدها: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع (٨).

الثاني: أن «رب العالمين»: ما وصف من خلقه. قاله قتادة (٩).

الثالث: أن «رب العالمين»: الجن والإنس، وهذا قول مجاهد (١٠).

(١) أخرجه الطبري: ١٣٣/٢١-١٣٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٢٣): ص ١٠/٣٢٣٤.

(٣) علقه يحيى بن سلام ٨٤٩/٢.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين (١٠/٢)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١١٣/١، ٣٣٥/٢).

من طريق أبي العوام، عن قتادة، عن أنس، به.

وقال الحافظ في نتائج الأفكار كما في الفتوحات الربانية (٣/٣٣٨): سنده حسن، لكن أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن

قتادة مرسلًا، وهو قوي.

والحديث سنده ضعيف؛ لوجود أبي العوام، وهو عمران بن داور، قال الحافظ: صدوق يهيم، ورمي برأي الخوارج (التقريب

ص ٤٢٩)، وفيه عننة قتادة، وهو مدلس. (انظر طبقات المدلسين ص ٤٣).

ورواية قتادة التي أشار إليها الحافظ رحمه الله قبل قليل، ذكرها السخاوي في القود البديع (ص ٧٩) بلفظ: إذا صليتم على

المرسلين، فصلوا علي معهم، فإنني رسول من المرسلين".

قال السخاوي: رواه ابن أبي عاصم، وإسناده حسن جيد، لكنه مرسل.

(٥) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٧٤): ص ٥/١٤٧٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٧٥): ص ٥/١٤٧٩.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠٢٥٢): ص ٦/١٩٣١.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠٢٥٣): ص ٦/١٩٣١.

(١٠) تفسير ابن أبي حاتم: ١٩٣٢/٦.

عن الشعبي، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ سرَّه أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}»^(١).

عن علي-رضي الله عنه، قال: "من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل حين يفرغ من صلاته سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين"^(٢).
عن أبي سعيد قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - غير مرة يقول في آخر صلاته: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»^(٣).
وفي الحديث: "إذا حضرتم الميت فقولوا: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين"^(٤).

وفي الحديث: «من قال دبر كل صلاة: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، ثلاث مرات فقد اكتال بالجريب الأوفى من الأجر»^(٥).
«آخر تفسير سورة (الصفات)، والحمد لله وحده»

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٢٢) :ص١٠/٣٢٣٤، و-كما في تفسير ابن كثير ٧/٤٢، وتخريج أحاديث الكشاف ٣/١٨٢ - مرسلًا.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٣٦/٢، رقم ٣١٩٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٩/١، رقم ٣٠٩٧)، في إسناده عمارة بن جوين - أبو هارون العبدى - متروك الحديث، ورواه أبو يعلى في مسنده (٣٦٣/٢) فقال: حدثنا إسحاق، حدثنا حماد، عن أبي هارون بنحوه.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والمروزي عن أم سلمة، [جامع الاحاديث (١٨٠٣):ص٧١/٣]، وأخرجه الديلمي (٢٦٨/١، رقم ١٠٤١).

(٥) أخرجه الطبراني (٢١١/٥، رقم ٥١٢٤) قال الهيثمي (١٠٣/١٠) : فيه عبد المنعم بن بشير وهو ضعيف جدا.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «ص»

سورة «ص»: هي السورة «الثامنة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، نزلت بعد سورة: «القمر»^(١)، وآياتها ثمان وثمانون في عد الكوفة، وست في عد الحجاز، والشأم، والبصر، وخمس في عد أيوب بن المتوكل وحده. وكلماتها سبعمائة واثنان وثلاثون. وحروفها ثلاثة آلاف وسبع وستون. المختلف فيها ثلاث: {الدَّكْرُ} [ص: ١]، {وَعَوَّاصٍ} [ص: ٣٧]، {وَالْحَقُّ أَقُولُ} [ص: ٨٤]، مجموع فواصل آياتها: «صد قطرب من لج»^(٢).

■ مكان نزول السورة:

قال ابن عباس: "نزلت سورة (ص) بمكة"^(٣).

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية بإجماع من المفسرين"^(٤).

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"^(٥).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعاً"^(٦).

وقد روي عن ابن عباس، قال: "مرض أبو طالب، فأنته قريش، وأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعد فيه، فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، وقال: ما شأن قومك يشكونك؟ قال: "يا عم أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي العجم إليهم الجزية"، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقاموا: فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ قال: ونزل: {ص وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ} [ص: ١]، فقرأ حتى بلغ: {إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} [ص: ٥]^(٧).

فهذا نص في أن نزوله هذه السورة في آخر حياة أبي طالب وفي مرض موته -كما ذكر ابن عطية -^(٨) فتكون هذه السورة قد نزلت في سنة ثلاث قبل الهجرة.

(١) انظر: الكشاف: ٧٠/٤.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٩٩.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٤٢/٧، وعزاه إلى ابن الصريسي والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤) المحرر الوجيز: ٤٩١/٤.

(٥) زاد المسير: ٥٥٧/٣.

(٦) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٣٩٩.

(٧) حديث حسن بطرقه وشواهد. أخرجه أحمد (٢٠٠٨): ص ٤٥٨/٣، وأبو يعلى ٢٥٨٣ والترمذي ٣٢٣٢ والنسائي في «التفسير» ٤٥٦ والحاكم ٤٣٢/٢ والبيهقي ١٨٨/٩ والواحي في «أسباب النزول» ٧٢٢ عن ابن عباس به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، مع أن فيه يحيى بن عمار، وهو مقبول. وتوبع في رواية ثانية للنسائي ٤٥٧ وأحمد ٣٦٢/٢. وفيه أيضاً عباد بن جعفر، وهو مجهول. وورد من وجه ثالث، أخرجه الحاكم ٤٣٢/٢ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حسن لأجل ابن إسحاق، وقد صرح بالتحديث.

(٨) انظر: المحرر الوجيز: ٤٩٣/٤.

القرآن

{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)} [ص : ١-٢]

التفسير:

{ص} سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة. يقسم الله سبحانه بالقرآن المشتمل على تذكير الناس بما هم عنه غافلون. ولكن الكافرين متكبرون على الحق مخالفون له.

سبب نزول الآيات: [٧-١]:

قال ابن عباس: "مرض أبو طالب فجاءته قريش، وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وعند أبي طالب مجلس رجل، فقام أبو جهل كي يمنعه قال: وشكوه إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: إني أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية. قال: كلمة واحدة؟ قال: كلمة واحدة قال: يا عم يقولوا: لا إله إلا الله فقالوا: إليها واحدا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق. قال: فنزل فيهم القرآن: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)} [ص : ١ - ٢]، إلى قوله: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص : ٧]"^(١).

وذكر أهل التفسير في قوله تعالى: {ص} [ص : ٢]، وجوها:

أحدها : أنه فواتح الله تعالى بها القرآن ، قاله مجاهد^(٢)، وهو مروى عن الحسن^(٣).

الثاني : أنه اسم من أسماء القرآن، أقسم الله به. قاله قتادة^(٤).

الثالث : أنه حرف هجاء من أسماء الله تعالى ، قاله السدي^(٥).

الرابع : أنه بمعنى صدق الله ، قاله الضحاك^(٦).

الخامس : أنه من المصادة، وهي المعارضة، ومعناه: عارض القرآن لعلمك ، قاله الحسن-أيضا-^(٧).

ومن قال بهذا التفسير، فإنه يقرؤه بكسر الدال، لأنه أمر^(٨).

أخرج الطبري بسنده عن الحسن: "أنه كان يقرأ: «ص والقرآن» بخفض الدال، وكان يجعلها من المصادة، يقول: عارض القرآن"^(٩).

عن الحسن، في قوله: "{ص والقرآن}"، قال: عارض القرآن، قال عبد الوهاب: يقول اعرضه على عملك، فانظر أين عملك من القرآن"^(١٠).

قوله تعالى: {وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص : ٢]، أي: "والقرآن المشتمل على تذكير الناس بما هم عنه غافلون"^(١).

(١) أخرجه الترمذي في التفسير (٣٢٣٢):ص٢١٩/٥، وقال حديث حسن صحيح، وتحقيق الألباني:

ضعيف الإسناد، وأخرجه النسائي في التفسير (٤٥٦) .

والطبري في تفسيره (١٥٠-١٤٩/٢١)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧/١) .

وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤٣٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي، قلت: في تصحيحه نظر حيث إن في إسناده عند الحاكم يحيى بن عمارة قال الحافظ في التريب: مقبول، وقال في التهذيب: ذكره ابن حبان في الثقات أ. هـ.

وزاد السيوطي نسبه في الدر (٢٩٥/٥) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن حاتم وابن مردويه.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦، و(١٠٦٣٤):ص١٩٩٤/٦، و(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٥١٩):ص٢٧٤٧/٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢١.

(٩) تفسير الطبري: ١٣٨-١٣٧/٢١.

(١٠) اخرجه الطبري: ١٣٧/٢١.

قال قتادة : "ها هنا- وقع القسم"^(١).
 وفي قوله تعالى: {وَالْقُرْآنَ الَّذِي نُنزِّلُ بِهِ عَلَيْكَ سُلْطَانًا مُّبِينًا} [ص : ٢]، وجوه من التفسير:
 أحدها : ذي الشرف ، قاله سعيد بن جبير^(٢)، والسدي^(٣).
 الثاني : ذي البيان، قاله قتادة^(٤).
 الثالث : ذي التذكير، ذكركم الله به، ومثله قوله تعالى: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ} [الأنبياء : ١٠].
 وهذا قول الضحاك^(٥).
 الرابع : ذكرت فيه أفاصيص الأولين والآخرين وما يحتاج إليه في الحلال والحرام. حكاه الزجاج^(٦).
 قوله تعالى: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} [ص : ٢]، أي: "ولكن الكافرين متكبرون على الحق مخالفتون له"^(٧).
 عن مجاهد، قوله: "في عزة وشقاق"، قال: مُعَارِضِينَ^(٨).
 وفي قوله تعالى: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} [ص : ٢]، وجهان:
 أحدهما : يعني: في حمية وفراق ، قاله قتادة^(٩).
 الثاني : في تعزز واختلاف، قاله السدي^(١٠).
 والعزة: "الحمية والتكبر عن الحق، والشقاق: الخلاف والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم"^(١١).

القرآن

{كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَوْ أَنَّنَا نَدْرِكُ الْمَسِيرَ} [ص : ٣]

التفسير:

كثيراً من الأمم أهلكتها قبل هؤلاء المشركين، فاستغاثوا حين جاءهم العذاب ونادوا بالتوبة، وليس الوقت وقت قبول توبة، ولا وقت فرار وخلص مما أصابهم.
 قوله تعالى: {كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ} [ص : ٣]، أي: "كثيراً من الأمم أهلكتها قبل هؤلاء المشركين"^(١٢).

وللمفسرين في المراد بـ«القرن»، أقوال:

أحدها: أن القرن: سبعون سنة. قاله قتادة^(١٣).

- (١) التفسير الميسر: ٤٥٣.
- (٢) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢١.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢١.
- (٤) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢١.
- (٥) انظر: النكت والعيون: ٧٥/٥، وزاد المسير: ٥٥٨/٣.
- (٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢١.
- (٧) قال الطبري: "معناه: ذي التذكير لكم، لأن الله أتبع ذلك قوله: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ}، فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكراً لعباده ذكرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزة وشقاق". [تفسير الطبري: ١٤٠/٢١].
- (٨) انظر: معاني القرآن: ٣١٩/٤.
- (٩) التفسير الميسر: ٤٥٣.
- (١٠) أخرجه الطبري: ١٤١/٢١.
- (١١) أخرجه الطبري: ١٤٢/٢١.
- (١٢) انظر: النكت والعيون: ٧٦/٥.
- (١٣) زاد المسير: ٥٥٨/٣.
- (١٤) التفسير الميسر: ٤٥٣.
- (١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٣٧): ص ٢٩٨٢/٩.

الثاني: أنه ستون سنة. قاله الحسن^(١).
 الثالث: أن القرن أربعون سنة. قاله إبراهيم^(٢).
 الرابع: أنه عشرون سنة. وهذا مروى عن الحسن -أيضا^(٣)-.
 عن مالك بن دينار، قال: "سألت الحسن، عن القرن، فقال: عشرون سنة"^(٤).
 الخامس: أنه مائة وعشرون سنة، قاله زرارة بن أوفى^(٥)، وإياس بن معاوية^(٦).
 السادس: أن القرن: أمد. قاله أبو مالك^(٧).
 السابع: أنه مائة سنة، قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن^(٨)، وهو قول الجمهور^(٩).
 والراجح أن القرن مئة سنة، إذ ورد فيه الحديث مرفوعا^(١٠) وهو حديث قوي. والله أعلم.
 قوله تعالى: {فَنَادُوا وَكُنَّ حِينَ مَنَاصٍ} [ص: ٣]، أي: "فاستغاثوا حين جاءهم العذاب ونادوا بالتوبة، وليس الوقت وقت قبول توبة، ولا وقت فرار وخلص مما أصابهم"^(١١).
 وفي تفسير قوله تعالى: {فَنَادُوا وَكُنَّ حِينَ مَنَاصٍ} وجوه:
 أحدها: وليس حين منجي، قاله زيد بن أسلم^(١٢).
 وقال قتادة: "فنادوا في غير نداء"^(١٣). وفي رواية: "نادوا حين لاحين نداء"^(١٤). قال النحاس:
 أي: "في غير نداء ينجي"^(١٥).
 والمناص: مصدر ناص ينوص، وهو المنجاة والفوت. قال عمرو بن شأى الأسدي^(١٦):

- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٣٨) ص: ٢٩٨٢/٩.
 (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٤٠) ص: ٢٩٨٢/٩.
 (٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٤١) ص: ٢٩٨٢/٩.
 (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٤١) ص: ٢٩٨٢/٩.
 (٥) انظر: زاد المسير: ١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.
 (٦) انظر: زاد المسير: ١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.
 (٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧١٠٩) ص: ١٢٦٣/٤.
 (٨) انظر: زاد المسير: ١٠/٢.
 (٩) انظر: الدر المصون: ٥٤١/٤.
 (١٠) ورد ذلك مرفوعا وهو حديث قوي. علقه البخاري في «التاريخ الكبير» ٣٢٣/١ و«الصغير» ٢١٦/١ قال داود بن رشيد حدثنا أبو حياة شريح بن يزيد الحضرمي عن إبراهيم بن محمد بن زياد عن أبيه عن عبد الله بن بسر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعيش هذا الغلام قرنا»، فعاش مائة سنة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٦١١٩ بآتم منه وقال رواه الطبراني والبخاري باختصار إلا أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدركن قرنا» ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي، وهو ثقة اهـ.
 وورد بنحوه عن الحسن بن أيوب الحضرمي قال: أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه فوضعت إصبعي عليها فقال: وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم إصبعه عليها وقال: «لتبلغن قرنا» أخرجه أحمد ١٨٩/٤ والطبراني كما في «المجمع» ١٦١٢٠. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب، وهو ثقة، ورجال الطبراني ثقات اهـ. وانظر «الإصابة» ٢٨١-٢٨٢ (٤٥٦٥).
 الخلاصة هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهدہ..
 (١١) التفسير الميسر: ٤٥٣.
 (١٢) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٣٤٦) ص: ١٦٤/٢.
 (١٣) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٣٠٣/٣.
 (١٤) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٧٨/٦.
 (١٥) إعراب القرآن: ٣٠٣/٣.
 (١٦) البيت لعمرو بن شأس انظر: النوادر ٢٢٥ (ط الفاتح) واللسان (ضلل) وذكر أن هذه العبارة «ضلا بتضلال» تقال للباطل. ورواية البيت فيهما: "تذكرت ليلي لات حين ادكارها ... وقد حني الأصلاب ضلًا بتضلال".
 انظر: ترجمته وأخباره في الجمهرة ص ٤٤ والأغاني ٦٠/١٠.
 والبيت للأعشى في محلق ديوانه- عن الإتيقان- ٢٤٠-، وعجزه: وقد نئت منها والمناص بعيد.

تذكرت ليلى لات حين تذكر
وقال أبو النجم^(١):

أساد غيل حين لا مناص
أي: لا تحرك^(٢).

قال أهل اللغة: "ولات حين منجى ولا فوت"^(٣).

الثاني: أنهم نادوا بالتوبة وليس حين توبة ولا ينفع العمل. قاله الحسن^(٤).

الثالث: ليس حين انقلاب. قاله عكرمة^(٥).

الرابع: ليس بحين فرار ولا إجابة. قاله مجاهد^(٦).

وهذه الأقوال متقاربة، أي: ليس حين نداء منجي، والمعنى: ليس حين فوت^(٧).

القرآن

{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجَابٌ (٥)} [ص : ٤-٥]

التفسير:

وعجب هؤلاء الكفار من بعث الله إليهم بشرا منهم؛ ليدعوهم إلى الله ويخوفهم عذابه، وقالوا: إنه ليس رسولا بل هو كاذب في قوله، ساحر لقومه، كيف يصير الآلهة الكثيرة إلهاً واحداً؟ إن هذا الذي جاء به ودعا إليه لشيء عجيب.

قوله تعالى: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ} [ص : ٤]، أي: "وعجب هؤلاء الكفار من بعث الله إليهم بشرا منهم؛ ليدعوهم إلى الله ويخوفهم عذابه"^(٨).

عن قتادة: "وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ"، يعني: محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^(٩).

قوله تعالى: {وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [ص : ٤]، أي: "وقالوا: إنه ليس رسولا بل هو كاذب في قوله، ساحر لقومه"^(١٠).

عن السدي، قوله: "سَاحِرٌ كَذَّابٌ"، يعني: محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^(١١).

قوله تعالى: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} [ص : ٥]، أي: "كيف يصير الآلهة الكثيرة إلهاً واحداً؟ إن هذا الذي جاء به ودعا إليه لشيء عجيب"^(١٢).

قال قتادة: "عجب المشركون أن دُعا إلى الله وحده، وقالوا: يسمع لحاجتنا جميعاً إله واحداً! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة"^(١).

(١) من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن: ١٧٦/٢. والبيت لعلي بن ابي طالب كما في النكت والعيون: ٧٧/٥، وصدوره: قد جنبوا الخيل على الدلاص.

(٢) مجاز القرآن: ١٧٦/٢.

(٣) معاني القرآن: ٣٢٠/٤.

(٤) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٣٠٣/٣.

(٥) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٧٨/٦.

(٦) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم الفارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعتاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي: (٩٠): ص ٩٠، وتفسير ابن كثير: ٥٢/٧.

(٧) معاني القرآن: ٧٨/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(٩) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢١.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(١١) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٣.

القرآن

﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَةِ
الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا خِتْلَاقٌ ﴿٧﴾ [ص : ٦-٧]

التفسير:

وانطلق رؤساء القوم وكبرائهم يحرضون قومهم على الاستمرار على الشرك والصبر على تعدد الآلهة، ويقولون إن ما جاء به هذا الرسول شيء مدبر يقصد منه الرئاسة والسيادة، ما سمعنا بما يدعو إليه في دين أبائنا من قريش، ولا في النصرانية، ما هذا إلا كذب وافتراء.

ذكر أهل التفسير في نزول هاتين الآيتين، قولان:

أحدهما: أنه لما جاء وجوه قريش إلى أبي طالب، وهم أبو جهل، والوليد بن المغيرة، وعتبة وشيبة وطعيمة بن عدي، وعتبة بن أبي معيط، وأبي وأمّية ابنا خلف، وزمعة بن الأسود، وغيرهم، وشكوا إليه محمداً، وقالوا: إنه يسب آلهتنا ويسفه أحلامنا، ويذكر أن آباءنا في النار؛ فدعا أبو طالب النبي وقال: يا بن أخ، هؤلاء قومك جاءوا يشكونك، ويذكرون كذا وكذا، فماذا تطلب منهم؟ قال: أطلب منهم كلمة واحدة إن قالوها دانت لهم العرب، وأدت إليهم العجم الجزية، فقال القوم: نحن نقول عشر كلمات، فماذا تريد؟ فقال: قولوا لا إله إلا الله، فنفروا وقاموا، وقالوا: لا نقولها أبداً، وجعل بعضهم يقول لبعض: {أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ}، أي: الزموها، وأقيموا على عبادتها. وهذا قول ابن عباس^(١)، والسدي^(٢).

روي عن السدي: "أن أناساً من قريش اجتمعوا، فيهم أبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فلنكلمه فيه، فلينصفنا منه، فيأمره فليكيف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه الذي يعبد، فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ، فيكون منا شيء، فتعيرنا العرب فيقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه، قال: فبعثوا رجلاً منهم يدعى المطلب، فاستأذن لهم على أبي طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسرّواتهم يستأذنون عليك، قال: أدخلهم؛ فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكيف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه؛ قال: فبعث إليه أبو طالب؛ فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرّواتهم، وقد سألوك النَّصْفَ أن تكف عن شتم آلهتهم، ويدعوك وإلهك؛ قال: فقال: "أي عم أولاً أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟" : وإلامَ تدعوهم؟ قال: "أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدبّر لهم بها العرب ويملكون بها العجم"؛ قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، قال: "تقولون لا إله إلا الله" . قال: فنفروا وقالوا: سلنا غير هذه، قال: "لو جئتموني بالنَّمْسِ حتى تَضَعُوها في يدي ما سألتكم غيرها"؛ قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضاباً وقالوا: والله لنشتمنك والذي يأمرك بهذا ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ .. إلى قوله ﴿إِلَّا خِتْلَاقٌ﴾ وأقبل على عمه، فقال له عمه: يا ابن أخي ما شططت عليهم، فأقبل على عمه فدعاه، فقال: "قُلْ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، فقال: لولا أن تعيبكم بها العرب يقولون جزع من الموت لأعطينكها، ولكن على ملة الأشياخ؛ قال: فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

(١) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢١.

(٢) الخبر رواه الترمذي في التفسير (٣٢٣٢): ص ٢١٩/٥، وقال حديث حسن صحيح، وانظر: تفاصيل التخرّيج في سبب نزول الآيات: [١-٧].

(٣) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢١-١٥٤.

(٤) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢١-١٥٤.

الثاني: أنها نزلت في إسلام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وما حصل للمسلمين من القوة بمكانه. قاله مقاتل^(١).

قال السمعاني: فقال الكفار لما أسلم عمر: إن هذا لشيء يراد، أي: إن أمر محمد لشيء يراد، حيث قوي بإسلام عمر^(٢).

قال مقاتل: "وذلك حين أسلم عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فشق على قريش إسلام عمر، وفرح به المؤمنون وانطلق الملأ منهم وهم سبعة وعشرون رجلاً، والملأ في كلام العرب الأشراف منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وأمّية وأبي ابنا خلف، ... وغيرهم، فقال الوليد بن المغيرة: {أَنْ امشوا} إلى أبي طالب {واصبروا} واثبتوا {على} عبادة {الهِتَمِ}، نظيرها في الفرقان: {لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا} [الفرقان : ٤٢]، يعني: ثبتنا، فقال الله- عز وجل- في الجواب: {فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [فصلت : ٢٤]"^(٣).

قوله تعالى: {وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ} [ص : ٦]، أي: "وانطلق رؤساء القوم وكبرائهم يحرضون قومهم على الاستمرار على الشرك والصبر على تعدد الآلهة"^(٤).

عن مجاهد: "وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ"، قال: عقبة بن أبي معيط^(٥).

وفي قراءة عبد الله: «وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ يَمْتَسُونَ أَنْ اصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ»^(٦).

قوله تعالى: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ} [ص : ٦]، أي: "ما سمعنا بما يدعو إليه في دين آبائنا من قريش، ولا في النصرانية"^(٧).

وفي قوله تعالى: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ} [ص : ٧]، وجوه:

أحدها : معناه: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالى ذكره، وبهذا الكتاب الذي جاء به في الملة النصرانية، لأنها كانت آخر الملل، قاله مجاهد في رواية^(٨)، والسدي^(٩)، ومحمد بن كعب^(١٠).

الثاني : فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، قاله الحكم^(١١).

الثالث : في ملة قريش ، قاله مجاهد^(١٢).

الرابع : في ديننا هذا، ولا في زماننا قط. قاله قتادة^(١٣).

الخامس : معناه: أننا ما سمعنا أنه يخرج ذلك في زماننا ، قاله الحسن^(١٤).

قوله تعالى: {إِنْ هَذَا إِلَّا خَيْتَلًا} [ص : ٧]، أي: "ما هذا إلا كذب واقتراء"^(١٥).

عن مجاهد، قوله: "إِنْ هَذَا إِلَّا خَيْتَلًا"، قال: كذب"^(١٦).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٥/٣-٦٣٦.

(٢) تفسير السمعاني: ٤٢٥/٤-٤٢٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٥/٣-٦٣٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١٥١/٢١.

(٦) تفسير الطبري: ١٥١/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٣٣٣):ص١٠/٣٢٣٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٥٢/٢١.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٣٣٢):ص١٠/٣٢٣٦.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٧٩/٥.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٢/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢١.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٧٩/٥.

(١٥) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٥٥-١٥٤/٢١.

قال قتادة: "إلا شيء تخلقه"^(١).
قال السدي: "اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم"^(٢).

القرآن

{أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩)} [ص : ٩]

التفسير:

أم هم يملكون خزائن فضل ربك العزيز في سلطانه، الوهاب ما يشاء من رزقه وفضله لمن يشاء من خلقه؟
قال قتادة: "لا، والله، ما عندهم منها شيء، ولكن الله يختص برحمته من يشاء"^(٣).
عن السدي: "أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ؟"، يعني: مفاتيح النبوة، فيعطوا النبوة من شاؤوا، ويمنعوا من شاؤوا، أي: ليس ذلك عندهم"^(٤).

القرآن

{أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠)} [ص : ١٠]

التفسير:

أم لهؤلاء المشركين ملك السموات والأرض وما بينهما، فيعطوا ويمنعوا؟ فليأخذوا بالأسباب الموصلة لهم إلى السماء، حتى يحكموا بما يريدون من عطاء ومنع.
قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [ص : ١٠]، أي: "أم لهؤلاء المشركين ملك السموات والأرض وما بينهما، فيعطوا ويمنعوا؟"^(٥).
عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، الله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"^(٦).
قوله تعالى: {فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ} [ص : ١٠]، أي: "فليأخذوا بالأسباب الموصلة لهم إلى السماء، حتى يحكموا بما يريدون من عطاء ومنع"^(٧).
واختلف أهل التفسير في معنى «الأسباب» التي ذكرها الله في هذا الموضع، على أقوال:
أحدها: في الفضل والدين، قاله السدي^(٨).
قال أبو عبيدة: "تقول العرب للرجل الفاضل في الدين: قد ارتقى فلان في الأسباب"^(٩).
الثاني: في طرق السماء وأبوابها، قاله مجاهد^(١٠).
وقال قتادة: "في أبواب السماء"^(١١).
وروي عن السدي، قوله: "في الأسباب"، قال: أسباب السموات"^(١٢).

(١) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢١.

(٣) الدر المنثور: ١٤٦/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد.

(٤) ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين ٨٣/٤ -.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧٢): ص ١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(٨) حكاه عنه ابن قتيبة في غريب القرآن: ٣٧٧، والماوردي في النكت والعيون: ٧٩/٥.

(٩) مجاز القرآن: ١٧٧/٢-١٧٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٥٦/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٧٢.

(١١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٧٧): ص ١١٠/٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢١.

الثالث : معناه: فليرتقوا إلى السماء السابعة. قاله الضحاك^(١).
 عن الضحاك: "يقول: إن كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما؛ {فَلْيَرْتُقُوا فِي الْأَسْبَابِ} يقول:
 فليرتقوا إلى السماء السابعة"^(٢).
 الرابع: أن «الأسباب»: أدق من الشعر، وأشد من الحديد، وهو بكل مكان، غير أنه لا يرى. قاله الربيع بن
 أنس^(٣).

وأصل «السبب» -عند العرب-: كل ما تسبب به إلى الوصول إلى المطلوب من حبل أو وسيلة، أو
 رحم، أو قرابة أو طريق، أو محجة وغير ذلك^(٤)، و«السبب»: الحبل -أيضا-، و«السبب» -أيضا-: ما
 تسببت به من رحم أو يد أو دين وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل سبب ونسب يوم القيامة منقطع إلا
 سببى ونسبى»^(٥). والمسلم إذا تقرب إلى رجل ليس بينهما نسب قال: إن الإسلام أقوى سبب وأقرب
 نسب^(٦).

القرآن

{جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَتَمُودُ
 وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنَّ كُلَّ إِنْ كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) } [ص : ١١ -
 ١٤]

التفسير:

هؤلاء الجند المكذبون جند مهزومون، كما هُزم غيرهم من الأحزاب قبلهم، كذَّبت قبلهم قوم نوح وعاد
 وفرعون صاحب القوة العظيمة، وتمود وقوم لوط وأصحاب الأشجار والبساتين وهم قوم شعيب. أولئك
 الأمم الذين تحزَّبوا على الكفر والتكذيب واجتمعوا عليه. إن كلُّ من هؤلاء إلا كذَّب الرسل، فاستحقوا عذاب
 الله، وحلَّ بهم عقابه.

قوله تعالى: {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ} [ص : ١١]، أي: "هؤلاء الجند المكذبون جند
 مهزومون، كما هُزم غيرهم من الأحزاب قبلهم"^(٧).
 عن مجاهد: "جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ}، قال: فريش من الأحزاب، قال: القرون
 الماضية"^(٨).

قال قتادة: "وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جندا من المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر"^(٩).
 وقال قتادة: "هو يوم بدر أخبرهم الله به قبل أن يكون"^(١٠).

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.

(٤) تفسير الطبري: ١٥٧/٢١.

(٥) حديث ابن عباس: أخرجه الطبراني (٢٤٣/١١، رقم ١١٦٢١)، حديث عمر: أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٧٦/٥)، رقم

٥٦٠٦، والبيهقي (٦٤/٧، رقم ١٣١٧٢)، والضياء

(١٩٧/١، رقم ١٠١)، وقال: إسناده حسن. وأخرجه أيضاً: الطبراني (٤٥/٣، رقم ٢٦٣٤)، وأبو نعيم (٣١٤/٧)، وقال:

غريب. والدلمي (٢٥٥/٣، رقم ٤٧٥٥).

حديث المسور: أخرجه الطبراني (٢٧/٢٠، رقم ٣٣).

(٦) مجاز القرآن: ١٧٨/٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(٨) أخرجه الطبري: ١٥٧/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ١٥٨/٢١.

(١٠) تفسير عبدالرزاق (٢٥٧٩): ص ١١١/٣.

قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ} [ص : ١٢]، أي: "كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون صاحب القوة العظيمة"^(١).

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون «ذو الأوتاد»، على أقوال: أحدها: لأنه كانت له ملاعب من أوتاد، يُعَبُّ له عليها. قاله قتادة^(٢).

الثاني: لتعذيبه الناس بالأوتاد. قاله الربيع بن انس^(٣)، والسدي^(٤). قال السدي: "كان يعذب الناس بالأوتاد، يعذبهم بأربعة أوتاد، ثم يرفع صخرة ثمّ بالحبال، ثم تلقى عليه فتشدخه"^(٥).

الثالث: أن «الأوتاد»: البنيان، والمعنى: ذو البنيان. قاله الضحاك^(٦). وأشبه الأفعال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما للعب، كان يُعَبُّ له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد^(٧).

قوله تعالى: {وَتَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ} [ص : ١٣]، أي: "وكذبت تمود وقوم لوط وأصحاب الأشجار والبساتين وهم قوم شعيب"^(٨).

وفي معنى: «الأيكة»، قولان:

أحدهما: أنها الغيضة^(٩)، قاله سعيد بن جبير^(١٠)، ومجاهد^(١١)، والضحاك^(١٢)، وقاتدة^(١٣)، والسدي^(١٤). قال قاتدة: "ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة. وكان عامّة شجرهم هذا الدوم"^(١٥).

قال خصيف: "وكانوا يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة، وفي الشتاء اليابسة"^(١٦). الثاني: أن «الأيكة»: الشجر الملتف المجتمع، وهذا قول قاتدة-في رواية أخرى-^(١٧)، ومنه قول أمية^(١٨):
كَبُكَا الْحَمَامِ عَلَى فُرُو ... عِ الْأَيْكِ فِي الْعُصْنِ الْجَوَائِحِ
وقول النابغة الذبياني^(١٩):

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٥٣.
 - (٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢١.
 - (٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٩/٢١.
 - (٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٩-١٥٨/٢١.
 - (٥) أخرجه الطبري: ١٥٩-١٥٨/٢١.
 - (٦) انظر: تفسير الطبري: ١٥٩/٢١.
 - (٧) تفسير الطبري: ١٥٩/٢١.
 - (٨) التفسير الميسر: ٤٥٣.
 - (٩) أي الأجمة: وهي مجتمع الشجر في مغيض ماء. انظر: "جمهرة اللغة" ٩٥٧/٢، "الصاح" (غيض) ١٠٩٧/٣.
 - (١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/١٧.
 - (١١) انظر: النكت والعيون: ١٦٨/٣.
 - (١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٥/١٧.
 - (١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/١٧.
 - (١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢١، وتفسير ابن أبي حاتم (٨٧٠٥): ص ١٥١٩/٥.
 - (١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/١٧، وانظر: قول قاتدة في التفسير نفسه صفحة: ١٦٠/٢١. باختلاف يسير في الألفاظ.
 - (١٦) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢١.
 - (١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢٥/١٧.
 - (١٨) البيت لأمية بن أبي الصلت التقي، ولم أجد في ديوانه، ووجدته في سيرة ابن هشام (٣: ٣١ طبعة الحلبي) من قصيدة له يرثي بها قتلى بدر وأولها ألا بكيت على الكرا ... م بني الكرام أولى الممادح
كَبُكَا الْحَمَامِ ... الْبَيْتِ وَالْأَيْكِ: الشجر الملتف، واحده أيكة، والجوانح: الموائل. يقول: جنح: إذا مال. وفي (اللسان أيك):
الأيكة: الشجر الكثير الملتف. وقيل: هي الغيضة تنبت السد والأراك ونحوهما من ناعم الشجر، وخص بعضهم به منت الأثل ومجتمعه.
 - (١٩) البيت للنابغة الذبياني زياد بن معاوية (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٨٥) قال شارحه:

تَجَلُّوْ بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْكَةً ... بَرَدًا أُسِفَ لِثَانِهِ بِالْإِثْمِ
والظاهر أن {الأيكَةَ}، "أي: أصحاب الشجر، و«الأيك» الشجر، وهؤلاء أهل موضع كان ذا شجر،
فانتقم الله منهم بكفرهم، قيل إنه أخذهم الحر أياما ثم اضطرم عليهم المكان نارا فهلكوا عن آخرهم"^(١).
قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ الْأَحْزَابُ} [ص : ١٣]، أي: "أولئك الأمم الذين تحزَّبوا على الكفر والتكذيب
واجتمعوا عليه"^(٢).

قال مجاهد: "القرون الماضية"^(٣).
قوله تعالى: {إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ} [ص : ١٤]، أي: "كلُّ من هؤلاء إلا كذب الرسل،
فاستحقوا عذاب الله، وحلَّ بهم عقابه"^(٤).
قال قتادة: "هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسل، فحقَّ عليهم العذاب"^(٥).

القرآن

{وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (١٥)} [ص : ١٥]

التفسير:

وما ينتظر هؤلاء المشركون لحلول العذاب عليهم إن بقوا على شركهم، إلا نفخة واحدة ما لها من رجوع.
قوله تعالى: {وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} [ص : ١٥]، أي: "وما ينتظر هؤلاء المشركون
لحلول العذاب عليهم إن بقوا على شركهم، إلا نفخة واحدة"^(١).
عن قتادة، قوله: "{وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً}، يعني: أمة محمد"^(٢).
قوله تعالى: {مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} [ص : ١٥]، أي: "ما لتلك الصيحة من رجوع"^(٣).
واختلف أهل العلم في تفسير قوله تعالى: {مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} [ص : ١٥]، على قولين:
أحدهما: من رجوع. قاله مجاهد^(٤)، وقاتادة^(٥)، وابن جريج^(٦).
قال قتادة: "يعني: الساعة، ما لها من رجوع ولا ارتداد"^(٧).
وقال قتادة: "ما لها من مثنوية"^(٨).
الثاني: ليس لهم بعدها إفاقة، ولا رجوع إلى الدنيا. قاله السدي^(٩).

تجلو: تكشف. والقوادم: الريش المقدم في جناح الطائر. ويكون شديد السواد. شبه سواد شفتيها بالقوادم؛ وشبه بياض ثغرها
ببياض البرد. واللثا: مغارز الأسنان، ومن عاداتهم أن يذروا عليها الإثمد، ليبين بياض الأسنان. اهـ. والأيكَة: الشجر الكثير
الملتف. وقيل: هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه. وقال أبو
حنيفة الدينوري: قد تكون الأيكَة: الجماعة من الشجر، حتى من النخل. قال: والأول أعرف. والجمع أيك.

(١) معاني القرآن: ١٥٨/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(٣) أخرجه الفريابي - كما في تعليق التعليق ٢٩٥ / ٤ -.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٥٣.

(٧) أخرجه الطبري: ١٦١/٢١.

(٨) انظر: التفسير الميسر: ٤٥٣. [بتصرف]

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢١.

(١١) أخرجه إسحاق البستي ص ٢٣٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٦١/٢١.

(١٣) نقلا عن غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٢٥.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢١.

والفواق -في اللغة-: ما بين الحلبتين، والمعنى: أن العذاب لا يمهلهم، ولا يلبثهم بذلك القدر^(١).
 عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر". قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الصور؟ قال: "قرن"، قال: كيف هو؟ قال: "قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة الفزع الأولى، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره الله فيديمها ويطولها، فلا يفتر وهي التي يقول الله: ﴿مَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ قَوَاقٍ﴾"^(٢).

القرآن

{وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦)} [ص : ١٦]

التفسير:

وقالوا: ربنا عجل لنا نصيبنا من العذاب في الدين قبل يوم القيامة، وكان هذا استهزاءً منهم.

وفي {وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنَا} [ص : ١٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : معنى ذلك: عجل لنا حظنا من الجنة التي وعدتنا ، قاله سعيد بن جبير^(٣).

الثاني : عجل لنا نصيبنا من العذاب الذي وعدتنا استهزاءً منهم بذلك ، قاله مجاهد^(٤)، وقتادة^(٥).

قال قتادة: "أي: نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة، قال: قد قال ذلك أبو جهل: اللهم إن كان ما

يقول محمد حقا {فَأَمْطُرُ عَلَيْكَ جَارَةً مِنَ السَّمَاءِ} ... الآية"^(٦).

الثالث : أرنا منازلنا في الجنة حتى نتابعك، قاله السدي^(٧).

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل صيكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاءً بوعيد الله. وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن القط هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: {اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ} فكان معلوماً بذلك أن مسألتهم ما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاءً، وكان فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أذى، أمره الله بالصبر عليه حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله {عَجَلْ لَنَا قِطْنَا} بيان أي القطوط إرادتهم، لم يكن لما توجيه ذلك إلى أنه معني به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر، فلذلك قلنا إن مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر^(٨).

القرآن

{اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧)} [ص : ١٧]

التفسير:

(١) تفسير السمعاني: ٤٢٨/٤.

(٢) أخرجه الطبري: ١٦١/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢١.

(٨) تفسير الطبري: ١٦٥/٢١-١٦٦.

اصبر -أيها الرسول- على ما يقولونه مما تكرهه، واذكر عبدنا داود صاحب القوة على أعداء الله والصبر على طاعته، إنه توَّاب كثير الرجوع إلى ما يرضي الله.
قوله تعالى: {اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ} [ص : ١٧]، أي: "اصبر -أيها الرسول- على ما يقولونه مما تكرهه"^(١).

قوله تعالى: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ} [ص : ١٧]، أي: "واذكر عبدنا داود صاحب القوة على أعداء الله والصبر على طاعته"^(٢).

وفيما نسب داود إليه من القوة، ثلاثة أقوال:

أحدها : ذا القوة في أمر الله في طاعة الله ، قاله مجاهد^(٣) ، والسدي^(٤).

قال السدي: " ذا القوة في طاعة الله"^(٥).

قال قتادة: " ذا القوة في العبادة"^(٦).

وفي الحديث: «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب القيام إلى الله قيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفِر إذا لاقى»^(٧).

الثاني: ذا القوة في طاعة الله والبصر في الحق. قاله مجاهد ايضاً^(٨).

وقال الحسن: " القوَّة في العبادة، والبصر في الهدى"^(٩).

الثالث : ذا القوة في العبادة والفقہ في الدين. قاله قتادة^(١٠).

قال قتادة: " أعطى قوة في العبادة، وفقها في الإسلام"^(١١).

وقد ذُكر لنا أن داود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر^(١٢).

قوله تعالى: {إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ١٧]، أي: " إنه توَّاب كثير الرجوع إلى ما يرضي الله"^(١٣).

وفي قوله تعالى: {إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ١٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه رجَّاع عن الذنوب. قاله مجاهد^(١٤)، والضحاك^(١٥).

قال الضحاك: " رجَّاع إلى الله - عز وجل - بالتوبة"^(١٦).

قال مجاهد: " مُنِيب راجع عن الذنوب"^(١٧).

وروي عن سعيد بن المسيب، قال: " الذي يصيب الذنوب ثم يتوب ثم يصيب الذنوب ثم يتوب"^(١٨).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٦/٢١-١٦٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٧/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ١٦٧/٢١.

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٢ / ١٦١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٧) صحيح البخاري برقم (١١٣١) وصحيح مسلم برقم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٨) انظر: تفسير مجاهد: ٥٧٣.

(٩) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٦٧/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ١٦٧/٢١.

(١٢) تفسير الطبري: ١٦٧/٢١.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.

(١٥) تفسير الثعلبي ٨ / ١٨٣.

(١٦) تفسير الثعلبي ٨ / ١٨٣.

(١٧) تفسير مجاهد (٥٧٣)، وأخرجه الطبري: ١٦٨/٢١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٨) أخرجه الطبري: ١٧/٤٢٣-٤٢٤.

الثاني : أي: كان مطيعا لله كثير الصلاة. قاله قتادة^(١).
 الثالث: أنه المحسن. قاله سعيد بن جبير^(٢)، وقاتادة^(٣).
 الرابع: أنه المسبح ، قاله السدي^(٤)، وعمرو بن شرحبيل^(٥).
 الخامس : أنه الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وهذا قول مجاهد^(٦)، وعبيد بن عمير^(٧).
 و أولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: «الأواب» هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن «الأواب» إنما هو فعال، من قول القائل: أب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، كما قال عبيد بن الأبرص^(٨):
 وكل ذي غيبة يتوب ... وغائب الموت لا يتوب
 فهو يتوب أوبا، وهو رجل أتب من سفره، وأواب من ذنوبه^(٩).

القرآن

{إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩)} [ص : ١٨ - ١٩]

التفسير:

إننا سخرنا الجبال مع داود يسبحن بتسبيحه أول النهار وآخره، وسخرنا الطير معه مجموعة تسبح، وتطيع تبعاً له.

قوله تعالى: {إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ} [ص : ١٨]، أي: "إننا سخرنا الجبال مع داود يسبحن بتسبيحه أول النهار وآخره"^(١٠).

قال قتادة: "يسبحن مع داود إذا سبح بالعشي والإشراق"^(١١).

عن عبد الله بن الحارث بن نوفل: "أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى، قال: فأدخلته على أم هانئ، فقلت: اخبري هذا بما أخبرتني به، فقالت أم هانئ: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي، فأمر بماء فصب في فصعة، ثم أمر بثوب فأخذ بيدي وبينه، فاغتسل، ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات، وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء، قريب بعضهن من بعض، فخرج ابن عباس، وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن {يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ} وكنت أقول: أين صلاة الإشراق، ثم قال: بعد هن صلاة الإشراق"^(١٢).

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢/١٧.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٣٨/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢/١٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/١٧.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/١٧.

(٨) البيت لعبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي (ديوانه ص ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٣) من قصيدته التي مطلعها: "أفقر من أهله ملحوب". يقول: كل غائب تنتظر أوبته، إلا من مات فلا أوبة له إلى الدنيا. والبيت شاهد على أن الأواب الرجاء، الذي يرجع إلى التوبة والطاعة، من أب يتوب إذا رجع (انظر اللسان: أوب) . وفيه أيضا: قال أبو بكر في قولهم: رجل أواب، سبعة أقوال: الراحم، والتائب، والمسبح، والذي يرجع إلى التوبة ثم يذنب ثم يتوب، والمطيع، والذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه. أهـ. وكل هذه المعاني راجعة إلى المعنى اللغوي، وهو الرجوع عن الشيء إلى غيره.

(٩) تفسير الطبري: ٤٢٥/١٧-٤٢٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(١١) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢١-١٦٩.

قوله تعالى: {وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً} [ص : ١٩]، أي: "وذللنا لداود الطير وسخرناها مجموعة من كل صنف ومكان"^(١).

عن قتادة: "وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً": مسخرة"^(٢).

قوله تعالى: {كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ} [ص : ١٩]، أي: "كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجّاع إلى التسييح"^(٣).

وفي قوله تعالى: {كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ} [ص : ١٩]، وجهان من التفسير: أحدهما: كل له مطيع، يعني داود والجبال والطير. قاله قتادة^(٤). الثاني: معناه: كل مسبح لله. قاله السدي^(٥).

و«الأواب» -ها هنا-: هو المسبح، والتسييح هو عبادة أهل السموات والأرض^(٦).

القرآن

{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ (٢٠)} [ص : ٢٠]

التفسير:

وقوينا له ملكه بالهيبة والقوة والنصر، وأتيناه النبوة، والفصل في الكلام والحكم.

قوله تعالى: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ} [ص : ٢٠]، أي: "وقوينا له ملكه بالهيبة والقوة والنصر"^(٧).

قال السدي: "كان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف، أربعة آلاف"^(٨).

قوله تعالى: {وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ} [ص : ٢٠]، أي: "وأتيناه النبوة، والفصل في الكلام والحكم"^(٩).

وفي قوله تعالى: {وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ} [ص : ٢٠]، وجوه:

أحدها : النبوة ، قاله السدي^(١٠).

الثاني : الستة ، قاله قتادة^(١١)، والحسن^(١٢)، وأبو مالك^(١٣)، ويحيى بن كثير^(١٤).

الثالث : العدل ، قاله ابن نجيب^(١٥).

الرابع : الصواب . قاله مجاهد^(١٦).

الخامس : العلم والفهم ، قاله شريح^(١٧).

(١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٤٨٧/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ١٦٩/٢١.

(٣) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٤٨٧/٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٩/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢١.

(٦) تفسير السمعاني: ٤٣٠/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٨) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧١/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٧١/٢١.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦٩٩٣): ص٤/١٢٤٠.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦٩٩٣): ص٤/١٢٤٠.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦٩٩٣): ص٤/١٢٤٠.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٨٤/٥.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٤٥٦/ ٦- . وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٣): ص٨/١.

عن الحكم بن عتيبة، قال: "لم يكن شريح يفسر غير ثلاث آيات، قول الله: {وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ}، قال: الحكمة: الفهم، وفصل الخطاب: الشهود والبيّنات، {والذي بيده عقدة النكاح}، الزوج، وفي قول الله: {إن خير من استأجرت القوي الأمين}، قال: أمرها أن تمشي خلفه وغض عنها بصره"^(١).
قال ابن وهب: "قلت لمالك: ما الحكمة؟ قال: المعرفة بالدين، والفقّه في الدين، والاتباع له"^(٢).
والصواب مفي «الحكمة»، أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من "الحكم" الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل، بمنزلة "الجلسة والقعدة" من "الجلوس والعود"، يقال منه: "إن فلانا لحكيم بين الحكمة"، يعني به: إنه لبين الإصابة في القول والفعل"^(٣).
وفي قوله تعالى: {وَفَصَلَ الْخُطَابِ} [ص: ٢٠]، وجوه:
أحدها: أنه علم القضاء والفهم به. قاله الحسن^(٤)، ومجاهد^(٥)، والسدي^(٦).
وقال مجاهد: "إصابة القضاء وفهمه"^(٧).
قال مجاهد: "ما قال من شيء أنفذه، وعَدَّله في الحكم"^(٨).
قال الحسن: "يعني: العدل في القضاء"^(٩). وفي رواية: "الفهم في القضاء"^(١٠).
الثاني: تكليف المدعي البيّنة والمدعى عليه اليمين، قاله شريح^(١١)، وقتادة^(١٢).
قال قتادة: "البيّنة على الطالب، واليمين على المطلوب، هذا فصل الخطاب"^(١٣).
قال شريح: "بيّنة المدعي، أو يمين المدعى عليه"^(١٤).
قال شريح: "الشاهدان على المدعي، واليمين على من أنكر"^(١٥). وفي رواية: "شاهدان أو يمين"^(١٦). وفي رواية: "الشهود والأيمان"^(١٧).
عن طاووس: "أن شريحا قال لرجل: إن هذا يعيب علي ما أعطي داود، الشهود والأيمان"^(١٨).
قال مجاهد: "الأيمان، والشهود"^(١٩).
وقال كعب الأحبار: "الشهود، والأيمان"^(٢٠).

-
- (١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٣): ص ٨/١.
(٢) أخرجه الطبري (٢٠٧٩): ص ٨٧/٣.
(٣) تفسير الطبري: ١٨٧/٢١.
(٤) راه الأشعث عن الحسن كما في احكام القرآن للجصاص: ٥٠١/٣، وانظر: النكت والعيون: ٨٤/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢١.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢١.
(٧) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢١.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم - كما في الفتح ٦/ ٤٥٦ - بنحوه. وعزاه السيوطي إلى الحاكم، وعبد بن حميد.
(٩) ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير بن أبي زمنين ٤/ ٨٥ -.
(١٠) الدر المنثور: ١٥٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر، وعبد بن حميد.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢١-١٧٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢١.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٧٣/٢١، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. وأخرجه البيهقي ١٠/ ٢٥٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/ ١٠١ بلفظ: البيّنة على المدعي، واليمين على المدعى عليه.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢١.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢١-١٧٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢١.
(١٧) أخرجه الطبري: ١٧٣/٢١.
(١٨) أخرجه الطبري: ١٧٣/٢١.
(١٩) أخرجه سعيد بن منصور في سننه - التفسير ٧/ ١٧٥، والفراء في معاني القرآن ٢/ ٤٠١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

قال الشعبي: "يمين، أو شاهد"^(٢).

الثالث : قوله: «أما بعد»، وهو أول من تكلم بها، قاله الشعبي^(٣).

قال الشعبي: "هو قول الرجل: أما بعد"^(٤).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعيا، فإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه. ومن قطع الخطاب أيضا الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد. فإذا كان ذلك كله محتلا ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أي ذلك المراد، ولا ورد به خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت، فالصواب أن يعم الخبر، كما عمه الله، فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب"^(٥).

القرآن

{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢)} [ص : ٢١-٢٢]

التفسير:

وهل جاءك -أيها الرسول- خبر المتخاصمين اللذين تسورا على داود في مكان عبادته، فارتاع من دخولهما عليه؟ قالوا له: لا تخف، فنحن خصمان ظلم أحدهما الآخر، فاقض بيننا بالعدل، ولا تجر علينا في الحكم، وأرشدنا إلى سواء السبيل.

قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} [ص : ٢٢]، أي: "وهل جاءك -أيها الرسول- خبر المتخاصمين اللذين تسورا على داود في مكان عبادته"^(٦).

عن مجاهد: قوله: {إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} قال: المسجد"^(٧).

عن أبي الأحوص، قال: "دخل الخصمان على داود عليه السلام وكل واحد منهما أخذ برأس صاحبه"^(٨).

قوله تعالى: {إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ} [ص : ٢٢]، أي: "حين دخلوا عليه من أعلى السور فخاف وارتعد منهم"^(٩).

عن ابن جريج في قوله {فَفَزِعَ مِنْهُمْ} قال: "كان الخصوم يدخلون من الباب ففزع من تسورهما"^(١٠).

قوله تعالى: {قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ} [ص :

٢٢]، أي: "قالوا له: لا تخف، فنحن خصمان ظلم أحدهما الآخر، فاقض بيننا بالعدل، ولا تجر علينا في الحكم"^(١).

(١) أخرجه الثعلبي ٨ / ١٨٥، وفي تفسير البغوي ٧ / ٧٧ عن أبي بن كعب!

(٢) أخرجه الطبري: ١٧٣/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ١٧٣/٢١.

(٥) تفسير الطبري: ١٧٣/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٧) الدر المنثور: ١٦١/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨) الدر المنثور: ١٦١/٧، وعزاه إلى ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٩) صفوة التفاسير: ٤٩/٣.

(١٠) الدر المنثور: ١٦١/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

قال الحسن: "ولا تشطط"، أي: لا تجر" (٢).

قال قتادة: "أي: لا تمل" (٣).

قال السدي: "يقول: لا تحف" (٤). وفي رواية: "لا تسرف" (٥).

وقرئ: «ولا تشطط»، أي: ولا تبعد عن الحق. وقرئ: ولا تشطط. ولا تشاطط، وكلها من

معنى «الشطط»: وهو مجاوزة الحدّ وتخطي الحق (٦).

قوله تعالى: «وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ» [ص: ٢٢]، أي: "وأرشدنا إلى سواء السبيل" (٧).

قال قتادة: "أي: أعدله وخيره" (٨).

قال السدي: "إلى عدل القضاء" (٩).

عن سعيد ابن المسيب والحرث الأعور: "أنّ عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه قال: من حدثكم

بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء" (١٠).

وروى: "أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث به وقال:

إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتبس خلافها، وأعظم بأن يقال غير ذلك، وإن كانت

على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه. فقال عمر: لسماعى هذا الكلام أحب

إليّ مما طلعت عليه الشمس" (١١).

والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له

عنها فحسب" (١٢).

قال الحسن: "جزأ داود الزمن أربعة أجزاء: فيوم لنسائه، ويوم لقضائه، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه،

ويوم لبني إسرائيل يسألونه، فقال يوما لبني إسرائيل: أيكم يستطيع أن يتفرغ لربه ولا يستطيع الشيطان منه

شيئا؟ قالوا: لا أينا والله، فحدث نفسه أنه يستطيع ذلك، فدخل محرابه وأغلق أبوابه، فقام فصلى فجاء طائر

في أحسن صورة مزين كأحسن ما يكون، فوقع قريبا منه فنظر إليه وأعجبه فوقع في نفسه منه شيء

وأعجبه، فدنا منه ليأخذه فضرب يده عليه فأخطأه فوقع قريبا منه وأطمعه أنه سيأخذه، ففعل ذلك ثلاث

مرات حتى إذا كان في الرابعة ضرب يده عليه فأخطأه فوقع على سور المحراب، قال: وحول المحراب

حوض يغتسل فيه النساء، نساء بني إسرائيل أحسبه قال - الحيض - قال: فضرب يده عليه وهو على سور

المحراب فأخطأه، وهبط الطائر فأشرف فإذا هو بامرأة تغتسل فنفضت شعرها فغطى جسدها فوقع في نفسه

منها ما شغله، عن صلاته فنزل من محرابه ولبست المرأة ثيابها وخرجت إلى بيتها، فخرج حتى عرف

بيتها فسألها: من أنت؟ فأخبرته، فقال: هل لك زوج؟ قالت: نعم، قال: أين هو؟ قالت: في بعث كذا وكذا،

(١) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٨٥): ص ١١٤/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ١٨٤-١٨٢/٢١.

(٥) تفسير الثعلبي: ٤٩٣/٢٢، وانظر: النكت والعيون "للمواردي ٨٦ / ٥ وقد نقل هذا القول عن الأخفش ولم أره في معانيه،

وانظر أيضًا "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٥ / ١٧٢.

(٦) انظر: الكشاف: ٨٣/٤، وتفسير البيضاوي: ٢٧/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٨) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ١٨٤-١٨٢/٢١.

(١٠) نقلا عن الكشاف: ٨١/٤.

وفي النكت والعيون: ٨٩/٥، حكى السدي عن علي كرم الله وجهه قال: "لو سمعت رجلا يذكر أن داود قارف من تلك المرأة

محرماً لجلده ستين ومائة لأن حد الناس ثمانون وحد الأنبياء ستون ومائة، حدان".

(١١) نقلا عن: الكشاف: ٨١/٤.

(١٢) الكشاف: ٨١/٤.

وجند كذا وكذا، فرجع وكتب إلى عامله إذا جاءك كتابي هذا فاجعل فلانا في أول الخيل التي تلي العدو، قال فقدم في فوارس في عادية الخيل فقاتل حتى قتل، [ص: ١١٤] قال: فبينما داود في المحراب تسور عليه ملكان فأفزعاه وراعاه، فقالا: {لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض} [ص: ٢٢] حتى بلغ {ولا تشطط} [ص: ٢٢] أي: لا تجر {واهدنا إلى سواء الصراط} [ص: ٢٢] حتى بلغ {فقال أكفنيها} [ص: ٢٣] يقول: أعطنيها {وعزني في الخطاب} [ص: ٢٣] يقول: قهرني في الخصومة، قال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى بلغ {وطن داود أنما فتناه} قال: "علم داود أنه هو المعني بذلك {وخر راعكا وأناب} [ص: ٢٤]"^(١).

عن أنس -رضي الله عنه- قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل وأوصى صاحب الجيش فقال: إذا حضر العدو تضرب فلانا بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستتصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل، أو ينهزم منه الجيش فقتل وتزوج المرأة، ونزل الملكان على داود عليه السلام فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده: رب زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب. رب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثا في المخلوق من بعده. فجاء جبريل عليه السلام من بعد أربعين ليلة فقال: يا داود إن الله قد غفر لك وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة؟ فقال: يا رب دمي الذي، عند داود؟ قال جبريل: ما سألت ربك، عن ذلك، فإن شئت لافعلن فقال: نعم ففرح جبريل. وسجد داود عليه السلام فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال: قد سألت الله يا داود، عن الذي أرسلتني فيه فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول: «هب لي دمك الذي، عند داود، فيقول: هو لك، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت ما اشتهيت عوضا»^(٢).

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس - وي زيد وإن كان من الصالحين - لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا^(٣).

القرآن

{إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفِنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣)} [ص :

٢٣]

التفسير:

قال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون من النعاج، وليس عندي إلا نعجة واحدة، فطمع فيها، وقال: أعطنيها، وغلبني بحجته.

قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً} [ص : ٢٣]، أي: "قال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون من النعاج، وليس عندي إلا نعجة واحدة"^(٤).

عن قتادة: " {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً}، وكان لداود تسع وتسعون امرأة، {وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً}، قال: وإنما كان للرجل امرأة واحدة"^(٥).

عن وهب بن منبه: " {إِنَّ هَذَا أَخِي}، أي: على ديني"^(٦).

وفي قراءة عبدالله: «وَأَنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْتِي»^(١).

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٨٥): ص ١١٤/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٤٤): ص ٣٢٣٩/١٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦٠/٧.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢١.

عن الضحاك " إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تَسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أَنْتَى ». يعني: بنأنيثها. حسنهما" (٢).
قال السدي: " فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكمل بها نعاجه مئة" (٣).
قوله تعالى: {فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا} [ص : ٢٣]، أي: " فطمع فيها، وقال: أعطنيها" (٤).
قال الحسن: " يقول: أعطنيها" (٥).

قال وهب بن منبه: " أي: احملني عليها" (٦).
قوله تعالى: {وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ} [ص : ٢٣]، أي: " وغلبنى بحجته" (٧).
وفي قوله تعالى: {وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ} [ص : ٢٣]، وجهان من التفسير:
أحدهما: أي: قهرني في الخصومة، قاله الحسن (٨)، وقتادة (٩)، ووهب بن منبه (١٠).
وقال قتادة: " أي: ظلمني وقهرني" (١١).

قال وهب: " أي: قهرني في الخطاب، وكان أقوى مني، فحاز نعجتي إلى نعاجه، وتركني لا شيء لي" (١٢).

الثاني: معناه: إن تكلم كان أبين، وإن بطش كان أشد مني، وإن دعا كان أكثر مني، قاله الضحاك (١٣).
قال السدي: " فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعا وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن أخذها منه، فأكمل بها نعاجي مئة، قال: وهو كاره؟ قال: وهو كاره، قال: وهو كاره؟ قال: إذن لا ندعك وذاك، قال: ما أنت على ذلك بقادر، قال: فإن ذهبت تروم ذلك أو تريد، ضربنا منك هذا وهذا وهذا، وفسر أسباط طرف الأنف، وأصل الأنف والجبهة؛ قال: يا داود أنت أحق أن يُضرب منك هذا وهذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة، ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته، وتزوجت امرأته. قال: فنظر فلم ير شيئا، فعرف ما قد وقع فيه، وما قد ابثلي به" (١٤).

القرآن

{قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)} [ص : ٢٤]
التفسير:

قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيرا من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض، ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه من نفسه إلا المؤمنين الصالحين، فلا يبغى بعضهم على بعض، وهم قليل. وأيقن داود أننا فتنناه بهذه الخصومة، فاستغفر ربه، وسجد تقربا لله، ورجع إليه وتاب.

(١) تفسير الطبري: ١٧٧/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢١-١٨٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٨٥): ص ١١٤/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٨) رواه عنه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٨٥): ص ١١٤/٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢١.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢١-١٨٤.

قوله تعالى: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ} [ص : ٢٤]، أي: "قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه"^(١).

قوله تعالى: {وَوَظَنَ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ} [ص : ٢٤]، أي: "وأيقن داود أننا فتنناه بهذه الخصومة"^(٢).

عن قتادة: "وَوَظَنَ دَاوُودُ: علم داود"^(٣).

قال الحسن: "ظن أنما ابئلي بذلك"^(٤).

قال الحسن: "علم داود أنه هو المعني بذلك {وخر راععا وأناب}"^(٥).

واختلف في سبب البلاء الذي ابئلي به نبي الله داود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على قولين:

أحدها: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس، فتمنى مثله، فقيل له: إنهم امتحنوا فصبروا، فسأل أن يُبئلي كالذي ابتلوا، ويُعطى كالذي أعطوا إن هو صبر. قاله السدي^(٦).

الثاني: أن ذلك كان لعارض كان عرض في نفسه من ظن أنه يطيق أن يتم يوما لا يصيب فيه حوبة، فابئلي بالفتنة التي ابئلي بها في اليوم الذي طمع في نفسه بإتمامه بغير إصابة ذنب. قاله الحسن^(٧).

قوله تعالى: {فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص : ٢٤]، أي: "فاستغفر ربه، وسجد تقربًا لله، ورجع إليه وتاب"^(٨).

عن قتادة: "وأناب، أي: تاب"^(٩).

قال السدي: "فمكث يبكي ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة منها، ثم يقع ساجدا يبكي، ثم يدعو..."^(١٠).

قال عطاء الخراساني: "نقش داود خطيئته في كفه لكيلا ينساها، قال: فكان إذا رآها خفتت يده واضطربت"^(١١).

القرآن

{فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ} (٢٥) [ص : ٢٥]

التفسير:

فغفرنا له ذلك، وجعلناه من المقرّبين عندنا، وأعدنا له حسن المصير في الآخرة.

قوله تعالى: {فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ} [ص : ٢٥]، أي: "فغفرنا لداوود ما كان منه"^(١٢).

عن الحسن: "هو ما نواه إن قتل زوجها تزوج بها وأحسن الخلافة عليها"^(١٣).

قوله تعالى: {وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص : ٢٥]، أي: "وإنه لمن المقر بين لدينا، وله حسن المرجع، وهو النعيم في الجنة"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٣) أخرجه الطبري: ١٨١/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ١٨١/٢١.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٨٥): ص ١١٤/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٨٢/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٨٤/٢١-١٨٥.

(٨) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٨٦): ص ١١٤/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢١-١٨٤.

(١١) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢١.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٦٠/٧.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٨٩/٥.

قال أبو صالح: "الزلفى: القرب، {وَحُسْنٌ مَّابٍ} قال: المرجع" (٢).
عن قتادة: "وَحُسْنٌ مَّابٍ، أي: مصير" (٣).
قال الضحاك: "حسن منقلب" (٤).
وقال السدي: "حسن المنقلب" (٥).

قال الحسن: "علم أنه هو المعني بذلك؛ فسجد أربعين ليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة، قال: ولم يذق طعاما ولا شرابا حتى أوحى الله أن ارفع رأسك فقد غفرت لك، قال: يا رب إني قد علمت أنك لست بتاركي حتى تأخذ لعبدك مني، قال: إني أستوهبك من عبدي فيهبك لي، وأجزيه على ذلك أفضل الجزاء، قال: "الآن علمت يا رب أنك قد غفرت لي، قال الله تعالى: {فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآبٍ}" (٦).

القرآن

يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ {ص : ٢٦} [ص : ٢٦]

التفسير:
يا داود إنا استخلفناك في الأرض وملكانك فيها، فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى في الأحكام، فيضلك ذلك عن دين الله وشرعه، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب أليم في النار؛ بغفلتهم عن يوم الجزاء والحساب.
قوله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} [ص : ٢٦]، أي: "يا داود إنا استخلفناك في الأرض وملكانك فيها" (٧).

عن السدي: "إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً، ملّكته في الأرض" (٨).
قوله تعالى: فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [ص : ٢٦]، أي: "فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى في الأحكام، فيضلك ذلك عن دين الله وشرعه" (٩).
عن السدي: "وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى} يقول: ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل، فتجور عن الحق؛ {فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} فيميل بك هواك في قضائك عن العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان به، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله" (١٠).
قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص : ٢٦]، أي: "إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب أليم في النار؛ بغفلتهم عن يوم الجزاء والحساب" (١١).

(١) تفسير المراغي: ١١٠/٢٣.

(٢) الدر المنثور: ١٩١/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٤/١٦.

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢١.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٥٨٧): ص ١١٤/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٨٩١/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٤.

(١٠) كذا عزاه السيوطي إلى ابن جرير من كلام السدي، والنص في تفسير الطبري: ٨٩١/٢١، يحتمل أن يكون من كلام ابن جرير، وكان الفاصل بينه وبين كلام السدي سقط من بعض النسخ؛ فظنه السيوطي موصولاً بأثر أخرجه ابن جرير قبله عن السدي. والله أعلم.

(١١) التفسير الميسر: ٤٥٤.

عن عكرمة، قوله: "عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ"، قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا"^(١).

عن السدي، قوله: "بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ"، قال: نَسُوا: تركوا"^(٢).
عن أبي زرعة - وكان قد قرأ الكتاب - أن الوليد بن عبد الملك قال له: "أيحاسب الخليفة فإنك قد قرأت الكتاب الأول، وقرأت القرآن وفقهت؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أقول؟ قال: قل في أمان. قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود؟ إن الله - عز وجل - جمع له النبوة والخلافة ثم توعدده في كتابه فقال: { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ } الآية"^(٣).

القرآن

{ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } [ص : ٢٨]

التفسير:

أنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل أهل التقوى المؤمنين كأصحاب الفجور الكافرين؟ هذه التسوية غير لائقة بحكمة الله وحكمه، فلا يستون عند الله، بل يثيب الله المؤمنين الأتقياء، ويعاقب المفسدين الأشقياء.

عن قتادة في قوله: "{ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } إلى قوله: { كَالْفُجَّارِ }، قال: لعمري، ما استنوا، ولقد تفرق القوم في الدنيا وعند الموت، وتباينوا في المصير"^(٤).

القرآن

{ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [ص : ٢٩]

التفسير:

هذا الموحى به إليك -أيها الرسول- كتاب أنزلناه إليك مبارك؛ ليتفكروا في آياته، ويعملوا بهدياته ودلالاته، وليتذكر أصحاب العقول السليمة ما كلفهم الله به.

قوله تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ } [ص : ٢٩]، أي: "هذا الموحى به إليك -أيها الرسول- كتاب أنزلناه إليك مبارك، ليتفكروا في آياته، ويعملوا بهدياته ودلالاته"^(٥).

قال الحسن البصري: "والله ما تدبَّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل"^(٦).

وعن الحسن -أيضا- قال: "تعلم هذا القرآن عبيد وصبيان لم يأتوه من قبل وجهه، لا يدرون ما تأويله، قال الله تعالى { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ } [ص : ٢٩] وما تدبر آياته إلا اتباعه بعلمه، وإن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه، وإن لم يكن يقرؤه، ثم يقول أحدكم: تعال يا فلان، أفرئت متى كانت القراء تفعل هذا؟ ما هؤلاء بالقراء ولا الحكماء ولا العلماء، لا أكثر الله في الناس أمثالهم"^(٧).

(١) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢١.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٦٣/٧.

(٤) الدر المنثور: ١٧٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(٦) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٦٤/٧.

(٧) رواه عنه القاسم بن سلام في فضائل القرآن: ٢١٣.

وقرأ أبو جعفر وعاصم: «لَتَدْبِرُوا آيَاتَهُ» بالتاء، بمعنى: لتدبره أنت يا محمد وأتباعك^(١).
قوله تعالى: {وَلَيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص : ٢٩]، أي: "وليتذكر أصحاب العقول السليمة ما كلفهم الله به"^(٢).

عن السديّ: "أولو الألباب"، قال: أولو العقول من الناس"^(٣).
قال الحسن في قوله: {أولو الألباب}: "عاتبهم، لأنه أحبهم"^(٤).

القرآن

{وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠)} [ص : ٣٠]

التفسير:

ووهبنا لداود ابنه سليمان، فأنعما به عليه، وأقررنا به عينه، نعم العبد سليمان، إنه كان كثير الرجوع إلى الله والإنابة إليه.

قوله تعالى: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ٣٠]، أي: "نعم العبد سليمان، إنه كان كثير الرجوع إلى الله والإنابة إليه"^(٥).

قال ابن عباس: "الأواب: المسبّح"^(٦). وروي عن السدي مثله^(٧).

قال الحسن: "يعني: مطيعاً"^(٨).

قال قتادة: "كان مطيعاً لله كثير الصلاة"^(٩).

قال مكحول: "لما وهب الله لداود سليمان -عليه السلام- قال له: يا بني ما أحسن؟ قال: سكينه الله وإيمان. قال: فما أقيح؟ قال: كفر بعد إيمان. قال: فما أظلم؟ قال: روح الله بين عباده. قال: فما أبرد؟ قال: عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض. قال داود عليه السلام: فأنت نبي"^(١٠).

القرآن

{إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١)} [ص : ٣١]

التفسير:

أذكر حين عُرِضَتْ عليه عصراً الخيول الأصيلة السريعة، تقف على ثلاث قوائم وترفع الرابعة؛ لنجايتها وخفتها، فما زالت تُعرض عليه حتى غابت الشمس.

وفي معنى: {الصَّافِنَاتُ} [ص : ٣١]، قولان:

أحدهما: أنها الخيل القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد^(١١)، ومنه قول الشاعر^(١٢):

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(٣) أخرجه الطبري: ١٩١/٢١.

(٤) نقلاً عن تفسير السمعاني: ٤٣٨/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢١.

(٧) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢ / ٢٤١.

(٩) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢١.

(١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٦٤/٧.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٧٤.

(١٢) البيت بلا نسبة في «الأزھية» ص: (٨٧)، و «أمالي ابن الحاجب» (٢ / ٦٣٥)، و «شرح شواهد المغني» (٢ / ٧٢٩)، و «لسان العرب» (١٣ / ٢٤٨) (صفتين)، و «مغني اللبيب» (١ / ٣١٨)، وينظر: «الكشاف» (٢ / ٢٨٤)، و «البحر

ألف الصّفون فما يزال كأته ... ممّا يقوم على الثلاث كسيرا
قال مجاهد: "صّفون الفرس: رّفح إحدى يديه حتى يكون على طرف الحافر"^(١).
الثاني : أنها الخيل القائمة، سواء كانت على ثلاث أو غير ثلاث. ومنه ما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : «من سره أن يقوم الرجال له صفوفاً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢)، أي: يديمون له القيام. حكاه قطرب^(٣)، وأنشد قول النابغة^(٤):
لنا فبّة مَضْرُوبَةٌ بفنائها ... عِتَاقُ المَهَارَى والجِيَادِ الصَّوْفَانُ
عن السديّ: "الصافنات"، قال: الخيل"^(٥).
قال قتادة: "يعني: الخيل، وصفونها: قيامها وبسطها قوائمها"^(٦).
قال مجاهد: "الجياذ السراع"^(٧).
قال ابراهيم: "كانت عشرين فرسا ذات أجنحة"^(٨).
عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة-رضي الله عنها-، قالت: "قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك - أو خيبر - وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة - لعب - فقال : "ما هذا يا عائشة؟" قالت : بناتي. ورأى بينهما فرسا له جناحان من رقاع فقال : "ما هذا الذي أرى وسطهن؟" قالت : فرس. قال : "وما هذا الذي عليه؟" قالت : جناحان قال : "فرس له جناحان؟!!" قالت : أما سمعت أن لسليمان خيل لها أجنحة ؟ قالت : فضحك حتى رأيت نواجذه صلى الله عليه وسلم"^(٩).

القرآن

{فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)} [ص : ٣٢-٣٣]

التفسير:

فقال: إنني آثرت حب المال عن ذكر ربي حتى غابت الشمس عن عينيه، رُدُّوا عَلَيَّ الخيل التي عُرِضت من قبل، فردت عليه، فشرع يضرب سيقانها ورقابها بالسيف؛ قربة لله، لأنها كانت سبب فوات صلاته. وكان التقرب بذبح الخيل مشروعاً في شريعته.

قوله تعالى: {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} [ص : ٣٢]، أي: "فقال: إنني آثرت حب المال عن ذكر ربي"^(١٠).

وفي قوله تعالى: {حُبَّ الْخَيْرِ} [ص : ٣٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : يعني: حب المال، قاله مجاهد^(١١)، والسدي-في رواية اسباط عنه-^(١٢).

المحيط» (٣٨٨ /٧) ، و «الدر» (٥٣٤ /٥).

(١) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢١.

(٢) .

(٣) انظر: النكت والعيون: ٩١/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٣/١٥.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٩١/٥، والدر المصون: ٦٠٧/٤، والبحر المحيط: ٣٨٨/٧، تفسير القرطبي: ١٩٣/١٥، والبيت

ليس في ديوان الذبياني ولا الجعدي.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢١-١٩٣.

(٧) تفسير مجاهد: ٥٧٤، وتفسير الطبري: ١٩٣/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢١.

(٩) سنن أبي داود برقم (٤٩٣٢).

(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري(٢٦٦٧):ص٣/٣٩٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.

الثاني : حب الخيل. قاله السدي^(١).
والخير -في كلام العرب-: الخيل^(٢)، وسميت الخيل: الخير، لما فيها من المنافع^(٣).
ومنه قول النبي :-صلى الله عليه وسلم- «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة»^(٤). أي:
ملازم لها كأنه معقود فيها.

وفي قراءة ابن مسعود: «إني أحببت حب الخيل»، بالتصريح بالتفسير^(٥).
وفي قوله تعالى: {عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} [ص : ٣٢]، ثلاثة وجوه من التفسير:
أحدهما : عن صلاة العصر، قاله الحسن، وقتادة^(٦)، والسدي^(٧).
قال الحسن: " يعني به: صلاة العصر"^(٨).
قال وهب: " غُفِلَ عن صلاة العصر"^(٩).
عن أبي الصَّهْبَاء البكري قال: "سألت عليّ بن أبي طالب، عن الصلاة الوسطى، فقال: هي العصر،
وهي التي فُتِنَ بها سليمان بن داود"^(١٠).

وفي رواية: " الصلاة الوسطى صلاة العصر التي فرط فيها سليمان"^(١١).
وروي عن علي -كرم الله وجهه- قال: سئل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عن الصلاة الوسطى
فقال: "هي صلاة العصر التي فرط فيها"^(١٢).

الثاني: عن الصلاة. دون تحديد. وهذا مروى عن الحسن^(١٣)، وقتادة^(١٤).
قال الحسن وقتادة: "فشغلته الخيل عن الصلاة"^(١٥).

وقد ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي
يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر
حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه ، من ذلك عن جابر قال : جاء عمر ،
رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ، ويقول : يا رسول الله ، والله ما
كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والله ما صليتها" فقال
: فقمنا إلى بُطْحَانَ فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها
المغرب^(١٦).

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.

(٢) معاني القرآن: ٤٠٥/٢.

(٣) غريب القرآن: ٧٦.

(٤) سنن سعيد بن منصور (٢٤٣٠): ص٢/١٩٩، مسند ابن ابي شيبة (٧٠٤): ص٢/٢٢١، وصحيح مسلم (١٨٧٣): ص٣/١٤٩٣، وسنن ابن ماجة (٢٧٨٦): ص٢/٩٣٢. وفي رواية البخاري (٣٦٤٤): ص٤/٢٠٧: «الخير في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

(٥) أحكام القرآن لابن العربي: ٦٧/٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢١.

(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٤١.

(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٤٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢١.

(١١) كنز العمال (٤٢٥٦): ص٢/٣٦٣.

(١٢) كنز العمال (١٤٥٦٣): ص٥/٨٥٩. "مسدد وضعف". وانظر: جامع الاحاديث (٣٤٩٠٨): ص٣٢/١٢٩.

(١٣) تفسير عبدالراق (٢٥٨٨): ص٣/١١٧.

(١٤) تفسير عبدالراق (٢٥٨٨): ص٣/١١٧.

(١٥) تفسير عبدالراق (٢٥٨٨): ص٣/١١٧.

(١٦) صحيح البخاري برقم (٤١١٢) وصحيح مسلم برقم (٦٣١).

ويحتمل أنه كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال. والخيل تراد للقتال. وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسابقة والمضايقة، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر، وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب؛ لأنه قال بعدها: {رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} (١).

الصحيح - والله أعلم - أنه - عليه السلام - ما أحب الخيل لذاتها، وإنما كان الباعث له هو ذكر الله - عز وجل - لأنها كانت للجهاد في سبيل الله. والله أعلم.

فالصحيح الذي لا معدل عنه - كما يرى ابن حزم والرازي وغيرهما - أن سليمان - عليه السلام - قد طلب من جنده أن يعرضوا الخيل عليه؛ ليرى مدى كثرتها وقوتها وقدرتها على العدو والثبات فعرضت عليه، وهي كما وصفها الله «صافنات جيد»، والصافنات هي التي تقف على قوائمها الثلاثة وترفع الرابعة، فتقف على مقدم حافرها متهيئة للعدو إذا حركها راكبها، والجياد هي: التي تجيد العدو، وتسرع للقاء العدو، كأنها الريح المرسله، فلما رآها سليمان وأعجب بكثرتها وقوتها، وشكر الله - عز وجل - على هذه النعمة العظيمة، وقال في نفسه أو للمقربين إليه: إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي، أي: من أجل أن أكون لربي ذاكرا، والذكر يبعث على الشكر، ويبعث على التفاني في الخضوع والطاعة (٢).

قوله تعالى: {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص : ٣٢]، أي: "حتى غابت الشمس واختفت عن الأنظار" (٣). قال السدي: "حتى غابت" (٤).

عن قتادة، قوله: {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ}، قال: "حتى دلكت براح. قال قتادة: فوالله ما نازعته بنو إسرائيل ولا كبروه، ولكن ولوه من ذلك ما ولاه الله" (٥).

قال كعب: "حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلانق، فمنه اخضرت السماء التي يقال لها، السماء الخضراء، واخضر البحر من السماء، فمن ثم يقال: البحر الأخضر" (٦).

قوله تعالى: {رُدُّوْهَا عَلَيَّ} [ص : ٣٣]، أي: "قال سليمان رُدُّوا هذه الخيل علي" (٧).

عن السدي: "رُدُّوْهَا عَلَيَّ"، قال: الخيل" (٨).

قوله تعالى: {فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} [ص : ٣٣]، أي: "فشرع يضرب سيقانها ورقابها بالسيف؛ قربة لله، لأنها كانت سبب فوات صلاته" (٩).

عن سعيد، عن قتادة: "فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ"، قال: قال الحسن: قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك، قال قولهما فيه، يعني قتادة والحسن قال: فكسف عراقيبها، وضرب أعناقها" (١٠).

وقال الحسن: "أمر بها فعقرت" (١١).

قال السدي: "فضرب سوقها وأعناقها" (١٢).

(١) تفسير ابن كثير: ٦٥/٧.

(٢) قصص القرآن، د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ٢٨٤.

(٣) صفوة التفسير: ٥٣/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٥/٢١.

(٥) .

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٣٥٢): ص ٣٢٤١/١٠.

(٧) صفوة التفسير: ٥٣/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢١-١٩٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢١.

القرآن

{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ} (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) { [ص : ٣٤ - ٣٦]

التفسير:

ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه شق واد، وُلِد له حين أقسم ليطوفنَّ على نسائه، وكلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق واد، ثم رجع سليمان إلى ربه وتاب، قال: رب اغفر لي ذنبي، وأعطني ملكاً عظيماً خاصاً لا يكون مثله لأحد من البشر بعدي، إنك -سبحانك- كثير الجود والعطاء. فاستجبنا له، وذللنا الريح تجري بأمره طيعة مع قوتها وشدتها حيث أراد.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ} [ص : ٣٤]، أي: "ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه شق واد ثم رجع إلى ربه وتاب"^(١).

واختلف أهل التفسير في سبب ابتلاء سليمان -عليه السلام-، على أقوال:

أحدها: أنه كان قارب بعض نسائه في بعض الشيء من حيض أو غيره. قاله الحسن^(٢).

قلت: وهذا القول من الإسرائيليات الباطلة، وهو أنكر الأقوال لما فيه من النيل من كرامة الأنبياء عليه السلام.

الثاني: أنه كانت عنده امرأة، وكان يحبها حباً شديداً، فخاصم أخوها إلى سليمان في شيء مع إنسان، فطلبت المرأة من سليمان أن يقضي لأخيها؛ فقال لها: نعم، ولم يفعل ذلك، فابتلاه الله تعالى. وهذا قول السدي^(٣).

قال السدي: "كان لسليمان مئة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة، وهي أثر نسائه عنده، وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه، ولم يأت من أحد من الناس غيرها؛ فجاءته يوماً من الأيام، فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال لها: نعم، ولم يفعل، فابئلي"^(٤).

الثالث: ما حكاه سعيد بن المسيب: "أن سليمان احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد ولم ينصف مظلوماً من ظالم، فأوحى الله تعالى إليه: إني لم أستخلفك لتحجب عن عبادي ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم"^(٥).

الرابع: أنه تزوج بامرأة؛ فعبدت المرأة صنما في داره من غير أن يشعر سليمان بذلك، فابتلاه الله تعالى لغفلته. وهذا قول شهر بن حوشب^(٦).

حكي عن شهر بن حوشب: "أن سليمان سبى بنت ملك غزان في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، فألقيت عليه محبتها وهي معرضة عنه تذكر أمر أبيها لا تنظر إليه إلا شزراً ولا تكلمه إلا نزرراً، ثم إنها سألته أن يضع لها تمثالاً على صورته فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجد جواربها معها، وصار صنماً معبوداً في داره وهو لا يعلم به حتى مضت أربعون يوماً وفشا خبره في بني إسرائيل وعلم به سليمان فكسره وحرقه ثم ذراه في الريح"^(٧).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٩٤، وزاد المسير: ٥٧٣/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨١/٢١-١٩٩.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩٨١/٢١-١٩٩.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٩٥/٥.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٩٥/٥.

(٧) نقلاً عن: النكت والعيون: ٩٥/٥.

الخامس : ما حكاه مجاهد: " شيطاننا، يقال له أصفاء، فقال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ فقال له أصف: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه سليمان خاتمه نبذه أصف في البحر، فساح سليمان وذهب ملكه، وقعد أصف على كرسيه"^(١).

والله أعلم بما كان، ولا شك أن الآية تدل على أن الله تعالى قد أقعد على كرسيه غيره، وسلبه شيئاً كان له"^(٢).

وقد ورد في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة- رضى الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين كلهن، يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله، فرسانا أجمعون"^(٣).

وفي هذا «الجسد»، في قوله تعالى {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً} [ص : ٣٤]، قولان: أحدهما : أنه ولد له ولد فخاف عليه فأودعه في السحاب يغذى في اليوم كالجمعة، وفي الجمعة كالشهر وفي الشهر كالسنة ، فلم يشعر إلا وقد وقع على كرسيه ميتاً، قاله الشعبي^(٤).
الثاني: أن الجسد: الشيطان الذي كان دفع إليه سليمان خاتمه، فقفزه في البحر، وكان ملك سليمان في خاتمه. وهذا قول مجاهد^(٥).

واختلف في اسم امرأته هذه على قولين :

أحدهما : جرادة ، قاله ابن عباس^(٦)، والسدي^(٧).

الثاني : الأمانة ، قاله شهر بن حوشب^(٨).

وقال سعيد بن المسيب : " وكان إذا دخل الحمام وضعه تحت فراشه، ودخل الحمام يوماً ووضع خاتمه تحت فراشه، فأخذه الشيطان فألقاه في البحر، وجلس في مجلسه على فراشه"^(٩).

وقال مجاهد : أن سليمان قال لشيطان يقال له أصف: " كيف تفتنون الناس؟ فقال له أصف: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه سليمان خاتمه نبذه أصف في البحر، فساح سليمان وذهب ملكه، وقعد أصف على كرسيه"^(١٠).

(١) تفسير مجاهد: ٥٧٤.

(٢) تفسير السمعاني: ٤٤٤/٤.

(٣) صحيح البخاري(٢٨١٩):ص٤/٢٢، و(٦٦٣٩):ص٨/١٣٠، وصحيح مسلم(١٦٥٤):ص٣/١٢٧٦، والسنن الكبرى للنسائي(٤٧٥٤):ص٤/٤٥٨، والسنن الكبرى للبيهقي(١٩٩٠٩):ص١٠/٧٦.

وروي عن المقبري: "أن سليمان بن داود عليه السلام قال: "لأطوفن الليلة بمائة امرأة من نسائي فتأتي كل امرأة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يستثن، ولو استثنى لكان فطاف على مائة امرأة فلم تحمل امرأة إلا امرأة واحدة حملت بشق إنسان قال: ولم يكن شيء أحب إلى سليمان من تلك الشقة، قال: وكان أولاده يموتون فجاء ملك الموت في صورة رجل فقال له سليمان عليه السلام: إن استطعت أن تؤخر إبني هذا ثمانية أيام إذا جاءه أجله فقال: لا، ولكن أخبرك قبل موته بثلاثة أيام، قال لمن عنده من الجن: أيكم يخبئ لي إبني هذا قال أحدهم أنا أخبؤه لك في المشرق قال: ممن تخبؤه قال: من ملك الموت، قال: يبصره، قال: آخر: أنا أخبؤه لك بين قرنين لا يريان، قال: سليمان عليه السلام إن كان شيء فهذا، فلما جاء أجله نظر ملك الموت في الأرض فلم يره في مشرقها ولا في مغربها ولا شيء من البحار ورأه بين قرنين فجاءه فأخذه فقبض روحه على كرسي سليمان، فذلك قوله {ولقد فتنا سليمان} وهو قول الله {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً}." [الدر المنثور: ١٨٢/٧].

(٤) انظر: النكت والعيون: ٩٦/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٧/٢١.

(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٣٥٥):ص١٠/٣٢٤١-٣٢٤٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢١.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٩٧/٥.

(٩) تفسير مجاهد: ٤٧٤.

(١٠) تفسير مجاهد: ٥٧٤.

قال قتادة: " وألقي على الشيطان شبه سليمان; قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسلط على ملك سليمان كله غير نساءه"^(١).

وهذا وأمثاله من الإسرائيليات الباطلة المزورة، والعجب أن بعض المفسرين يذكر مثل هذه الأخبار دون أن يبين بطلانها، ومن أقبح ما في هذه الأخبار متسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطأهن وهن حيض الله أكبر!! هذا بهتان عظيم، وخطب جسيم^(٢).

قال مجاهد: "قعد آصف على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهن، وأنكرنه; قال: فكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني أطمعوني أنا سليمان، فيكذبونه، حتى أعطته امرأة يوماً حوتا يطيب بطنه، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه ملكه، وفر آصف فدخل البحر فاراً"^(٣).

واختلف في اسم هذا الشيطان على قولين:

أحدهما: آصف، قاله مجاهد^(٤).

الثاني: حقيق، قاله السدي^(٥).

وفي قوله تعالى: {ثُمَّ أَنَابَ} [ص: ٣٤]، وجهان:

أحدهما: ثم رجع إلى ملكه، قاله الضحاك^(٦).

قال الضحاك: " دخل سليمان على امرأة تبيع السمك، فاشتري منها سمكة، فشقّ بطنها، فوجد خاتمه، فجعل لا يمر على شجر ولا حجر ولا شيء إلا سجد له، حتى أتى ملكه وأهله، فذلك قوله; {ثُمَّ أَنَابَ} يقول: ثم رجع"^(٧).

الثاني: ثم أناب من ذنبه، قاله قتادة^(٨).

قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [ص: ٣٥]، أي: " قال: رب اغفر لي ذنبي، وأعطني ملكاً عظيماً خاصاً لا يكون مثله لأحد من البشر بعدي، إنك - سبحانه - كثير الجود والعطاء"^(٩).

عن قتادة: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي}، قال: " ملكاً لا أسليه كما سألته"^(١٠).

قال الحسن: " لا ينبغي لأحد من بعدي في حياتي أن ينزعه مني كالجسد الذي جلس على كرسيه"^(١١).

ورد في الحديث: « إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة فأمكنني الله منه فدعته وأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان رب {اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي} فرده الله خاسئاً»^(١٢).

(١) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢١-١٩٨.

(٢) روح المعاني: ٥٧٤/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٧/٢١.

(٥) انظر: الطبري: ١٩٨/٢١-١٩٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(١٠) أخرجه تفسير الطبري: ١٩٩/٢١.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٩٨/٥.

(١٢) أخرجه أحمد (٢٩٨/٢، رقم ٧٩٥٦)، والبخاري (١٢٦٠/٣، رقم ٣٢٤١)، ومسلم (٣٨٤/١، رقم ٥٤١)، والنسائي في الكبرى (٤٤٣/٦، رقم ١١٤٤٠). وأخرجه أيضاً: البيهقي (٢١٩/٢، رقم ٣٠٠١).

ومن غريب الحديث: "دفعته": دفعته دفعا شديداً.

قوله تعالى: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} [ص : ٣٦]، أي: " فاستجبنا له، وذلنا الريح تجري بأمره طيبة مع قوتها وشدتها حيث أراد"^(١).

عن الحسن: "أن نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه الخيل، فشغله النظر إليها عن صلاة العصر {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} فغضب الله، فأمر بها ففُعِرت، فأبدله الله مكانها أسرع منها، سخر الريح تجري بأمره رُخاء حيث شاء، فكان يغدو من إيلياء، ويقيل بقزوين، ثم يروح من قزوين ويبيت بكابل"^(٢).

قال الضحاك: "دعا يوم دعا ولم يكن في ملكه الريح، وكل بناء وغواص من الشياطين، فدعا ربه عند توبته واستغفاره، فوهب الله له ما سأل، فتم ملكه"^(٣).

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما رفع سليمان عليه السلام من طرفه إلى السماء تخشعا حيث أعطاه الله تعالى ما أعطاه»^(٤).

وفي قوله تعالى: {رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} [ص : ٣٦]، وجوه من التفسير: أحدها : طيبة ، قاله مجاهد^(٥).

الثاني : سريعة طيبة، قال: ليست بعاصفة ولا بطيئة، قاله قتادة^(٦).

الثالث : مطيعة لسليمان، قاله الحسن في رواية^(٧)، والضحاك- في رواية^(٨).

الرابع : ليست بالعاصفة المؤذية ولا بالضعيفة المقصرة، بين ذلك رُخاء. قاله الحسن في رواية أخرى^(٩).

عن مجاهد: {حَيْثُ أَصَابَ}، قال: " حيث شاء"^(١٠). وفي رواية: " حيث شاء بهواه"^(١١).

قال قتادة: " حيث أراد"^(١٢). وروي عن السدي، ووهب بن منبه مثله^(١٣).

قال الضحاك: " مطيعات له حيث شاء"^(١٤).

قال الحسن: " مطيعة"^(١٥).

القرآن

{وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ (٣٧) وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ

حِسَابٍ (٣٩)} [ص : ٣٧-٣٩]

التفسير:

(١) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣٥٨): ص ٣٢٤٤/١٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٢/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٢/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٢/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١.

(١١) الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي

جعفر الترمذي (٩١): ص: ٥٩.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢١.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١، بلفظ: حيث أراد. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١.

وسخّرنا له الشياطين يستعملهم في أعماله: فمنهم البناؤون والغوّاصون في البحار، وآخرون، وهم مردة الشياطين، موثوقون في الأغلال. هذا المُلْك العظيم والتسخير الخاص عطاؤنا لك يا سليمان، فأعط من شئت أو امنع من شئت، لا حساب عليك.

قوله تعالى: {وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ} [ص : ٣٧]، أي: "وسخّرنا له الشياطين يستعملهم في أعماله: فمنهم البناؤون والغوّاصون في البحار"^(١).

عن قتادة: "وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ"، قال: يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل، وغوّاص يستخرجون الحلي من البحر"^(٢).

قال الضحاك: "لم يكن هذا في ملك داود، أعطاه الله ملك داود وزاده الريح"^(٣).

قوله تعالى: {وَأَخْرَيْنَ مُفْرَّيْنِ فِي الْأَصْفَادِ} [ص : ٣٨]، أي: "وآخرون، وهم مردة الشياطين، موثوقون في الأغلال"^(٤).

عن قتادة: "وَأَخْرَيْنَ مُفْرَّيْنِ فِي الْأَصْفَادِ"، قال: مردة الشياطين في الأغلال"^(٥).

عن الضحاك: "وَأَخْرَيْنَ مُفْرَّيْنِ فِي الْأَصْفَادِ"، يقول: في السلاسل"^(٦).

عن السدي، قوله: "وَالأَصْفَادِ"، قال: تجمع اليدين إلى عنقه، و«الأصفاذ»: جمع صَفَد وهي الأغلال"^(٧).

قوله تعالى: {هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [ص : ٣٩]، أي: "هذا المُلْك العظيم والتسخير الخاص عطاؤنا لك يا سليمان، فأعط من شئت أو امنع من شئت، لا حساب عليك"^(٨).

وفي المشار إليه بقوله: {هَذَا عَطَاؤُنَا} [ص : ٣٩]، قولان:

أحدهما: أنه جميع ما أعطي، {فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ}، أي: أعط من شئت من المال، وامنع من شئت. و«المن»: الإحسان إلى من لا يطلب ثوابه. قاله الحسن^(٩)، والضحاك^(١٠).

عن الضحاك: "هَذَا عَطَاؤُنَا": هذا ملكنا"^(١١).

قال الحسن: "الملك الذي أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت"^(١٢).

قال الضحاك: "سأل ملكا هنيئا لا يُحاسب به يوم القيامة، فقال: ما أعطيت، وما أمسكت، فلا حرج عليك"^(١٣).

قال مجاهد: "أعط أو أمسك بغير حساب"^(١٤).

قال عكرمة: "أعط أو أمسك، فلا حساب عليك"^(١٥).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠٥-٢٠٤/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٥-٢٠٤/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٥٥.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢١.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢١.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠٧-٢٠٦/٢١.

الثاني: أنه إشارة إلى الشياطين المسخرين له. فالمعنى: فامنن على من شئت بإطلاقه، وأمسك من شئت منهم فلا حرج عليك في ذلك. قاله ابن عباس-في رواية أخرى وهذا قول قتادة^(١)، والسدي^(٢).
قال قتادة: "هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك أو سرح من شئت منهم تتخذ عنده يداً، اصنع ما شئت"^(٣).

قال السدي: "ثُمَّ عَلَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ فَتُعْتِقُهُ، وَتُمْسِكُ مِنْ شِئْتِ فَتُسْتَعْمِدُهُ لَيْسَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ حِسَابٌ"^(٤).

والصواب قول الحسن والضحاك من أنه عني بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره، وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر ذلك عقيب خبره عن مسألة نبيه سليمان صلوات الله وسلامه عليه إياه مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأخبر أنه سخر له ما لم يُسَخَّرْ لأحد من بني آدم، وذلك تسخير له الريح والشياطين على ما وصفت، ثم قال له عزّ ذكره: هذا الذي أعطيناك من المُلْكِ، وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك {فَأَمْنٌ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}، يعني: لا يحاسب على ما أعطى من ذلك المُلْكِ والسلطان"^(٥).

قال الحسن: "ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه فيها تبعة إلا سليمان فإن الله تعالى يقول: {هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [ص : ٣٩]".
وفي قراءة عبدالله: «هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب»^(٦).

القرآن

{وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠)} [ص : ٤٠]

التفسير:

وإن لسليمان عندنا في الدار الآخرة لقربةً وحسن مرجع.

قال أبو صالح: "الزلفى: القرب، {وَحُسْنَ مَآبٍ} قال: المرجع"^(٧).

عن قتادة: "وَحُسْنَ مَآبٍ، أي: مصير"^(٨).

قال الضحاك: "حسن منقلب"^(٩).

وقال السدي: "حسن المنقلب"^(١٠).

القرآن

{وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١)} [ص : ٤١]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- عبدنا أيوب، حين دعا ربه أن الشيطان تسبب لي بتعب ومشقة، وألم في جسدي ومالي وأهلي.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠٦/٢١، ٢٠٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٧/٢١.

(٧) الدر المنثور: ١٩١/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٤٤/١٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢١.

قوله تعالى: {وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ} [ص : ٤١]، أي: "واذكر -أيها الرسول- عبدنا أيوب"^(١). قال السدي: "وقال أيوب عليه السلام: يا رب، إنك أعطيتني المال والولد، فلم يقم علي بابي أحد يشكوني لظلم ظلمته، وأنت تعلم ذلك. وإنه كان يوطأ لي الفراش فأتركها وأقول لنفسي: يا نفس، إنك لم تخلقي لوطي الفراش، ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك"^(٢).

وقال عبيدالله بن عمير: "كان لأيوب عليه السلام أخوان فجاء يوماً فلم يستطيعا إن يدنوا منه من ريحه، فقاما من بعيد فقال أحدهما للآخر: لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا؟ فجزع أيوب من قولهما جزعاً لم يخرج من شيء قط، فقال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم أبت ليلة قط شبهان وأنا أعلم مكان جاني، فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم يكن لي قميصان قط وأنا أعلم مكان عار، فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان. الله بعزتك ثم خر ساجداً، ثم قال: اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبداً حتى تكشف عني، فما رفع رأسه حتى كشف عنه"^(٣).

والتحقيق عند أهل السنة أن الأنبياء لا يمرضون أمراضاً منفرة تحط من قدرهم وهذا الخبر وأمثاله لو لم يذكرها المفسرون لكان أولى. وإنما اشترت إليه للتنبيه. والله أعلم.

وفي قوله تعالى: {بُنُصِبَ وَعَذَابٌ} [ص : ٤١]، وجهان:

أحدهما: النصب: في جسده، والعذاب: في ماله، قاله السدي^(٤).

وعن الضحاك: "أنني مسني الشيطان بنصب" يعني: البلاء في الجسد"^(٥).

الثاني: ذهاب المال والأهل، والضر الذي أصابه في جسده. قاله قتادة^(٦).

قال قتادة: "الضر في الجسد وعذاب في المال فلبث بذلك سبع سنين وأشهرًا، على كنانة لبني

إسرائيل تخلف الدواب في جسده"^(٧).

عن قتادة: "وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" قال: ذهاب

الأهل والمال، والضر الذي أصابه في جسده قال: ابتلي سبع سنين وأشهرًا مُلْقَى عَلَى كُنَاسَةِ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ، تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء"^(٨).

عن مجاهد: "أن أيوب أول من أصابه الجدري"^(٩).

قال وهب: "لم يكن أصاب أيوب الجذام، ولكن أصابه أشد منه، فكان يخرج منه مثل ثدي المرأة، ثم

يتفقا"^(١٠).

القرآن

{ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} ((٤٢)) [ص : ٤٢]

التفسير:

فقلنا له: اضرب برجلك الأرض ينبع لك منها ماء بارد، فاشرب منه، واغتسل فيذهب عنك الضر والأذى.

قوله تعالى: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ} [ص : ٤٢]، أي: "وقلنا له اضرب برجلك الأرض"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٦٩٤): ص ٢٤٥٩/٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٦٩٥): ص ٢٤٥٩/٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٠. ط. هاجر.

(٥) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٠. ط. هاجر.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٠. ط. هاجر.

(٧) تفسير عبدالرزاق (٢٦٠١): ص ١٢٢/٣.

(٨) أخرجه عبد الرزاق ١٦٧/٢ من طريق معمر بنحوه. وانظر: الدر المنثور: ١٩١/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في فتح الباري ٦/ ٤٢١ -.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق ١٦٧/٢، وإسحاق البستي ص ٢٤٩.

عن ابن جريج: " {ارْكُضْ بِرَجْلِكَ} قال: اضرب برجلك" (٢).
قال الحسن: " فأوحى الله إليه أن: {اركض برجلك}، فركض برجله ركضة وهو لا يستطيع القيام" (٣).

قوله تعالى: {هَذَا مُعْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [ص : ٤٢]، أي: " وقلنا له هذا ماءٌ تغتسل به، وشراب تشرب منه" (٤).

عن ابن جريج: " {هَذَا} الماء {مُعْتَسَلٌ}، قال: يغسل عنك المرض" (٥).
وفي قوله تعالى: {هَذَا مُعْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [ص : ٤٢]، قولان:
أحدهما : أنه اغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه ،
قاله الحسن (٦).

قال الحسن: " فركض برجله، فنبتعت عين فاغتسل منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً، ثم ركض برجله، فنبتعت عين، فشرب منها، فذلك قوله: {ارْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مُعْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} (٧).
وفي رواية أخرى قال الحسن: " فركض ركضة خفيفة، فإذا عين تنبع حتى غمرته، فرد الله جسده، ثم مضى قليلاً، ثم " قيل له: {اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب} [ص: ٤٢] فركض ركضة أخرى، فإذا بعين أخرى فشرب منها فطهر جوفه وغسلت له كل قدر كان فيه" (٨).
الثاني : أنه اغتسل من إحداهما فبرىء ، وشرب من الأخرى فروي، قاله قتادة (٩).
وفي مدة إقامة النبي أيوب-عليه السلام- في البلاء، أقوال:
أحدها: ثلاثين سنة. قاله وهب (١٠).

الثاني: سبع سنين وستة أشهر. قاله الحسن (١١).
وقال قتادة: " ابتلي سبع سنين وأشهرًا ملقى على كناسة لبني إسرائيل تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه، وعظم له الأجر، وأحسن عليه الثناء" (١٢).
قال كعب القرظي: " أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا نبيا من الأنبياء" (١٣).

القرآن

{وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي النَّالِبَابِ (٤٣)} [ص : ٤٣]
التفسير:

- (١) صفوة التفاسير: ٥٥/٣.
- (٢) الدر المنثور: ١٩٣/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
- (٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٣٣٣/١.
- (٤) صفوة التفاسير: ٥٥/٣.
- (٥) الدر المنثور: ١٩٣/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
- (٦) انظر: النكت والعيون: ١٠٢/٥.
- (٧) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢١.
- (٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٦٠٤): ص٢٣/٣.
- (٩) انظر: النكت والعيون: ١٠٢/٥.
- (١٠) انظر: زاد المسير: ٢٠٦/٣، وتفسير القرطبي: ٣٢٧/١١.
- (١١) انظر: زاد المسير: ٢٠٦/٣، وتفسير القرطبي: ٣٢٧/١١.
- (١٢) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٠. ط. هاجر.
- (١٣) أخرجه الطبري: ٥٠٧/١٨.

فكشفتنا عنه ضره وأكرمناه ووهبنا له أهله من زوجة وولد، وزدناه مثلهم بنين وحفدة، كل ذلك رحمة مئاً به وإكراماً له على صبره، وعبرة وذكرى لأصحاب العقول السليمة؛ ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج وكشف الضر.

قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ} [ص : ٤٣]، أي: "فكشفتنا عنه ضره وأكرمناه ووهبنا له أهله من زوجة وولد، وزدناه مثلهم بنين وحفدة"^(١).
واختلف في «الأهل» المذكور في قوله: قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ} [ص : ٤٣] ، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة. قاله عكرمة^(٢)، ومجاهد-في رواية^(٣).
قال ليث: "أرسل مجاهد رجلاً يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب {وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ}، فقال: قيل له: إن أهلك لك في الآخرة، فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا، وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وأتيناك مثلهم في الدنيا، فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتي مثلهم في الدنيا، قال: فرجع إلى مجاهد فقال: أصاب"^(٤).

وقال مجاهد: "قيل له: إن شئت أحييناهم لك، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وتعطى مثلهم في الدنيا، فاختر أن يكونوا في الآخرة ومثلهم في الدنيا"^(٥).
الثاني: أنهم أهله الذين أوتيتهم في الدنيا، إذ ردهم إليه بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم. وهذا قول الحسن-في رواية^(٦)، وقتادة^(٧)، ومجاهد-في رواية أخرى^(٨).
قال مجاهد: "أحياهم بأعيانهم، ورد إليه مثلهم"^(٩).

قال الحسن وقتادة: "أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم"^(١٠).
الثالث: أتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده عليه وأهله، فأما الأهل والمال فإنه ردهما عليه. وهذا قول الحسن-في رواية أخرى^(١١).

قوله تعالى: {رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} [ص : ٤٣]، أي: "كل ذلك رحمة مئاً به وإكراماً له على صبره وعبرة وذكرى لأصحاب العقول السليمة؛ ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج وكشف الضر"^(١٢).
قال كعب القرظي: "أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا نبيا من الأنبياء"^(١٣) ، وفي لفظ: "إنما هو من أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: إنه قد أصاب من هو خير مني من الأنبياء"^(١٤).
عن السدي: {أولو الألباب}، قال: أولو العقول من الناس"^(١٥).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/١٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/١٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٠٦/١٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٠٦/١٨-٥٠٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/١٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/١٨.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/١٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٠٦/١٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٧/١٨.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/١٨.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٠٧/١٨.

(١٤) الدر المنثور: ٦٥٦/٥، وعزاه إلى ابن جرير.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٩١/٢١.

القرآن

{وَأَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)} [ص : ٤٤]

التفسير:

وقلنا له: خذ بيدك حزمة شماریخ، فاضرب بها زوجك إبراراً بيمينك، فلا تحنث؛ إذ أقسم ليضربنَّها مائة جلدة إذا شفاه الله، لمَّا غضب عليها من أمر يسير أثناء مرضه، وكانت امرأةً سالحة، فرحمها الله ورحمه بهذه الفتوى. إنا وجدنا أيوب صابراً على البلاء، نعم العبد هو، إنه رجَّاع إلى طاعة الله. قوله تعالى: {وَأَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ} [ص : ٤٤]، أي: "وقلنا له: خذ بيدك حزمة شماریخ، فاضرب بها زوجك إبراراً بيمينك، فلا تحنث"^(١).

عن قتادة، قوله: "وأخذ بيدك ضعفاً"، قال: خذ عوداً فيه تسعة وتسعون عوداً، والأصل تمام المائة فاضرب به امرأته، وذلك أن امرأته أرادها الشيطان على بعض الأمر، فقال لها: قولي لزوجك يقول كذا وكذا، فقالت له قل: «كذا وكذا»، فحلف حينئذ أن يضربها تلك الضربة، فكانت تحلة ليمينه، وتخفيفاً عن امرأته"^(٢).

قال مجاهد: "هي لأيوب عليه السلام خاصة"^(٣).

وقال عطاء: هي للناس عامة"^(٤).

وقال الضحاك: "كان حلف على يمين، فأخذ من الشجر عدد ما حلف عليه، فاضرب به ضرباً واحدة، فبرت يمينه، وهو اليوم في الناس يمين أيوب، من أخذ بها فهو حسن"^(٥).

وقال مالك: "من حلف ليضربن عبده مائة فجمعها فضربه بها ضربة واحدة لم يبر. قال بعض علمائنا: يريد مالك قوله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة : ٤٨]، أي: إن ذلك منسوخ بشريعتنا"^(٦).

عن سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه قال: "كان في أبياتنا إنسان ضعيف مجدع فلم يرع أهل الدار إلا وهو على أمة من إماء أهل الدار يعبث بها وكان مسلماً فرجع سعد رضي الله عنه شأنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اضربوه حده فقالوا يا رسول الله: إنه أضعف من ذلك أن ضربناه مائة قتلناه قال: فخذوا له عثكلاً فيه مائة شمراخ فاضربوه ضربة واحدة وخلصوا سبيله"^(٧).

عن ثوبان رضي الله عنه: "أن رجلاً أصاب فاحشة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض على شفا موت فأخبر أهله بما صنع فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل مائة شمراخ فضربه ضربة واحدة"^(٨).

عن سهل بن سعد: "أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بشيخ قد ظهرت عروقه قد زنى بامرأة فضربه بضغت فيه مائة شمراخ ضربة واحدة"^(٩).

وفي سبب هذا اليمين، قولان:

(١) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٢) تفسير عبدالرزاق (٢٦٠٥): ص ١٢٣/٣.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٥/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٥/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢١.

(٦) نقلنا عن تفسير القرطبي: ٢١٣/١٥.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٦/٧، وعزاه إلى أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والطبراني وابن عساکر.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٦/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٦/٧، وعزاه إلى الطبراني.

أحدهما : أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب ، فقال أداويه على أنه إذا برىء قال: أنت شفيتني، لا أريد جزاء سواه. قالت: نعم ، فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها. روي عن قتادة نحوه^(١).

الثاني : أنها جاءت بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها. حكاه سعيد بن المسيب^(٢).

وهذه الأقوال ضعيفة، والخبر بطوله من الإسرائيليات، والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فهي لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خيالاً.

قال ابن عباس: "يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم"^(٣).

وفي قوله تعالى: {وَوَجَدُوا آبَاءَهُمْ فِي ضَلَالٍ عَظِيمَةٍ} [ص : ٤٤]، وجوه من التفسير: أحدها: الشجر الرطب. قاله الضحاك^(٤).

وقال عطاء: "عيدانا رطبة"^(٥).

الثاني: أنه غصن فيه تسعة وتسعون قضيباً، والأصل تكملة المئة. قاله قتادة^(٦).

الثالث: الثمام اليابس ، قاله سعيد بن المسيب^(٧).

والراجح أن «الضغث»: قُبْضَةٌ حشيش اختلط فيها الرطب واليابس، وبه شُبِّهت الأحلام المختلطة التي لا تُتَبَيَّن حقائقها، ومنه أضغاث أحلام، أي: ما كان منها ملتبساً مضطرباً يصعب تأويله، وضغث من خبر: ما اختلطت فيه الحقيقة بالوهم^(٨).

قوله تعالى: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا} [ص : ٤٤]، أي: "إنا وجدنا أيوب صابراً على البلاء"^(٩).

قال يحيى بن سلام: حدثني أبو أمية عن الحسن: "أن أيوب لم يبلغه شيء يقوله الناس كان أشد عليه من قولهم: لو كان نبيا ما ابتلي بالذي ابتلي به، فدعا الله فقال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم أعمل حسنة في العلانية إلا عملت في الشر مثلها فاكشف ما بي من ضر وأنت أرحم الراحمين. فاستجاب الله له، فوقع ساجداً، وأمطر عليه فراش الذهب فجعل يلتقطه ويجمعه"^(١٠).

قوله تعالى: {يَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ٤٤]، أي: "نعم العبد هو، إنه رجّاع إلى طاعة الله"^(١١).

وفي قوله تعالى: {إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ٤٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه رجّاع عن الذنوب. قاله مجاهد^(١٢)، والضحاك^(١٣).

قال الضحاك: "رجّاع إلى الله - عز وجل - بالتوبة"^(١٤).

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٦٠٥):ص١٢٣/٣.

(٢) انظر: النكت والعيون: ١٠٣/٥.

(٣) أخرجه البخاري(٢٦٨٥):ص١٨١/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١٤/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢١٣/٢١.

(٧) انظر: النكت والعيون: ١٠٣/٥.

(٨) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (ضغث):ص١٣٦٣/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٣٣٥/١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.

(١٣) تفسير الثعلبي ١٨٣ /٨.

قال مجاهد: "مُنِيب راجع عن الذنوب"^(٢).
وروي عن سعيد بن المسيب، قال: "الذي يصيب الذنوب ثم يتوب ثم يصيب الذنوب ثم يتوب"^(٣).
الثاني: أي: كان مطيعاً لله كثير الصلاة. قاله قتادة^(٤).
الثالث: أنه المحسن. قاله سعيد بن جبير^(٥)، وقاتدة^(٦).
الرابع: أنه المسيح، قاله السدي^(٧)، وعمرو بن شرحبيل^(٨).
الخامس: أنه الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وهذا قول مجاهد^(٩)، وعبيد بن عمير^(١٠).
و وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: «الأواب»: هو التائب من الذنوب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن «الأواب» إنما هو فعال، من قول القائل: أب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، والله أعلم.
(١١)

عن الحسن، قال: "إن الله تبارك وتعالى يحتج على الناس يوم القيامة بثلاثة من الأنبياء، فيجيء العبد فيقول: أعطيتني جمالا في الدنيا فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك.
فيقول الله له تبارك وتعالى: الجمال الذي أعطيت في الدنيا أفضل أو الجمال الذي أعطي يوسف؟ فيقول العبد: لا، الجمال الذي أعطي يوسف.
فيقول الله: إن يوسف كان يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك.
ويأتي العبد فيقول: ابتليتني في الدنيا، ولولا ذلك لعملت بطاعتك.
فيقول الله له: البلاء الذي ابتليت به في الدنيا أشد أو البلاء الذي ابتلي به أيوب؟ فيقول العبد: البلاء الذي ابتلي به أيوب.
فيقول الله له تبارك وتعالى: قد كان أيوب يعمل بطاعتي، فيحتج عليه بذلك.
ويجيء العبد فيقول: أعطيتني ملكا في الدنيا فأعجبت به، ولولا ذلك لعملت بطاعتك.
فيقول الله تبارك وتعالى: الملك الذي أعطيتك في الدنيا أفضل أو الملك الذي أعطي سليمان؟ فيقول العبد: الملك الذي أعطي سليمان.
فيقول الله: قد كان سليمان يعمل بطاعتي، فيحتج الله عليه بذلك"^(١٢).

القرآن

{وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥)} [ص : ٤٥]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- عبادنا وأنبياءنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه.

(١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٨٣.

(٢) تفسير مجاهد (٥٧٣)، وأخرجه الطبري: ١٦٨/٢١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٢٣/١٧-٤٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢/١٧.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٣٨/٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٦٨/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢/١٧.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/١٧.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/١٧.

(١١) تفسير الطبري: ٤٢٥/١٧-٤٢٦.

(١٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٣٣٤/١.

قوله تعالى: {وَإِذْ كُنَّا عِبَادًا لِّإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [ص : ٤٥]، أي: "واذكر -أيها الرسول- عبادنا وأنبياءنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب"^(١).
عن عطاء، سمع ابن عباس، يقرأ: «واذكر عبدنا إبراهيم» قال: «إنما ذكر إبراهيم، ثم ذكر ولده بعده»^(٢).

قوله تعالى: {أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} [ص : ٤٥]، أي: "فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه"^(٣).

واختلف في تفسير قوله تعالى: {أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} [ص : ٤٥]، على وجوه:

- أحدها : أن الأيدي: القوة على العبادة ، والأبصار: البصر في الدين ، قاله عطاء^(٤).
- الثاني : أن الأيدي: القوة في أمر الله، والأبصار: العقول، قاله مجاهد^(٥).
- الثالث: أن القوة: في طاعة الله، والأبصار: البصر في الحق. قاله مجاهد-أيضا-^(٦).
- الرابع: أن الأيدي: القوة في طاعة الله، والأبصار: البصر بعقولهم في دينهم. قاله قتادة^(٧)، والسدي^(٨).
قال قتادة: "أعطوا قوة في العبادة، وبصرًا في الدين"^(٩).

والصواب أن ذلك مثل، وذلك أن باليد البطش، وبالبطش تُعرف قوّة القويّ، فلذلك قيل للقويّ: ذو يَدٍ وأما البصر، فإنه عنى به بصر القلب، وبه تنال معرفة الأشياء، فلذلك قيل للرجل العالم بالشيء: يصير به^(١٠).

القرآن

{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ (٤٧)} [ص : ٤٦-٤٧]
التفسير:

إننا خصصناهم بخالصة عظيمة، حيث جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، فعملوا لها بطاعتنا، ودعوا الناس إليها، وذكروهم بها. وإنهم عندنا لمن الذين اصطفيناهم لرسالتنا، واخترناهم لطاعتنا.

قوله تعالى: {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} [ص : ٤٦]، أي: "إننا خصصناهم بخالصة عظيمة، حيث جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، فعملوا لها بطاعتنا، ودعوا الناس إليها، وذكروهم بها"^(١١).

وفي قوله تعالى: {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} [ص : ٤٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: أنهم كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة، ويدعونهم إلى طاعة الله، والعمل للدار الآخرة. قاله قتادة^(١٢).

قال قتادة: "بهذه أخلصهم الله، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله"^(١٣).

قال قتادة: "يدعون إلى الآخرة ، وإلى طاعة الله"^(١).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢١٥/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٤) رواه مقاتل بن سليمان في التفسير: ٦٤٩/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢١٦/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢١٦/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١٦/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢١٦/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢١٦/٢١.

(١٠) تفسير الطبري: ٢١٦/٢١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢١٧/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢١٧/٢١.

الثاني : أخلصناهم بذكر الآخرة، فليس لهم ذكر غيرها، قاله مجاهد^(٢)، والسدي^(٣).
قال السدي: "بذكرهم الدار الآخرة، وعلمهم للآخرة"^(٤).
وكان الفضيل بن عياض يقول: "هو الخوف الدائم في القلب"^(٥).
وقال مالك: "نزع الله ما في قلوبهم من الدنيا وذكرها، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها"^(٦).
وهذان القولان على تفسير قراءة «بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ»، بالتثوين^(٧).
الثالث : إنا أخلصناهم بخالصة عُقْبَى الدار. وهذا قول سعيد بن جبير^(٨).
الرابع : إنا اخلصناهم بخالصة أهل الدار. قاله مجاهد-في رواية خرى-^(٩).
قال مجاهد: "هم أهل الدار; وذو الدار"^(١٠).

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا، فأطاعوا الله وراقبوه؛ وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضا الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة، لأن ذلك من طاعة الله، والعمل للدار الآخرة، غير أن معنى الكلمة ما ذكرت. وأما على قراءة من قرأه بالإضافة، فإن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة ما ذكر في الدار الآخرة؛ فلما لم تُذكر "في" أضيفت الذكرى إلى الدار كما قد بيّنا قبل في معنى قوله: {لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ} وقوله: {يَسْأَلُ تَعَجُّبًا إِلَى نِعَاجِهِ}^(١١).

القرآن

{وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨)} [ص : ٤٨]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- عبادنا: إسماعيل، واليسع، وذا الكفل، بأحسن الذكر؛ إن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال والصفات.
قوله تعالى: {وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ} [ص : ٤٨]، أي: "واذكر -أيها الرسول- عبادنا: إسماعيل، واليسع، وذا الكفل، بأحسن الذكر"^(١٢).
عن إبراهيم أنه قرأ: «وَالْيَسَعَ» بلامين، وبالتشديد^(١٣).
وفي قوله تعالى: «وَذَا الْكِفْلِ»، قولان:
أحدهما: أنه كان عبدا صالحا، ولم يكن نبيا. قاله مجاهد^(١٤).
قال مجاهد: "كان ذو الكفل رجلا صالحا ولم يكن نبيا، وكان تكفل لنبي أن يكفيه قومه ويقضي بينهم بالعدل فلذلك سمي ذا الكفل"^(١٥).

(١) تفسير عبدالرزاق (٢٦٠٨): ص ١٢٥/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢١٧/٢١-٢١٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١٨/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢١.

(٥) زاد المسير: ٥٧٨/٣.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٠٥/٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١٨/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢١٩/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢١٩/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢١٩/٢١.

(١١) تفسير الطبري: ٢١٩/٢١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(١٣) رواه الفراء في معاني القرآن: ٤٠٧/٢-٤٠٨.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/١٨.

القول الثاني: أنه كان نبيا، قاله الحسن^(٢)، وعتاء^(٣).
قال عطاء: "أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: إني أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتر، ويصوم النهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبأه، وسمي: ذا الكفل"^(٤).

القرآن

{ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) } [ص : ٤٩ - ٥١]

التفسير:

هذا القرآن ذكّر وشرف لك -أيها الرسول- ولقومك. وإن لأهل تقوى الله وطاعته لحسن مصير عندنا في جنات إقامة، مفتحة لهم أبوابها، متكئين فيها على الأرائك المزيّئات، يطلبون ما يشتهون من أنواع الفواكه الكثيرة والشراب، من كل ما تشتهيهِ نفوسهم، وتلذه أعينهم.

قوله تعالى: { هَذَا ذِكْرٌ } [ص : ٤٩]، أي: "هذا القرآن ذكّر وشرف لك -أيها الرسول- ولقومك"^(٥).

عن السدي: "هَذَا ذِكْرٌ"، قال: القرآن"^(٦).

قوله تعالى: { وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ } [ص : ٤٩ - ٥٠]، أي: "وإن لأهل تقوى الله وطاعته لحسن مصير عندنا في جنات إقامة، مفتحة لهم أبوابها"^(٧).

عن السدي، قوله: " { وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ }"، قال: لحسن منقلب"^(٨).

عن الحسن: "أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، يقال لها: انفتحي، انقضي، تكلم فنفهم وتتكلم"^(٩).

عن الوليد بن مسلم، قال: سألت زهير بن محمد عن قوله -تعالى-: { ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا }، قال: ليس في الجنة ليل، هم في نور أبدا ولهم مقدار الليل بإرخاء الحجب ومقدار النهار"^(١٠).

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة قصرا يقال له: "عدن" حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب عند كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله - أو : لا يسكنه - إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عدل"^(١١).

القرآن

{ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثْرَابٌ (٥٢) } [ص : ٥٢]

التفسير:

(١) تفسير مجاهد: ٥٧٦، وتفسير الطبري: ١٨/٥٠٩، وتفسير ابن أبي حاتم (١٣٧٠١): ص ٢٤٦١/٨.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣/٤٦٤، وزاد المسير: ٣/٢٠٧.

(٣) انظر: زاد المسير: ٣/٢٠٨-٢٠٧.

(٤) زاد المسير: ٣/٢٠٨-٢٠٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٢١/٢٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٢١/٢٢٠.

(٩) رواه عنه مقاتل بن سليمان في التفسير: ٣/٦٥٠.

(١٠) رواه عنه مقاتل بن سليمان في التفسير: ٣/٦٥٠.

(١١) رواه ابن أبي حاتم كما تفسير ابن كثير: ٧/٧٧٧، ورواه البزار في مسنده برقم (١٥٩١) "كشف الأستار" من طريق محمد بن ثواب به، وقال الهيثمي في المجمع (١٩٦/٥): "فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف".

وعندهم نساء قاصرات أبصار هن على أزواجهن متساويات في السن.
 قال قتادة: "قصرن طرفهم على أزواجهم، فلا يردن غيرهم"^(١).
 قال السدي: "قصرن أبصارهن وقلوبهن وأسماعهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم"^(٢).
 قال القرظي: "قاصرات الطرف على أزواجهن، لا يبيغين غيرهم"^(٣).
 عن السدي: "أثرأبٌ"، قال: مستويات"^(٤).
 قال مجاهد: "الأثراب: المستويات"^(٥).
 عن قتادة: "أثرأبٌ": سن واحدة"^(٦).

القرآن

{هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لُرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤)} [ص : ٥٣-٥٤]

التفسير:

هذا النعيم هو ما توعدون به -أيها المتقون- يوم القيامة، إنه لُرِزْقُنَا لَكُمْ، ليس له فناء ولا انقطاع.
 قوله تعالى: {هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ} [ص : ٥٣]، أي: "هذا النعيم هو ما توعدون به -أيها المتقون- يوم القيامة"^(٧).
 قال السدي: "هو في الدنيا ليوم القيامة"^(٨).
 قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لُرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} [ص : ٥٤]، أي: "إنه لُرِزْقُنَا لَكُمْ، ليس له فناء ولا انقطاع"^(٩).
 عن قتادة: "مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ"، أي: ما له انقطاع"^(١٠).
 قال السدي: "رزق الجنة، كلما أخذ منه شيء عاد مثله مكانه، ورزق الدنيا له نفاذ"^(١١).

القرآن

{هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرًّا مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبئْسَ الْمِهَادُ (٥٦)} [ص : ٥٥-٥٦]

التفسير:

هذا الذي سبق وصفه للمتقين. وأما المتجاوزون الحد في الكفر والمعاصي، فلهم شر مرجع ومصير، وهو النار يُعَذَّبُونَ فيها، تغمرهم من جميع جوانبهم، فبئس الفراش فراشهم.
 قوله تعالى: {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرًّا مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا} [ص : ٥٥-٥٦]، أي: "هذا الذي سبق وصفه للمتقين. وأما المتجاوزون الحد في الكفر والمعاصي، فلهم شر مرجع ومصير، وهو النار يُعَذَّبُونَ فيها، تغمرهم من جميع جوانبهم"^(١٢).
 عن السدي: "{وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرًّا مَآبٍ}، قال: لشرٌّ مُنْقَلَبٌ"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٢٢٢/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢١.

(٣) عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢١.

(٥) أخرجه سفیان الثوري ١/ ٢٦٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٥٦.

القرآن

{هَذَا فَلْيُدْفُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ (٥٧) وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص : ٥٧-٥٨]

التفسير:

هذا العذاب ماء شديد الحرارة، وصديد سائل من أجساد أهل النار فليشربوه، ولهم عذاب آخر من هذا القبيل أصناف وألوان.

قوله تعالى: {هَذَا فَلْيُدْفُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ} [ص : ٥٨]، أي: "هذا العذاب ماء شديد الحرارة، وصديد سائل من أجساد أهل النار فليشربوه"^(٢).

قال السدي: "الحميم: الذي قد انتهى حره"^(٣).

واختلف في قوله تعالى: {وَعَسَاقٌ} [ص : ٥٨]، على أقوال:

أحدها: أنه ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم. به قال قتادة^(٤).

الثاني: أنه ما يسيل من دموعهم، يسقونه مع الحميم. قاله السدي^(٥).

وقال إبراهيم: "«العساق»: ما يسيل من سرمهم، وما يسقط من جلودهم"^(٦).

الثالث: أن «العساق»: عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غيرها، فيستنقع فيؤتي بالآدمي، فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام. حتى يتعلق جلده في كعبيه وعقبه، وينجر لحمه كجر الرجل ثوبه. قاله كعب^(٧).

الرابع: أن «العساق»: البارد الذي لا يستطيع من برده. قاله مجاهد^(٨)، والضحاك^(٩).

وقال الضحاك: "العساق: أبرد البرد"^(١٠).

الخامس: انه المئتين. قاله عبد الله بن بريده^(١١).

عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو أن دلوًا من عساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا"^(١٢).

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم، لأن ذلك هو

الأغلب من معنى العسوق، وإن كان للآخر وجه صحيح^(١٣).

قوله تعالى: {وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص : ٥٨]، أي: "ولهم عذاب آخر من هذا القبيل أصناف وألوان"^(١٤).

عن قتادة: "«أزواج»: زوج زوج من العذاب"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٦/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٦-٢٢٧/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٧/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٧/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٧-٢٢٨/٢١. وقال «وهو بالطخارية»، قال المحقق: "لعله يريد بالطخارية: المنسوبة إلى طخارستان، بضم أوله، وهو إقليم من بلاد العجم، شرقي جرجان يريد أن لفظة "عساق" ليست عربية الأصل".

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢١.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٢٨/٢١.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٥٦.

عن الحسن، قوله: "{وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ}"، قال: ألوان من العذاب"^(٢).
قال الحسن: "ذكر الله العذاب، فذكر السلاسل والأغلال، وما يكون في الدنيا، ثم قال: {وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ}"، قال: وآخر لم ير في الدنيا"^(٣).

القرآن

{هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَأَمْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ (٥٩) } [ص : ٥٩]

التفسير:

وعند توارد الطاعين على النار يَشْتَم بعضهم بعضاً، ويقول بعضهم لبعض: هذه جماعة من أهل النار داخله معكم، فيجيبون: لا مرحباً بهم، ولا اتسعت منازلهم في النار، إنهم مفاسون حرّاً النار كما قاسيناها.
قوله تعالى: {هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَأَمْحَبًا بِهِمْ} [ص : ٥٩]، أي: "وعند توارد الطاعين على النار يَشْتَم بعضهم بعضاً، ويقول بعضهم لبعض: هذه جماعة من أهل النار داخله معكم، فيجيبون: لا مرحباً بهم، ولا اتسعت منازلهم في النار"^(٤).

عن قتادة، قوله: "{هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحِمٌ مَعَكُمْ} في النار، {لَأَمْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ} قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ} .. حتى بلغ: {قَبِيسَ الْقَرَارِ}"، قال: هؤلاء التابع يقولون للرءوس"^(٥).

القرآن

{قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَهُ عَلَيْنَا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) } [ص : ٦١]

التفسير:

قال فوج الأتباع: ربنا من أضلنا في الدنيا عن الهدى فضاعف عذابه في النار.
عن مجاهد: "{عذابا ضعفا}"، قال: مضاعفا"^(٦).

القرآن

{وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (٦٣) }

[ص : ٦٢-٦٣]

التفسير:

وقال الطاعون: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالا كنا نعددهم في الدنيا من الأشرار الأشقياء؟ هل تحقيرنا لهم واستهزاؤنا بهم خطأ، أو أنهم معنا في النار، لكن لم تقع عليهم الأبصار؟

قوله تعالى: {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ} [ص : ٦٣]، أي: "وقال الطاعون: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالا كنا نعددهم في الدنيا من الأشرار الأشقياء؟"^(٧).

قال مجاهد: "ذاك أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة، وذكر أناسا صُهيبا وَعَمَّارًا وخبابا، كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ فِي الدُّنْيَا"^(٨).

وقال مجاهد: "قالوا: أين سلمان؟ أين حَبَّاب؟ أين بلال؟"^(٩).

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٥٣): ص ١٤٧٥/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢١.

عن قتادة: قوله: "وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ"، قال: فقدوا أهل الجنة^(٢).
 قوله تعالى: {أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ} [ص : ٦٣]، أي: "هل تحقيرنا لهم واستهزؤنا بهم خطأ، أو أنهم معنا في النار، لكن لم تقع عليهم الأبصار؟"^(٣).
 عن مجاهد: "أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ"، يقول: أهم في النار لا نعرف مكانهم؟"^(٤).
 عن مجاهد، قوله: "أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًّا"، قال: أخطأناهم، {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ}، ولا نراهم؟"^(٥).
 عن قتادة: قوله: "أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًّا" في الدنيا، {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ}، وهم معنا في النار"^(٦).
 وقال: "يقولون: "زأغت أبصارنا عنهم، فلم نرهم حتى دخلوا النار"^(٧).
 قال الضحاك: "هم قوم كانوا يسخرون من محمد وأصحابه، فانطلق به وبأصحابه إلى الجنة وذهب بهم إلى النار ف {قَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَا لَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ}، يقولون: أزأغت أبصارنا عنهم فلا ندري أين هم؟"^(٨).

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ (٦٦)} [ص : ٦٥ - ٦٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لقومك: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله أن يحل بكم؛ بسبب كفركم به، ليس هناك إله مستحق للعبادة إلا الله وحده، فهو المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله، القهَّارُ الذي قهر كل شيء وغلبه. مالك السموات والأرض وما بينهما العزيز في انتقامه، الغفار لذنوب من تاب وأناب إلى مرضاته.
 قوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [ص : ٦٦]، أي: "مالك السموات والأرض وما بينهما العزيز في انتقامه"^(٩).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، الله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"^(١٠).

قوله تعالى: {الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ} [ص : ٦٦]، أي: "الغفار لذنوب من تاب وأناب إلى مرضاته"^(١١).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"^(١٢).

قال سلمة بن وهرام -صاحب طاووس-: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليعفر"^(١٣).

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢١-٢٣٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢١.

(٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٦١٠): ص ١٢٥/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧٢): ص ١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١١) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

القرآن

{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨)} [ص : ٦٧-٦٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لقومك: إن هذا القرآن خبر عظيم النفع. أنتم عنه غافلون منصرفون، لا تعملون به. قوله تعالى: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ} [ص : ٦٧]، أي: "قل -أيها الرسول- لقومك: إن هذا القرآن خبر عظيم النفع"^(١).

عن مجاهد، قوله: "{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}"، قال: القرآن"^(٢).

عن قتادة: "{هُوَ}" يعني: القرآن {نَبَأٌ عَظِيمٌ}"^(٣).

قال قتادة: "إنكم تراجعون نبأ عظيمًا؛ فاعقلوه عن الله"^(٤).

عن شريح: "أن رجلا قال له: أتقضي عليّ بالنبأ؟ قال: فقال له شريح: أو ليس القرآن نبأ؟ قال: وتلا هذه الآية: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}"، قال: وقضى عليه"^(٥).

قوله تعالى: {أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} [ص : ٦٨]، أي: "أنتم عنه غافلون منصرفون، لا تعملون به"^(٦).

عن السدي: "{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}"، قال: القرآن"^(٧).

القرآن

{مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩)} [ص : ٦٩]

التفسير:

ليس لي علم باختصام ملائكة السماء في شأن خلق آدم، لولا تعليم الله إياي، وإيحاؤه إليّ. قال قتادة: "هم الملائكة، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة: {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} ... حتى بلغ {سَاجِدِينَ} وحين قال: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} ... حتى بلغ {وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ} ففي هذا اختصم الملائكة الأعلى"^(٨).

قال الحسن: "اختصموا إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين للذي خلقه بيده"^(٩).

عن السدي: "{بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ}"، هو: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}"^(١٠).

وروي عن معاذ رضي الله عنه ، قال : "احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا ننزاعى قرن الشمس. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا فتَوَّبَ بالصلاة فصلى وتَجَوَّزَ في صلاته فلما سلم قال : "كما أنتم على مصافكم". ثم أقبل إلينا فقال : "إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، إني قمت من الليل فصليت ما فُذِّرَ لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي في أحسن صورة فقال : يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة الأعلى ؟ قلت لا أدري رب - أعادها ثلاثا - فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال : يا محمد فيم

(١) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢١.

(٣) تفسير البغوي ١٠١/٧.

(٤) الدر المنثور: ٢٠٢/٧، عزاه إلى عبد بن حميد، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢١-٢٣٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢١-٢٣٧.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦١١):ص١٢٦/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢١.

يختصم الملائكة الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها حق فادرسوها وتعلموها"^(١).

القرآن

{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)} [ص : ٧١-٧٢]

التفسير:

اذكر لهم -أيها الرسول-: حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشرًا من طين. فإذا سويته جسده وخلقه ونفخت فيه الروح، فدبت فيه الحياة، فاسجدوا له سجود تحية وإكرام، لا سجود عبادة وتعظيم؛ فالعبادة لا تكون إلا لله وحده. وقد حرم الله في شريعة الإسلام السجود للتحية.

قوله تعالى: {إِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [ص : ٧٢]، أي: "فإذا سويته جسده وخلقه ونفخت فيه الروح، فدبت فيه الحياة"^(٢).

عن الضحاك: "وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي"، قال: من قدرتي"^(٣).

قوله تعالى: {فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [ص : ٧٢]، أي: "فاسجدوا له سجود تحية وإكرام"^(٤). قال قتادة: فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم، وأكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته"^(٥).

القرآن

{فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤)} [ص : ٧٣-٧٤]

التفسير:

فسجد الملائكة كلهم أجمعون طاعة وامتثالاً غير إبليس؛ فإنه لم يسجد أنفة وتكبراً، وكان من الكافرين في علم الله تعالى.

قوله تعالى: {إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [ص : ٧٤]، أي: "لكن إبليس استكبر عن طاعة الله وأبى السجود لآدم فصار من الكافرين"^(٦).

قال أبو العالية: "يعني: من العصاة"^(٧). وروى عن الربيع^(٨) مثل ذلك.

قال عبد الله بن بريدة: "من الذين أبوا، فأحرقتهم النار"^(٩).

(١) المسند (٢٤٣/٥)، وسنن الترمذي برقم (٣٢٣٥) وقال: "سألت محمد بن إسماعيل - يعني: عن هذا الحديث - فقال: "حسن صحيح".

(٢) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٥) تفسير الطبري (٧٠٧): ص ٥١٢/١.

(٦) صفة التفسير: ٥٩/٣.

(٧) تفسير الطبري (٧٠٥): ص ٥١١/١، وابن أبي حاتم (٣٦٧): ص ٨٥/١.

(٨) أنظر: تفسير الطبري (٧٠٦): ص ٥١١/١.

(٩) تفسير ابن أبي حاتم (٣٦٦): ص ٨٤/١.

قال قتادة: "حسد عدو الله إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا نارِي وهذا طيني. فكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم"^(١).
قال السُّدِّيُّ: "كان اسم إبليس «الحارث»، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيراً"^(٢).

القرآن

{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)} [ص : ٧٥]

التفسير:

قال الله لإبليس: ما الذي منعك من السجود لمن أكرمه فخلقه بيدي؟ أستكبرت على آدم، أم كنت من المنكبرين على ربك؟

قوله تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص : ٧٥]، أي: "قال الله لإبليس: ما الذي منعك من السجود لمن أكرمه فخلقه بيدي؟"^(٣).

عن كعب الأحبار، قال: "إنَّ الله لم يخلق بيده إلا ثلاثة أشياء: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده"^(٤).

عن مسيرة، قال: خلق الله أربعة بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، وخلق القلم بيده"^(٥). وروي عن إبراهيم النخعي مثله"^(٦).

القرآن

{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦)} [ص : ٧٦]

التفسير:

قال إبليس معارضاً لربه: لم أسجد له؛ لأنني أفضل منه، حيث خلقتني من نار، وخلقته من طين. والنار خير من الطين.

عن الحسن قوله: "خلقتني من نار وخلقته من طين"، قال: قاس إبليس وهو أول من قاس"^(٧).

قال ابن سيرين: "أول من قاس إبليس، وما عُبِدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس"^(٨).

عن مجاهد قوله: "خلقتني من نار"، قال: ثم جعل ذريته من ماء"^(٩).

القرآن

{قَالَ فَاحْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨)} [ص : ٧٧-٧٨]

التفسير:

قال الله له: فاخرج من الجنة فإنك مرجوم بالقول، مدحور ملعون، وإن عليك طردي وإبعادي إلى يوم الجزاء والحساب.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣٦٤): ص ٨٤/١.

(٢) تفسير الطبري (٧٠٤): ص ٩٩/١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٤) الدر المنثور: ٢٠٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥) أخرجه هناد (٤٤).

(٦) أخرجه هناد (٤٤).

(٧) أخرجه الطبري: (١٤٣٥٦): ص ٣٢٧/١٢.

(٨) أخرجه الطبري (١٤٣٥٥): ص ٣٢٧/١٢.

(٩) أخرجه الطبري: (١٤٣٥٨): ص ٣٢٧/١٢.

قوله تعالى: {قَالَ فَأَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتِكَ رَحِيمٌ} [ص : ٧٧]، أي: "قال الله له: فأخرج من الجنة، فإنك مرجوم بالقول، مدحور ملعون" (١).
 قال قتادة: "والرحيم: اللعين" (٢).
 عن ابن جريج: "فَأَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتِكَ رَحِيمٌ"، قال: ملعون. والرحم في القرآن: الشتم" (٣).
 قال سعيد بن جبیر: "لما لعن الله إبليس، تغيرت صورته عن صورة الملائكة، ورن رنة، فكل رنة في الدنيا إلى يوم القيامة منها" (٤).
 قوله تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} [ص : ٧٨]، أي: "وإن عليك طردي وإبعادي إلى يوم الجزاء والحساب" (٥).
 عن قتادة: {يَوْمِ الدِّينِ}، قال: "يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم" (٦).
 وقال مجاهد: "يوم الحساب" (٧).

القرآن

{قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١)}
 [ص : ٧٩ - ٨١]

التفسير:

قال إبليس: ربّ فأخّر أجلي، ولا تهلكني إلى حين تبتعث الخلق من قبورهم. قال الله له: فإنك من المؤخّرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم النفخة الأولى عندما تموت الخلائق.
 قال السدي: "فلم ينظره إلى يوم البعث، ولكن أنظره إلى الوقت المعلوم، وهو يوم يُنفخ في الصور النفخة الأولى، فصعق من في السموات ومن في الأرض، فمات" (٨).

القرآن

{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)} [ص : ٨٢-٨٣]

التفسير:

قال إبليس: فبعزتك -يا رب- وعظمتك لأضلّ بني آدم أجمعين، إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته من إضلالتي، فلم تجعل لي عليهم سبيلا.
 قوله تعالى: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص : ٨٢]، أي: "قال إبليس: فبعزتك -يا رب- وعظمتك لأضلّ بني آدم أجمعين" (٩).
 قال قتادة: "علم عدوّ الله أنه ليست له عزّة" (١٠).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ١٠٢/١٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٤-٥٣٥.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥٧.

(٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.

(٧) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٣٨٥): ص٢٢٦٤/٧.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢١.

وعن أبي سعيد، رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني"^(١).
 قوله تعالى: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ} [ص : ٨٣]، أي: "إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته من إضلالي، فلم تجعل لي عليهم سبيلا، فإنني لا أقدر على إضلاله وإغوائه"^(٢).
 عن الضحاك: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ}، يعني: المؤمنين"^(٣).
 قال قتادة: "هذه تبيية الله تعالى ذكره"^(٤).
 عن أبي قلابة: "أن إبليس، لما جعل الله عليه اللعنة فسأله النظرة إلى يوم الدين فأنظره، قال: فبِعزتك لا أخرج من صدر عبد حتى تخرج نفسه، قال: «وعزتي لا أحجب توبتي عن عبدي حتى تخرج نفسه»"^(٥).

القرآن

{قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبَعُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)} [ص : ٨٤-٨٥]
 التفسير:

قال الله: فالحقُّ مني، ولا أقول إلا الحق، لأملأن جهنم منك ومن ذريتك وممن تبعك من بني آدم أجمعين.
 قوله تعالى: {قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ} [ص : ٨٥]، أي: "قال الله: فالحقُّ مني، ولا أقول إلا الحق"^(٦).
 عن السدي، قوله: " {قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ}، قال: قسم أقسم الله به"^(٧).
 عن مجاهد، قوله: " {قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ}، يقول الله: أنا الحق، والحقُّ أقول"^(٨).
 وعن مجاهد-أيضا-: " يقول الله: الحقُّ مني، وأقول الحق"^(٩).
 وقرأ عاصم، وحمزة {فالحق} الرفع، {والحق أقول} النصب، وقرأ الباقون كلاهم بالنصب^(١٠).
 قوله تعالى: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبَعُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص : ٨٥]، أي: "لأملأن جهنم منك ومن ذريتك وممن تبعك من بني آدم أجمعين"^(١١).
 عن الحسن، في الآية، قال: "حقاً لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين"^(١٢).

القرآن

{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦)} [ص : ٨٦]
 التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين من قومك: لا أطلب منكم أجراً أو جزاءً على دعوتكم وهدايتكم، ولا أدعي أمراً ليس لي، بل أتبع ما يوحى إليّ، ولا أتكلف تخرفاً وافتراءً.

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٤/ ٢٩٠) (٧٦٧٢) وصحیح الجامع (١٦٥٠) حسن.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢١، والتفسير الميسر: ٤٥٨.

(٣) أخرجه الطبري: ١٠٣/١٧.

(٤) أخرجه الطبري: ١٠٣/١٧.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٦١٦): ص ١٢٧/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢١.

(١٠) انظر: السبعة في القراءات: ٥٥٧.

(١١) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(١٢) النكت والعيون: ١١٢/٥.

قوله تعالى: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} [ص : ٨٦]، أي: "قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين من قومك: لا أطلب منكم أجراً أو جزاءً على دعوتكم وهدايتكم"^(١).
 قال عطاء بن دينار: "لا أسألكم على ما جنتكم به أجراً"^(٢).
 قال السدي: "قل ما، يعني: الذي سألتكم من أجر فهو لكم"^(٣).
 قوله تعالى: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [ص : ٨٦]، أي: "ولا أدعي أمراً ليس لي، بل أتبع ما يوحى إليّ، ولا أتكلف تحريضاً وافتراءً"^(٤).
 عن أرطاة بن المنذر، قال: "آية المتكلف ثلاث: يتكلم فيما لا يعلم، وينازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال"^(٥).

عن الربيع بن خثيم -من طريق منذر الثوري- أنه قال: "يا عبد الله، ما علمك الله في كتابه من علم فاحمد الله، وما استأثر عليك به من علم فكله إلى عالمه، ولا تتكلف؛ فإن الله - عز وجل - يقول لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ}"^(٦).

عن مسروق قال: "أتينا عبد الله بن مسعود قال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}"^(٧).
 عن الزبير، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إني بريء من التكلف، وصالحو أمتي»^(٨).
 عن سلمة بن نفيل، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «للمتكلف ثلاث علامات: يُنازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول فيما لا يعلم»^(٩).

عن عمر بن الخطاب -من طريق سعيد بن المسيب- أنه صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، من أتاه الله - عز وجل - علماً فليثق بالله، وليعلمه الناس، ولا يكتمه، فإنه من كتم علماً يعلمه كان كمن كتم ما أنزل الله تعالى على نبيه، وأمره أن يعلمه الناس، ومن لم يعلم فليسكت، وإياه أن يقول ما لا يعلم فيهلك، ويصير من المتكلفين، ويمرق من الدين، وإن الله - عز وجل - قال: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}، من أفنى بغير السنة فعليه الإثم"^(١٠).

القرآن

{إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧)} [ص : ٨٧]

التفسير:

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٥٨.
 (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٨٦) ص ٢٧١٢/٨.
 (٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٧٠/٢.
 (٤) التفسير الميسر: ٤٥٨.
 (٥) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٠٤٤ / ٢.
 (٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٠٦٤).
 (٧) صحيح البخاري برقم (٤٨٠٩) وصحيح مسلم برقم (٢٧٩٨).
 (٨) أخرجه ابن عساکر في تاريخه ٢٧٦ / ٣٥ - ٢٧٧، والثعلبي ٢١٨ / ٨. وأورده الديلمي في الفردوس ١ / ٧٦ (٢٢٨) واللفظ له.
 قال ابن عساکر: «هذا حديث غريب». وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ص ٦٤٧: «وإسناده ضعيف». وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ١٧١ (١٩١): «قال النووي: ليس بثابت. انتهى. وقد أخرجه الدارقطني في الأفراد ... وسنده ضعيف».
 (٩) أخرجه الثعلبي ٢١٨ / ٨.
 (١٠) أخرجه الثعلبي ٢١٨ / ٨.

ما هذا القرآن إلا تذكير للعالمين من الجن والإنس، يتذكرون به ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم. واختلف في معنى: «العالمين»، على أقوال:

أحدها: أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة، وهذا قول قتادة^(١)، ومجاهد^(٢).
الثاني: أنه الإنس، والجن، وهذا قول سعيد بن جبير^(٣)، ومجاهد^(٤)، وابن جريج^(٥).
الثالث: أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم^(٦)، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء^(٧): هم الروحانيون.
الرابع: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق^(٨).
والظاهر-والله أعلم- أن {العالمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و(العالم) جمع لا واحد له من لفظه، و(العالم) أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر، فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم^(٩).

واختلفوا في مبلغ «العالمين» وكيفيتهم، على قولين:
أحدهما: أن الإنس عالم، والجن عالم، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم، أو أربعة عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض، والأرض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته. قاله أبو العالية^(١٠).

وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح^(١١).
الثاني: أن «العالمين»: ألف أمة ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر. وهذا قول تبيع^(١٢).
وقال كعب الأحبار: "لا يحصي عدد العالمين إلا الله، قال الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المتر: ٣١]"^(١٣).

ونقل عن المتقدمين أعداد مختلفة في العالمين وفي مقارها، الله أعلم بالصحيح^(١٤).

القرآن

{وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)} [ص : ٨٨]

التفسير:

ولتعلمن -أيها المشركون- خبر هذا القرآن وصدقه، حين يغلب الإسلام، ويدخل الناس فيه أفواجا، وكذلك حين يقع عليكم العذاب، وتقطع عنكم الأسباب.
واختلفوا في مدة الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع، على أقوال:
أحدها: بعد الموت، قاله قتادة^(١٥).

(١) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٢) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥٩)، و(١٦٠): ص ١٤٤-١٤٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٦١)، و(١٦٢): ص ١٤٥/١.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٦٥): ص ١٤٦/١.

(٦) حكاه عنه القرطبي في تفسيره: ٢١٣/١.

(٧) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٨) تفسير الثعلبي: ١١٢/١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٨٤٣): ص ٧١٠/٣، و٢٧/١/١٥، و تفسير الطبري (١٦٤): ص ١٤٦/١.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٣٢/١.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٨٤٤): ص ٧١٠/٣.

(١٣) تفسير الثعلبي: ١١٢/١.

(١٤) البحر المحيط: ١٣/١.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٢١.

وقال الحسن: "يا بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين"^(١).
الثاني: يوم القيامة، قاله عكرمة^(٢).

ولا منافاة بين القولين السابقين؛ فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة^(٣).
الثالث: يوم بدر، قاله السدي^(٤).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذابين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حد منه لذلك الحين بحد، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته في الدنيا، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر، وقبل ذلك، ولا حد عند العرب للحين، لا يُجاوز ولا يقصر عنه. فإذا كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت^(٥).

قال عكرمة: "سُئِلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين، فقلت: إن من الحين حيناً لا يدرك، ومن الحين حين يدرك، فالحين الذي لا يدرك قوله: {وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ}، والحين الذي يدرك قوله {ثَوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا}، وذلك من حين تُصْرَم النخلة إلى حين تُطْلَع، وذلك ستة أشهر"^(٦).
«آخر تفسير سورة (ص)، والحمد لله وحده»

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢١.

(٢) انظر: النكت والعيون: ١١٢/٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٨٣/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٢١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٤٤/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تفسير سورة «الزمر»

سورة «الزمر»: هي السورة «التاسعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «التاسعة والخمسون» في ترتيب النزول على المختار، نزلت بعد سورة: «سبأ»^(١)، وقبل سورة غافر، وعدد آياتها خمسون وسبعون آية في عدّ الكوفي، وثلاث في عدّ الشامي، والباقيين. وكلماتها ألف ومائة وسبعون. وحروفها أربعة آلاف وسبعمائة وثمان^(٢).

والآيات المختلف فيها سبع: {فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الزمر : ٣]، {مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر : ١١]، {مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر : ١٤]، و {مِنْ هَادٍ} [الزمر : ٣٦]، {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الزمر : ٣٩]، {فَبَشِّرْ عِبَادَ} [الزمر : ١٧]، {مِنْ تَحْتِهَا النَّهَارُ} [الزمر : ٢٠]، مجموع فواصل آياتها: «من ولى يدر»^(٣).

■ مكان نزول السورة:

هي مكية، نزلت قبيل هجرة المؤمنين إلى الحبشة، أي: في سنة خمس قبل الهجرة، وقد اختلف أهل العلم في مكان نزول السورة على أقوال:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٤)، والحسن^(٥)، ومجاهد^(٦)، وعطاء^(٧)، عكرمة^(٨)، وقتادة^(٩)، وجابر وجابر بن زيد^(١٠).

قال ابن عاشور: "هي مكية كلها عند الجمهور"^(١١).

الثاني: أنها مكية، إلا قوله: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا} [الزمر : ٥٣]... الآية. قاله الزمخشري^(١٢).

الثالث: أنها مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة، إحداهما: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر : ٢٣]، والأخرى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} [الزمر : ٥٣] الآية. حكاها القرطبي عن ابن عباس^(١٣).

الرابع: أنها مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر : ٥٣] إلى ثلاث آيات. وهذا مروى عن ابن عباس أيضا^(١٤). وبه قال مقاتل^(١٥)، وابن قتبية^(١٦)، والزجاج^(١٧).

الخامس: أنها مكية إلا سبع آيات من قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} [الزمر : ٥٣]، إلى آخر سبع آيات نزلت في وحشي وأصحابه. حكاها القرطبي^(١٨).

(١) انظر: الكشاف: ١١٠/٤.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٠٣/١.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢١٠/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٥) انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(٦) انظر: زاد المسير: ٧/٤.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(٨) انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(٩) انظر: زاد المسير: ٧/٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٧/٤، وتفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(١١) المحرر الوجيز: ٣١١/٢٣.

(١٢) انظر: الكشاف: ١١٠/٤.

(١٣) انظر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

(١٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢١٠/٧، وعزاه إلى النحاس في تاريخه. وانظر: معاني القرآن للنحاس: ١٤٧/٦.

(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦٧/٣.

(١٦) انظر: غريب القرآن: ٣٨٢.

(١٧) انظر: معاني القرآن: ٣٤٣/٤.

(١٨) انظر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٥.

قال ابن عاشور: "المتجه: أنها كلها مكية وأن ما يخيل أنه نزل في قصص معينة إن صحت أسانيده أن يكون وقع التمثل به في تلك القصص فاشتبه على بعض الرواة بأنه سبب نزول"^(١).

(١) المحرر الوجيز: ٣١٢/٢٣.

القرآن

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)} [الزمر : ١]

التفسير:

تنزيل القرآن إنما هو من الله العزيز في قدرته وانتقامه، الحكيم في تدبيره وأحكامه. قال محمد بن إسحاق: "العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"^(١)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"^(٢).

قال أبو العالية: "عزیز {عزیز} في نعمته إذا انتقم"^(٣). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(٤).
عن أبي العالية: "حكيم {حكيم}، قال: حكيم في أمره"^(٥).
قال محمد بن جعفر بن الزبير "الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"^(٦).

القرآن

{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢)} [الزمر : ٢]

التفسير:

إنا أنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن يأمر بالحق والعدل، فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك. قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} [الزمر : ٢]، أي: "إنا أنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن يأمر بالحق والعدل"^(٧).
عن قتادة: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ"، يعني: القرآن"^(٨).
قوله تعالى: {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر : ٢]، أي: "فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك"^(٩).

عن السدي، "أما قوله: {مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ}، فالتوحيد"^(١٠).
عن شمر، قال: "يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات، فيقول ربّ العزة جلّ وعزّ: صلّيت يوم كذا وكذا، ليقال: صلّى فلان! أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص. صمت يوم كذا وكذا، ليقال: صام فلان! أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص، تصدّقت يوم كذا وكذا، ليقال: تصدق فلان! أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص، فما يزال يمحو شيئاً بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء، فيقول ملكاه: يا فلان، ألغير الله كنت تعمل"^(١١).

القرآن

{إِنَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)} [الزمر : ٣]

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٥٠/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٥٠/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٥٠/٢١.

التفسير:

ألا لله وحده الطاعة التامة السالمة من الشرك، والذين أشركوا مع الله غيره واتخذوا من دونه أولياء، قالوا: ما نعبد تلك الآلهة مع الله إلا لتشفع لنا عند الله، وتقربنا عنده منزلة، فكفروا بذلك؛ لأن العبادة والشفاعه لله وحده، إن الله يفصل بين المؤمنين المخلصين والمشركين مع الله غيره يوم القيامة فيما يختلفون فيه من عبادتهم، فيجازي كلا بما يستحق. إن الله لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم من هو مفتر على الله، ككفار بآياته وحججه.

قوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ} [الزمر : ٣]، أي: "ألا لله وحده الطاعة التامة السالمة من الشرك"^(١).

عن قتادة: " {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ}، شهادة أن لا إله إلا الله"^(٢).

قال مجاهد: "شهادة أن لا إله إلا الله كلمة الإخلاص"^(٣).

عن الحسن، عن أبي هريرة، أن رجلا قال: "يا رسول الله إني أتصدق بالشيء وأصنع الشيء أريد به وجه الله جلّ وعزّ وثناء الناس. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله جلّ ثناؤه شيئا شورك فيه، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ}»^(٤).

عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنه: " {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ} [الزمر: ٣]، قال: «كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، لا يتقبل الله عز وجل من أحد عملا حتى يقولها»^(٥).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر : ٣]، أي: "والذين أشركوا مع الله غيره واتخذوا من دونه أولياء، قالوا: ما نعبد تلك الآلهة مع الله إلا لتشفع لنا عند الله، وتقربنا عنده منزلة"^(٦).

عن مجاهد، قوله: " {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، قال: قريش تقوله للأوثان، ومن قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعزير"^(٧).

قال قتادة: " قالوا: ما نعبد هؤلاء إلا ليقربونا، إلا ليشفعوا لنا عند الله"^(٨).

عن السدي، قوله: " {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، قال: هي منزلة"^(٩).

وفي في قراءة أبي: « {مَا نَعْبُدُهُمْ}، وفي قراءة عبد الله: «قالوا ما نعبدهم»^(١٠).

القرآن

{لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)} [الزمر : ٤]

التفسير:

لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاختار من مخلوقاته ما يشاء، تنزهه الله وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، القهّار الذي قهر خلقه بقدرته، فكل شيء له متذل خاضع.

(١) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢١، والطبراني في الدعاء (١٦٠٣): ص ٤٦١.

(٣) الدعاء للطبراني (١٦٠٤): ص ٤٦١.

(٤) حكاة النحاس في إعراب القرآن: ٢/٤.

(٥) الدعاء للطبراني (١٦٠٢): ص ٤٦٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٥١/٢١.

قوله تعالى: {سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزمر : ٤]، أي: "تنزه الله وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، القهار الذي قهر خلقه بقدرته، فكل شيء له متذلل خاضع"^(١).
 عن ميمون بن مهران: {سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"^(٢).
 عن الحسن قال: "سبحان الله": اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"^(٣).

القرآن

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥)} [الزمر : ٥]
 التفسير:

خلق الله السموات والأرض وما فيهما بالحق، يجيء بالليل ويذهب بالنهار، ويجيء بالنهار ويذهب بالليل، وذلك الشمس والقمر بانتظام لمنافع العباد، كل منهما يجري في مداره إلى حين قيام الساعة. ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم على خلقه بهذه النعم هو العزيز على خلقه، الغفار لذنوب عباده التائبين.
 قوله تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [الزمر : ٥]، أي: "خلق الله السموات والأرض وما فيهما بالحق"^(٤).

قال ابن إسحاق: "ابتدع السموات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام"^(٥).
 قوله تعالى: {يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ} [الزمر : ٥]، أي: "يجيء بالليل ويذهب بالنهار، ويجيء بالنهار ويذهب بالليل"^(٦).

قال مجاهد: "يدهور الليل على النهار، ويدهور النهار على الليل"^(٧).
 قال قتادة: "يَغْشَى هذا هذا، ويغشى هذا هذا"^(٨).
 قال السدي: "يجيء بالنهار ويذهب بالليل، ويجيء بالليل، ويذهب بالنهار"^(٩).
 قوله تعالى: {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} [الزمر : ٥]، أي: "وذلك الشمس والقمر بانتظام لمنافع العباد، كل منهما يجري في مداره إلى حين قيام الساعة"^(١٠).
 قال قتادة: "أجل معلوم، وحد لا يقصر دونه ولا يتعداه"^(١١).
 قال السدي: "وهو مطالع الشمس والقمر إلى غاية لا يجاوزانه في شتاء ولا صيف"^(١٢).
 قوله تعالى: {أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} [الزمر : ٥]، أي: "ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم على خلقه بهذه النعم هو العزيز على خلقه، الغفار لذنوب عباده التائبين"^(١٣).

(١) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٤): ص ٨١/١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٥): ص ٨١/١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٩٥): ص ٢٧١٣/٨-٢٧١٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(٧) تفسير مجاهد: ٥٧٧، وأخرجه الطبري: ٢٥٣/٢١، بلفظ: «يدهوره».

(٨) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢١-٢٥٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٠.

(١٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٢/٢.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٥٨.

قال محمد بن إسحاق: "العزیز فی نصرته ممن كفر إذا شاء"^(١).
 قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»، ليعفو،
 و«الغفور»، ليعفر"^(٢).

القرآن

{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦)} [الزمر : ٦]
 التفسير:

خلقكم ربكم -أيها الناس- من آدم، وخلق منه زوجه، وخلق لكم من الأنعام ثمانية أنواع ذكرًا وأنثى من الإبل والبقرة والضأن والمعز، يخلقكم في بطون أمهاتكم طورًا بعد طور من الخلق في ظلمات البطن، والرحم، والمشيمة، ذلكم الله الذي خلق هذه الأشياء، ربكم المتفرد بالملك المتوحد بالألوهية المستحق للعبادة وحده، فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره من خلقه؟

قوله تعالى: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} [الزمر : ٦]، أي: "خلقكم ربكم -أيها الناس- من آدم، وخلق منه زوجه"^(٣).
 عن قتادة، قوله: "{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}"، يعني: آدم، ثم خلق منها زوجها حواء، خلقها من ضلع من أضلاعه"^(٤).

عن مجاهد: "الذي خلقكم من نفس واحدة" [النساء: ١] يعني: من آدم"، {وخلق منها زوجها} [النساء: ١]، يقول: "خلق حواء من قصيري آدم وهو نائم فاستيقظ، فقال: أنا يعني امرأة وهي بالنبطية"^(٥).
 قوله تعالى: {وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} [الزمر : ٦]، أي: "وخلق لكم من الأنعام ثمانية أنواع ذكرًا وأنثى من الإبل والبقرة والضأن والمعز"^(٦).
 عن مجاهد، قوله: "{مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ}"، قال: من الإبل والبقرة والضأن والمعز"^(٧).
 قال قتادة: "من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، من كل واحد زوج"^(٨).

قال الضحاك: "يعني من المعز اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الإبل اثنين"^(٩).
 قوله تعالى: {يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ} [الزمر : ٦]، أي: "يخلقكم في بطون أمهاتكم طورًا بعد طور من الخلق"^(١٠).
 عن عكرمة، قوله: {يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ}، قال: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة"^(١١).

وقال عكرمة: "يعني بخلق بعد الخلق، علقة، ثم مضغة، ثم عظاما"^(١٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢١.

(٥) تفسير مجاهد: ٢٦٥.

(٦) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢١.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.

قال الضحاك: "خلق نطفة، ثم علقه، ثم مضغه"^(١).
 قال قتادة: "نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم عظاما، ثم لحما، ثم أنبت الشعر، أطوار الخلق"^(٢).
 قال السدي: يكونون نطفاء، ثم يكونون علقاء، ثم يكونون مضغاء، ثم يكونون عظاما، ثم ينفخ فيهم الروح"^(٣).

عن مجاهد، قوله: " {خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ}، قال: نطفة، ثم ما يتبعها حتى تم خلقه"^(٤).
 قوله تعالى: {فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ} [الزمر : ٦]، أي: "في ظلمات البطن، والرحم، والمشيمة"^(٥).
 قال عكرمة: "الظلمات الثلاث: البطن، والرحم، والمشيمة"^(٦). وروي عن مجاهد^(٧)، وقاتادة^(٨)، نحو ذلك.

قال الضحاك: "الرحم، والمشيمة، والبطن، والمشيمة التي تكون على الولد إذا خرج، وهي من الدواب السلي"^(٩).

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [الزمر : ٦]، أي: "ذلكم الله الذي خلق هذه الأشياء ربكم، المتفرد بالملك، المتوحد بالالوهية المستحق للعبادة وحده، فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره من خلقه"^(١٠).

عن السدي: {فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}، "قال للمشركين: أنى تصرف عقولكم عن هذا؟"^(١١).
 عن قتادة: {فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}، قال: "كقوله: {تُؤَفِّكُونَ}"^(١٢).

القرآن

{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَىٰ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الزمر : ٧]

التفسير:

إن تكفروا -أيها الناس- بربكم ولم تؤمنوا به، ولم تتبعوا رسله، فإنه غني عنكم، ليس بحاجة إليكم، وأنتم الفقراء إليه، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمرهم به، وإنما يرضى لهم شكر نعمه عليهم. ولا تحمل نفس إثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم مصيركم، فيخبركم بعملكم، ويحاسبكم عليه. إنه عليم بأسرار النفوس وما تخفي الصدور.

قوله تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر : ٧]، أي: "إن تكفروا -أيها الناس- بربكم ولم تؤمنوا به، ولم تتبعوا رسله، فإنه غني عنكم، ليس بحاجة إليكم، وأنتم الفقراء إليه، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمرهم به"^(١٣).

(١) أخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٥٧/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٨/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢١.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢١.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٥٩.

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر : ٧]، على قولين:

أحدهما: أن ذلك لخاص من الناس، ومعناه: إن تكفروا أيها المشركون بالله، فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر. وهذا قول السدي^(١).

عن السدي: {وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}، قال: "لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا"^(٢).

قال عكرمة: "لا يرضى لعباده المسلمين الكفر"^(٣).

قال قتادة: "والله، ما رضي الله لعبده ضلالة، ولا أمره بها، ولا دعا إليها، ولكن رضي لكم طاعته، وأمركم بها، ونهاكم عن معصيته"^(٤).

قوله تعالى: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر : ٧]، أي: "وإن تشكروا ربكم يرضى هذا الشكر منكم، لأجلكم ومنفعتكم لا لانتفاعه بطاعتكم"^(٥).

عن السدي: "وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ"، قال: "إن تطيعوا يرضه لكم"^(٦).

قوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} [الزمر : ٧]، أي: "ولا تحمل نفس إثم نفس أخرى"^(٧).

قال السدي: "لا يؤخذ أحد بذنب أحد"^(٨).

قوله تعالى: {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزمر : ٧]، أي: "ثم إلى ربكم مصيركم، فيخبركم بعملكم، ويحاسبكم عليه"^(٩).

عن أبي العالية قوله: "إلى الله مرجعكم"، قال: يرجعون إليه بعد الحياة"^(١٠).

قوله تعالى: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الزمر : ٧]، أي: "إنه عليم بأسرار النفوس وما تخفي الصدور"^(١١).

عن الحسن: "إنه عليم بذات الصدور": يعلم تلك الساعة"^(١٢).

القرآن

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨)} [الزمر : ٨]

التفسير:

وإذا أصاب الإنسان بلاءٌ وشدة ومرض تذكَّر ربه، فاستغاث به ودعاه، ثم إذا أجابه وكشف عنه ضره، ومنحه نعمة، نسي دعاءه لربه عند حاجته إليه، وأشرك معه غيره؛ ليضلَّ غيره عن الإيمان بالله وطاعته، قل له -أيها الرسول- متوعدًا: تمتع بكفرك قليلاً حتى موتك وانتهاء أجلك، إنك من أهل النار المخدئين فيها.

قوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ} [الزمر : ٨]، أي: "وإذا أصاب الإنسان بلاءٌ وشدة ومرض"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢١.

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٥) صفوة التفاسير: ٦٦/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٥٢): ص ١٩٩٨/٦.

(١١) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٧٤): ص ٢٠٠١/٦.

عن قتادة، قوله: "وإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ، قال: الوجع والبلاء والشدة"^(٢).
قوله تعالى: {دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ} [الزمر : ٨]، أي: "تضرع إلى ربه في إزالة تلك الشدة، مقبلاً عليه
مخبتاً مطيعاً"^(٣).

عن قتادة، قوله: "دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ"، قال: مستغيثاً به"^(٤).
قوله تعالى: {ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ} [الزمر : ٨]، أي: "ثم إذا أجابه وكشف عنه ضره، ومنحه
نعمة"^(٥).

قال السدي: "إذا أصابته عافية أو خير"^(٦).
قوله تعالى: {نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ} [الزمر : ٨]، أي: "نسي دعاءه لربه عند حاجته
إليه"^(٧).

عن السدي: "نَسِيَ" يقول: ترك، هذا في الكافر خاصة"^(٨).
قوله تعالى: {وَجَعَلَ لَهُ أُنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} [الزمر : ٨]، أي: "وجعل لله شركاء في العبادة ليصد
عن دين الله وطاعته"^(٩).

قال السدي: "وجعل لله أمثالا وأشباها"^(١٠).
قوله تعالى: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} [الزمر : ٨]، أي: "قل له -أيها الرسول-
تمتع بكفرك قليلاً حتى موتك وانتهاء أجلك، إنك من أهل النار المخدئين فيها"^(١١).
عن أبي مالك، قوله: "أصحاب النار": يعذبون فيها"^(١٢).

القرآن

{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)} [الزمر : ٩]
التفسير:

أهذا الكافر المتمتع بكفره خير، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله،
يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة ربه؟ قل -أيها الرسول-: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق
والذين لا يعلمون شيئاً من ذلك؟ لا يستون. إنما يتذكر ويعرف الفرق أصحاب العقول السليمة.
قوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا} [الزمر : ٩]، أي: "أهذا الكافر المتمتع بكفره
خير، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله"^(١٣).
وفي تفسير: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ} [الزمر : ٩]، وجهان من التفسير:
أحدهما: أن «القنوت»: هو الخشوع في الصلاة. قاله ابن شهاب^(١).

- (١) التفسير الميسر: ٤٥٩.
- (٢) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢١.
- (٣) صفوة التفاسير: ٦٦/٣.
- (٤) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢١.
- (٥) التفسير الميسر: ٤٥٩.
- (٦) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢١-٢٦٤.
- (٧) التفسير الميسر: ٤٥٩.
- (٨) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢١.
- (٩) صفوة التفاسير: ٦٦/٣.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢١.
- (١١) التفسير الميسر: ٤٥٩.
- (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٣٠): ص ٩٤/١.
- (١٣) التفسير الميسر: ٤٥٩.

عن ابن شهاب: "الخشاع في صلاته"^(٢).
 الثاني: أن «القتوت»: الطاعة، ومنه قوله: {كُلُّ لَهُ قَانِثُونَ} [البقرة: ١١٦ / الروم-٢٦]. وهذا قول مجاهد^(٣)،
 وقتادة^(٤)، والسدي^(٥).
 والراجح-والله أعلم- أن «القتوت»: هو الطاعة والاستكانة إلى الله، لحديث وقد روي عن أبي سعيد
 الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة"^(٦).
 وعن عكرمة في قوله: {كُلُّ لَهُ قَانِثُونَ}، "القانت: المطيع"^(٧).
 وعن مجاهد: "من القنوت طول الركوع، وعض البصر"^(٨).
 وكان العلماء إذا وقفوا في الصلاة غَضُوا أَبْصَارَهُمْ وَخَضَعُوا، ولم يلتفتوا في صلاتهم، ولم يعبثوا،
 ولم يذكروا شيئاً من أمر الدنيا إلا ناسين، وأصل هذا أن القنوت الطاعة، وكل ما قيل فيه فهو طاعة الله جلّ
 وعزّ وهذه الأشياء كلها داخلية في الطاعة وما هو أكثر منها، كما قال نافع: «وقال لي ابن عمر: قم فصلّ
 ففقت أصلي وكان عليّ ثوب حلق فدعاني فقال لي: رأيت لو وجهك في حافة وراء الجدار أكنت تمضي
 هكذا، فقلت: لا كنت أتزيّن، قال: فالله أحق أن يتزيّن له»^(٩)(١٠).
 وفي قوله تعالى: {أَنَاءَ اللَّيْلِ} [الزمر: ٩]، قولان:
 أحدهما: ساعات الليل، قاله الحسن^(١١)، وقتادة^(١٢)، والربيع^(١٣)، والسدي-في رواية-^(١٤)، وابن جريج^(١٥)،
 ومنه قول المتنخل الهذلي^(١٦):
 حَلُوٌّ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقَدْحِ مَرَّتُهُ فِي كُلِّ إِنِّي حَدَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ
 وعن قتادة، قوله: "أَمَنْ هُوَ قَانِثُ أَنَاءِ اللَّيْلِ"، أوله، وأوسطه، وآخره"^(١٧).
 الثاني: جوف الليل، وهو قول السدي-في رواية أخرى-^(١٨).
 قوله تعالى: {يَحْدُرُ الْأَخْرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمر: ٩]، أي: "يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة
 ربه"^(١٩).

-
- (١) انظر: النكت والعيون: ١١٧/٥.
 (٢) انظر: النكت والعيون: ١١٧/٥.
 (٣) انظر: تفسير الطبري (١٨٥١)، و(١٨٥٢): ص ٥٣٨/٢.
 (٤) انظر: تفسير الطبري (١٨٥٠): ص ٥٣٨/٢.
 (٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٢١.
 (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٩٢): ص ٦٤٨/٢، والمسند (٧٥/٣).
 (٧) أخرجه أبو عبيد في: "غريب الحديث" ٤٣٨/١، ورواه الطبري (١٨٥٦): ص ٥٣٨/٢. بنحوه.
 (٨) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٥/٤.
 (٩) والمعجم الاوسط (٧٠٦٢): ص ١٢٧/٧. عمر بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال عمر بن نافع: لا أعلمه إلا عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صلى أحدكم فليصل في ثوبين، فإن لم يكن عليه إلا ثوب فليأترز به، ثم ليصل، ولا
 تشتملوا اشتمال اليهود، فإن الله أحق أن يتزيّن له».
 (١٠) إعراب القرآن: ٥/٤.
 (١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٠١٣): ص ٧٣٩/٣. النكت والعيون: ٤١٨/١.
 (١٢) انظر: تفسير الطبري (٧٦٥٦): ص ١٢٦/٧.
 (١٣) انظر: تفسير الطبري (٧٦٥٧): ص ١٢٦/٧.
 (١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢١.
 (١٥) انظر: تفسير الطبري (٧٦٥٨): ص ١٢٦/٧.
 (١٦) ديوان الهذليين ٢: ٣٥، ومجاز القرآن ١: ١٠٢، وسيرة ابن هشام ٢: ٢٠٦، واللسان "أنى".
 (١٧) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢١.
 (١٨) انظر: تفسير الطبري (٧٦٥٩): ص ١٢٦/٧.
 (١٩) التفسير الميسر: ٤٥٩.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن يحيى البكاء: "أنه سمع ابن عمر قرأ: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾، قال ابن عمر: ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه. وإنما قال ابن عمر ذلك، لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة، كما روى ذلك أبو عبيدة، عنه رضي الله عنه وقال الشاعر^(١):

ضَحُوا بِأَسْمَطِ عُنَانِ السُّجُودِ بِهِ... يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَفَرَانًا"^(٢).

عن تميم الداري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة"^(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، أي: "قل -أيها الرسول-: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئاً من ذلك؟ لا يستونون"^(٤).

عن أبي جعفر- رضي الله عنه-: "﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال: نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون"^(٥).

قوله تعالى: ﴿لَمَّا يَنْدَكُرُ أَوْلُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، أي: "إنما يعتبر ويتعظ أصحاب العقول السليمة"^(٦).

عن السدي: "﴿أولو الألباب﴾، قال: أولو العقول من الناس"^(٧).

القرآن

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾ [الزمر: ١٠]

التفسير:

قل -أيها النبي- لعبادي المؤمنين بالله ورسوله: اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معصيته. للذين أحسنوا في هذه الدنيا بعبادة ربهم وطاعته حسنة في الآخرة، وهي الجنة، وحسنة في الدنيا من صحة ورزق ونصر وغير ذلك. وأرض الله واسعة، فهاجروا فيها إلى حيث تعبدون ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم. إنما يُعطى الصابرون ثوابهم في الآخرة بغير حد ولا عد ولا مقدار.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الزمر: ١٠]، أي: "قل -أيها النبي- لعبادي المؤمنين بالله ورسوله: اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معصيته"^(٨).

عن محمد بن إسحاق: ﴿واتقوا الله﴾، أي: أطيعوا الله"^(٩).

(١) يروى لحسان بن ثابت كما في ديوانه ٤١٠ واللسان ١٧/١٦٨، ١٩/٢١١ والاقضاب ٩٨ والبيان والتبيين ١/٢٢٠، ٣/٢٦٢ وهو غير منسوب في تفسير الطبري ١/٩٧ طبع المعارف ونسب إلى أوس بن مغراء، ونقل العيني في المقاصد النحوية بهامش الخزانة ٤/١٧ عن ابن السيرافي أنه لكثير بن عبد الله النهشلي، المعروف بابن الغريرة. ونقل البغدادي في الخزانة ٤/١١٨ عن ابن يعيش أنه لكثير هذا، وقيل لحسان. ومعنى ضحوا: أي ذبحوه كالأضحية. قال ابن بري: أي جعلوه بدل الأضحية، كأنهم قتلوه في أيام لحوم الأضاحي، وذلك يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين من الهجرة. و«الشمط»- بالتحريك-: بياض الشعر من الرأس يخالط سواده.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٣٧٨):ص٣٢٤٨/١٠-٣٢٤٩.

(٣)المسند (١٠٣/٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٥٥٣).

(٤) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٢١/٢٦٨.

(٦) صفة التفسير: ٣/٦٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٢١/١٩١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.

قوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} [الزمر : ١٠]، أي: "للذين أحسنوا في هذه الدنيا بعبادة ربهم وطاعته حسنة في الآخرة، وهي الجنة، وحسنة في الدنيا من صحة ورزق ونصر وغير ذلك"^(١).

وفي قوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} [الزمر : ١٠]، وجهان: أحدهما: أن «الحسنة»: العافية والصحة. قاله السدي^(٢). الثاني: أنها: الجنة. قاله الحسن^(٣).

قال الحسن: "تكون لهم حسنتهم في الآخرة الجنة"^(٤). قوله تعالى: {وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ} [الزمر : ١٠]، أي: "وأرض الله واسعة، فهاجروا فيها إلى حيث تعبدون ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم"^(٥).

قال مجاهد: "فهاجروا واعتزلوا عبادة الأوثان"^(٦). قوله تعالى: {إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر : ١٠]، أي: "إنما يُعطى الصابرون ثوابهم في الآخرة بغير حدٍّ ولا عدٍّ ولا مقدار"^(٧).

وفي قوله تعالى: {إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر : ١٠]، وجوه من التفسير: أحدها : يعني: بغير منٍّ عليهم ولا متابعة ، حكاها الماوردي عن السدي^(٨).

الثاني : لا يحسب لهم ثواب عملهم فقط ولكن يزدادون على ذلك ، قاله ابن جريج^(٩). قال ابن جريج: "بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم ولكن يزدادون على ذلك"^(١٠).

الثالث : بغير تقدير، فلا يعطونه مقدراً لكن جزافاً. وهذا معنى قول قتادة^(١١). قال قتادة: "لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان"^(١٢).

الرابع: معناه: الجنة. رواه أسباط عن السدي^(١٣). عن مسروق، قال: «يود أهل البلاء يوم القيامة أن أجسادهم كانت في الدنيا تقرض بالمقاريض»^(١٤).

عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يود أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء"^(١٥).

قال قتادة: "حدثني أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تنصب الموازين فيؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين وكذلك الصلاة والحج ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر

(١) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢١.

(٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦١/١.

(٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦١/١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(٦) تفسير مجاهد: ٥٧٨، وأخرجه الطبري: ٢٦٩/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٥٩.

(٨) انظر: النكت والعيون: ١١٩/٥.

(٩) انظر: النكت والعيون: ١١٩/٥. وحكاها النحاس في اعراب القرآن: ٦/٤، دون نسبة.

(١٠) الدر المنثور: ٢١٥/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢١.

(١٤) مسند ابن أبي شيبة (١٠٨٢٩): ص ٤٤٣/٢.

(١٥) أخرجه البيهقي في "السنن" ٣/٣٧٥، وفي "الشعب" (٩٩٢١).

لهم ديوان ويصب عليهم الأجر بغير حساب قال الله تعالى: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل"^(١).
 عن ابن عمر قال: "لما نزلت مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رب زد أمتي، فنزلت: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [البقرة : ٢٤٥]، قال: رب زد أمتي، فنزل: {إِنَّمَا يُؤَقِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر : ١٠]"^(٢).

القرآن

{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢)} [الزمر : ١١-١٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للناس: إن الله أمرني ومن تبعني بإخلاص العباداة له وحده دون سواه، وأمرني بأن أكون أول من أسلم من أمتي، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العباداة، وبرئ من كل ما دونه من الآلهة.
 قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر : ١١]، أي: "قل -أيها الرسول- للناس: إن الله أمرني ومن تبعني بإخلاص العباداة له وحده دون سواه"^(٣).
 قال أبو العالية: "أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له"^(٤).

القرآن

{قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)} [الزمر : ١٤-١٥]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: إنني أعبد الله وحده لا شريك له مخلصاً له عبادتي وطاعتي، فاعبدوا أنتم -أيها المشركون- ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام وغير ذلك من مخلوقاته، فلا يضرني ذلك شيئاً، قل -أيها الرسول-: إن الخاسرين- حقاً- هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان. ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة هو الخسران البين الواضح.

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر : ١٥]، أي: "قل -أيها الرسول-: إن الخاسرين- حقاً- هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان"^(٥).

قال مجاهد: "غبوا أنفسهم وأهليهم، قال: يخسرون أهليهم، فلا يكون لهم أهل يرجعون إليهم، ويخسرون أنفسهم، فيهلكون في النار، فيموتون وهم أحياء فيخسرونهما"^(٦).

القرآن

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٤١/١٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٣٥): ص ٤٦١/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٢١): ص ٢١٤٦/٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢١.

{لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)} [الزمر :

التفسير:

أولئك الخاسرون لهم يوم القيامة في جهنم من فوقهم قطع عذاب من النار كهيئة الظل المبنية، ومن تحتهم كذلك. ذلك العذاب الموصوف يخوِّف الله به عباده؛ ليحذروه. يا عباد فاتقوني بامتنال أوامري واجتناب معاصي.

قوله تعالى: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ} [الزمر : ١٦]، أي: " أولئك الخاسرون لهم يوم القيامة في جهنم من فوقهم قطع عذاب من النار كهيئة الظل المبنية، ومن تحتهم كذلك" (١). مجاهد، في قوله: " {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ} قال: غواش، {وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ} قال: مهاد" (٢). عن سويد بن غفلة، قال: " إذا أراد الله أن ينسى أهل النار؛ جعل لكل إنسان منهم تابوتاً من نار على قدره، ثم أفل عليه بأفقال من نار، فلا يُعرف منه عرق إلا وفيه مسمار، ثم جعل ذلك التابوت في تابوت آخر من نار، ثم يُفقل بأفقال من نار، ثم يُضرم بينهما نار، فلا يرى أحدٌ منهم أن في النار أحدًا غيره، فذلك قوله: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ}، وقوله: {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ} [الأعراف ٤١]" (٣).

قوله تعالى: {ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ} [الزمر : ١٦]، أي: " ذلك العذاب الموصوف يخوِّف الله به عباده؛ ليحذروه، يا عباد فاتقوني بامتنال أوامري واجتناب معاصي" (٤). قال محمد بن إسحاق: {واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله" (٥).

القرآن

{وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)} [الزمر : ١٧-١٨]

التفسير:

والذين اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله، وتابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له، لهم البشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن والتوفيق من الله، وفي الآخرة رضوان الله والنعيم الدائم في الجنة. فبشِّر -أيها النبي- عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أرشده- وأحسن الكلام وأرشده كلام الله ثم كلام رسوله- أولئك هم الذين وفقهم الله للرشاد والسداد، وهداهم لأحسن الأخلاق والأعمال، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة. سبب النزول:

عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: " {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ... } الآيتين، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، نزل فيهم: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا} في جاهليتهم {وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} لا إله إلا الله، أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي {وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ}" (٦).

(١) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٢) الدر المنثور: ٢١٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣) الدر المنثور: ٢١٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٠٠): ص ١١٨٩/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢١، وابن أبي حاتم (١٨٣٨٠): ص ٣٢٤٩/١٠، [باختلاف يسير في الألفاظ].

قال ابن كثير: "نزلت في زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي. والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ، ممن اجتنب عبادة الأوثان ، وأناب إلى عبادة الرحمن. فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة" (١).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا} [الزمر : ١٧] ، أي: "والذين اجتنبوا طاعة الشيطان وعبادة غير الله" (٢).

وقد اختلف أهل التفسير في معنى: «الطاغون»، على أقوال:

أحدها : أنه الشيطان (٣) ، وهو قول مجاهد (٤) ، والشعبي (٥) ، والضحاك (٦) ، وقتادة (٧) ، والسدي (٨) ، وعكرمة (٩) .

الثاني : أنه الساحر ، وهو قول أبي العالية (١٠) ، ومحمد ابن سيرين (١١) والشعبي-أيضا- (١٢) .

الثالث : الكاهن ، وهو قول سعيد بن جبير (١٣) ، والرفيع (١٤) ، وابن جريج (١٥) .

الرابع : الأصنام والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله تعالى (١٦) . روي ذلك عن مالك (١٧) .

الخامس : أنه كل ذي طغيان طغى على الله ، فيعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده، أو بطاعة له ، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً، روي ذلك عن الإمام مالك (١٨) .

والراجح-والله أعلم- أن الطاغوت: كل مُعْتَدٍ وكل معبود من دون الله (١٩) ، وبه قال أكثر أهل العلم (١) ، العلم (١) ، فإن المراد بالطاغوت في هذا الموضع، عبادة غير الله، فاجتنبوا في عبادتها. وهذا من أحسن الاحتراز من الحكيم العليم، لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها (٢) .

(١) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧ .

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٠ .

(٣) قال الشنقيطي: "قال بعض العلماء : (الطاغوت): الشيطان، ويدل لهذا قوله تعالى : {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه}، أي يخوفكم من أوليائه . وقوله تعالى : {الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا، وقوله : {أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو} وقوله : {إنهم اتخذوا الشياطين أولياء}، والتحقق أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت والحظ الأكبر من ذلك للشيطان كما قال تعالى : (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) وقال : (إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا) وقال عن خليله ابراهيم { يا أبت لا تعبد الشيطان وقال : {وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعموهم إنكم لمشركون}، إلى غير ذلك من الآيات". [أضواء البيان: ١٥٩/١] .

(٤) أنظر: تفسير الطبري (٥٨٣٦): ص ٤١٧/٥ ، و ٢٧٣/٢١ .

(٥) أنظر: تفسير الطبري (٥٨٣٧): ص ٤١٧/٥ .

(٦) أنظر: تفسير الطبري (٥٨٣٨): ص ٤١٧/٥ .

(٧) أنظر: تفسير الطبري (٥٨٣٩): ص ٤١٧/٥ .

(٨) أنظر: تفسير الطبري (٥٨٤٠): ص ٤١٧/٥ ، و ٢٧٣/٢١ .

(٩) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ}، قبل الحديث رقم ٤٥٨٣ ، ولفظه: "الْحَيْثُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: شَيْطَانٌ، وَالطَّاغُوتُ: الْكَاهِنُ".

(١٠) أنظر: تفسير الطبري (٥٨٤١): ص ٤١٧/٥ .

(١١) أنظر: تفسير الطبري (٥٨٤٢): ص ٤١٧/٥ .

(١٢) أنظر تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٢٠): ص ٤٩٥/٢ .

(١٣) أنظر: تفسير الطبري (٥٨٤٣): ص ٤١٨/٥ .

(١٤) أنظر: تفسير الطبري (٥٨٤٤): ص ٤١٨/٥ . والرفيع: ، هو أبو العالية الرياحي .

(١٥) أنظر: تفسير الطبري (٥٨٤٥): ص ٤١٨/٥ .

(١٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/٢٤٦ - ٤٤٧ ، تفسير قوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ} .

(١٧) تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٢٢): ص ٤٩٥/٢ .

(١٨) ذكره القرطبي في تفسيره، ٥/٢٤٨ ، عن ابن وهب، عن الإمام مالك، وانظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٤٤ .

(١٩) انظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: ٣٠، ٤ .

قوله تعالى: {وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ} [الزمر : ١٧]، أي: "وتابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له"^(٣).
قال قتادة: وأقبلوا إلى الله"^(٤).
قال السدي: أجابوا إليه"^(٥).

قوله تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [الزمر : ١٧-١٨]، أي: "لهم البشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن والتوفيق من الله، وفي الآخرة رضوان الله والنعيم الدائم في الجنة، فبشّر -أيها النبي- عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أمره"^(٦).
عن قتادة: "فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ"، وأحسنه طاعة الله"^(٧).

عن السدي، قوله: "فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ"، قال: أحسن ما يؤمرون به فيعلمون به"^(٨).
قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر : ١٨]، أي: "أولئك هم الذين وفقهم الله للرشاد والساد، وهداهم لأحسن الأخلاق والأعمال، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة"^(٩).
عن السدي: "أُولُو الْأَلْبَابِ"، قال: أولو العقول من الناس"^(١٠).

القرآن

{أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩)} [الزمر : ١٩]

التفسير:

أفمن وجبت عليه كلمة العذاب؛ باستمراره على غيّه وعناده، فإنه لا حيلة لك -أيها الرسول- في هدايته، أفقتدر أن تنقذ من في النار؟ لست بقادر على ذلك.

سبب النزول:

قال القرطبي: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على إيمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الآية"^(١١).

قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان"^(١٢).

قوله تعالى: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ} [الزمر : ١٩]، أي: "أفمن وجبت عليه كلمة العذاب؛ باستمراره على غيّه وعناده"^(١٣).

عن قتادة، قوله: "أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ"، بكفره، وعمله"^(١٤).

(١) قال أبو حيان بعد أن سرد الأقوال في معنى (الطاغوت): "وينبغي أن تجعل هذه الأقوال كلها تمثيلاً ، لأن الطاغوت محصور في كل واحد منها". [البحر المحيط: ٢/٢١٠].

(٢) تفسير السعدي: ٧٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٩١/٢١.

(١١) تفسير القرطبي: ٢٤٤/١٥.

(١٢) نقلاً عن: تفسير القرطبي: ٢٤٤/١٥.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٧٥/٢١، بلفظ: "بكفره". وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

القرآن

{لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنية تجري من تحتها الأنهارُ وعدَّ اللهُ لا يخلفُ اللهُ الميعادَ (٢٠)} [الزمر : ٢٠]

التفسير:

لكن الذين اتقوا ربهم -بطاعته وإخلاص عبادته- لهم في الجنة غرف مبنية بعضها فوق بعض، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار، وعدَّها اللهُ عباده المتقين وعدًا متحققًا، لا يخلف اللهُ الميعاد. قوله تعالى: {لكن الذين اتقوا ربهم} [الزمر : ٢٠]، أي: "لكن الذين اتقوا ربهم -بطاعته وإخلاص عبادته-"^(١).

قوله تعالى: {لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنية} [الزمر : ٢٠]، أي: "لهم في الجنة غرف مبنية بعضها فوق بعض"^(٢).

عن مجاهد: "لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ"، قال: علالي^(٣).
قوله تعالى: {تجري من تحتها الأنهارُ} [الزمر : ٢٠]، أي: "تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار"^(٤).

عن أبي مالك قوله: "تجري من تحتهم الأنهار"، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"^(٥).
قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعاً"^(٦).

القرآن

{ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه ثم يهيجُ فتراه مصفرًا ثم يجعله حطامًا إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب (٢١)} [الزمر : ٢١]

التفسير:

ألم تر -أيها الرسول- أن الله أنزل من السحاب مطرًا فأدخله في الأرض، وجعله عيونًا نابغة ومياهًا جارية، ثم يخرج بهذا الماء زرعًا مختلفًا ألوانه وأنواعه، ثم يبس بعد خضرته ونضارته، فتراه مصفرًا لونه، ثم يجعله حطامًا متكسرًا منفتنًا؟ إن في فعل الله ذلك لذكرى وموعظة لأصحاب العقول السليمة.

قوله تعالى: {ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض} [الزمر : ٢١]، أي: "ألم تر -أيها الرسول- أن الله بقدرته أنزل المطر من السحاب، فأدخله في عيون وأنهار من الأرض"^(٧).

عن ابن جريج، في قوله: "فسلكه ينابيع في الأرض"، قال: عيونًا"^(٨).
قال الشعبي: "كل ندى وماء في الأرض من السماء نزل"^(٩).

وقال سعيد بن جبير: "أصله من الثلج، يعني: أن الثلج يتراكم على الجبال، فيسكن في قرارها، فتنبع العيون من أسافلها"^(١٠).

(١) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٣) الدر المنثور: ٢١٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٣٨): ص ١٩٢٩/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٦٧٨): ص ٨٤٥/٣.

(٧) انظر: التفسير الميسر: ٤٦٠، وصفوة التفسير: ٧٠/٣.

(٨) الدر المنثور: ٢١٩/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢١.

(١٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٩٤/٧.

قوله تعالى: {ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ} [الزمر : ٢١]، أي: "ثم يُخْرِجُ بهذا الماء زرعًا مختلفًا ألوانه وأنواعه"^(١).

عن الحسن بن مسلم بن يناق، قال: "ثم أنبت بذلك الماء الذي أنزله من السماء فجعله في الأرض عيونًا زرعًا {مختلفًا ألوانه}، يعني: «أنواعًا مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة»"^(٢).

قوله تعالى: {ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا} [الزمر : ٢١]، أي: "ثم يبيس بعد خضرته ونضارته، فتراه مصفرًا لونه، ثم يجعله حطامًا متكسرًا متفتتًا"^(٣).

عن الحسن بن مسلم بن يناق، قال: "ثم يبيس ذلك الزرع من بعد خضرته، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر وذوي: هاجت الأرض، وهاج الزرع"^(٤).

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ} [الزمر : ٢١]، أي: "في فعل الله ذلك لذكري وموعظة لأصحاب العقول السليمة"^(٥).

عن السدي: "أولو الألباب"، قال: أولو العقول من الناس"^(٦).

القرآن

{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢)} [الزمر : ٢٢]

التفسير:

أفمن وسَّعَ اللهُ صدره، فسعد بقبول الإسلام والانقياد له والإيمان به، فهو على بصيرة من أمره وهدى من ربه، كمن ليس كذلك؟ لا يستونون. فويل وهلاك للذين قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وأعرضت عن ذكر الله، أولئك في ضلال بين عن الحق.

قوله تعالى: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} [الزمر : ٢٢]، أي: "أفمن وسَّعَ اللهُ صدره، فسعد بقبول الإسلام والانقياد له والإيمان به، فهو على بصيرة من أمره وهدى من ربه، كمن ليس كذلك؟ لا يستونون"^(٧).

عن قتادة، قوله: "أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ"، يعني: كتاب الله، هو المؤمن به يأخذ، وإليه ينتهي"^(٨).

عن السدي، قوله: "أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ"، قال: وسع صدره للإسلام، والنور: الهدى"^(٩).

قال مجاهد: "ليس المنشرح صدره مثل القاسي قلبه"^(١٠).

وفي الحديث: "إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ". قيل: هل لذلك من علم يعرف به؟ قال: «نعم. التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله»"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢١-٢٧٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٠.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩١/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢١.

(١١) أخرجه الحاكم (٣٤٦/٤، رقم ٧٨٦٣) وتعقبه الذهبي في التلخيص قائلًا: عدى بن الفضل ساقط. وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٢/٧، رقم ١٠٥٥٢).

قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر : ٢٢]، أي: "فويل وهلاك للذين قست قلوبهم، وأعرضت عن ذكر الله"^(١).

وفي معنى "الويل"، أقوال:

أحدها : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض^(٢)، وشقيق^(٣).
الثاني : أنه الحزن، قاله ابن كيسان^(٤).

يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر^(٥):
تَوَيْلٌ إِذْ مَلَأْتُ يَدِي وَكَانَتْ ... يَمِينِي لَا تَعْلَلُ بِالْقَلِيلِ
الثالث : أن الويل وإِدٍ في جهنم، وهذا قول عطاء بن يسار^(٦).
الرابع: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة^(٧).

القرآن

{اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)} [الزمر : ٢٣]

التفسير:

الله تعالى هو الذي نزل أحسن الحديث، وهو القرآن العظيم، متشابهًا في حسنه وإحكامه وعدم اختلافه، تُكْرَرُ فيه القصص والأحكام، والحجج والبيانات، وتعاد تلاوته فلا يمل على كثرة الترداد، تفشع من سماعه، وتضطرب جلود الذين يخافون ربهم؛ تأثرًا بما فيه من ترهيب ووعيد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم؛ استبشارًا بما فيه من وعد وترغيب، ذلك التأثر بالقرآن هداية من الله لعباده. والله يهدي بالقرآن من يشاء من عباده. ومن يضلله الله عن الإيمان بهذا القرآن؛ لكفره وعناده، فما له من هاد يهديه ويوفقه.
سبب النزول:

عن ابن عباس، قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ قال: فنزلت: {اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ}^(٨).

قوله تعالى: {اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر : ٢٣]، أي: "الله نزل القرآن العظيم أحسن الكلام"^(٩).

قال الطبري: "يعني به القرآن"^(١٠).

قوله تعالى: {كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [الزمر : ٢٣]، أي: "قرآنًا متشابهًا يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة، والبلاغة، والتناسب، بدون تعارض ولا تناقض"^(١١).
قال السدي: "المتشابه: يشبه بعضه بعضًا"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٤٦١.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤)؛ ص ٢٦٧-٢٦٨، وابن أبي حاتم (٧٩٩)؛ ص ١٥٣/١.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٣٨٥)؛ ص ٢٦٨/٢.

(٤) انظر: الممتع في التصريف: ٥٦٨ / ٢، ولسان العرب: ٤٩٣٩ / ٨، والمعجم المفصل: ٥٨٧ / ٦.

(٥) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٥٦٨ / ٢، وفي "لسان العرب" ٤٩٣٩ / ٨، "المعجم المفصل" ٥٨٧ / ٦.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨٠٠)؛ ص ٢٥٣/١، والطبري (١٣٩٦)؛ ص ٢٧١-٢٧٢.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢١.

(٩) صفوة التفاسير: ٧٠/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢١.

(١١) صفوة التفاسير: ٧٠/٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١.

قال قتادة: " الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف" (١).
 قال سعيد بن جبیر: " يشبه بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، ويدلّ بعضه على بعض" (٢).
 قوله تعالى: {مَتَانِي} [الزمر : ٢٣]، أي: " تُنْتَى وتكرر فيه المواعظ والأحكام، والحلال والحرام،
 وتُرَدَّد فيه القصص والأخبار دون سأم أو ملل" (٣).
 قال الحسن: " ثنى الله فيه القضاء، تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آية تشبهها، وسئل عنها
 عكرمة، «فقال: ثنى الله فيه القضاء» (٤)» (٥).
 قال قتادة: " ثنى الله فيه الفرائض، والقضاء، والحدود" (٦).
 عن مجاهد، قوله: " {كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَتَانِي}، قال: في القرآن كله" (٧).
 قوله تعالى: {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر :
 ٢٣]، أي: " تعتري هؤلاء المؤمنین خشيةً، وتأخذهم قشعريرة عند تلاوة آيات القرآن، هيبةً من الرحمن
 وإجلالاً لكلامه، ثم تطمئن وتسكن قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله" (٨).
 عن معمر، قال: " تلا قتادة {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثم تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ
 اللَّهِ}، قال: « هذا نعت أولياء الله نعتهم الله أن تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله،
 ولم ينعتهم بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم، وإنما هذا في أهل البدع وهذا من الشيطان» (٩)».

القرآن

{أَفْمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤)} [الزمر : ٢٤]
 التفسير:

أفمن يُلقَى في النار مغلولاً -فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه؛ لكفره وضلاله- خير أم من ينعم في الجنة؛
 لأن الله هداة؟ وقيل يومئذ للظالمين: ذوقوا وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله.
 سبب النزول:

قال المسيب: " نزلت هذه الآية في أبي جهل" (١٠).
 قوله تعالى: {أَفْمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر : ٢٤]، أي: " أفمن يُلقَى في النار
 قال مجاهد: " يجر على وجهه في النار" (١١).
 وقال عطاء: " يُرمى به في النار منكوساً، فأول شيء منه تمسُّه النار وجهه" (١٢).

القرآن

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) فَرَأَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ
 يَتَّقُونَ (٢٨)} [الزمر : ٢٧-٢٨]

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١.

(٣) صفوة التفسير: ٧٠/٣.

(٤) زيادة في الدر المنثور: ٢٢١/٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١-٢٨٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢١.

(٨) صفوة التفسير: ٧١/٣.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٦٢٦): ص ١٣٠/٣.

(١٠) تفسير الثعلبي ٨ / ٢٣٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨١/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٧٨.

(١٢) تفسير البغوي ٧ / ١١٧.

التفسير:

ولقد ضربنا لهؤلاء المشركين بالله في هذا القرآن من كل مثل من أمثال القرون الخالية تخويها وتحذيرًا؛ ليتذكروا فينجزوا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله. وجعلنا هذا القرآن عربيًا واضح الألفاظ سهل المعاني، لا لبس فيه ولا انحراف؛ لعلمهم يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. قوله تعالى: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ} [الزمر : ٢٨]، أي: "وجعلنا هذا القرآن عربيًا واضح الألفاظ سهل المعاني، لا لبس فيه ولا انحراف"^(١).
عن مجاهد: "قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ": غير ذي لبس"^(٢).
وقال السدي: "غير مخلوق"^(٣).
وقال بكر بن عبد الله المزني: "غير ذي لحن"^(٤).

القرآن

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر : ٢٩]

التفسير:

ضرب الله مثلًا عبدًا مملوكًا لشركاء متنازعين، فهو حيران في إرضائهم، وعبدًا خالصًا لمالك واحد يعرف مراده وما يرضيه، هل يستويان مثلًا؟ لا يستويان، كذلك المشرك هو في حيرة وشك، والمؤمن في راحة واطمئنان. فالثناء الكامل التام لله وحده، بل المشركون لا يعلمون الحق فيتبعونه.
قوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} [الزمر : ٢٩]، أي: "ضرب الله مثلًا عبدًا مملوكًا لشركاء متنازعين، فهو حيران في إرضائهم، وعبدًا خالصًا لمالك واحد يعرف مراده وما يرضيه، هل يستويان في حسن الحال، وراحة البال؟ فكذلك لا يتساوى المؤمن الموحد مع المشرك الذي يعبد آلهة شتى"^(٥).
عن مجاهد، قوله: "رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ"، قال: هذا مثل إله الباطل وإله الحق"^(٦).

قال السدي: "مثل لأوثانهم التي كانوا يعبدون"^(٧).

عن قتادة، قوله: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ"، قال: هذا المشرك تتنازعه الشياطين، لا يقر به بعضهم لبعض. {وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ}، قال: هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة"^(٨).
عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قرأها: «سَلَمًا لِرَجُلٍ»، -يعني بالألف-، وقال: ليس فيه لأحد شيء"^(٩)، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة: "وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ"، بمعنى: صلحاً"^(١٠).
قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} [الزمر : ٢٩]، أي: "الثناء الكامل التام لله وحده"^(١١).

(١) التفسير الميسر: ٤٦١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢١.

(٣) تفسير الثعلبي: ٥١/٢٣، وذكره النحاس في "معاني القرآن" ١٧١ / ٦، ونسبه إلى ابن عباس وكذلك ابن الجوزي في "التفسير" ١٧٩ / ٧.

(٤) تفسير الثعلبي: ٥٢/٢٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ٢٥٢ / ١٥.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦١.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢١.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٨٤/٢١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٦١.

قال كعب: "« الحمد لله»: ثناء على الله" (١).
قال الضحاك: "« الحمد لله»: رداء الرحمن" (٢).

القرآن

{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)} [الزمر : ٣٠-٣١]

التفسير:

إنك -أيها الرسول- ميت وإنهم ميتون، ثم إنكم جميعاً -أيها الناس- يوم القيامة عند ربكم تتنازعون، فيحكم بينكم بالعدل والإنصاف.

قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر : ٣٠]، أي: "إنك -أيها الرسول- ميت وإنهم ميتون" (٣).
قال قتادة: "نعى إلى نبيه نفسه، ونعى إليكم أنفسكم" (٤).

عن عائشة قالت: "دخل أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وقد مات، فقبله وقال: وا نبياه! ... وا خليلاه! وا صفياه! ... ثم تلا : {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ} (٥) الآية. وقوله: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} (٦)".

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر : ٣١]، أي: "ثم إنكم جميعاً -أيها الناس- يوم القيامة عند ربكم تتنازعون، فيحكم بينكم بالعدل والإنصاف" (٧).

وفي قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر : ٣١] وجوه من التفسير:
أحدها : أن المخاصمة في الدماء ، قاله عكرمة (٨).

الثاني : أنها في المداينة ، قاله الربيع بن أنس (٩).

الثالث: يعني: بذلك اختصام أهل الإسلام. قاله إبراهيم (١٠).

قال إبراهيم: "لما نزلت: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ} ... الآية، قالوا: ما خصومتنا بيننا ونحن إخوان، قال: فلما قُتل عثمان بن عفان، قالوا: هذه خصومتنا بيننا" (١١).

عن أبي العالية، قوله: "ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ"، قال: هم أهل القبلة" (١٢).

عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والذي نفسي بيده ، إنه ليختصم، حتى الشاتان فيما انتطحتا" (١٣).

عن أنس -رضي الله عنه- ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ي جاء بالإمام الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية فيفلحوا عليه، فيقال له: سد ركننا مكن أركان جهنم" (١٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٧٤):ص١٤٧٩/٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٧٥):ص١٤٧٩/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦١.

(٤) نقلا عن: الكشاف: ١٢٧/٤.

(٥) [الأنبياء : ٣٤].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٦٥٣):ص٣٤٥٢/٨.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦١.

(٨) انظر: النكت والعيون: ١٢٥/٥.

(٩) انظر: النكت والعيون: ١٢٥/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢١.

(١٣) المسند (٢٩/٣) ودراج أبو السمح عن أبي الهيثم ضعيف.

(١٤) مسند البزار (٧٠٠٤):ص٣٦٠/١٣.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عني بذلك: إنك يا محمد ستموت، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوقكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه، وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عم بقوله: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} خطاب جميع عباده، فلم يخص بذلك منهم بعضا دون بعض، فذلك على عمومته على ما عمه الله به، وقد تنزل الآية في معنى، ثم يكون داخلا في حكمها كل ما كان في معنى ما نزلت به" (١).

القرآن

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢)} [الزمر : ٣٢]

التفسير:

لا أحد أظلم ممن افتري على الله الكذب: بأن نسب إليه ما لا يليق به كالشريك والولد، أو قال: أوحى إليّ، ولم يوح إليه شيء، ولا أحد أظلم ممن كذب بالحق الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم. أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، ولم يصدق محمداً صلى الله عليه وسلم ولم يعمل بما جاء به؟ بلى. قوله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ} [الزمر : ٣٢]، أي: "لا أحد أظلم ممن افتري على الله الكذب: بأن نسب إليه ما لا يليق به كالشريك والولد، أو قال: أوحى إليّ، ولم يوح إليه شيء، ولا أحد أظلم ممن كذب بالحق الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم" (٢).

عن قتادة: "وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ"، أي: بالقرآن" (٣). قوله تعالى: {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ} [الزمر : ٣٢]، أي: "أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، ولم يصدق محمداً صلى الله عليه وسلم ولم يعمل بما جاء به؟" (٤). عن حسان بن عطية قال: "إن في جهنم سبعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف غار، في كل غار سبعون ألف ثعبان، في قم كل ثعبان سبعون ألف عقرب" (٥).

عن الحسين بن يحيى الخشني: "ليس في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا قيد ولا سلسلة إلا واسم ... عليه مكتوب قال: فحدث أبا سليمان فبكي، ثم قال لي: ... فكيف به لو قد جمع هذا كله عليه فجعل القيد في رجله، والغل في يديه، والسلسلة في، عنقه ثم أدخل وأدخل الغار" (٦).

القرآن

{وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣)} [الزمر : ٣٣]

التفسير:

والذي جاء بالصدق في قوله وعمله من الأنبياء وأتباعهم، وصدق به إيماناً وعملاً أولئك هم الذين جمعوا خصال التقوى، وفي مقدمة هؤلاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به، العاملون بشريعته من الصحابة، رضي الله عنهم، فمن بعدهم إلى يوم الدين.

(١) تفسير الطبري: ٢٨٨/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٤٤٧): ص ٣٠٨٣/٩-٣٠٨٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٤٤٨): ص ٣٠٨٤/٩.

قوله تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ} [الزمر: ٣٣]، أي: "والذي جاء بالصدق في قوله وعمله من الأنبياء وأتباعهم، وصدق به إيمانًا وعملاً"^(١).
وفي الذي جاء بالصدق أربعة أقوال:
أحدها: أنه جبريل-عليه السلام-، قاله السدي^(٢).
الثاني: أنهم المؤمنون جاءوا بالصدق يوم القيامة، قاله الحسن^(٣)، وأبو صالح^(٤).
قال الحسن: "المؤمن هو جاء به، وصدقته"^(٥).
عن أبي صالح -من طريق محمد بن جحادة- أنه قرأ: "وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ"، مخففة، قال: هو المؤمن جاء به صادقًا، وصدق به"^(٦).
الثالث: أنهم الأنبياء، قاله عطاء^(٧)، والربيع^(٨). وكان يقرأ: «والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به»^(٩).
قال عطاء: "وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ {الأنبياء، {وَصَدَّقَ بِهِ} الأتباع"^(١٠).
الرابع: أنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قاله قتادة^(١١)، ومجاهد^(١٢)، وأبو العالية^(١٣)، والسدي^(١٤).
عن قتادة، في قوله تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ} [الزمر: ٣٣] قال: «هو النبي صلى الله عليه وسلم»، {وَصَدَّقَ بِهِ} [الزمر: ٣٣]، قال قتادة: «وَصَدَّقَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ»^(١٥).
وعن قتادة: "في قوله: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ} قال: هو النبي - صلى الله عليه وسلم - {بِالصَّدَقِ} أي: القرآن، {وَصَدَّقَ بِهِ} قال: المؤمنون"^(١٦).
وقال مجاهد: "هم أهل القرآن، يجيئون بالقرآن يوم القيامة، يقولون: هذا ما أعطيتمونا قد أتبعنا ما فيه"^(١٧).
وفي الذي صدق به، ستة أقوال:
أحدها: أنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قاله السدي^(١٨).

- (١) التفسير الميسر: ٤٦٢.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٣٩٣): ص ٣٢٥١/١٠، وتفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.
(٣) أخرجه إسحاق البستي ص ٢٦٤. وفي تفسير الثعلبي ٨/ ٢٣٦، تفسير البغوي ٧/ ١٢٠: هو المؤمن صدق به في الدنيا وجاء به يوم القيامة.
(٤) تفسير الثعلبي ٨/ ٢٣٦، وتفسير البغوي ٧/ ١٢٠.
(٥) أخرجه الثعلبي ٨/ ٢٣٦ عن أبي صالح الكوفي، ثم قال: وهو أبو صالح السمان! كما أخرجه إسحاق البستي ص ٢٦٤ عن أبي صالح مهملاً بلفظ: حقيقة هو المؤمن.
(٦) تفسير الثعلبي ٨/ ٢٣٦، وتفسير البغوي ٧/ ١٢٠.
(٧) .
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/٢١، والنكت والعيون: ١٢٦/٥. وهي قراءة ابن مسعود-رضي الله عنه-.
(١٠) .
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.
(١٢) أخرجه إسحاق البستي ص ٢٦٤.
(١٣) تفسير الثعلبي ٨/ ٢٣٦، وتفسير البغوي ٧/ ١٢٠. وذكر ابن حجر في الفتح ٨/ ٥٤٨ أثر أبي العالية معطوفاً على آثار أخرى عزاها إلى ابن جرير.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.
(١٥) تفسير عبدالرزاق (٢٦٢٨): ص ١٣٠/٣، وتفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.
(١٦) أخرجه عبدالرزاق (٢٦٢٨): ص ١٣٠/٣، الطبري: ٢٩٠/٢١، من طريق سعيد. وعلق بعضه إسحاق البستي ص ٢٦٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
(١٧) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٧٣، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٩٧، وابن جرير ٢٠/ ٢٠٦ بنحوه، وابن الضريس (١٠٤). وعلقه البخاري ٦/ ٢٧٣٤. وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.

الثاني : المؤمنون من هذه الأمة، قاله الضحاك^(١)، ومجاهد^(٢)، وقتادة^(٣).
قال مجاهد: "الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة، فيقولون: هذا الذي أعطيتمونا فاتبعنا ما فيه"^(٤).
قال مجاهد: "هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة يقولون: هذا الذي أعطيتمونا، فاتبعنا ما فيه"^(٥).
(٦)

الثالث : أتباع الأنبياء كلهم ، قاله الربيع^(٧).
الرابع : أنه أبو بكر -رضي الله عنه- . قاله أبو العالية^(٨)، وذكره النقاش عن عون بن عبد الله^(٩).
الخامس : أنه علي كرم الله وجهه ، حكاه ليث عن مجاهد^(١٠).

وجميع هذه الوجوه صحيح^(١١)، وأظهر الأفاويل: أن معنى قوله: {والذي جاء بالصدق} محمد {وصدق به} هم المؤمنون^(١٢)، فإن الله تعالى ذكره عنى بقوله: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ}، كل من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابعث به رسوله من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائنا من كان من نبي الله وأتباعه، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن قوله تعالى ذكره: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} عقيب قوله: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ} وذلك ذم من الله للمفترين عليه، المكذبين بتنزيله ووحيه، الجاحدين وحدانيته، فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين، وهم الذين دعواهم إلى توحيد الله، ووصفه بالصفة التي هو بها، وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه، والذي كانوا يوم نزلت هذه الآية، رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم، القائمون في كل عصر وزمان بالدعاء إلى توحيد الله، وحكم كتابه، لأن الله تعالى ذكره لم يخص وصفه بهذه لصفة التي في هذه الآية على أشخاص بأعيانهم، ولا على أهل زمان دون غيرهم، وإنما وصفهم بصفة، ثم مدحهم بها، وهي المجيء بالصدق والتصديق به، فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل في جملة هذه الآية إذا كان من بني آدم.

ومن الدليل على صحة ما قلنا أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود«وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ»، فقد بين ذلك من قراءته أن الذي من قوله: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ}، لم يعن بها واحد بعينه، وأنه مراد بها جماع ذلك صفتهم، ولكنها أخرجت بلفظ الواحد، إذ لم تكن موقفة^(١٣).

القرآن

- (١) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.
- (٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١-٢٩١.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٠/٢١.
- (٤) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢١-٢٩١.
- (٥) أخرجه الطبري: ٩١/٢١.
- (٦) قال ابن كثير: "وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين ، فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به ، والرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير ، فإنه جاء بالصدق، وصدق المرسلين ، وأمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله". [تفسير ابن كثير: ٩٩/٧].
- (٧) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.
- (٨) تفسير الثعلبي ٨ / ٢٣٦، وتفسير البغوي ٧ / ١٢٠. وذكر ابن حجر في الفتح ٨ / ٥٤٨ أثر أبي العالية معطوفاً على آثار أخرى عزاها إلى ابن جرير.
- (٩) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.
- (١٠) أخرجه ابن عساكر ٤٢ / ٣٥٩، وانظر: النكت والعيون: ١٢٦/٥.
- (١١) معاني القرآن: ٣٥٣/٤.
- (١٢) تفسير السمعاني: ٤٦٩/٤.
- (١٣) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢١.

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦)} [الزمر : ٣٦]

التفسير:

أليس الله بكاف عبده محمداً وعيد المشركين وكيدهم من أن ينالوه بسوء؟ بلى إنه سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع عنه مَنْ أراده بسوء، ويخوِّفونك -أيها الرسول- بألتهم التي زعموا أنها ستؤذيك. ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق، فما له من هاد يهديه إليه.
سبب النزول:

قال الفراء: "وذلك أن قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: أما تخاف أن تخذلك آلتهنا لعبيك إياها! فأنزل الله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} محمداً صلى الله عليه وسلم، فكيف يخوِّفونك بمن دونه"^(١).
قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر : ٣٦]، أي: "أليس الله بكاف عبده محمداً وعيد المشركين وكيدهم من أن ينالوه بسوء؟"^(٢).

عن السدي: "أليس الله بكاف عبده"، يقول: محمد صلى الله عليه وسلم"^(٣).
قوله تعالى: {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [الزمر : ٣٦]، أي: "ويخوِّفونك -أيها الرسول- بألتهم التي زعموا أنها ستؤذيك"^(٤).

عن السدي: "وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ"، يقول: بألتهم التي كانوا يعبدون"^(٥).
قال مجاهد: "يعني: يخوِّفونك بالأوثان التي يعبدون من دون الله عز وجل"^(٦).
قال قتادة: "بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد إلى شعب بسقام ليكسر العزى، فقال سادنها، وهو قيمها: يا خالد أنا أحدركها، إن لها شدة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشم أنفها"^(٧).

القرآن

{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧)} [الزمر : ٣٧]

التفسير:

ومن يوفقه الله للإيمان به والعمل بكتابه واتباع رسوله فما له من مضل له من مضل عن الحق الذي هو عليه. أليس الله بعزيز في انتقامه من كفره خلقه، وممن عصاه؟
قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} [الزمر : ٣٧]، أي: "أليس الله بعزيز في انتقامه من كفره خلقه، وممن عصاه؟"^(٨).

قال محمد بن إسحاق: "العزیز في نصرته ممن كفر إذا شاء"^(٩).
قال أبو العالية: "عزیز في نعمته إذا انتقم"^(١٠). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(١١).

(١) معاني القرآن: ٤١٩/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢١.

(٦) تفسير مجاهد: ٥٧٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣): ص ١٦٦٤/٥.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

القرآن

{وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) } [الزمر : ٣٨]

التفسير:

ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: من خلق هذه السموات والأرض؟ ليقولنَّ: خلقهنَّ الله، فهم يُقرُّون بالخالق. قل لهم: هل تستطيع هذه الآلهة التي تشركونها مع الله أن تُبْعِدَ عني أذى قدره الله عليّ، أو تزيل مكروهاً لحق بي؟ وهل تستطيع أن تمنع نفعاً يسره الله لي، أو تحبس رحمة الله عني؟ إنهم سيقولون: لا تستطيع ذلك. قل لهم: حسبي الله وكافيّ، عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، وسيكفيني كل ما أهمني.

قوله تعالى: {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزمر : ٣٨]، أي: "ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: من خلق هذه السموات والأرض؟ ليقولنَّ: خلقهنَّ الله، فهم يُقرُّون بالخالق" (١).

عن عكرمة: "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله" [سورة لقمان: ٢٥ / سورة الزمر: ٣٨]. فإذا سئلوا عن الله وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولداً، وأشركوا به" (٢). قال ابن إسحاق: "ابتدع السموات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام" (٣).

قوله تعالى: {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ} [الزمر : ٣٨]، أي: "قل لهم يا محمد توبيخاً وتبكيّاً: أخبروني بعد أن تحققتم أن خالق العالم هو الله عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله، أخبروني هل تستطيع هذه الآلهة التي تشركونها مع الله أن تُبْعِدَ عني أذى قدره الله عليّ، أو تزيل مكروهاً لحق بي؟ ولو أراد الله لي نفعاً من نعمة ورخاء، هل تستطيع هذه الآلهة أن تحبس رحمة الله عني؟" (٤).

عن قتادة، قوله: " {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} حتى بلغ {كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ}، يعني: الأصنام {أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ} " (٥).

قوله تعالى: {قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} [الزمر : ٣٨]، أي: "قل لهم: حسبي الله وكافيّ، عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، وسيكفيني كل ما أهمني" (٦).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون" (٧).

القرآن

{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠) } [الزمر : ٣٩ - ٤٠]

(١) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٨٧/١٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٩٥): ص ٢٧١٣/٨-٢٧١٤.

(٤) صفة التفسير: ٧٤/٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٣٢): ص ١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦): ص ١٨١٢/٦.

التفسير:

قل -أيها الرسول- لقومك المعاندين: اعملوا على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، حيث عبدتم من لا يستحق العبادة، وليس له من الأمر شيء، إني عامل على ما أمرت به من التوجه لله وحده في أقوالي وأفعالي، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يهينه في الحياة الدنيا، ويحل عليه في الآخرة عذاب دائم، لا يحول عنه ولا يزول.

قوله تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ} [الزمر : ٣٩]، أي: "قل -أيها الرسول- لقومك المعاندين: اعملوا على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، حيث عبدتم من لا يستحق العبادة، وليس له من الأمر شيء"^(١).

عن مجاهد، قوله: "{عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ}"، قال: على ناحيتكم"^(٢).

قوله تعالى: {إِنِّي عَامِلٌ} [الزمر : ٣٩]، أي: "إني عامل على ما أمرت به من التوجه لله وحده في أقوالي وأفعالي"^(٣).

عن مجاهد: "{إِنِّي عَامِلٌ}" كذلك على تودة على عمل من سلف من أنبياء الله قبلي"^(٤).

قوله تعالى: {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} [الزمر : ٣٩-٤٠]، أي: "فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يهينه في الحياة الدنيا"^(٥).

عن مجاهد: "{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}" إذا جاءكم بأس الله، من المحق منا من المبطل، والرشد من الغوي"^(٦).

قوله تعالى: {وَيَحُلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [الزمر : ٤٠]، أي: "ويحل عليه في الآخرة عذاب دائم، لا يحول عنه ولا يزول"^(٧).

عن أبي مالك، قوله: "{عَذَابٌ مُّقِيمٌ}"، يعني: دائما لا ينقطع"^(٨).

القرآن

{إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الزمر : ٤١]

التفسير:

إننا أنزلنا عليك -أيها الرسول- القرآن بالحق هداية للعالمين، إلى طريق الرشاد، فمن اهتدى بنوره، وعمل بما فيه، واستقام على منهجه، فنفع ذلك يعود على نفسه، ومن ضلَّ بعد ما تبين له الهدى، فإنما يعود ضرره على نفسه، ولن يضر الله شيئا، وما أنت -أيها الرسول- عليهم بوكيل تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، ما عليك إلا البلاغ.

قوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الزمر : ٤١]، أي: "وما أنت -أيها الرسول- عليهم بوكيل تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، ما عليك إلا البلاغ"^(٩).

عن قتادة، قوله: "{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}"، أي: بحفيظ"^(١). وروي عن السدي مثله"^(٢).

(١) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢١-٢٩٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢١-٢٩٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢١-٢٩٧.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦٢.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٠١): ص ١٤/١٨٣٣-١٨٣٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٦٣.

القرآن

{اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّفْسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْآخَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)} [الزمر : ٤٢]

التفسير:

الله - سبحانه وتعالى- هو الذي يقبض الأنفس حين موتها، وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت بانقضاء الأجل، ويقبض التي لم تمت في منامها، وهي الموتة الصغرى، فيحبس من هاتين النفسين التي قضى عليها الموت، وهي نفس من مات، ويرسل النفس الأخرى إلى استكمال أجلها ورزقها، وذلك بإعادتها إلى جسم صاحبها، إن في قبض الله نفس الميت والنائم وإرساله نفس النائم، وحبسه نفس الميت لدلائل واضحة على قدرة الله لمن تفكر وتدبر.

قال سعيد بن جبير: " يجمع بين أرواح الأحياء، وأرواح الأموات، فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجسادها"^(٣).

قال سعيد بن جبير: " يقبض أنفس الأموات والأحياء، فيمسك أنفس الأموات، ويرسل أنفس الأحياء إلى أجل مسمى لا يغلط"^(٤).

قال السدي: " تقبض الأرواح عند نيام النائم، فتقبض روحه في منامه، فتلقى الأرواح بعضها بعضاً: أرواح الموتى وأرواح النيام، فتلتقي فتسأل، قال: فيخلى عن أرواح الأحياء، فترجع إلى أجسادها، وتريد الأخرى أن ترجع، فيحبس التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، قال: إلى بقية آجالها"^(٥).

عن فرقد، قال: "ما من ليلة من ليالي الدنيا إلا والربّ -تبارك وتعالى- يقبض الأرواح كلها؛ مؤمنها وكافرها، فيسأل كل نفس ما عمل صاحبها من النهار -وهو أعلم-، ثم يدعو ملك الموت فيقول: اقبض هذا، واقبض هذا. من قضى عليه الموت، {وَيُرْسِلُ الْآخَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى}"^(٦).

القرآن

{أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣)} [الزمر : ٤٣]

التفسير:

أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء، تشفع لهم عند الله في حاجاتهم؟ قل -أيها الرسول- لهم: أتتخذونها شفعاء كما تزعمون، ولو كانت الآلهة لا تملك شيئاً، ولا تعقل عبادتكم لها؟ قوله تعالى: {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ} [الزمر : ٤٣]، أي: "أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء، تشفع لهم عند الله في حاجاتهم؟"^(٧).

عن قتادة: " {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ}: الآلهة"^(٨).
قوله تعالى: {قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} [الزمر : ٤٣]، أي: "قل -أيها الرسول- لهم: أتتخذونها شفعاء كما تزعمون، ولو كانت الآلهة لا تملك شيئاً، ولا تعقل عبادتكم لها؟"^(٩).

(١) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٨/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٩٨/٢١.

(٤) أخرجه الثعلبي ٢٣٨ /٨، وأخرج الهذيل بن حبيب -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ٦٩٠ - نحوه.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٩٨/٢١-٢٩٩.

(٦) الدر المنثور: ٢٣١/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢١.

عن قتادة: "قُلْ أُولُو كَأْتُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا": الشفاعة"^(٢).

القرآن

{قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)} [الزمر : ٤٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: الله الشفاعة جميعاً، له ملك السموات والأرض وما فيهما، فالأمر كله لله وحده، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، فهو الذي يملك السموات والأرض ويتصرف فيهما، فالواجب أن يُطلب الشفاعة ممن يملكها، وأن تُخلص له العبادة، ولا يُطلب من هذه الآلهة التي لا تضر ولا تنفع، ثم إليه تُرجعون بعد مماتكم للحساب والجزاء.

قوله تعالى: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} [الزمر : ٤٤]، أي: "قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: الله الشفاعة جميعاً"^(٣).

قال مجاهد: "لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه"^(٤).

قوله تعالى: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الزمر : ٤٤]، أي: "له ملك السموات والأرض وما فيهما"^(٥).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، الله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"^(٦).

قوله تعالى: {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزمر : ٤٤]، أي: "ثم إليه تُرجعون بعد مماتكم للحساب والجزاء"^(٧).

قال أبو العالية: "ترجعون إليه بعد الحياة"^(٨).

القرآن

{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

(٤٥)} [الزمر : ٤٥]

التفسير:

وإذا ذُكر الله وحده نفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات، وإذا ذُكر الذين من دونه من الأصنام والأوثان والأولياء إذا هم يفرحون؛ لكون الشرك موافقاً لأهوائهم.

قوله تعالى: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [الزمر : ٤٥]، أي: "وإذا ذُكر الله وحده نفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات"^(٩).

عن السدي قوله: "{اشْمَأَزَّتْ}"، قال: نفرت"^(١٠).

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٦٣.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢١.
 - (٣) التفسير الميسر: ٤٦٣.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢١.
 - (٥) التفسير الميسر: ٤٦٣.
 - (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧٢): ص ١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].
 - (٧) التفسير الميسر: ٤٦٣.
 - (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠٦٠): ص ٣٠٠٣/٩.
 - (٩) التفسير الميسر: ٤٦٣.
 - (١٠) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢١.

قال قتادة: "أي: نفرت قلوبهم واستكبرت"^(١).
 عن مجاهد، قوله: {اشْمَأَزَّتْ}؛ انقبضت، قال: وذلك يوم قرأ عليهم "النجم" عند باب الكعبة"^(٢).
 قوله تعالى: {وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر: ٤٥]، أي: "وإذا ذُكِرَ الذين من
 دونه من الأصنام والأوثان والأولياء إذا هم يفرحون؛ لكون الشرك موافقا لأهوائهم"^(٣).
 قال قتادة: "وإذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ، الألهة"^(٤).
 عن السدي: "{وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}؛ أوثانهم"^(٥).

القرآن

{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
 [(٤٦) : الزمر : ٤٦]}

التفسير:

قل: اللهم يا خالق السموات والأرض ومبدعها على غير مثال سبق، عالم السر والعلانية، أنت تفصل بين
 عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك والإيمان بك وبرسولك،
 اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. وكان هذا من دعائه صلى الله
 عليه وسلم، وهو تعليم للعباد بالالتجاء إلى الله تعالى، ودعائه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.
 قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الزمر: ٤٦]، أي: قل: اللهم يا خالق السموات
 والأرض ومبدعها على غير مثال سبق"^(٦).

قال السدي: "فاطر: قال خالق"^(٧).

قوله تعالى: {عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الزمر: ٤٦]، أي: "عالم السر والعلانية"^(٨).
 عن السدي، قوله: "{عَالِمِ الْغَيْبِ}، قال: ما غاب عن العباد فهو يعلمه، {وَالشَّهَادَةِ} : ما عرف العباد
 وشهدوا، فهو يعلمه"^(٩).

قال الحسن: "الشهادة: ما قد رأيتم من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"^(١٠).
 عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال: اللهم فاطر السموات
 والأرض، عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك
 لك، وأن محمدا عبدك ورسولك، فإنك إن تكلمي إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدي من الخير، وإني لا
 أتق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهدا تُوفيني يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، إلا قال الله، عز وجل
 ، لملائكته يوم القيامة: إن عهدي قد عهد إلي عهدا فأوفوه إياه، فيدخله الله الجنة"^(١١).

(١) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٦٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠٤): ص ١٨٦٤-١٨٦٥.

(١١) المسند (٤١٢/١) قال الهيثمي في المجمع (١٧٤/١٠): "رجاله رجال الصحيح".

قال سهيل: "فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عونا أخبر بكذا وكذا؟ فقال: ما في أهلنا جارية إلا وهي تقول هذا في
 خدرها".

عن أبي عبد الرحمن قال : "أخرج لنا عبد الله بن عمرو قرطاسا، وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول : "اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت رب كل شيء ، وإله كل شيء ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك ، والملائكة يشهدون ، أعوذ بك من الشيطان وشركه ، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي إثما ، أو أجره إلى مسلم"^(١).
قال أبو عبد الرحمن : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه عبد الله بن عمرو أن يقول ذلك حين يريد أن ينام".

القرآن

{وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } {الزمر : ٤٧} [التفسير :

ولو أن لهؤلاء المشركين بالله ما في الأرض جميعا من مال ونخائر، ومثله معه مضاعفاً، لبدلوه يوم القيامة؛ ليفتدوا به من سوء العذاب، ولو بدلوا وافتدوا به ما قبل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئاً، وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا أنه نازل بهم.
قوله تعالى: {وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر : ٤٧]، أي: "وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا أنه نازل بهم"^(٢).
قال مجاهد: "عملوا أعمالا توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات"^(٣).
روي أنه : "جزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له، فقال: أخشى آية من كتاب الله، وتلاها، فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه"^(٤).

القرآن

{وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } {الزمر : ٤٨} [التفسير :

وظهر لهؤلاء المكذبين يوم الحساب جزاء سيئاتهم التي اقترفوها، حيث نسبوا إلى الله ما لا يليق به، وارتكبوا المعاصي في حياتهم، وأحاط بهم من كل جانب عذاب أليم؛ عقاباً لهم على استهزائهم بالإنذار بالعذاب الذي كان الرسول يعدهم به، ولا يابيهون له.
قوله تعالى: {وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الزمر : ٤٨]، أي: "وأحاط بهم من كل جانب عذاب أليم؛ عقاباً لهم على استهزائهم بالإنذار بالعذاب الذي كان الرسول يعدهم به، ولا يابيهون له"^(٥).
عن مجاهد: {وَحَاقَ بِهِمْ}، قال: " حل بهم"^(٦).
وروي عن السدي: " وقع بهم"^(٧).
وقال الربيع: "نزل"^(٨).

(١)المسند (١٧١/٢).

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٣.

(٣) رواه منصور عن مجاهد، كما في إعراب القرآن للنحاس: ١٢/٤.

(٤) نقلا عن: الكشاف: ١٣٣/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٣.

(٦) تفسير مجاهد: ٥٨٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧١٥) :ص٦/٢٠٠٧.

(٨) ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٧٥ ب، والواحدي في "الوسيط" ١ / ١٣، و"البسيط": ٣٠/٣، والبعوي في "تفسيره" ٣ / ١٣٠.

قال الضحاك: {فَحَاقَ}: "أي: أحاط"^(١).

القرآن

{فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّمَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلَّ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩)} [الزمر : ٤٩]

التفسير:

فإذا أصاب الإنسان شدة وضراً، طلب من ربه أن يُفَرِّجَ عنه، فإذا كشفنا عنه ما أصابه وأعطيناه نعمة منا عاد بربه كافراً، وفضله منكراً، وقال: إن الذي أُوتِيْنَاهُ إنما هو علم من الله أني له أهل ومستحق، بل ذلك فتنة يبتلي الله بها عباده؛ لينظر من يشكره ممن يكفره، ولكن أكثرهم -لجهلهم وسوء ظنهم- لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم من الله، وامتحان لهم على شكر النعم. قوله تعالى: {فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا} [الزمر : ٤٩]، أي: "فإذا أصاب الإنسان شدة وضراً، طلب من ربه أن يُفَرِّجَ عنه"^(٢).

عن قتادة: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ}، قال: "الوجع والبلاء والشدة"^(٣). قوله تعالى: {ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّمَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ} [الزمر : ٤٩]، أي: "فإذا كشفنا عنه ما أصابه وأعطيناه نعمة منا عاد بربه كافراً، وفضله منكراً، وقال: إن الذي أُوتِيْنَاهُ إنما هو علم من الله أني له أهل ومستحق"^(٤).

عن مجاهد، قوله: "{إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّمَّا}"، قال: أعطيناه"^(٥).
عن مجاهد: "{ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ}" أعطيناه {نِعْمَةً مِّمَّا} أي: عافية"^(٦).
عن قتادة، قوله: {عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي}، أي: على خير عندي"^(٧).
قوله تعالى: {بَلَّ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر : ٤٩]، أي: "بل ذلك فتنة يبتلي الله بها عباده؛ لينظر من يشكره ممن يكفره، ولكن أكثرهم -لجهلهم وسوء ظنهم- لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم من الله، وامتحان لهم على شكر النعم"^(٨).
عن قتادة: "{بَلَّ هِيَ فِتْنَةٌ}"، أي: بلاء"^(٩).

القرآن

{قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أُعْثِي عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠)} [الزمر : ٥٠]

التفسير:

قد قال مقاتلهم هذه من قبلهم من الأمم الخالية المكذبة، فما أغنى عنهم حين جاءهم العذاب ما كانوا يكسبونه من الأموال والأولاد.

(١) ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٧٥ ب، والواحد في "الوسيط" ١٣ / ١، و"البسيط": ٣٠ / ٨، والبغوي في "تفسيره" ٣ / ١٣٠، وأبو حيان في "البحر" ٨٠ / ٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٦٢ / ٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٠٣ / ٢١.

(٦) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ١١٥ / ٤ -.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٠٣ / ٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٠٤ / ٢١.

قوله تعالى: {قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [الزمر : ٥٠]، أي: "قد قال مقاتلهم هذه من قبلهم من الأمم الخالية المكذبة"^(١).
 عن السدي: "قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ"، الأمم الماضية"^(٢).

القرآن

{فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١)}
 [الزمر : ٥١]
 التفسير:

فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوجلوا بالخزي في الحياة الدنيا، والذين ظلموا أنفسهم من قومك -أيها الرسول-، وقالوا هذه المقالة، سيصيبهم أيضاً وبال سيئات ما كسبوا، كما أصاب الذين من قبلهم، وما هم بفائتين الله ولا سابقيه.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا} [الزمر : ٥١]، أي: "والذين ظلموا أنفسهم من قومك -أيها الرسول-، وقالوا هذه المقالة، سيصيبهم أيضاً وبال سيئات ما كسبوا، كما أصاب الذين من قبلهم"^(٣).

عن السدي: "وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ"، قال: من أمة محمد صلى الله عليه وسلم"^(٤).

القرآن

{أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)} [الزمر : ٥٢]
 التفسير:

أو لم يعلم هؤلاء أن رزق الله للإنسان لا يدل على حسن حال صاحبه، فإن الله لبالغ حكمته يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، صالحاً كان أو طالحاً، ويضيِّقه على من يشاء منهم؟ إن في ذلك التوسيع والتضييق في الرزق لدلالات واضحات لقوم يُصدِّقون أمر الله ويعملون به.

قوله تعالى: {أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الزمر : ٥٢]، أي: "أو لم يعلم هؤلاء أن رزق الله للإنسان لا يدل على حسن حال صاحبه، فإن الله لبالغ حكمته يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، صالحاً كان أو طالحاً، ويضيِّقه على من يشاء منهم؟"^(٥).

عن الحسن: " {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}، قال: ينظر له، فإن كان الغنى خيراً له أغناه وإن كان الفقر خيراً له أفقره"^(٦).

وقال الحسن: "بيسط لهذا مكرأ به ويقدر لهذا نظراً له"^(٧).

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الزمر : ٥٢]، أي: "إن في ذلك التوسيع والتضييق في الرزق لدلالات واضحات لقوم يُصدِّقون أمر الله ويعملون به"^(٨).

عن سعيد بن جبیر، قوله: " {إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٢) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٤) تفسير الطبري: ٣٠٥/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٦١): ص ٢٣٢٧/٧.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٦٢): ص ٢٣٢٨/٧.

(٨) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٧١): ص ١٩٦٧/٦.

القرآن

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)} [الزمر : ٥٣]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لعبادي الذين تمادوا في المعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تئيسوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: "أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؟ فنزل: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَزْنُونَ} [الفرقان: ٦٨] وَنَزَلَتْ {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ، لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر: ٥٣]". وهذا قول ابن عباس^(١).

وقال مقاتل: "نزلت في مشركي مكة وذلك أن الله- عز وجل- أنزل في الفرقان {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الفرقان : ٦٨]، الآية. فقال وحشي مولى المطعم بن عدي بن نوفل: إني قد فعلت هذه الخصال فكيف لي بالتوبة فنزلت فيه: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان : ٧٠]، فأسلم وحشي فقال مشركو مكة: قد قبل من وحشي توبته، وقد نزل فيه ولم ينزل فينا. فنزلت في مشركي مكة {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} [الزمر : ٥٣]، يعني بالإسراف: الشرك والقتل والزنا فلا ذنب أعظم إسرافاً من الشرك لا تقنطوا يقول لا تياسوا من رحمة الله، لأنهم ظنوا ألا توبة لهم. {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر : ٥٣]، يعني: الشرك والقتل والزنا الذي ذكر في سورة الفرقان، {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر : ٥٣]، لمن تاب منها ثم دعاهم إلى التوبة"-^(٢).

الثاني: أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أنه من عبد الأوثان، ودعا مع الله إليها آخر، وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له، فكيف نهاجر ونسلم، وقد عبدنا الألهة، وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل الشرك؟ فأنزل الله: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ}. وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً^(٣).

قال السدي: "هؤلاء المشركون من أهل مكة، قالوا: كيف نجيبك وأنت تزعم أنه من زنى، أو قتل، أو أشرك بالرحمن كان هالكا من أهل النار؟ فكل هذه الأعمال قد عملناها، فأنزلت فيهم هذه الآية: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ}"^(٤).

الثالث: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعدبوا، فافتنوا، كنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعداب عدبوه، فنزلت هؤلاء الآيات، وكان عمر بن الخطاب كاتباً، قال: فكتبها بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، إلى أولئك نفر، فأسلموا وهاجروا. وهذا قول ابن عمر^(٥).

قال ابن عمر: "كنا نقول: ما لمن افتتن من توبة، وكانوا يقولون: ما الله بقابل منا شيئاً، تركنا الإسلام ببلاء أصابنا بعد معرفته، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم: {يَا عِبَادِيَ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير الزمر «باب قوله «يا عبادي» ...» ج ٦ ص ٣٣.
ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان «باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج» ج ١ ص ١١٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٣/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٦/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٠٧/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٩/٢١.

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} ... الآية، قال عمر: فكتبت بها بيدي، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاص، قال هشام: فلما جاءتني جعلت أقرؤها ولا أفهمها، فوقع في نفسي أنها أنزلت فينا لما كنا نقول، فجلست على بعيري، ثم لحقت بالمدينة"^(١).

الرابع: -وهو قول ابن زيد- أنه: "كان قوم مسخوطين في أهل الجاهلية، فلما بعث الله نبيه قالوا: لو أتينا محمدا صلى الله عليه وسلم فأمننا به واتبعناه، فقال بعضهم لبعض: كيف يقبلكم الله ورسوله في دينه؟ فقالوا: ألا نبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا؟ فلما بعثوا، نزل القرآن: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} فقرأ حتى بلغ: {فَأَكُون مِنَ الْمُحْسِنِينَ}"^(٢).
الخامس: أنها نزلت في وحشي. قاله عطاء بن يسار"^(٣).

عن عطاء بن يسار، قال: نزلت هذه الآيات الثلاث بالمدينة في وحشي وأصحابه: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} إلى قوله: {مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}"^(٤).
قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر : ٥٣]، أي: "قل -أيها الرسول- لعبادي الذين تمادوا في المعاصي، وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تئيسوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم"^(٥).
قال مجاهد، في قوله: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ}، قال: يعني: "من قتل الأنفس في الجاهلية"^(٦).

قال قتادة: "أصاب قوم في الشرك ذنوبا عظاما، فكانوا يتخوفون أن لا تغفر، فدعاهم الله بهذه الآية {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم}"^(٧).

قال ابن وهب: "أخبرني أبو صخر عن القرظي في هذه الآية: {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله}، يقول: هي للناس أجمعين. قال أبو صخر: وقال زيد بن أسلم: إنما هي للمشركين"^(٨).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر : ٥٣]، أي: "إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت، إنه هو الغفور للذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم"^(٩).

قال الحسن: "إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا" التي كانت في الشرك، {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، وأنزل: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} أي: بعد إسلامهم، {وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} أي: بعد إسلامهم {وَلَا يَزْنُونَ} أي: بعد إسلامهم، إلى قوله: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا} الآية [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]"^(١٠).

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، "أي: يغفر الذنوب، ويرحم العباد، على ما فيهم"^(١١).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٩-٢٠٨/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠٨-٧-٣/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٧/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٠٧/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٦) تفسير مجاهد: ٥٨٠.

(٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٦٣٨): ص ١٣٤/٣.

(٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب: ٧٢/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(١٠) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ١١٦ / ٤ - ١١٧ -.

(١١) أخرجه الطبري (٧٨٢٢): ص ٢٠٣/٧.

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: " أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"^(١).

قال معمر: " وبلغني أن عمر بن الخطاب مر به ركب فأرسل إليهم يسألهم من هم؟ فقالوا: جئنا من الفج العميق، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نؤم البيت العتيق، قال: فرجع إليه الرسول فأخبره فقال عمر: إن لهؤلاء نبأ، ثم أرسل إليهم: أي آية في كتاب الله أحكم؟ قالوا: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} [الزلزلة: ٨] قال: فأي آية أعدل؟ قالوا: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى} [النحل: ٩٠] قال: فأي آية أعظم؟ فقالوا: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [البقرة: ٢٥٥] قال: فأي آية أرجى؟ قالوا: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله} [الزمر: ٥٣] قال: فأي آية أخوف؟ قالوا: {من يعمل سوءا يجز به} [النساء: ١٢٣] قال: " سلمهم أفيهم ابن أم عبد؟ قالوا: نعم"^(٢).

قال الشعبي: "تجالس شتير بن شكل ومسروق فقال شتير: إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدك، وإما أن أحدث فتصدقني فقال مسروق: لا بل حدث فأصدك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية فرجا في القرآن: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ}، فقال مسروق: صدقت"^(٣).

عن ابن سيرين، قال: "قال علي رضي الله عنه: أي آية في القرآن أوسع؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا} . ونحوها، فقال علي: ما في القرآن آية أوسع من: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} ... إلى آخر الآية"^(٤).

قال أبو الكنود: "دخل عبد الله المسجد، فإذا قاصن يذكر النار والأغلال، قال: فجاء حتى قام على رأسه، فقال ما يذكر أتقنط الناس: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} ... الآية"^(٥).

عن عمرو بن عبسة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، شيخ كبير يدعم على عصا له، فقال: يا رسول الله إن لي غدرات وفجرات، فهل يغفر لي؟ فقال: "ألست تشهد أن لا إله إلا الله؟" قال: بلى، وأشهد أنك رسول الله. فقال: "قد غفر لك غدراتك وفجراتك"^(٦).

عن أسماء بنت يزيد قالت: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} [هود: ٤٦] وسمعته يقول: " {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} ولا يبالي {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}"^(٧).

عن أخشن السدوسي، قال: "دخلت على أنس بن مالك، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "والذي نفسي بيده، لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده، لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون، ثم يستغفرون الله فيغفر لهم"^(٨).

عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: "إن إبليس - عليه لعائن الله - قال: يا رب، إنك أخرجتني من الجنة من أجل آدم، وإنني لا أستطيعه إلا بسلطانك. قال: فأنت مسلط. قال: يا رب، زدني. قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله. قال: يا رب، زدني. قال: أجعل صدورهم مساكن لكم، وتجرون منهم مجرى الدم. قال: يا رب، زدني. قال: أجلب عليهم بخيلك ورجلك، وشاركهم في الأموال والأولاد، وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا. فقال آدم - عليه السلام - يا رب، قد سلطته علي، وإنني لا أمتنع منه إلا بك. قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٣٦٧٣): ص ٤٤٩/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٠٨/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٠٩/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٠٩/٢١.

(٦) المسند (٣٨٥/٤).

(٧) المسند (٤٥٤/٦) وسنن أبي داود برقم (٣٩٨٢) وسنن الترمذي برقم (٣٢٣٧).

(٨) المسند (٢٣٨/٣).

: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء. قال : يا رب ، زدني. قال : الحسنه عشر أو أزيد ، والسيئه واحده أو أموها. قال : يا رب ، زدني. قال : باب التوبه مفتوح ما كان الروح في الجسد. قال : يا رب ، زدني. قال : { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }^(١).

القرآن

{وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤)} [الزمر : ٥٤]

التفسير:

وارجعوا إلى ربكم -أيها الناس- بالطاعة والتوبه، واخضعوا له من قبل أن يقع بكم عقابه، ثم لا ينصركم أحد من دون الله.

قوله تعالى: {وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ} [الزمر : ٥٤]، أي: "وارجعوا إلى ربكم -أيها الناس- بالطاعة والتوبه، واخضعوا له"^(٢).

قال قتاده: أي: أقبلوا إلى ربكم"^(٣).

عن السدي: " {وَأَنِيبُوا}، قال: أحيبوا"^(٤).

القرآن

{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥)} [الزمر :

٥٥]

التفسير:

واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، وهو القرآن العظيم، وكله حسن، فامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة، وأنتم لا تعلمون به.

قوله تعالى: {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} [الزمر : ٥٥]، أي: "واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، وهو القرآن العظيم، وكله حسن، فامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه"^(٥).

عن السدي: " {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ}، يقول: ما أمرتم به في الكتاب"^(٦).

القرآن

{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ (٥٦)} [الزمر : ٥٦]

التفسير:

وأطيعوا ربكم وتوبوا إليه حتى لا تندم نفس وتقول: يا حسرتا على ما ضيعت في الدنيا من العمل بما أمر الله به، وقصرت في طاعته وحقه، وإن كنت في الدنيا لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به.

قوله تعالى: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ} [الزمر : ٥٦]، أي: "وأطيعوا ربكم وتوبوا إليه حتى لا تندم نفس وتقول: يا حسرتا على ما ضيعت في الدنيا من العمل بما أمر الله به، وقصرت في طاعته وحقه"^(١).

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٠٩/٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٣١١/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٣١١/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢١.

قال مجاهد: " يعني: «ما ضيعت من أمر الله»" (٢).
 قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} [الزمر : ٥٦]، أي: " وإن كنت في الدنيا لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به" (٣).
 قال السدي: " يقول: من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالكتاب، وبما جاء به" (٤).
 قال قتادة: " فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله، قال: هذا قول صنف منهم" (٥).

القرآن

{أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧)} [الزمر : ٥٧]

التفسير:

أو تقول: لو أن الله أهداني إلى دينه لكنت من المتقين الشرك والمعاصي.
 عن الضحاك: "{الْمُتَّقِينَ}"، قال: "الذين يتقون الشرك" (٦).
 عن السدي: "{المتقين}"، قال: هم المؤمنون" (٧).
 عن البراء بن عازب، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل معنا التراب، وهو يقول: «والله لولا الله ما اهتدينا، ولا صمنا ولا صلينا، فأنزلن سكينتنا علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، والمشركون قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا» (٨).

القرآن

{ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)} [الزمر : ٥٨]

التفسير:

أو تقول حين ترى عقاب الله قد أحاط بها يوم الحساب: ليت لي رجعة إلى الحياة الدنيا، فأكون فيها من الذين أحسنوا بطاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل.
 عن قتادة: "{يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ}" ... الآية، قال: هذا قول صنف منهم {أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي} ... الآية، قال. هذا قول صنف آخر: {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ} الآية، يعني بقوله: {لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً} رجعة إلى الدنيا، قال: هذا صنف آخر" (٩).
 عن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول : لو أن الله هداني؟! فتكون عليه حسرة". قال : "وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول : لولا أن الله هداني!" قال : "فيكون له الشكر" (١٠).

القرآن

(١) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٢) تفسير مجاهد: ٥٨٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٣١٥/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٣١٥/٢١.

(٦) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

(٨) رواه البخاري(٦٦٢٠):ص١٢٧/٨.

(٩) أخرجه الطبري : ٣١٦/٢١.

(١٠)المسند (٥١٢/٢).

{بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)} [الزمر : ٥٩]

التفسير:

ما القول كما تقول، قد جاءتك آياتي الواضحة الدالة على الحق، فكذبت بها، واستكبرت عن قبولها واتباعها، وكننت من الكافرين بالله ورسله.

قوله تعالى: {بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ} [الزمر : ٥٩]، أي: "ما القول كما تقول، قد جاءتك آياتي الواضحة الدالة على الحق، فكذبت بها، واستكبرت عن قبولها واتباعها"^(١).
قال قتادة: "يقول الله ردًا لقولهم، وتكذيبًا لهم، يعني لقول القائلين: {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي}، والصنف الآخر: {بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي} ... الآية"^(٢).

القرآن

{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١)} [الزمر : ٦١]

التفسير:

وينجي الله من جهنم وعذابها الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيهم بفوزهم وتحقق أمنيته، وهي الظفر بالجنة، لا يمسهم من عذاب جهنم شيء، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

قوله تعالى: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ} [الزمر : ٦١]، أي: "وينجي الله من جهنم وعذابها الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيهم بفوزهم وتحقق أمنيته، وهي الظفر بالجنة"^(٣).
عن السدي، قوله: "وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ"، قال: بفضائلهم"^(٤).

عن زيد بن أسلم -من طريق ابن المبارك، عن رجل- أنه بلغه: "أنه يُمَثَّل يوم القيامة للمؤمن عمله في أحسن صورة؛ أحسن ما خلق الله وجهًا، وثيابًا، وأطيه ريحًا، فيجلس إلى جنبه، كلما أفرعه شيء أنسه، وكلما تخوف شيئًا هوّن عليه، فيقول: جزاك الله من صاحب خير، من أنت؟ قال: أو ما تعرفني وقد صحبتك في دنياك، وفي قبرك؟! أنا عملك، كان -والله- حسناً فلذلك تراني حسناً، وكان طيباً فلذلك تراني طيباً، فاركبني، فطالما ركبتك في الدنيا. فهو قوله: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ}"^(٥).
وقرى: «بمفازاتهم»^(٦).

القرآن

{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)} [الزمر : ٦٢]

التفسير:

الله تعالى هو خالق الأشياء كلها، وربها ومليكيها والمتصرف فيها، وهو على كل شيء حفيظ يدبّر جميع شؤون خلقه.

قوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر : ٦٢]، أي: "الله تعالى هو خالق الأشياء كلها، وربها ومليكيها والمتصرف فيها"^(٧).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، الله الخلق كله والسماوات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"^(٨).

(١) التفسير الميسر: ٤٦٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٣١٩/٢١ - ٣٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا مطولاً في كتاب الأحوال - موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٢٤ - ٢٢٥ (٢١٣) -.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٠/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦٥.

قوله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر : ٦٢]، أي: "وهو على كل شيء حفيظ يدبر جميع شؤون خلقه"^(٢).
 عن السدي قوله: "وَكَيْلٌ"، أما «الوكيل»، فالحفيظ"^(٣).

القرآن

{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُمْ الْخَاسِرُونَ (٦٣)} [الزمر : ٦٣]
 التفسير:

لله مفاتيح خزائن السموات والأرض، يعطي منها خلقه كيف يشاء. والذين جحدوا آيات القرآن وما فيها من الدلائل الواضحة، أولئك هم الخاسرون في الدنيا بخذلانهم عن الإيمان، وفي الآخرة بخلودهم في النار.
 قوله تعالى: {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الزمر : ٦٣]، أي: "لله مفاتيح خزائن السموات والأرض، يعطي منها خلقه كيف يشاء"^(٤).

وفي تفسير قوله تعالى: {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الزمر : ٦٣]، قولان:
 أحدهما: خزائن السموات والأرض، قاله السدي^(٥).
 الثاني: مفاتيح السموات والأرض، قاله مجاهد^(٦)، وقتادة^(٧)، والضحاك^(٨).

وروي عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: "أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن تفسير له مقاليد السموات والأرض فقال: «ما سألتني، عنها أحد قبلك يا عثمان» قال: «تفسيرها: لا إله إلا الله، والله أكبر وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله ولا قوة إلا بالله، الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها يا عثمان إذا أصبح عشر مرات أعطي خلا ستا أما أولاهن: فيحرس من إبليس وجنوده، وأما الثانية فيعطى قنطارا من الأجر، وأما الثالثة: فترفع له درجة في الجنة، وأما الرابعة: فيتزوج من الحور العين، وأما الخامسة: فيحضره اثنا عشر ملكا، وأما السادسة: فيعطى من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور. وله مع هذا يا عثمان من الأجر كمن حج وتقبلت حجته، واعتمر فتقبلت عمرته، فإن مات من يومه طبع بطابع الشهداء»"^(٩)^(١٠).

القرآن

{قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤)} [الزمر : ٦٤]
 التفسير:

- (١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص٤/١٠٨٥. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].
- (٢) التفسير الميسر: ٤٦٥.
- (٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٢٧):ص٦/٢٠٠٩. هكذا مرقم بالمطبوع!
- (٤) التفسير الميسر: ٤٦٥.
- (٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢١.
- (٦) نقلا عن النكت والعيون: ١٩٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١١٢/٧.
- (٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢١.
- (٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥.
- (٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٠٥):ص١٠/٣٢٥٤.
- (١٠) قال ابن كثير: "غريب جدا، وفي صحته نظر.. ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد، به مثله. وهو غريب، وفيه نكارة شديدة، والله أعلم". [تفسير ابن كثير: ١١٢/٧].
 ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٧٣) من طريق أبي عن شجاع بن مخلد عن يحيى بن حماد به، وقال الهيثمي في المجمع (١١٥/١٠): "رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه الأغلب بن تميم، وهو ضعيف".

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أفغير الله أيها الجاهلون بالله تأمرؤني أن أعبد، ولا تصلح العبادة لشيء سواه؟

سبب نزول الآيات: [٦٤-٦٦]:

عن ابن عباس: "أن قريشا وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإننا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح. قال: "ما هي؟" قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزي، ونعبد إلهك سنة، قال: "حتى أنظر ما يأتي من عند ربّي"، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} السورة، وأنزل الله: {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} ... إلى قوله: {فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (١).

عن الحسن، قال: "قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: إياك وأجدادك يا محمد فأنزل الله: {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} إلى قوله {بل الله فاعبد وكن من الشاكرين} (٢).
قرأ ابن كثير وحده: «تأمرؤني» بنون مشددة، والياء مفتوحة، وقرأ نافع وابن عامر: «تأمرؤني أعبد»، بتخفيف النون وفتح الياء، وقرأ الباقون «تأمرؤني» بالتشديد وسكون الياء (٣).

القرآن

{وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)} [الزمر]:

[٦٥]

التفسير:

ولقد أوحى إليك -أيها الرسول- وإلى من قبلك من الرسل: لنن أشركت بالله غيره ليبطلن عملك، وتكونن من الهالكين الخاسرين دينك وأخرتك؛ لأنه لا يقبل مع الشرك عمل صالح.
قال قتادة: "قال رجل من الخوارج خلف علي في صلاة الغداة: (وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فأنصت له علي رضي الله عنه حتى فهم ما قال؛ فأجابته وهو في الصلاة: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)" (٤).

القرآن

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)} [الزمر]:

[٦٧]

التفسير:

وما عظم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه؛ إذ عبدوا معه غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسووا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم، الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، تنزه وتعظيم سبحانه وتعالى عما يشرك به هؤلاء المشركون.
سبب النزول:

عن سعيد، قال: "أتى رهط من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضبا لربه، فجاءه جبريل فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله جواب ما سأله عنه، قال: يقول الله تبارك

(١) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٤.

(٢) الدر المنثور: ٢٤٥/٧، وعزاه إلى البيهقي في "الدلائل".

(٣) انظر: معاني القراءات للأزهري: ٣٤١/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٠.

وتعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} فلما تلاها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: صف لنا ربك، كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم من غضبه الأول، ثم ساورهم، فأثاه جبريل فقال مثل مقالته، وأثاه بجواب ما سأله عنه: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (١).

وقال سعيد: "عن سعيد، قال: تكلمت اليهود في صفة الرب، فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} ثم بين للناس عظمته فقال: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، فجعل صفتهم التي وصفوا الله بها شركا" (٢).

قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الزمر: ٦٧]، أي: "وما عظم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه؛ إذ عبدوا معه غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسوّوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم" (٣).
قال السدي: "ما عظموا الله حقّ عظمته" (٤).

قوله تعالى: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر: ٦٧]، أي: الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة" (٥).
قال الحسن: "كانها جوزة بقضها وقضيضها" (٦).

قال الضحاك: "السموات والأرض مطويات بيمينه جميعا" (٧).
عن عبد الله بن مسعود قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد: إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع. فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الآية" (٨).

قوله تعالى: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: ٦٧]، أي: "والسموات مطويات بيمينه" (٩).
عن الضحاك: "وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ"، قال: كلهن بيمينه" (١٠).

عن ربيعة الجُرسي، قال: "وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ"، قال: ويده الأخرى خلوا ليس فيها شيء" (١١).

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: ٦٧] قال: "إذا كان يوم القيامة طوى الله السموات بيمينه والأرض بقبضته، ثم يقول: لي الملك، أين ملوك الأرض؟" (١٢).

-
- (١) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢١.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢١-٣٢٩.
 - (٣) التفسير الميسر: ٤٦٦.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢١-٣٢٤.
 - (٥) التفسير الميسر: ٤٦٦.
 - (٦) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢١.
 - (٧) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢١.
 - (٨) صحيح البخاري برقم (٤٨١١). وانظر نحوه في صحيح البخاري برقم (٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١) والمسند (٤٢٩/١) وصحيح مسلم برقم (٢٧٨٦) وسنن الترمذي برقم (٣٢٣٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٥١).
 - (٩) التفسير الميسر: ٤٦٥.
 - (١٠) الدر المنثور: ٢٤٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.
 - (١١) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢١.

عن شيبان النحوي: " {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة} قال: لم يفسرها قتادة" (٢).

قوله تعالى: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر : ٦٧]، أي: "تنزهه وتعظيم سبحانه وتعالى عما يشرك به هؤلاء المشركون" (٣).

عن ميمون بن مهران: {سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من سوء" (٤).
عن الحسن قال: " {سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه" (٥).

القرآن

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} { (٦٨) [الزمر : ٦٨]

التفسير:

وَنُفِخَ فِي «القرن» فمات كلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ عَدَمَ مَوْتِهِ، ثُمَّ نَفَخَ الْمَلَكُ فِيهِ نَفْخَةً ثَانِيَةً مُؤَدِّنًا بِأَحْيَاءَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ لِلْحِسَابِ أَمَامَ رَبِّهِمْ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ مِنْ قُبُورِهِمْ يَنْظُرُونَ مَاذَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ؟
قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [الزمر : ٦٨]، أي: "وَنُفِخَ فِي «القرن» فمات كلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ عَدَمَ مَوْتِهِ" (٦).
عن السدي: " {فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ}، قال: مات" (٧).
وفي «الصور» قولان:

أحدهما: أنه قرن، ينفخ فيه نفختان : إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض ، والثانية لنشر كل مَيِّتٍ (٨).
عن مجاهد، قوله: " {ونفخ في الصور}، قال: كهيئة البوق" (٩).
عن مجاهد، " {الصور}، البوق" (١٠).

وعن مجاهد، قال: " هو القرن، صاحبه أخذ به، فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف القرن، بين طرفيه، وبين قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعيا على قدمي عقبه تحت فخذيه وإليته وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب" (١١).

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذ سئل عن الصور : " هو قرن يُنفخ فيه" (١٢).

(١) تفسير عبدالرزاق (٢٦٣٩): ص ١٣٤/٣.

(٢) الدر المنثور: ٢٤٨/٧، وعزاه إلى البيهقي في "الأسماء والصفات".

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٤): ص ٨١/١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٥): ص ٨١/١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١١/٤٦٢ وما بعدها، وزاد المسير: ٤٤/٢-٤٥.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٣): ص ٢٩٢٩/٩.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٥): ص ٢٩٢٩/٩.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٦): ص ٢٩٢٩/٩.

(١٢) حسن صحيح. أخرجه أبو داود ٤٧٤٢ والترمذي ٢٤٣٠ و ٣٢٤٤ والنسائي في «الكبرى» ١١٣١٢ و ١١٣٨١ و ١١٤٥٦ وأحمد ١٦٢/٢ و ١٩٢ والدارمي ٣٢٥/٢ وابن حبان ٧٣١٢ والحاكم ٤٣٦/٢ و ٥٠٦ و ٥٦٠/٤ وأبو نعيم في «الحلية» ٢٤٣/٧ والمزي في «تهذيب الكمال» ١٣٠/٤ وابن المبارك في «الزهد» ١٥٩٩.

ورواه الحاكم في المستدرک ٤ : ٥٦٠ ، وقال : " حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي . وحسنه الترمذي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، و " القرن " ، البوق يتخذ من القرون ، ينفخ فيه .

قال يحيى: "وبلغني عن الشعبي أنه بلغه أن رجلا كان يقول: إن الله صورين، فقال: كذب، قال الله: {ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى} [الزمر: ٦٨] إنما هو صور واحد"^(١).

والثاني: أن {الصور}، جمع: «صورة»، يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء والمراد نفخ الأرواح في صور الناس، وهذا قول قتادة^(٢)، ومنه قول النابغة^(٣):
ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب
عن قتادة، قوله: "{ونفخ في الصور}، أي: في الخلق"^(٤).

قال ابن قتيبة: "السورة في هذا البيت سورة المجد. وهي مستعارة من سورة البناء"^(٥).
الأجود أن يكون {الصور}: القرن، وظاهر القرآن يشهد أنه ينفخ في الصور مرتين^(٦).
وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصور قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع. والثانية: نفخة الصعق. والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين»^(٧).
واختلف أهل التفسير في الذي عنى الله بالاستثناء في هذه الآية، على أقوال:
أحدها: عنى به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وملك الموت يقبض أرواحهم بعد ذلك. قاله السدي^(٨)، وكعب^(٩)، ورواه أنس عن النبي-صلى الله عليه وسلم-^(١٠).

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٥٧١/٢.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٦٦٢٤): ص ٢٩٢٩/٩.

(٣) ديوانه: ١٧، واللسان: ٥٣/٦، ومجاز القرآن: ٤، وتفسير الطبري: ١٠٥/١، وتفسير القرطبي: ٦٥/١ والإتقان: ٨٩/١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٤): ص ٢٩٢٩/٩.

(٥) غريب القرآن: ٣٤.

(٦) زاد المسير: ٤٥/٢.

(٧) هو بعض حديث الصور المطول. أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦، وأبو الشيخ في «العظمة» ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠، والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩، والطبري ٣٣٠/٢ و ٣٣١ و ١١٠/١٧ و ٢٤/٣٠ و ٦١ و ٢٦/٣٠ و ٣٢ و إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» ٢٩٩١ من طرق عن إسماعيل بن رافع، وهو واه، فرواه تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن يزيد ابن أبي زيادة عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأيا كان فمداره على إسماعيل بن رافع، ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واه. جاء في الميزان ٨٧٢: ضعفة أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عدي: أحاديث كلها فيها نظر اهـ.

باختصار. وقد اضطرب فيه كما سبق. وقد نص الحفاظ على وهن هذا الحديث بطوله فقال الحافظ في «المطالب العالية» ٢٩٩١: فيه ضعف ا. هـ. وقال البوصيري، في ٢١/١: تابعه مجهول. وجاء في الفتح ١١/٣٦٨-٣٦٩ عقب حديث ٦٥١٨ ما ملخصه: وأخرجه عبد بن حميد وأبي يعلى في «الكبير» وعلي بن معبد في «الطاعة والمعصية» ومداره على إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه، وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء في «تفسيره» عن محمد بن عجلان عن محمد القرظي واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه، ولعله سرقه من إسماعيل فلزقه بابن عجلان وقد قال الدارقطني: يضع الحديث. وقد قال الحافظ ابن كثير: جمعه إسماعيل بن رافع من عدة آثار فساقه كله مساقا واحدا ا. هـ. وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع القاضي أبو بكر بن العربي في «سراجه» وتبعه القرطبي في «التذكرة» وقول عبد الحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي اهـ كلام الحافظ، وتكلم عليه أيضا ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ٢/٢٢٣ و ٢٢٤.

وخلاصة القول: أنه حديث ضعيف بهذا التمام، وبعض ألفاظه في الصحيحين وغيرهما وبعضه في الكتاب المعتمدة وبعضه الآخر منكر لا يتابع عليه انظر «تفسير ابن كثير» ١٩٠/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٠/٢١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٢١٦): ص ٣٠٢٨/٩.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢١-٣٣١.

روي عن عيسى المدني، قال: سمعت علي بن الحسين، سأل كعب الأخبار، عن قوله: "فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله"، من الذين استثنى؟ قال: هم ثلاثة عشر، جبريل وميكائيل، وإسرافيل، وحملة العرش الثمانية، وملك الموت، ورب العزة، فيأمر ملك الموت فيقبض فلانا وفلانا وحملة العرش حتى لا يبقى غيره، فيقول رب العزة، مت يا ملك الموت فيموت، فذلك قوله: {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}، وذلك قوله: {كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون} (١).

عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله}، فقيل: من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله؟ قال: "جبرائيل وميكائيل، وملك الموت، فإذا قبض أرواح الخلائق قال: يا ملك الموت من بقي؟ وهو أعلم، قال: يقول: سبحانك تباركت ربي ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وميكائيل وملك الموت، قال: يقول يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل، قال: فيقع كالطود العظيم، قال: ثم يقول: يا ملك الموت من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي يا ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وملك الموت، قال: فيقول: يا ملك الموت مت، قال: فيموت، قال: ثم يقول: يا جبريل من بقي؟ قال: فيقول جبريل: سبحانك ربي يا ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل، وهو من الله بالمكان الذي هو به، قال: فيقول يا جبريل لا بد من موتة، قال: فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، أنت الباقي وجبريل الميت الفاني: قال: ويأخذ روحه في الحلقة التي خلق منها، قال: فيقع على ميكائيل أن فضل خلقه على خلق ميكائيل كفضل الطود العظيم على الضرب من الطراب" (٢).

الثاني: انهم الشهداء. قاله سعيد بن جبير (٣)، وفتادة في رواية (٤)، ورواه ابو هريرة مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم (٥).

قال سعيد: "الشهداء ثنية الله حول العرش، متقلدين السيوف" (٦).

قال فتادة: "هم الشهداء ثنية الله حول العرش متقلدي السيوف" (٧).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: "سألت جبريل، عليه السلام، عن هذه الآية: { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ } من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء، مقلدون أسيافهم حول عرشه، تتلقاهم ملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير، مدّ خطاها مد أبصار الرجال، يسرون في الجنة يقولون عند طول النزهة: انطلقوا بنا إلى ربنا، عز وجل، لننظر كيف يقضي بين خلقه، يضحك إليهم إلهي، وإذا ضحك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه" (٨).

الثالث: أن قوله: {إلا من شاء الله}، هم رضوان، والحرور، ومالك، والزبانية. قاله الضحاك (٩).

الرابع: عنى بالاستثناء في الفزع: الشهداء، وفي الصعق: جبريل، وملك الموت، وحملة العرش. رواه محمد بن كعب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٢١٦) :ص ٣٠٢٨/٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢١-٣٣١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢١.

(٤) تفسير عبدالرزاق (٢٦٤٥) :ص ١٥٣/٣/٣.

(٥) كما سيأتي تخريجه.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢١.

(٧) تفسير عبدالرزاق (٢٦٤٥) :ص ١٥٣/٣/٣.

(٨) رواه ابو يعلى كما في تفسير ابن كثير: ١١٧/٧، ورواه الحاكم في المستدرک (٢٥٣/٢) من طريق أبي أسامة عن عمر

بن محمد عن زيد بن أسلم بنحوه، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

(٩) تفسير البغوي ٦/ ١٨٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢١-٣٣٢.

عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ينفخ في الصور ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين تبارك وتعالى، يأمر الله إسرأفيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، فتفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله"، قال أبو هريرة: يا رسول الله، فمن استثنى حين يقول: {ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله} قال: "أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم، ثم يأمر الله إسرأفيل بنفخة الصعق، فيقول: انفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خامدون، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار تبارك وتعالى فيقول: يا رب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت، فيقول له وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقي حملة عرشك، وبقي جبريل وميكائيل، فيقول الله له: اسكت إنني كتبت الموت على من كان تحت عرشي، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقي حملة عرشك، وبقيت أنا، فيقول الله: فليمت حملة العرش، فيموتون، ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور. فيقول: أي رب قد مات حملة عرشك، فيقول: من بقي؟ وهو أعلم، فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت أنا، فيقول الله: أنت من خلقي خلقتك لما رأيت، فمت لا تحيي، فيموت" (١).

روي عن قتادة: "فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله" قال: «إنه استثنى وما يبقى أحد، إلا قد مات وقد استثنى الله والله أعلم، بثنياه» (٢).

وعن الحسن، قال: "استثنى الله طوائف من أهل السماء يموتون بين النفختين" (٣).

قوله تعالى: {ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: ٦٨]، أي: "ثم نفخ الملك فيه نفخة ثانية مؤدنا بإحياء جميع الخلائق للحساب أمام ربهم، فإذا هم قيام من قبورهم ينظرون ماذا يفعل الله بهم" (٤).
عن عكرمة في قوله: "فصعق من في السموات ومن في الأرض"، ... الآية، قال: الأولى من الدنيا، والأخيرة من الآخرة" (٥).

عن السدي: "فإذا هم قيام ينظرون"، قال: حين يبعثون" (٦).

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بين النفختين أربعون". قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوما؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، ويبيلى كل شيء من الإنسان إلا عَجْبُ ذنبه فيه يركب الخلق" (٧).

عن ابن المسيب في قوله تعالى: "ففرع من في السموات، ومن في الأرض إلا من شاء الله"، قال: بلغني أن مسلما ويهوديا تدارعا في أمر، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا على البشر، لقد كان كذا وكذا، فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على البشر لقد كان كذا وكذا، فصكه المسلم، فأتى اليهودي النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى متعلقا بالعرش فلا أدري أبعث قبلي أم كان ممن استثنى الله؟» (٨).

(١) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢١-٣٣٢.

(٢) تفسير عبدالرزق (٢٦٤٣): ١٣٥/٣.

(٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٦٩/٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢١.

(٧) صحيح البخاري برقم (٤٨١٤).

(٨) تفسير عبدالرزق (٢١٨٠): ص ٤٨٤/٢.

القرآن

{وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [الزمر : ٦٩]}

التفسير:

وأضاءت الأرض يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء، ونشرت الملائكة صحيفة كل فرد، وجيء بالنبيين والشهود على الأمم؛ ليسأل الله النبيين عن التبليغ و عما أجابتهم به أممهم، كما تأتي أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لتشهد بتبليغ الرسل السابقين لأممهم إذا أنكرت هذا التبليغ، فنقوم الحجة على الأمم، وقضى رب العالمين بين العباد بالعدل التام، وهم لا يُظلمون شيئاً بنقص ثواب أو زيادة عقاب. قوله تعالى: {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} [الزمر : ٦٩]، أي: "وأضاءت الأرض يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء"^(١).

عن السدي: "وأشرفت الأرض بنور ربها"، قال: أضاءت"^(٢).

قال قتادة: "فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه"^(٣).

عن قتادة، قوله: "وأشرفت الأرض بنور ربها"، قال: "فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه"^(٤).

قوله تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ} [الزمر : ٦٩]، أي: "ونشرت الملائكة صحيفة كل فرد"^(٥).

قال قتادة: "كتب أعمالهم"^(٦).

وقال السدي: "الحساب"^(٧).

قوله تعالى: {وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ} [الزمر : ٦٩]، أي: "وجيء بالنبيين والشهود على الأمم"^(٨).

عن قتادة: "وجيء بالنبيين والشهداء" قال: الذين استشهدوا"^(٩).

وعن السدي: "وجيء بالنبيين والشهداء" قال: الذين استشهدوا في طاعة الله"^(١٠).

قوله تعالى: {وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الزمر : ٦٩]، أي: "وقضى رب العالمين بين العباد بالعدل التام، وهم لا يُظلمون شيئاً بنقص ثواب أو زيادة عقاب"^(١١).

القرآن

{وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءَ عَمَلِهَا وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)} [الزمر : ٧٠]

التفسير:

ووفى الله كل نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية.

(١) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢١.

(٣) الدر المنثور: ٢٦٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٩) الدر المنثور: ٢٦٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٦٦.

قوله تعالى: {وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ} [الزمر : ٧٠]، أي: "وهو سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية"^(١).
قال عطاء: "وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ"، يريد: أني عالم بأفعالهم، لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد"^(٢).

القرآن

{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ (٧١)} [الزمر : ٧١]

التفسير:

وسيق الذين كفروا بالله ورسله إلى جهنم جماعات، حتى إذا جاؤوها فتح الخزنة الموكّلون بها أبوابها السبعة، وزجروهم قائلين: كيف تعصون الله وتجدون أنه الإله الحق وحده؟ ألم يرسل إليكم رسلا منكم يتلون عليكم آيات ربكم، ويحذرونكم أهوال هذا اليوم؟ قالوا مقرين بذنبهم: بلى قد جاءت رسل ربنا بالحق، وحذرونا هذا اليوم، ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به.

قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا} [الزمر : ٧١]، أي: "وسيق الذين كفروا بالله ورسله إلى جهنم جماعات"^(٣).
عن قتادة قوله: "زمرًا"، قال: جماعات"^(٤).

قوله تعالى: {قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ} [الزمر : ٧١]، أي: "قالوا مقرين بذنبهم: بلى قد جاءت رسل ربنا بالحق، وحذرونا هذا اليوم، ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به"^(٥).

عن قتادة، قوله: "ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين"، بأعمالهم"^(٦).

القرآن

{قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)} [الزمر : ٧٢]

التفسير:

قيل للجاحدين أن الله هو الإله الحق إهانة لهم وإذلالاً: ادخلوا أبواب جهنم ماكثين فيها أبداً، ففتح مصير المتعاليين على الإيمان بالله والعمل بشرعه.

قوله تعالى: {قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} [الزمر : ٧٢]، أي: "قيل للجاحدين أن الله هو الإله الحق إهانة لهم وإذلالاً: ادخلوا أبواب جهنم ماكثين فيها أبداً"^(٧).
عن سعيد بن جبیر: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"^(٨).

القرآن

(١) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٢) تفسير البغوي ٧/ ١٣٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٥٩): ص ٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠): ص ١٨٣٣/٦.

{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)} [الزمر : ٧٣]

التفسير:

وسيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات، حتى إذا جاؤوها وشُفِع لهم بدخولها، فتحت أبوابها، فترحَّب بهم الملائكة الموكِّلون بالجنة، ويُحيُّونهم بالبشر والسرور؛ لطهارتهم من آثار المعاصي قائلين لهم: سلام عليكم، وسلمتم من كل آفة، طابت أحوالكم، فادخلوا الجنة خالدين فيها.

قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا} [الزمر : ٧٣]، أي: "وسيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات"^(١).

عن قتادة قوله: "زمرًا"، قال: جماعات"^(٢).

قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر : ٧٣]، أي: "حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها"^(٣).

عن الحسن البصري -من طريق خليد- وذكر أبواب الجنة، فقال: "أبواب يُرى ظاهرها من باطنها، فتكلم وتكلم، فتفهمهم: انفتحي، انغلقي. فتفعل"^(٤).

عن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة"^(٥).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. قال: يقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك»^(٦).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون فيها، ولا يتغوطون فيها. أنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن. لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشياً»^(٧).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دُرِّي في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يثقلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعًا في السماء"^(٨).

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يدخل الجنة من أمتي زمرة، هم سبعون ألفًا، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر". فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله، أن يجعلني منهم: فقال: "اللهم اجعله منهم". ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال صلى الله عليه وسلم: "سبقك بها عكاشة"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢١.

(٣) صفوة التفاسير: ٨١/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٢١/١٨.

(٥) صحيح مسلم برقم (١٩٦): ص ١٨٨/١.

(٦) المسند (٣١٦/٢) وصحيح مسلم برقم (١٩٧).

(٧) المسند (٣١٦/٢) وصحيح البخاري برقم (٣٢٢٥) وصحيح مسلم برقم (٢٨٣٤).

(٨) مسند أبي يعلى (٤٧٠/١٠)، وأخرجه الشيخان من حديث جرير، انظر: صحيح البخاري برقم (٣٣٢٧) وصحيح مسلم برقم (٢٨٣٤).

(٩) صحيح البخاري برقم (٦٥٤٢) وصحيح مسلم برقم (٢١٥).

عن سهل بن سعد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا - أو : سبعمئة ألف - أخذ بعضهم ببعض ، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر" (١).

عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "وعدني ربي ، عز وجل ، أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا ، مع كل ألف سبعون ألفا ، ولا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل" (٢).

عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله ، دعي من أبواب الجنة ، وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان" فقال أبو بكر ، رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ، ما على أحد من ضرورة دُعي ، من أيها دعي ، فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : "نعم ، وأرجو أن تكون منهم" (٣).

عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو : فيسبغ الوضوء - ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء" (٤).

عن معاذ ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مفتاح الجنة : لا إله إلا الله" (٥).

قوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر : ٧٣]، أي: "فترحب بهم الملائكة الموكلون بالجنة، ويحيئونهم بالبشر والسرور؛ لطهارتهم من آثار المعاصي قائلين لهم: سلام عليكم، وسلمتم من كل آفة، طابت أحوالكم، فادخلوا الجنة خالدين فيها" (٦).

عن مجاهد: "طبتكم"، قال: كنتم طيبين في طاعة الله" (٧).
قال قتادة: "إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص بعضهم من بعض، حتى إذا هذبوا وطيبوا أدخلوا الجنة، فقال لهم رضوان وأصحابه: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}" (٨).

عن سعيد بن جبیر: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون" (٩).
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: "حتى إذا انتهوا إلى بابها، إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان، فعمدوا إلى إحداهما، فشربوا منها كأنما أمروا بها، فخرج ما في بطونهم من قدر أو أذى أو قذى، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتوضؤوا منها كأنما أمروا به، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث رعوسهم بعدها أبدا ولن تبلى ثيابهم بعدها، ثم دخلوا الجنة، فتلقتهم الولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون، فيقولون: أبشر، أعد الله لك كذا، وأعد لك كذا وكذا، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه جنود اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأخضر، يتلأل كأنه

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٥٤) وصحيح مسلم برقم (٢١٩).

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٤٧١/١١) ورواه الترمذي في السنن برقم (٢٤٣٧) من طريق إسماعيل بن عياش به ، وقال : "هذا حديث حسن غريب".

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٦/١٧ ، ١٢٧)، عن عتبة بن عبد السلمي : "ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفا".

(٣) المسند (٢٦٨/٢) وصح البخاري برقم (٣٦٦٦) وصحيح مسلم برقم (١٠٢٧).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٣٤).

(٥) رواه الحسن بن عرفة كما في تفسير ابن كثير: ١٢٢/٧، ورواه أحمد في مسنده (٢٤٢/٥) من طريق إسماعيل بن عياش به ، وشهر بن حوشب فيه كلام ولم يسمع من معاذ.

(٦) صفوة التفسير: ٨٢/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢١.

(٨) تفسير الثعلبي ٢٥٨ / ٨ ، وتفسير البغوي ١٣٣ / ٧.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٥٩): ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠): ص١٨٣٣/٦.

البرق، فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره لذهب، ثم يأتي بعضهم إلى بعض أزواجه، فيقول: أبشري قد قدم فلان بن فلان، فيسميه باسمه واسم أبيه، فتقول: أنت رأيته، أنت رأيته! فيستخفها الفرح حتى تقوم، فتجلس على أسكفة بابها، فيدخل فيتكئ على سريره، ويقرأ هذه الآية: {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله} ... الآية^(١).

القرآن

{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا النَّارَ نَبَوًّا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤)}

[الزمر : ٧٤]

التفسير:

وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعدنا إياه على السنة رسله، وأورثنا أرض الجنة ننزل منها في أي مكان شئنا، فيعم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم. قوله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ} [الزمر : ٧٤]، أي: "وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعدنا إياه على السنة رسله"^(٢). قوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَا النَّارَ} [الزمر : ٧٤]، أي: "وأورثنا أرض الجنة"^(٣). عن قتادة، قوله: "وأورثنا الأرض"، قال: أرض الجنة"^(٤). وروي عن أبي العالية^(٥)، والسدي^(٦)، مثله.

عن قتادة، قال: دُكر لنا: أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن أرض الجنة. فقال: «هي بيضاء نقية»^(٧).

قال عكرمة: "أرض الجنة رخام من فضة"^(٨). قوله تعالى: {نَبَوًّا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [الزمر : ٧٤]، أي: "ننزل من الجنة في أي مكان شئنا، فيعم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم"^(٩). عن السدي: {نَبَوًّا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ}، قال: "ننزل منها حيث نشاء"^(١٠). عن أنس في قصة المعراج قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أدخلت الجنة، فإذا فيها جناز اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك"^(١١).

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة؟ فقال: "درمكة بيضاء مسك خالص: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدق»"^(١٢). عن مسلمة بن جعفر البجلي قال: سمعت أبا معاذ البصري يقول: "إن عليا، رضي الله عنه، كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يُسْتَقْبَلُونَ - أو: يُؤْتُونَ - بنوق لها أجنحة، وعليها رحال الذهب، شراك نعالهم

(١) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢١-٣٣٩.

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢١.

(٥) أخرجه هناد (١٥٩).

(٦) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢١.

(٧) الدر المنثور: ٢٦٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٨) الدر المنثور: ٢٦٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢١.

(١١) أخرجه مسلم (١٦٣): ص ١٤٨/١. فانظر: الحديث بطوله هناك.

(١٢) المنتخب برقم (٨٧٤) وصحيح مسلم برقم (٢٩٢٨).

نور يتلأل كل خطوة منها مد البصر ، فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عيان ، فيشربون من إحداهما فيُغسل ما في بطونهم من دنس ، ويغتسلون من الأخرى ، فلا تشعث أبقارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً ، وتجري عليهم نضرة النعيم ، فينتهون - أو : فيأتون - باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، فيضربون بالحلقة على الصفيحة ، فيسمع لها طنين يا علي ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل ، فتبعث فيمها فيفتح له ، فإذا رآه خرَّ له - قال مسلمة : أراه قال : ساجداً - فيقول : ارفع رأسك ، فإنما أنا قِيمك ، وكُلْتُ بأمرك. فيتبعه ويقفو أثره ، فتستخف الحوراء العجلة ، فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ، ثم تقول : أنت حبي ، وأنا حبك ، وأنا الخالدة التي لا أموت ، وأنا الناعمة التي لا أبأس ، وأنا الراضية التي لا أسخط ، وأنا المقيمة التي لا أظعن". فيدخل بيتاً من أسه إلى سقفه مائة ألف ذراع ، بناؤه على جندل اللؤلؤ ، طرائق أصفر وأخضر وأحمر ، ليس فيها طريقة تشاكل صاحبته ، في البيت سبعون سريراً ، على كل سرير سبعون حشية ، على كل حشية سبعون زوجة ، على كل زوجة سبعون حلة ، يرى مُح ساقها من باطن الحُل ، يقضي جماعها في مقدار ليلة من ليلالكم هذه. الأنهار من تحتهم تُطرد ، أنهار من ماء غير آسن - قال : صاف ، لا كدر فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - قال : لم يخرج من ضرور الماشية - وأنهار من خمر لذة للشاربين - قال : لم تعصرها الرجال بأقدامهم - وأنهار من عسل مصفى - قال : لم يخرج من بطون النحل. يستجني الثمار ، فإن شاء قائما ، وإن شاء قاعدا ، وإن شاء متكئا - ثم تلا { وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْوْفُهَا تَدْلِيلًا } [الإنسان : ١٤] - فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض - قال : وربما قال : أخضر. قال : - فترفع أجنحتها ، فيأكل من جنوبها ، أي الألوان شاء ، ثم يطير فيذهب ، فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم ، تلكم الجنة أورتتموها بما كنتم تعملون. ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت لأهل الأرض ، لأضاءت الشمس معها سواداً في نور"^(١).

القرآن

{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)} [الزمر : ٧٥]

التفسير:

وترى -أيها النبي- الملائكة محيطين بعرش الرحمن، ينزهون ربهم عن كل ما لا يليق به، وقضى الله سبحانه وتعالى بين الخلائق بالحق والعدل، فأسكن أهل الإيمان الجنة، وأهل الكفر النار، وقيل: الحمد لله رب العالمين على ما قضى به بين أهل الجنة وأهل النار، حمداً فضل وإحسان، وحمداً عدل وحكمة.

قوله تعالى: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} [الزمر : ٧٥]، أي: "وترى -أيها النبي- الملائكة محيطين بعرش الرحمن، ينزهون ربهم عن كل ما لا يليق به"^(٢).

عن قتادة، قوله: "وترى الملائكة حافين من حول العرش": محققين"^(٣).

وقال عطاء: "مديرين"^(٤).

قال السدي: "محققين حول العرش، قال: العرش: السرير"^(٥).

قوله تعالى: {وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزمر : ٧٥]، أي: "وقضى الله سبحانه وتعالى بين الخلائق بالحق والعدل، وقيل: الحمد لله رب العالمين على ما قضى به بين أهل الجنة وأهل النار، حمداً فضل وإحسان، وحمداً عدل وحكمة"^(١).

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٢٤/٧-١٢٥، وقال ابن كثير: "هذا حديث غريب ، وكأنه مرسل ، والله أعلم".

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢١.

(٤) الدر المنثور: ٢٦٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢١.

قال قتادة: "فتح أول الخلق بالحمد لله، فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد، فقال: {وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين}"^(٢).

عن كعب الأحبار -من طريق أبي قبيل- قال: "جبل الخليل والطور والجودي، يكون كل واحد منهم يوم القيامة لؤلؤة بيضاء تضيء ما بين السماء والأرض، يرجع إلى بيت المقدس، حتى يُجعلن في زواياه، ويضع عليها كرسيه حتى يقضي بين أهل الجنة والنار، و {الملائكة حاقين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق}"^(٣).

«آخر تفسير سورة (الزمر)، والحمد لله وحده»

(١) التفسير الميسر: ٤٦٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٤٤/٢١.
(٣) أخرجه ابن عساکر ٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «غافر»

سورة «غافر»: هي السورة «الأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الزمر»، وقبل «سورة فصلت»، وهي أول سور «آل حم» نزولاً^(١).

وعدد آياتها خمس وثمانون في عد الكوفة والشام، وأربع في الحجاز، واثنان في البصرة. وكلماتها ألف ومائة وتسع وتسعون. وحروفها أربعة آلاف وتسعمائة وستون^(٢).

والآيات المختلف فيها تسع: {حم (١)} [غافر : ١]، {كَاظِمِينَ} [غافر : ١٨]، {الَّتَالِقُ} [غافر : ١٥]، {بَارِزُونَ} [غافر : ١٦]، {إِسْرَائِيلَ} [غافر : ٥٣]، {فِي الْحَمِيمِ} [غافر : ٧٢]، {وَالْبَصِيرُ} [غافر : ٥٨]، {يُسْحَبُونَ} [غافر : ٧١]، {كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ} [غافر : ٧٣]. ومجموع فواصل آياتها: «من علق وتر»^(٣).

■ مكان نزول السورة:

اختلف أهل العلم في مكان نزول السورة على أقوال: أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس^(٤)، ومسروق^(٥)، وسمرة بن جندب^(٦)، والحسن^(٧)، وعطاء^(٨)، وعكرمة^(٩)، وجابر^(١٠).

قال ابن عباس: "أنزلت الحواميم السبع بمكة"^(١١).

قال الشعبي: "أخبرني مسروق أن آل حم، إنما نزلت بمكة"^(١٢).

قال سمرة بن جندب: "نزلت الحواميم جميعا بمكة"^(١٣).

الثاني: أنها مكية، إلا قوله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} [غافر : ٥٥]... الآية، لأن الصلوات نزلت بالمدينة. قاله الحسن^(١٤).

الثالث: أنها مكية، إلا قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ} [غافر : ٥٦]. وهذا قول أبي العالبة^(١٥).

عن أبي العالبة، قال: "إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان، ويكون من أمره فعظموا أمره، وقالوا: يصنع كذا... فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٧٦/٢٤.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٠٩ / ١.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والنحاس والبيهقي في الدلائل.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٢.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه والديلمي.

(٧) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(٨) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(٩) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه ابن الضريس والنحاس والبيهقي في الدلائل.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢١.

(١٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه والديلمي.

(١٤) انظر: الكشف: ١٤٨/٤.

(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٨٤٤٠): ص ٣٢٦٨/١٠.

بَعِيرٍ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ}، قال: لا يبلغ الذي يقول فاستعذ بالله فأمر نبيه- صلى الله عليه وسلم- أن يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس الدجال"^(١).
الرابع: أنها مكية إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ آلِ} [غافر : ٥٦] والتي بعدها. قاله ابن عباس-أيضا-^(٢)، وقتادة^(٣).

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"^(٤).
قال ابن عطية: "هذه السورة مكية بإجماع، وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية، وهذا ضعيف، والأول أصح"^(٥).

قال ابن عاشور: "هي مكية بالاتفاق وعن الحسن استثناء قوله تعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [غافر : ٥٥]، لأنه كان يرى أنها نزلت في فرض الصلوات الخمس وأوقاتها، ويرى أن فرض صلوات خمس وأوقاتها ما وقع إلا في المدينة وإنما كان المفروض بمكة ركعتين كل يوم من غير توقيت، وهو من بناء ضعيف على ضعيف فإن الجمهور على أن الصلوات الخمس فرضت بمكة في أوقاتها على أنه لا يتعين أن يكون المراد بالتسبيح في تلك الآية الصلوات بل يحمل على ظاهر لفظه من كل قول ينزه به الله تعالى"^(٦).

وقال ابن عاشور: "وأشد منه ما روي عن أبي العالية أن قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ}[غافر : ٥٦]، نزلت في يهود من المدينة جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الدجال وزعموا أنه منهم. وقد جاء في أول السورة {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} [غافر : ٤]. والمراد بهم: المشركون"^(٧).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٤٠):ص٣٢٦٨/١٠.

(٢) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٠٩/١.

(٥) المحرر الوجيز: ٥٤٥/٤.

(٦) المحرر الوجيز: ٧٥/٢٤.

(٧) المحرر الوجيز: ٧٦-٧٥/٢٤.

القرآن

{حم (١)} [غافر : ١]

التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة. وقد اختلف أهل التفسير في معنى قوله: {حم (١)} [غافر : ١]، على أقوال: أحدها : أنه حرف هجاء من أسماء الله تعالى ، قاله السدي^(١). قال السدي: "{حم} من حروف أسماء الله"^(٢). عن سالم بن عبد الله، قال: "{الم}، و{حم}، و{ن}، ونحوها، اسم الله مقطعة"^(٣). الثاني : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة^(٤). الثالث : هو محمد -صلى الله عليه وسلم-، قاله جعفر بن محمد^(٥). الرابع : أنه فواتح الله تعالى بها القرآن ، قاله مجاهد^(٦). وقد تقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة في أول البقرة، وقد زادوا في حاميم أقوالا هنا، وهي مروية عن السلف، غنينا التفصيل فيها، لاضطرابها وعدم الدليل على صحة شيء منها^(٧).

القرآن

{تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٢)} [غافر : ٢]

التفسير:

تنزيل القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله -عزَّ وجل- العزيز الذي قهر بعزته كل مخلوق، العليم بكل شيء. قال أبو العالية: "{عزيز} في نعمته إذا انتقم"^(٨). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(٩). قال محمد بن إسحاق: "{عليم}، أي: عليم بما يخفون"^(١٠). قال سعيد بن جبير: "{عليم} يعني: عالما بها"^(١١).

القرآن

{غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير (٣)} [غافر : ٣]

التفسير:

غافر الذنب للمذنبين، وقابل التوب من التائبين، شديد العقاب على من تجرأ على الذنوب، ولم يتب منها، وهو سبحانه وتعالى صاحب الإنعام والتفضل على عباده الطائعين، لا معبود تصلح العبادة له سواه، إليه مصير جميع الخلائق يوم الحساب، فيجازي كلا بما يستحق.

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١، و الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١، و الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧١٢٢):ص٣٠٢٩/٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٥) انظر: النكت والعيون: ١٤١/٥.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦، و(١٠٦٣٤):ص١٩٩٤/٦، و(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩.

(٧) البحر المحيط: ٢٣٢/٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٤٨):ص٨٩٠/٣.

قوله تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} [غافر : ٣]، أي: " غافر الذنب للمذنبين، وقابل التوب من التائبين" (١).

قال الحسن: " {غَافِرِ الذَّنْبِ} لِمَن لَمْ يَتْب، {وقَابِلِ التَّوْبِ} مِمَّنْ تَاب" (٢).
قوله تعالى: {شَدِيدِ الْعِقَابِ} [غافر : ٣]، أي: " شديد العقاب على من تجرأ على الذنوب، ولم يتب منها" (٣).

عن علي بن زيد، قال: "تلا مطرف هذه الآية: {شديد العقاب}، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله، ونقمة الله، وبأس الله، ونكال الله، لما رقأ لهم دمع، وما قرت أعينهم بشيء" (٤).

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع في الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من الجنة أحد، خلق الله مائة رحمة، فوضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون بها، وعند الله تسعة وتسعون رحمة" (٥).

قوله تعالى: {ذِي الطُّوْلِ} [غافر : ٣]، أي: " وهو سبحانه وتعالى صاحب الإنعام والتفضل على عباده الطائعين" (٦).

عن مجاهد، قوله: " {ذِي الطُّوْلِ} : الغنى" (٧). وفي رواية: " ذي إنعام" (٨).

قال قتادة: " أي: ذي النعم" (٩).

قال الضحاك: " ذي المَن" (١٠).

قال الحسن: " ذي الفضل" (١١).

قوله تعالى: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرُ} [غافر : ٣]، أي: " لا معبود تصلح العبادة له سواه، إليه مصير جميع الخلائق يوم الحساب، فيجازي كلا بما يستحق" (١٢).

عن كعب قال: " لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص" (١٣).

قال محمد بن إسحاق: " لا إله إلا الله، أي: ليس معه غيره شريك في أمره" (١٤).

قال أبو بكر بن عياش : سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال : يا أمير المؤمنين إني قتلْتُ ، فهل لي من توبة ؟ فقرأ عليه { حم. تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ } وقال : اعمل ولا تيأس" (١٥).

(١) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٧٩).

(٣) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥): ص ٣٤٥/١.

(٥) أخرجه احمد (٨٤١٥): ص ١٣٩/١٤، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٤٩٧، وأخرج الشطر الأول منه -وهو إلى قوله: " ما قنط من الجنة أحد"- الترمذي (٣٥٤٢) ، وابن حبان (٣٤٥). قال الترمذي: هذا حديث حسن. وأخرج الشطر الثاني منه مسلم (٢٧٥٢) (١٨) ، وأبو يعلى (٦٥٠٩)، والترمذي (٣٥٤١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٥١/٢١.

(٨) تفسير مجاهد ص ٥٨٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٥١/٢١.

(١٠) تفسير الثعلبي ٨ / ٢٦٤.

(١١) تفسير الثعلبي ٨ / ٢٦٤، وتفسير البغوي ٦ / ١٣٨.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٣١٢٣): ص ٥٨٥/٢.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٧٣٦): ص ٥٧٣٣/٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٣٥٠/٢١، وابن أبي حاتم (١٨٤١٥): ص ٣٢٦٣/١٠.

قال ثابت البناني: "كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة ، فدخلت حائطاً أصلي ركعتين فافتتحت : {حم} المؤمن ، حتى بلغت : { لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ } فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مُقَطَّعات يمنية فقال : إذا قلت : { غَافِرِ الذَّنْبِ } فقل : "يا غافر الذنب ، اغفر لي ذنبي وإذا قلت : { وَقَابِلِ التَّوْبِ } ، فقل : "يا قائل التوب ، اقبل توبتي". وإذا قلت : { شَدِيدِ الْعِقَابِ } ، فقل : "يا شديد العقاب ، لا تعاقبني". قال : فالتفت فلم أر أحداً ، فخرجت إلى الباب فقلت : مرّ بكم رجل عليه مقطعات يمنية ؟ قالوا : ما رأينا أحداً فكانوا يُرَوْنَ أنه إلياس"^(١).

عن الحسن، قال: "بلغ عمر بن الخطاب عن رجل شيء كرهه، قال: فكتب إليه، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان: " أما بعد {حم} تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ { غافر: ٢ } الآية، فلما أتاه الكتاب، قال: {حم} تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ { غافر: ١ } ، أي: «العليم بما أصنع» ، { غَافِرِ الذَّنْبِ } { غافر: ٣ } أي: «إن استغفرت غفر لي» . { وَقَابِلِ التَّوْبِ } { غافر: ٣ } أي: «إن تبت تاب علي وقبل توبتي» ، { شَدِيدِ الْعِقَابِ } { غافر: ٣ } ، أي: «إن لم أفعل ليعاقبني» ، { ذِي الطَّوْلِ } { غافر: ٣ } أي: «ذي الأيادي والنعم علي» ، { لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ } { غافر: ٣ } أي: «إليه مصيري لا بد من الرجوع إليه» . قال: «فحسنت توبته» وقال: «صدق الله ونصح عمر»^(٢).

عن يزيد بن الأصم قال: "كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان يفد إلى عمر بن الخطاب ففقد عمر فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين يتابع في هذا الشراب قال: فدعا عمر كاتبه فقال: اكتب «من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير» ثم قال لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه، وأن يتوب الله عليه، فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرؤه ويردده ويقول غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قد حذرتني عقوبته ووعدني أن يغفر لي"^(٣).

القرآن

{مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)} { غافر : ٤ }

التفسير:

ما يخاصم في آيات القرآن وأدلته على وحدانية الله، ويقابلها بالباطل إلا الجاحدون الذين جحدوا أنه الإله الحق المستحق للعبادة وحده، فلا يغررك -أيها الرسول- ترددهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب، ونعيم الدنيا وزهرتها.

سبب النزول:

عن أبي مالك رضي الله عنه في قوله: "{مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا}"، ونزلت في الحراث بن قيس السلمي"^(٤).

قوله تعالى: "{فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ}" { غافر : ٤ } ، أي: " فلا يغررك -أيها الرسول- ترددهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب، ونعيم الدنيا وزهرتها"^(٥).

عن قتادة: "{فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ}" أسفارهم فيها، ومجيئهم وذهابهم"^(٦)، وفي رواية: إقبالهم، وإدبارهم، وتقلبهم في أسفارهم"^(٧). وفي رواية: "فسادهم فيها، وكفرهم"^(٨).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤١٧):ص٣٢٦٣/١٠.

(٢) تفسير مجاهد: ٥٨٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤١٦):ص٣٢٦٣/١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٢١):ص٣٢٦٤/١٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢١.

(٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦٥٢):١٣٩/٣.

وقرى: «فلا يغرّك»^(٢).

القرآن

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)} [غافر : ٥]

التفسير:

كذّبت قبل هؤلاء الكفار قوم نوح ومن تلاهم من الأمم التي أعلنت حربها على الرسل كعاد وشمود، حيث عزموا على إيذائهم وتجمّعوا عليهم بالتعذيب أو القتل، وهمّت كل أمة من هذه الأمم المكذبة برسولهم ليقتلوه، وخاصموا بالباطل؛ ليبطلوا بجدالهم الحق فعاقبتهم، فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق، وعظة لمن يأتي بعدهم؟

قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ} [غافر : ٥]، أي: "كذّب قبل كفار مكة أقوام كثيرون، منهم قوم نوح والأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم ولم يقبلوا ما جاءوا به من عند الله كقوم عاد وشمود وفرعون وأمثالهم"^(٣).

عن قتادة، قوله: "كذّبت قبّلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم"، قال: الكفار"^(٤).

عن قتادة: "والأحزاب من بعدهم" [غافر: ٥] قال: «من بعد قوم نوح، وعاد، وشمود وتلك القرون، كانوا أحزابا على الكفر»"^(٥).

قوله تعالى: {وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ} [غافر : ٥]، أي: "وهمت كل أمة من الأمم المكذبين أن يقتلوا رسولهم ويبطشوا به"^(٦).
قال قتادة: "أي: ليقتلوه"^(٧).

قوله تعالى: {وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر : ٥]، أي: "وخاصموا بالباطل؛ ليبطلوا بجدالهم الحق، فأهلكتهم إهلاكاً مريعاً، فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق، وعظة لمن يأتي بعدهم؟"^(٨).

عن قتادة، قوله: {فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}، قال: "شديد والله"^(٩).

عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "من أعان باطلا ليدحض بباطله حقاً، فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله"^(١٠).

القرآن

{وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)} [غافر : ٦]

التفسير:

(١) الدر المنثور: ٢٧٣/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) انظر: الكشاف: ١٥٠/٤.

(٣) صفوة التفسير: ٨٦/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢١.

(٥) تفسير عبدالرزاق (٢٦٥٣): ص ١٣٩/٣.

(٦) صفوة التفسير: ٨٦/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢١.

(١٠) المعجم الكبير (٢١٥/١١) ورواه الحاكم في المستدرک (١٠٠/٤) من طريق علي بن عبد العزيز به موقوفاً وقال: "صحيح الإسناد" وتعقبه الذهبي بقوله: "فيه حشش الرحبي وهو ضعيف".

وكما حق العقاب على الأمم السابقة التي كذبت رسلها، حق على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.
 قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} [غافر : ٦]، أي: "وكذلك وجبت كلمة العذاب على هؤلاء المكذبين من قومك، كما وجبت لمن سبقهم من الكفار"^(١).
 عن قتادة: "وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا"، قال: حق عليهم العذاب بأعمالهم"^(٢).
 قرأ الحسن وأبو عمرو: {وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ}، وقرأ والأعرج: «كَلِمَاتُ رَبِّكَ»"^(٣).
 قوله تعالى: {أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} [غافر : ٦]، أي: "لأنهم أهل النار"^(٤).
 عن أبي مالك، قوله: "أصحاب النار: يعذبون فيها"^(٥).

القرآن

{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧)} [غافر : ٧]
 التفسير:

الذين يحملون عرش الرحمن من الملائكة ومن حول العرش ممن يحف به منهم، ينزّهون الله عن كل نقص، ويحمّدونه بما هو أهل له، ويؤمنون به حق الإيمان، ويطلبون منه أن يعفو عن المؤمنين، قائلين: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً، فاغفر للذين تابوا من الشرك والمعاصي، وسلّكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه وهو الإسلام، وجبّهم عذاب النار وأهلها.

قوله تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ} [غافر : ٧]، أي: "الذين يحملون عرش الرحمن من الملائكة ومن حول العرش ممن يحف به منهم، ينزّهون الله عن كل نقص، ويحمّدونه بما هو أهل له، ويؤمنون به حق الإيمان"^(١).

قال مجاهد: "بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً من نور"^(٢).

قال عامر البكالي: «إن الله جزأ الملائكة والإنس، والجن عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء منهم الكروبيون، وهم الملائكة الذين يحملون العرش، وهم أيضاً الذين يسبحون الليل والنهار ولا يفترون»، قال: «ومن بقي من الملائكة لأمر الله ولوحي الله ولرسالات الله»، قال: «ثم جزأ الإنس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن، ولا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة، ثم جزأ الإنس عشرة أجزاء فتسعة منهم يأجوج، ومأجوج، وسائر الناس جزء واحد»"^(٣).

قوله تعالى: {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غافر : ٧]، أي: "ويطلبون منه أن يعفو عن المؤمنين"^(٤).
 قال الطبري: "يقول: ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقرّوا بمثل إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كلّ معبود سواه ذنوبهم، فيعفوها عنهم"^(٥).

عن قتادة، قوله: "وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا"، لأهل لا اله إلا الله"^(٦).

(١) صفوة التفاسير: ٨٦/٣-٨٧.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ١٧٨/٢. وانظر: الدر المنثور: ٢٧٣/٧، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد.

(٣) أخرجه إسحاق البستي: ص ٢٧٧.

و «كَلِمَاتُ» بالجمع قراءة متواترة، قرأ بها نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وقرأ بقية العشرة: {كَلِمَتُ} على الأفراد. انظر: الإتحاف ص ٤٨٤.

(٤) صفوة التفاسير: ٨٧/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٣٠): ص ٩٤/١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(٧) حكاة الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦٦/٨.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في التفسير (١٨٨٧): ص ٣٩٢/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢١.

قوله تعالى: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ} [غافر : ٧]، أي: "قائلين: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً، فاغفر للذين تابوا من الشرك والمعاصي، وسلخوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه وهو الإسلام"^(١).
عن قتاده: " {فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا} من الشرك"، " {وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ}، أي: طاعتك"^(٢).

القرآن

{رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [غافر : ٨]

التفسير:

ربنا وأدخل المؤمنين جنات عدن التي وعدتهم، ومن صلح بالإيمان والعمل الصالح من آبائهم وأزواجهم وأولادهم. إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم في تدبيره وصنعه.

قوله تعالى: {رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ} [غافر : ٨]، أي: "ربنا وأدخل المؤمنين جنات عدن التي وعدتهم"^(٣).

وفي "جَنَّاتِ عَدْنِ"، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن «عدن»: اسم قصر في الجنة، قاله الحسن^(٤).

وقد روي عن الحسن: "قصرٌ من ذهب، لا يدخله إلا نبي، أو صديق، أو شهيد، أو حكم عدل"^(٥).
الثاني: أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُلُ والأنبياء والشهداء، وأئمة الهدى، والناس حولهم بعدُ، والجنات حولها. قاله الضحاك^(٦).

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة، جناته على حافته. قاله عطاء^(٧).

قوله تعالى: {وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} [غافر : ٨]، أي: "وأدخل الصالحين من الآباء والأزواج والأولاد في جنات النعيم أيضاً ليتم سرورهم بهم"^(٨).

قال سعيد: "يدخل الرجل الجنة، فيقول: أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجتي، فيقال: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة؛ ثم قرأ: {جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ}"^(٩).

قوله تعالى: {إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [غافر : ٨]، أي: "إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم في تدبيره وصنعه"^(١٠).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"^(١١)، الحكيم: في عذره وحقته إلى عباده"^(١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٦٩٥٣): ص ١٤/٣٥٤.

(٦) أخرجه الطبري (١٦٩٥٣): ص ١٤/٣٥٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٦٩٥٧): ص ١٤/٣٥٥.

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٦٩٥٨): ص ١٤/٣٥٥.

(٩) صفوة التفسير: ٨٧/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤): ص ٥/١٦٦٤.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦): ص ٥/١٦٦٤.

قال أبو العالية: " {عزيز} في نعمته إذا انتقم"^(١). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك^(٢).
عن أبي العالية: " {حكيم}، قال: حكيم في أمره"^(٣).

القرآن

{وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)} [غافر : ٩]

التفسير:

واصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم، فلا تؤاخذهم بها، ومن تصرف عنه السيئات يوم الحساب فقد رحمته، وأنعمت عليه بالنجاة من عذابك، وذلك هو الظفر العظيم الذي لا فوز مثله.

قوله تعالى: {وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ} [غافر : ٩]، أي: "واصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم، فلا تؤاخذهم بها"^(٤).

عن قتادة: " {وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ}، أي: العذاب"^(٥).

قوله تعالى: {وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ} [غافر : ٩]، أي: "ومن تصرف عنه السيئات يوم الحساب فقد رحمته، وأنعمت عليه بالنجاة من عذابك"^(٦).

قوله تعالى: {وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [غافر : ٩]، أي: "وذلك هو الظفر العظيم الذي لا فوز مثله"^(٧).

قال سعيد بن جبیر: " يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"^(٨).

قال مطرف: " وجدنا أغشَّ عباد الله لعباد الله الشياطين، وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة. وتلا: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} ... الآية"^(٩).

روى الأعمش عن إبراهيم قال: "كان أصحاب عبد الله يقولون الملائكة خير من ابن الكواء، يستغفرون لمن في الأرض وابن الكواء يشهد عليهم بالكفر، وابن الكواء رجل من الخوارج، قال: وكانوا لا يحبون الاستغفار على أحد من أهل هذه القبلة"^(١٠).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠)} [غافر :

١٠]

التفسير:

إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وصرفوا العبادة لغيره عندما يعاينون أهوال النار بأنفسهم، يَمَقْتُونَ أنفسهم أشد المقت، وعند ذلك يناديهم خزنة جهنم: لمقت الله لكم في الدنيا -حين طلب منكم الإيمان به واتباع رسله، فأبئتم- أكبر من بغضكم لأنفسكم الآن، بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله وعذابه.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣): ص ١٦٦٤/٥.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢): ص ١٧٦٤/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦٠): ص ٨٩١/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢١-٣٥٨.

(١٠) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦٧/٨-٢٦٨.

عن السديّ قوله: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} في النار {إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ} في الدنيا، {فَتَكْفُرُونَ}"^(١).

قال قتادة: "يقول: لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا، فتركوه، وأبوا أن يقبلوا، أكبر مما مقتوا أنفسهم، حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة"^(٢).

قال مجاهد: "مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم، ومقت الله إياهم في الدنيا، إذ يدعون إلى الإيمان، فيكفرون أكبر"^(٣).

عن الحسن، قال: "مقتوا أنفسهم لما دخل المؤمنون الجنة وأدخلوا النار فأكلوا أناملهم من المقت قال: ينادون في النار {لمقت الله} إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون {أكبر من مقتكم أنفسكم} في النار"^(٤).

قال زر الهمداني: "هذا شيء يقال لهم يوم القيامة حين مقتوا أنفسهم فيقال لهم {لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم} قال: مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة حين مقتوا أنفسهم الآن حين علمتم أنكم من أصحاب النار"^(٥).

القرآن

{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) { [غافر : ١١] التفسير:

قال الكافرون: ربنا أمتنا مرتين: حين كنا في بطون أمهاتنا نطقاً قبل نفخ الروح، وحين انقضى أجلنا في الحياة الدنيا، وأحييتنا مرتين: في دار الدنيا، يوم ولدنا، ويوم بُعثنا من قبورنا، فنحن الآن نُقرُّ بأخطائنا السابقة، فهل لنا من طريق نخرج به من النار، وتعيدنا به إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟ ولكن هيهات أن ينفعهم هذا الاعتراف.

قوله تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} [غافر : ١١]، أي: "قال الكافرون: ربنا أمتنا مرتين: حين كنا في بطون أمهاتنا نطقاً قبل نفخ الروح، وحين انقضى أجلنا في الحياة الدنيا، وأحييتنا مرتين: في دار الدنيا، يوم ولدنا، ويوم بُعثنا من قبورنا"^(٦).

وفي قوله تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} [غافر : ١١]، وجوه: أحدها : أنه خلقهم أمواتاً في أصلاب آبائهم، ثم أحياهم بإخراجهم ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم ، ثم أحياهم للبعث ، فهما ميتتان إحداهما في أصلاب الرجال ، الثانية في الدنيا ، وحياتان : إحداهما في الدنيا والثانية في الآخرة ، قاله قتادة^(٧)، والضحاك^(٨)، وأبو مالك^(٩).

قال أبو مالك: "خلقتنا ولم تكن شيئاً ثم أمتنا، ثم أحييتنا"^(١٠).
وقال أبو مالك: "كانوا أمواتاً فأحياهم الله، ثم أماتهم، ثم أحياهم"^(١١).

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢١.

(٤) الدر المنثور: ٢٧٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥) الدر المنثور: ٢٧٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٦١/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢١.

قال قتادة: "كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان"^(١).

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {أَمَنَّا اثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا اثْنَيْنِ} هو قول الله: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}"^(٢).

الثاني: أن الله أحياهم حين خلقهم في الدنيا، ثم أماتهم فيها عند انقضاء أجالهم، ثم أحياهم في قبورهم للمساءلة، ثم أماتهم إلى وقت البعث. ثم أحياهم للبعث، قاله السدي^(٣).

والقول الأخير-ضعيف؛ لأنه يلزمه ثلاث إحياءات وإماتات. والصحيح هو القول الأول. والمقصود من هذا كله: أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله، عز وجل، في عرصات القيامة، كما قال: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: ١٢]، فلا يجابون. ثم إذا رأوا النار وعابنوها ووقفوا عليها، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة، فلا يجابون، قال الله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبَ بِآيَاتِ رَبَّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: ٢٧، ٢٨] فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسبها ومقامها وأغلالها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فاطر: ٣٧]، {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ. قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا} [المؤمنون: ١٠٧]، وفي هذه الآية الكريمة تطفوا في السؤال، وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة، وهي قولهم: {رَبَّنَا أَمَنَّا اثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا اثْنَيْنِ} أي: قدرتك عظيمة، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا، ثم أمتنا ثم أحييتنا، فأنت قادر على ما تشاء، وقد اعترفنا بذنوبنا، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا^(٤).

قوله تعالى: {فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ} [غافر: ١١]، أي: "فنحن الآن نُقرُّ بأخطائنا السابقة، فهل لنا من طريق نخرج به من النار، وتعيدنا به إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟"^(٥).
عن قتادة: {فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ}، قال: "فهل إلى كربة إلى الدنيا"^(٦).

القرآن

{ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)} [غافر: ١٢]
التفسير:

ذلكم العذاب الذي لكم -أيها الكافرون- بسبب أنكم كنتم إذا دُعيتم لتوحيد الله وإخلاص العمل له كفرتم به، وإن يُجعل لله شريك تُصدِّقوا به وتتبعوه. فالله سبحانه وتعالى هو الحاكم في خلقه، العادل الذي لا يجور، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء، لا إله إلا هو الذي له علو الذات والقدر والقهر، وله الكبرياء والعظمة.

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا} [غافر: ١٢]، أي: "ذلكم العذاب الذي لكم -أيها الكافرون- بسبب أنكم كنتم إذا دُعيتم لتوحيد الله وإخلاص العمل له كفرتم به، وإن دُعيتم إلى اللات والعزى وأمثالهما من الأصنام، آمنتم وصدقتم بألوهيتها"^(٧).

(١) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٦١/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٣٣/٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦٨.

عن محمد ابن كعب القرظي، قال: " لأهل النار خمس دعوات يكلمهم [...]، فإذا كانت الخامسة سكتوا، قالوا: {رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ}. قال: فراجعهم بهذه الآية: {ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ} إلى آخر الآية، ثم يقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: ١٢]. قال: فيردّ عليهم: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة: ١٣]، ثم يقول: {رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ} [إبراهيم: ٤٤]. قال: فراجعهم بهذه الآية: {أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} [إبراهيم: ٤٤]. ثم يقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [فاطر: ٣٧]. قال: فراجعهم فيقول: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ} [فاطر: ٣٧]. قال: ثم يقولون: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} [المؤمنون: ١٠٦]. قال: فراجعهم: {اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا} [المؤمنون: ١٠٨]. قال: فكان آخر كلامهم ذلك" (١).

قوله تعالى: {فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} [غافر: ١٢]، أي: "فالقضاء لله العلي على كل شيء، الكبير الذي كل شيء دونه متصاغرا له اليوم" (٢).
 عن قتادة: "فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ"، قال: قالت الحرورية: لا حكم إلا لله. فقال علي: كلمة حق غدّي بها الباطل. قال معمر: قال قتادة: والله، لقد اسُئِلَ بها الفرج الحرام، والمال الحرام، والدم الحرام، وعُصِيَ بها الرحمن" (٣).

القرآن

{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} {غافر: ١٣} التفسير:

هو الذي يُظهِر لكم -أيها الناس- قدرته بما تشاهدونه من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها، وَيُنَزِّلُ لكم من السماء مطراً تُرِزِقُونَ به، وما يتذكر بهذه الآيات إلا مَنْ يرجع إلى طاعة الله، ويخلص له العبادة.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ} [غافر: ١٣]، أي: "هو الذي يُظهِر لكم -أيها الناس- قدرته بما تشاهدونه من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها" (٤).
 عن ابن جريج: في قوله {ومن آياته}، قال: "كل شيء في القرآن آيات، بذلك تعرفون الله إنكم لن تروه فتعرفونه على رؤية ولكن تعرفون بآياته وخلقته" (٥).
 قوله تعالى: {وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} [غافر: ١٣]، أي: "وما يتذكر بهذه الآيات إلا مَنْ يرجع إلى طاعة الله، ويخلص له العبادة" (٦).
 عن السدي: " {إِلَّا مَنْ يُنِيبُ}، قال: من يقبل إلى طاعة الله" (٧).

القرآن

{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} {غافر: ١٤} التفسير:

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٣٤): ص ٢٢٨/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢١.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ١٧٩ / ٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٥) الدر المنثور: ٤٩٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢١.

فأخلصوا -أيها المؤمنون- لله وحده العبادة والدعاء، وخالفوا المشركين في مسلكهم، ولو أغضبهم ذلك، فلا تبالوا بهم.

قال أبو العالية: "أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له"^(١).

عن هشام يعني ابن عروة بن الزبير، عن أبي الزبير، قال: "كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، وله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون" قال: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلهل بهن دبر كل صلاة"^(٢).

وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عقب الصلوات المكتوبات: "لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون"^(٣).

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه"^(٤).

القرآن

{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥)} [غافر : ١٥]

التفسير:

إن الله هو العليُّ الأعلى الذي درجاته ارتفاعاً باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره، وهو صاحب العرش العظيم، ومن رحمته بعباده أن يرسل إليهم رسلاً يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به، فيكونون على بصيرة من أمرهم؛ لتخوف الرسل عباد الله، وتنذيرهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرين. قوله تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ} [غافر : ١٥]، أي: "إن الله هو العليُّ الأعلى الذي درجاته ارتفاعاً باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره"^(٥).

قال سعيد بن جبیر: "رفع السموات السبع"^(٦).

قوله تعالى: {ذُو الْعَرْشِ} [غافر : ١٥]، أي: "وهو صاحب العرش العظيم"^(٧).

عن أبي خالد، قال: "سمعت سعد الطائي، يقول: العرش ياقوتة حمراء"^(٨).

قال وهب بن منبه: "إن الله خلق العرش من نوره"^(٩).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٢١): ص ٢١٤٦/٧.

(٢) أخرجه أحمد (١٦١٠٥): ص ٣٠/٢٦-٣١.

(٣) صحيح مسلم برقم (٥٩٤) وسنن أبي داود برقم (١٥٠٦) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٢٦٢).

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٣٤/٧-١٣٥، ورواه الترمذي في السنن برقم (٣٤٧٩) عن معاوية بن صالح ورواه الحاكم في المستدرک (٤٩٣/١) عن عفان بن مسلم وموسى ابن إسماعيل ورواه الطبراني في كتاب الدعاء برقم (٦٢) عن مخلد بن خدّاش كلهم من طريق صالح المري به. قال الطبراني في المعجم الأوسط: "لم يرو هذا الحديث عن هشام بن حسان إلا صالح المري" ومداره على صالح المري وهو متروك.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٤٧/٥. حكاه بدون إسناد.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٠٢): ص ٢٠٠٥/٦.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٠٢): ص ٢٠٠٥/٦.

قوله تعالى: {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [غافر : ١٥]، أي: "ومن رحمته بعباده أن يرسل إليهم رسلاً يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به، فيكونون على بصيرة من أمرهم"^(١).

وفي قوله تعالى: {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [غافر : ١٥]، وجوه من التفسير: أحدها : أن «الروح»: الوحي ، قاله مجاهد-في رواية ابن ابي نجيح-^(٢)، وقتادة^(٣). الثاني: أنه النبوة ، به قال السدي^(٤).

الثالث: أن «الروح»: الكتاب، ينزله على من يشاء. قاله الضحاك^(٥).

وهذه الأقوال متقاربات المعاني، وإن اختلفت ألفاظ أصحابها بها^(٦).

الرابع : انه الوحي والرحمة. رواه معمر عن قتادة^(٧).

الخامس : أرواح عباده ، لا ينزل ملك إلا ومعه منها روح ، قاله مجاهد^(٨).

قوله تعالى: {لَيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} [غافر : ١٥]، أي: "لتخوف الرسل عباد الله، وتندبرهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون"^(٩).

وفي تسمية القيامة بـ {يَوْمَ التَّلَاقِ} [غافر : ١٥]، وجوه، من التفسير:

أحدها : لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ، قاله السدي^(١٠).

الثاني: يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، والخالق والخلق. قاله قتادة^(١١).

الثالث : يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم. قاله يوسف بن مهرا^(١٢).

سماه {يوم التلاق}، لأنه يلتقي فيه الخالق والمخلوق والمخلوقون بعضهم مع بعض، والعاملون وأعمالهم وجزاؤهم^(١٣).

قرأ الحسن: «لتنذر يوم التلاق»، وهي مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وتأول أبو عبيد قراءة من قرأ: «لينذر»، بالياء أن المعنى: لينذر الله^(١٤)، والأجود - والله أعلم - أن يكون لينذر النبي - صلى الله عليه وسلم - والدليل على ذلك أنه قرئ: «لتنذر يوم التلاق» - بالتاء -^(١٥).

القرآن

{يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَنَا يَخْضَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)} [غافر : ١٦]
التفسير:

(١) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٠٨/٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٣/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٤/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٤-٣٦٣/٢١.

(٦) تفسير الطبري: ٣٦٤/٢١.

(٧) انظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٠٨/٦-٢٠٩.

(٨) انظر: النكت والعيون: ١٤٨/٥.

(٩) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٥/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٥/٢١، وتفسير عبدالرزاق (٢٦٦٥): ص ١٤٢/٣.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٧٠/٨.

(١٣) تفسير السعدي: ٧٣٤.

(١٤) إعراب القرآن: ٢١/٤.

(١٥) معاني القرآن: ٣٦٩/٤.

يوم القيامة تظهر الخلائق أمام ربهم، لا يخفى على الله منهم ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا شيء، يقول الله سبحانه: لمن الملك والتصرف في هذا اليوم؟ فيجيب نفسه: الله المتفرد بأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر جميع الخلائق بقدرته وعزته.

قوله تعالى: {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ} [غافر : ١٦]، أي: "يوم هم ظاهرون بادون للعيان، لا شيء يكتمهم ولا يظلمهم ولا يسترهم من جبل أو أكمة أو بناء، لا يخفى على الله منهم ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا شيء"^(١).

قال قتادة: "«بارزون لا يسترهم جبل ، ولا يسترهم شيء»"^(٢).

قال قتادة: "ولكنهم برزوا له يوم القيامة، فلا يستترون بحبل ولا مدر"^(٣).

قوله تعالى: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر : ١٦]، أي: "يقول الله سبحانه: لمن الملك والتصرف في هذا اليوم؟ فيجيب تعالى نفسه: الله المتفرد بأسمائه وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر جميع الخلائق بقدرته وعزته"^(٤).

قال الحسن: "هو السائل وهو المجيب، لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه فيجيب نفسه فيقول: لله الواحد القهار الذي قهر الخلق بالموت"^(٥).

عن ابن جرير، قال: "ينادي بالجبّارين، فيجعلون في توابيت من نار، ثم يُقال: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟} فيقال: {لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}"^(٦).

عن ابن عباس، قال: "ينادي مناد بين يدي الساعة : يا أيها الناس ، أتتكم الساعة. فيسمعها الأحياء والأموات ، قال : وينزل الله - عز وجل- إلى سماء الدنيا ويقول : {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}"^(٧).

عن ابن مسعود قال: "يجمع الله الخلق يوم القيامة بصعيد واحد، بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله تعالى فيها قط، فأول ما تتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار"^(٨).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقبض الله عز وجل الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟"^(٩).

عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدَيْهِ"، وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها، ثُمَّ يَقُولُ: "أنا + الجبّارُ، أنا الملكُ، أين الجبّارون، أين المُتَكَبِّرُونَ؟" قال: ويميل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إنني لأقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟"^(١٠).

القرآن

{الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)} [غافر : ١٧]

التفسير:

- (١) التفسير الميسر: ٤٦٨.
- (٢) تفسير عبدالرزاق (٢٦٦٦): ١٤٢/٣.
- (٣) أخرجه الطبري: ٣٦٦/٢١.
- (٤) التفسير الميسر: ٤٦٨.
- (٥) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٧٠/٨.
- (٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
- (٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٣٦/٧.
- (٨) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٧٠/٨.
- (٩) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢١.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢١.

اليوم تثاب كل نفس بما كسبت في الدنيا من خير وشر، لا ظلم لأحد اليوم بزيادة في سيئاته أو نقص من حسناته. إن الله سبحانه وتعالى سريع الحساب، فلا تستبطنوا ذلك اليوم؛ فإنه قريب.

قوله تعالى: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَّا ظُلْمَ الْيَوْمِ} [غافر : ١٧]، أي: "اليوم تثاب كل نفس بما كسبت في الدنيا من خير وشر، لا ظلم لأحد اليوم بزيادة في سيئاته أو نقص من حسناته"^(١).

عن شهر بن حوشب -من طريق ابن أبي حسين- أنه حدّثه قال: "كان يُقال: إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم، ثم حشر الله من فيها من الجن والإنس، ثم أخذوا مصاقفهم من الأرض، ثم نزل أهل السماء بمثل من في الأرض، ومثلهم معهم من الجن والإنس، ثم أخذوا مصاقفهم من الأرض، حتى إذا كانوا على رؤوس الخلائق أضاءت الأرض لوجوههم، فبخر أهل الأرض ساجدين، ثم أخذوا مصاقفهم، ثم ينزل أهل السموات السبع على قدر ذلك من التضعيف. قال: {ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية} [الحاقة: ١٧]، تحمله الملائكة على كواهلها بأيدي وعزة وحسن وجمال، حتى إذا استوى على كرسيه نادى: {لمن الملك اليوم؟!} فلم يجبه أحد، فيعطفها على نفسه، فقال: {الله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب}"^(٢).

عن أبي ذر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يحكي عن ربه عز وجل - أنه قال: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا - إلى أن قال - : يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"^(٣).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [غافر : ١٧]، أي: "إن الله سبحانه وتعالى سريع الحساب، فلا تستبطنوا ذلك اليوم؛ فإنه قريب"^(٤).

عن مجاهد: "سريع الحساب" ، قال: أحصاه عليهم"^(٥)
عن مجاهد: "سريع الحساب" ، قال: سريع الإحصاء"^(٦).

القرآن

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِئِنَّ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ (١٨)} [غافر

: ١٨

التفسير:

وحدّر -أيها الرسول- الناس من يوم القيامة القريب، وإن استبعدوه، إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله قد ارتفعت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم، وهم ممتثلون غماً وحرزاً. ما للظالمين من قريب ولا صاحب، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له.

قوله تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ} [غافر : ١٨]، أي: "وحدّر -أيها الرسول- الناس من يوم القيامة القريب، وإن استبعدوه"^(٧).

عن مجاهد وقتادة، والسدي، وابن زيد، في قول الله: {يَوْمَ الْأَرْزَاقِ}، قالوا: "يوم القيامة"^(٨).

(١) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦ / ٦١ - ٦٢، وأخرجه يحيى بن سلام ١ / ٢٣٦ مطولاً من طريق ليث.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٥) أخرجه ابن المنذر (١٢٩٠): ص ٥٤٣/٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٩٠): ص ٣٦٠/٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢١ - ٣٦٨.

قوله تعالى: {إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ} [غافر : ١٨]، أي: "إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله قد ارتفعت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم"^(١).

قال قتادة: "قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة، فلا هي تخرج ولا تعود إلى أمكنتها"^(٢).
قال السدي: "شخصت أفئدتهم عن أمكنتها، فنشبت في حلوقهم، فلم تخرج من أجوافهم فيموتوا، ولم ترجع إلى أمكنتها فتستقر"^(٣).

أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن حسين، قال: أخبرني رجل من أهل العلم، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم ولا يكون لبشر من بني آدم فيها إلا موضع قدمه..»^(٤).
عن عكرمة أنه قال: "تضيق للناس أرض القيامة، حتى لا يكون لأحد إلا موضع قدمه، ثم يضيق لهم أيضا حتى يوضع القدم على القدم، ثم يبكون حتى تنفد دموعهم، ثم يبكون الدم حتى ينفد، ثم تشخص قلوبهم إلى حناجرهم، ثم قرأ قوله تعالى: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ} [غافر : ١٨]"^(٥).

قوله تعالى: {كَاطِمِينَ} [غافر : ١٨]، أي: "وهم ممثلون غمًا وحرزًا"^(٦).
قال ابن جرير: "كَاطِمِينَ}، أي: باكين"^(٧).
قوله تعالى: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ} [غافر : ١٨]، أي: "ما للظالمين من قريب ولا صاحب"^(٨).
عن السدي: "مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ} قال: "من يعنيه أمرهم، ولا شفيع لهم"^(٩).
قوله تعالى: {وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ} [غافر : ١٨]، أي: "ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له"^(١٠).
قال السدي: "ولا شفيع لهم"^(١١).
قال الحسن: "استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعاة يوم القيامة"^(١٢).

القرآن

{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (١٩) [غافر : ١٩]

التفسير:

يعلم الله سبحانه ما تختلسه العيون من نظرات، وما يضمره الإنسان في نفسه من خير أو شر.
قوله تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ} [غافر : ١٩]، أي: "يعلم الله سبحانه ما تختلسه العيون من نظرات"^(١٣).

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٦٩.
 - (٢) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢١.
 - (٣) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢١.
 - (٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٣٣٧٠): ص ٢٣٤٣/٧. والحديث تامه.. ثم ادعى أول الناس فأخر ساجدا ثم يؤذن لي فأقول: يا رب أخبرني هذا لجبريل وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه جبريل قط قبلها إنك أرسلته إلي. وجبريل عليه السلام ساكت لا يتكلم حتى يقول الرب. صدقت..
 - (٥) ثم يؤذن لي في الشفاعاة فأقول: أي رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض فذلك المقام المحمود".
 - (٦) حكاة السمعاني في التفسير: ١٢/٥-١٣.
 - (٧) التفسير الميسر: ٤٦٩.
 - (٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.
 - (٩) التفسير الميسر: ٤٦٩.
 - (١٠) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢١.
 - (١١) التفسير الميسر: ٤٦٩.
 - (١٢) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢١.
 - (١٣) نقلا عن تفسير السمعاني: ٥٦/٤، وتفسير البغوي: ١٢٠/٦، وتفسير الخازن: ٣٢٨/٣.
 - (١٤) التفسير الميسر: ٤٦٩.

عن مجاهد: " {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ} ، قال: نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه" (١).
 قال قتادة: " أي: يعلم همزه بعينه، وإغماضه فيما لا يحب الله ولا يرضاه" (٢).
 وقال الضحاك: " {خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ} هو الغمز ، وقول الرجل: رأيت ، ولم ير ؛ أو : لم أر ، وقد رأى" (٣).
 قوله تعالى: {وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر : ١٩] ، أي: " ويعلم ما يضمرة الإنسان في نفسه من خير أو شر" (٤).
 عن السدي قال: " هو وسوسة القلب" (٥).

القرآن

{وَاللَّهُ يَفْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَأَيْفُضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)} [غافر : ٢٠]
 التفسير:

والله سبحانه يقضي بين الناس بالعدل فيما يستحقونه، والذين يُعبدون من دون الله من الآلهة لا يقضون بشيء؛ لعجزهم عن ذلك. إن الله هو السميع لأقوال خلقه، البصير بأفعالهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها.
 قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَفْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَأَيْفُضُونَ بِشَيْءٍ} [غافر : ٢٠] ، أي: " والله سبحانه يقضي بين الناس بالعدل فيما يستحقونه، والذين يُعبدون من دون الله من الآلهة لا يقضون بشيء؛ لعجزهم عن ذلك" (٦).

عن ابن جريج، في قوله: " {وَاللَّهُ يَفْضِي بِالْحَقِّ} قال: يقدر على أن يقضي بالحق، {والذين يدعون من دونه} لا يقدر على أن يقضوا بالحق" (٧).
 قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر : ٢٠] ، أي: " إن الله هو السميع لأقوال خلقه، البصير بأفعالهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها" (٨).
 قال محمد بن إسحاق: " أي : سميع لما يقولون" (٩).

القرآن

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١)} [غافر : ٢١]
 التفسير:

أو لم يسروا هؤلاء المكذبون برسالتك -أيها الرسول- في الأرض، فينظروا كيف كان خاتمة الأمم السابقة قبلهم؟ كانوا أشد منهم بطشاً، وأبقى في الأرض آثاراً، فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم، فأخذهم الله بعقوبته؛ بسبب كفرهم واكتسابهم الآثام، وما كان لهم من الله من واق يقيهم منه، فيدفعه عنهم.

(١) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢١.

(٣) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٩. [بتصرف]

(٥) نقلاً عن: تفسير السمعي: ١٣/٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٨) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٩) أخرجه الطبري (٧٧١٩) ص: ١٦٥/٧، وابن أبي حاتم (١٠٢٠٥) ص: ١٨٦٧/٦.

قوله تعالى: {أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم} [غافر : ٢١]، أي: "أو لم يسيروا هؤلاء المكذبون برسالتك -أيها الرسول- في الأرض، فينظروا كيف كان خاتمة الأمم السابقة قبلهم؟" (١).

عن عباد بن منصور، قال: "سألت الحسن، عن قوله: {قل سيروا في الأرض}، قال: لم يسيروا في الأرض" (٢).

قال الحسن: "فينظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله" (٣). قال قتادة: "عاقبة الأولين والأمم قبلكم. قال: كان سوء عاقبة متعهم الله قليلاً ثم صاروا إلى النار" (٤). قال قتادة: "بنس والله، كان عاقبة المجرمين، دمر الله عليهم، وأهلكهم، ثم صيرهم إلى النار" (٥). قوله تعالى: {كأنوا هم أشد منهم قوةً وآثراً في الأرض} [غافر : ٢١]، أي: "كانوا أشد منهم بطشاً، وأبقى في الأرض آثاراً، فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم" (٦).

عن مجاهد: {كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثراً في الأرض} [غافر: ٨٢]، يعني: «المشي في الأرض بأرجلهم» (٧).

عن مجاهد، في قوله تعالى: {وآثراً في الأرض} [غافر: ٢١] قال: «المشي فيها بأرجلهم» (٨). عن مجاهد: "وآثروا الأرض"، قال: حرثوا الأرض" (٩). عن الضحاك: "وآثروا الأرض"، يقول: جناها، وأنهارها وزروعها، وعمروها أكثر مما عمروها، يقول: عاشوا فيها أكثر من عيشكم فيها" (١٠). وقرأ ابن عامر: «أشد منكم» على الالتفات (١١).

قوله تعالى: {فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق} [غافر : ٢١]، أي: "فأخذهم الله بعقوبته؛ بسبب كفرهم واكتسابهم الآثام، وما كان لهم من عذاب الله من واق يقيهم منه، فيدفعه عنهم" (١٢). عن قتادة: "وما كان لهم من الله من واق": يقيهم، ولا ينفعهم" (١٣).

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)} [غافر : ٢٢]

التفسير:

ذلك العذاب الذي حلَّ بالمكذابين السابقين، كان بسبب موقفهم من رسل الله الذين جاؤوا بالدلائل القاطعة على صدق دعواهم، فكفروا بهم، وكذبوهم، فأخذهم الله بعقابه، إنه سبحانه قوي لا يغلبه أحد، شديد العقاب لمن كفر به وعصاه.

(١) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٢): ص ٢٩١٦/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٤): ص ٢٩١٦/٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٥): ص ٢٩١٦/٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٣): ص ٢١٦/٩، والطبري (١٣٠٩٥): ص ٢٧٣/١١ [باختصار].

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٧) تفسير مجاهد: ٥٨٤.

(٨) تفسير عبدالرزاق (٢٦٨٧): ص ١٤٧/٣.

(٩) تفسير مجاهد: ٥٣٨، وتفسير الطبري: ٧٨/٢٠.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٤٦٩): ص ٣٠٨٨/٩.

(١١) انظر: فتح القدير للشوكاني: ٥٥٩/٤.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٧١/٢١.

قوله تعالى: {إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [غافر : ٢٢]، أي: "إنه سبحانه قوي لا يغلبه أحد، شديد العقاب لمن كفر به وعصاه"^(١).
 عن علي بن زيد، قال: "تلا مطرف هذه الآية: {شديد العقاب}، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله، ونقمة الله، وبأس الله، ونكال الله، لما رقأ لهم دمع، وما قرت أعينهم بشيء"^(٢).

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣)} [غافر : ٢٣]

التفسير:

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا العظيمة الدالة على حقيقة ما أرسل به، وحجة واضحة بيّنة على صدقه في دعوته، وبطلان ما كان عليه من أرسل إليهم.
 عن قتادة: "وسلطان مبین": أي عذر مبین"^(٣).
 قال ابن جريج: "كل شيء في القرآن آيات، بذلك تعرفون الله إنكم لن تروه فتعرفونه على رؤية ولكن تعرفون بآياته وخلقته"^(٤).

القرآن

{إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)} [غافر : ٢٤]

التفسير:

إلى فرعون ملك «مصر»، وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز، فأنكروا رسالته واستكبروا، وقالوا عنه: إنه ساحر كذاب، فكيف يزعم أنه أرسل للناس رسولا؟
 قوله تعالى: {إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ} [غافر : ٢٤]، أي: "إلى فرعون ملك «مصر»، وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز"^(٥).
 عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة- قال: "لم يكن منهم فرعونٌ أعتى على الله، ولا أعظم قولاً، ولا أطول عمراً في ملكه منه، وكان اسمه فيما ذكر لي: الوليد بن مصعب"^(٦).
 عن الحسن، قال: "كان فرعون علجاً من همذان"^(٧).
 قال قتادة: "وكان قارون ابن عم موسى أخي أبيه وكان قطع البحر مع بني إسرائيل وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافع كما نافع السامري فأهلكه الله لبغيه، وإنما بغى عليهم لكثرة ماله وولده، قال الله: أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون"^(٨).

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)} [غافر : ٢٥]

التفسير:

(١) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥): ص ٣٤٥/١.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢١.

(٤) الدر المنثور: ٤٩٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٥) صفوة التفاسير: ٩٢/٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٩٥): ص ٢٩٤٤/٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٩٦): ص ٢٩٤٤/٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠٧٥): ص ٣٠٠٥/٩.

فلما جاء موسى فرعون وهامان وقارون بالمعجزات الظاهرة من عندنا، لم يكتفوا بمعارضتها وإنكارها، بل قالوا: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم للخدمة والاسترقاق. وما تدبير أهل الكفر إلا في ذهاب وهلاك.

قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ} [غافر : ٢٥]، أي: " فلما جاء موسى فرعون وهامان وقارون بالمعجزات الظاهرة من عندنا، قالوا: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم للخدمة والاسترقاق" (١).
عن قتادة: "فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا"، قال: هذا بعد القتل الأول" (٢).
عن قتادة: "فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) قال: هذا قتل غير القتل الأول الذي كان" (٣).

القرآن

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} [غافر : ٢٦]

التفسير:

وقال فرعون لأشرف قومه: اتركوني أقتل موسى، وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فيمنعه منا، إني أخاف أن يُبَدِّلَ دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يُظْهِرَ في أرض «مصر» الفساد.
قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى} [غافر : ٢٦]، أي: " وقال فرعون لأشرف قومه: اتركوني أقتل موسى" (٤).

قوله تعالى: {وَلْيَدْعُ رَبَّهُ} [غافر : ٢٦]، أي: " وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فيمنعه منا" (٥).
قوله تعالى: {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ} [غافر : ٢٦]، أي: " إني أخاف أن يُبَدِّلَ دينكم الذي أنتم عليه" (٦).

عن قتادة: "إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ"، أي: أمرم الذي أنتم عليه" (٧).
قوله تعالى: {أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} [غافر : ٢٦]، أي: " أو أن يُظْهِرَ في أرض «مصر» الفساد" (٨).

قال قتادة: " والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله" (٩).
عن ابن جريج: " {إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد} قال: أن يقتلوا أبناءكم ويستحيوا نساءكم إذا ظهروا عليكم كما كنتم تفعلون بهم" (١٠).
وقرئ: «وأن يظهر في الأرض الفساد»، بغير ألف (١١).

(١) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ١٨٠/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٥) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٦) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٧٥-٣٧٤/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٧٥-٣٧٤/٢١.

(١٠) الدر المنثور: ٢٨٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢١.

القرآن

{وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [غافر : ٢٨]

التفسير:

وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون، يكتُم إيمانه منكرًا على قومه: كيف تستحلون قتلَ رجل لا جرم له عندكم إلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبراهين القاطعة من ربكم على صدق ما يقول؟ وإن يك موسى كاذبًا فإن وبالَ كذبه عائد عليه وحده، وإن يك صادقًا لحقكم بعض الذي يتوعدكم به، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز للحد، بترك الحق والإقبال على الباطل، كذَّاب بنسبته ما أسرف فيه إلى الله.

قوله تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} [غافر : ٢٨]، أي: "وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون، يكتُم إيمانه منكرًا على قومه: كيف تستحلون قتلَ رجل لا جرم له عندكم إلا أن يقول ربي الله" (١).

عن السدي: "هو ابن عم فرعون، ويقال: هو الذي نجا مع موسى" (٢).

قال الحسن: "قد كان مؤمنًا قبل أن يأتيهم موسى" (٣).

قال وهب بن منبه: "وقال رجل مؤمن من آل فرعون، اسمه: حزيقال" (٤).

عن أبي إسحاق السبيعي، قال: "كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون: حبيب" (٥).

عن محمد بن إسحاق: "أن اسم هذا الرجل المؤمن من آل فرعون: خبرك" (٦). وفي رواية: "كان اسمه: جبران" (٧). وفي رواية: "جبريل" (٨).

قوله تعالى: {وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ} [غافر : ٢٨]، أي: "وقد جاءكم بالبراهين القاطعة من ربكم على صدق ما يقول" (٩).

عن ابن إسحاق: "وقد جاءكم بالبينات من ربكم، بعصاه وبيده" (١٠).

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [غافر : ٢٨]، أي: "إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز للحد، بترك الحق والإقبال على الباطل، كذَّاب بنسبته ما أسرف فيه إلى الله" (١١).

عن قتادة: "إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب: مشرك أسرف على نفسه بالشرك" (١٢).

وقال السدي: "المسرف: هو صاحب الدم، ويقال: هم المشركون" (١٣).

القرآن

(١) التفسير الميسر: ٤٧٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢١.

(٣) ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين ١٣١ / ٤ -.

(٤) تفسير الثعلبي ٢٧٣ / ٨. وفي طبعة دار التفسير ١٩٩ / ٢٣: حزيقال.

(٥) أخرجه الثعلبي: ١٩٩/٢٣، وسنده حسن، وعزه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦) ذكره محققوه أن في بعض النسخ: جبريل، وفي البعض الآخر: حمويل. وفي تاريخ ابن جرير: حبرك.

(٧) تفسير البغوي ١٤٦ / ٧. وفي تفسير الثعلبي ٢٧٣ / ٨: خبرل، وفي طبعة دار التفسير ١٩٩ / ٢٣: جبريل.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٧٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢١.

{يَأْقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)} [غافر : ٢٩]
التفسير:

يا قوم لكم السلطان اليوم ظاهرين في أرض «مصر» على رعيتم من بني إسرائيل وغيرهم، فمن يدفع عنا عذاب الله إن حل بنا؟ قال فرعون لقومه محبباً: ما أريكم -أيها الناس- من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحاً وصواباً، وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب.

قوله تعالى: {يَأْقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا} [غافر : ٢٩]، أي: "يا قوم لكم السلطان اليوم ظاهرين في أرض «مصر» على رعيتم من بني إسرائيل وغيرهم، فمن يدفع عنا عذاب الله إن حل بنا"^(١).

عن السدي: {يَأْقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ}، قال: "غالبين على أرض مصر قاهرين لأهلها"^(٢).

قوله تعالى: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى} [غافر : ٢٩]، أي: "قال فرعون لقومه محبباً: ما أريكم -أيها الناس- من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحاً وصواباً"^(٣).
قال الضحاك: "ما أعلمكم إلا ما أعلم"^(٤).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١)} [غافر : ٣٠ - ٣١]
التفسير:

وقال الرجل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه واعظاً ومحذراً: إنني أخاف عليكم إن قتلتم موسى، مثل يوم الأحزاب الذين تحزبوا على أنبيائهم، مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود ومن جاء بعدهم في الكفر والتكذيب، أهلكهم الله بسبب ذلك. وما الله سبحانه يريد ظلماً للعباد، فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه. تعالى الله عن الظلم والنقص علواً كبيراً.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ} [غافر : ٣٠-٣١]، أي: "وقال الرجل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه واعظاً ومحذراً: إنني أخاف عليكم إن قتلتم موسى، مثل يوم الأحزاب الذين تحزبوا على أنبيائهم، مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود ومن جاء بعدهم في الكفر والتكذيب، أهلكهم الله بسبب ذلك"^(٥).

عن قتادة: "والذين من بعدهم"، قال: هم الأحزاب"^(٦).
عن قتادة، في قوله تعالى: {مثل يوم الأحزاب مثل داب قوم نوح}، قال: "هم الأحزاب: قوم نوح، وعاد، وثمود"^(٧).

قوله تعالى: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ} [غافر : ٣١]، أي: "وما الله سبحانه يريد ظلماً للعباد، فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه"^(٨).

(١) التفسير الميسر: ٤٧٠.

(٢) النكت والعيون: ١٥٤/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٠.

(٤) تفسير الثعلبي ٢٧٤/٨.

(٥) التفسير الميسر: ٤٧٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٧٩/٢١.

(٧) تفسير عبدالرزاق (٢٦٧٣): ص ١٤٤/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٧٠.

القرآن

{وَيَاقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢)} [غافر : ٣٢]

التفسير:

ويا قوم إنني أخاف عليكم عقاب يوم القيامة، يوم ينادي فيه بعض الناس بعضاً؛ من هول الموقف في ذلك اليوم.

وفي قوله تعالى: {يَوْمَ التَّنَادِ} [غافر : ٣٢]، وجهان من القراءة:

أحدهما: «التَّنَادُ»، بتشديد الدال. قرأ بها أبو بكر الصديق، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وأبو العالية، والضحاك^(١)، والكلبي^(٢).

الثاني: «التَّنَادِ» بغير ياءٍ، قرأ بها عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي. وأثبت الياء في الوصل والوقف ابن كثير، ويعقوب، وافقه أبو جعفر في الوصل^(٣).

وروي عن الحسن البصري أنه قرأ: «يَوْمَ التَّنَادِي»، بإثبات الياء وتخفيف الدال^(٤).

وأما قراءة التخفيف، فهي من: «النداء»، وفيها للمفسرين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عند نفخة الفزع ينادي الناس بعضهم بعضاً. روي نحوه عن الضحاك^(٥)، ورواه أبو هريرة عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-^(٦).

روي عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، ففزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره الله أن يديمها ويطولها فلا يفتر، وهي التي يقول الله: {وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} فيسير الله الجبال فتكون سراباً، فترج الأرض بأهلها رجا، وهي التي يقول الله: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ} فتكون كالسفينة المرتعة في البحر تضربها الأمواج تكفاً بأهلها، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجه الأرواح، فتميد الناس على ظهرها، فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار، فتلقاها الملائكة، فتضرب وجوهها، فترجع ويولي الناس مدبرين، ينادي بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله: {يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ}"^(٧).

(١) انظر: زاد المسير: ٣٦/٤.

(٢) نقلا عن: النكت والعيون: ١٥٥/٥.

(٣) انظر: زاد المسير: ٣٦/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢١.

(٦) سوف يأتي الحديث وتخريجه.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٨١-٣٨٠/٢١. والحديث أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦، وأبو الشيخ في «العظمة» ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩ والطبري ٣٣٠/٢ و ٣٣١ و ١٠/١٧ و ٣٠/٢٤ و ٦١ و ٣٠/٢٦ و ٣١-٣٢. وإسحاق بن راهوية كما في «المطالب العالية» ٢٩٩١ من طرق عن إسماعيل بن رافع، وهو واه، فرواه تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة. وتارة عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأيا كان فمداره على إسماعيل بن رافع ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واه. جاء في «الميزان» ٨٧٢: ضعفه أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك وقال ابن عدي: أحاديثه كلها مما فيه نظر اه باختصار وقد اضطرب فيه فرواه عن مجهول عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، ومرة عن محمد بن كعب عن مجهول عن أبي هريرة، وتارة بدون واسطة وقد نص الحفاظ على وهن هذا الحديث بطوله. فقال الحفاظ في «المطالب العالية» ٢٩٩١: فيه ضعف اه وقال البوصيري في ١/ ٢١: تابعه مجهول، وجاء في «الفتح» ١١/ ٣٦٨- ٣٦٩ عقب حديث ٦٥١٨ ما ملخصه: وأخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى في «الكبير» وعلي بن معبد في «الطاعة والمعصية» ومداره على

وقال الضحاك: "إذا كان يوم القيامة، أمر الله السماء الدنيا فتشقق بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفا دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبيه اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض نَدُّوا فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا السبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ} وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} وقوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}، وذلك قوله: {وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا} (١).

الثاني: أنه نداء أهل الجنة والنار بعضهم بعضاً كما ذكر في الأعراف (٢). وهذا قول قتادة (٣).
قال قتادة: "يوم يتنادى كل قوم بأعمالهم، فينادي أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار" (٤).
الثالث: أنه قولهم: يا حسرتنا، يا ويلتنا، قاله ابن جريج (٥).

القرآن

{يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)} [غافر : ٣٣]
التفسير:

يوم تولون ذاهبين هاربين، ما لكم من الله من مانع يمنعكم وناصر ينصركم. ومن يخذله الله ولم يوفقه إلى رشده، فما له من هاد يهديه إلى الحق والصواب.

قوله تعالى: {يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ} [غافر : ٣٣]، أي: "يوم تولون ذاهبين هاربين" (٦).

وفي قوله تعالى: {يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ} [غافر : ٣٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما: مدبرين في انطلاقهم إلى النار، قاله قتادة (٧).

قال قتادة: "أي: مُنْطَلِقًا بكم إلى النار" (٨).

إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه، فرواه تارة عن القرظي بلا واسطة، وتارة بذكر رجل مبهم بينهما، وتارة عن القرظي عن أبي هريرة، وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء في «تفسيره» عن محمد بن عجلان عن محمد القرظي واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه، ولعله سرقه من إسماعيل، فلزقه بابن عجلان وقد قال الدارقطني: يضع الحديث. وقال الحافظ ابن كثير: جمعه إسماعيل بن رافع من عدة آثار فساقه كله مساقا واحدا. وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع: القاضي أبو بكر العربي في «سراجه» وتبعه القرظي في «التذكرة» وقول عبد الحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي اه كلام الحافظ. وتكلم عليه أيضا ابن كثير رحمه الله في «نهاية البداية» ٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤ وخلاصة القول أنه حديث ضعيف بتمامه، وبعض ألفاظه في الصحيحين، وغيرهما، وبعضه في الكتب المعتمدة. وبعضه الآخر منكر لا يتابع عليه.

(١) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢١.

(٢) وهو قوله: {وَتَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَيَبْهَتُهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبُّنَا لِمَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَتَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَتَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)} [الأعراف : ٤٤ - ٥٠].

(٣) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٦٧٤): ص ١٤٤/٣.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٦٧٤): ص ١٤٤/٣.

(٥) انظر: زاد المسير: ٣٧/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٢/٢١.

قال قتادة: "مدبرين إلى النار"^(٢).
 الثاني : مدبرين في فرارهم من النار حتى يقدفوا فيها، قاله الضحاك^(٣).
 وروي عن مجاهد، قوله: "{يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مُدْبِرِينَ}"، قال: فاريين غير معجزين"^(٤).
 قوله تعالى: "{مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ}" [غافر : ٣٣]، أي: "ما لكم من الله من مانع يمنعكم وناصر
 ينصركم"^(٥).
 عن قتادة: "{مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ}"، أي: من ناصر"^(٦).

القرآن

{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} {٣٤} [غافر : ٣٤]
 التفسير:

ولقد أرسل الله إليكم النبي الكريم يوسف بن يعقوب عليهما السلام من قبل موسى، بالدلائل الواضحة على صدقه، وأمركم بعبادة الله وحده لا شريك له، فما زلتم مرتابين مما جاءكم به في حياته، حتى إذا مات ازداد شككم وشرككم، وقلتم: إن الله لن يرسل من بعده رسولاً، مثل ذلك الضلال يُضِلُّ الله كل متجاوز للحق، شكاً في وحدانية الله تعالى، فلا يوفقه إلى الهدى والرشاد.
 قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ} [غافر : ٣٤]، أي: "ولقد أرسل الله إليكم النبي الكريم يوسف بن يعقوب عليهما السلام من قبل موسى، بالدلائل الواضحة على صدقه، وأمركم بعبادة الله وحده لا شريك له"^(٧).

عن السدي: "{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ}"، قال: قبل موسى"^(٨).
 وقال وهب بن منبه: "إن فرعون موسى هو فرعون يوسف، عُمر إلى زمن موسى"^(٩).
 عن ابن جريج، في قوله: "{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ}"، قال: رؤيا يوسف"^(١٠).

القرآن

{الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ} {٣٥} [غافر : ٣٥]
 التفسير:

الذين يخاصمون في آيات الله وحججه لدفعها من غير أن يكون لديهم حجة مقبولة، كبر ذلك الجدل مقتماً عند الله وعند الذين آمنوا، كما ختم بالضلال وحجَبَ عن الهدى قلوب هؤلاء المخاصمين، يختم الله على قلب كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢١.

(٢) أخرجه عبد الرزاق / ٢ / ١٨١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢١.

(٩) تفسير الثعلبي: ٢٧٥ / ٨.

(١٠) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قوله تعالى: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا} [غافر : ٣٥]، أي: "الذين يخاصمون في آيات الله وحججه لدفعها من غير أن يكون لديهم حجة مقبولة، كبر ذلك الجدل مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا"^(١).

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي: "كل سلطان في القرآن حجة"^(٢).

قوله تعالى: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ جَبَّارًا} [غافر : ٣٥]، أي: "كما ختم بالضلال وحجب عن الهدى قلوب هؤلاء المخاصمين، يختم الله على قلب كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه"^(٣).

قال عكرمة: "لا يكون الرجل جبارا حتى يقتل نفسين"^(٤).

قال أبو عمران الجوني وقتادة: "آية الجبابة القتل بغير الحق"^(٥).

وفي قراءة ابن مسعود: «كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُنْكَبِرٍ جَبَّارًا»^(٦).

القرآن

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدٌّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧)} [غافر : ٣٦-٣٧]

التفسير:

وقال فرعون مكذبًا لموسى في دعوته إلى الإقرار برب العالمين والتسليم له: يا هامان ابن لي بئاء عظيمًا؛ لعلني أبلغ أبواب السموات وما يوصلني إليها، فأنظر إلى إله موسى بنفسي، وإنني لأظن موسى كاذبًا في دعواه أن لنا ربًا، وأنه فوق السموات، وهكذا زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ السَّبِيلِ فرأه حسنًا، وصدٌّ عن سبيل الحق؛ بسبب الباطل الذي زَيْنٌ له، وما احتيال فرعون وتدبيره لإيهام الناس أنه محق، وموسى مبطل إلا في خسار وبوار، لا يفيد إلا الشقاء في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا} [غافر : ٣٦]، أي: "وقال فرعون مكذبًا لموسى في دعوته إلى الإقرار برب العالمين والتسليم له: يا هامان ابن لي بئاء عظيمًا"^(٧).

قال قتادة: "وكان أول من بنى بهذا الأجر وطبخه"^(٨).

قال إبراهيم النخعي: "كانوا يكرهون البناء بالأجر، وأن يجعلوه في قبورهم"^(٩).

قوله تعالى: {لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَاذِبًا} [غافر : ٣٦-٣٧]، أي: "لعلني أبلغ أبواب السموات وما يوصلني إليها، فأنظر إلى إله موسى بنفسي، وإنني لأظن موسى كاذبًا في دعواه أن لنا ربًا، وأنه فوق السموات"^(١٠).

اختلف أهل التفسير في معنى "الأسباب" في هذا الموضع، على قولين:

(١) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٧٧٨): ص ١٠٣٠/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٧٩٠): ص ٢٩٥٨/٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٧٩١): ص ٢٩٥٩/٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٥/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢١.

(٩) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٤٤/٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٧١.

أحدهما: أن أسباب السموات: طرقها. قاله أبو صالح^(١)، والسدي^(٢).
الثاني: أبواب السموات. قاله قتادة^(٣). لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها.. قال زهير^(٤):
ومن هاب أسباب المنايا يئله ... ولو نال أسباب السماء بسلم^(٥).

والسبب: هو كل ما تسبب به إلى الوصول إلى ما يطلب من حبل وسلم وطريق وغير ذلك، فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: معناه لعلي أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى، طرقا كانت تلك الأسباب منها، أو أبوابا، أو منازل، أو غير ذلك^(٦).

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سَوْءَ عَمَلِهِ وَصَدٌّ عَنَ السَّبِيلِ} [غافر : ٣٧]، أي: "وهكذا زَيْن لفرعون عمله السيئ فرأه حسئا، ومُنَع بضلاله عن طريق الهدى"^(٧).
قال قتادة: "فَعِلَ ذَلِكَ بِهِ، زَيْن لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ، وَصَدٌّ عَنِ السَّبِيلِ"^(٨).

وقرى: «وَصَدٌّ» بفتح الصاد^(٩). "بمعنى: وأعرض فرعون عن سبيل الله التي ابْتُعِثَ بها موسى استكبارا"^(١٠).

قوله تعالى: {وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ} [غافر : ٣٧]، أي: "وما احتيال فرعون وتدبيره لإيهام الناس أنه محق، وموسى مبطل إلا في خسار وبوار، لا يفيد إلا الشقاء في الدنيا والآخرة"^(١١).
عن مجاهد، قوله: "{فِي تَبَابٍ}"، قال: خسار"^(١٢).
قال قتادة: "أي: في ضلال وخسار"^(١٣).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)} [غافر : ٣٨ - ٣٩]

التفسير:

وقال الذي آمن معيذا نصيحته لقومه: يا قوم اتبعون أهدكم طريق الرشد والصواب. يا قوم إن هذه الحياة الدنيا حياة يتنعم الناس فيها قليلا ثم تنقطع وتزول، فينبغي ألا تتركوا إليها، وإن الدار الآخرة بما فيها من النعيم المقيم هي محل الإقامة التي تستقرون فيها، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها العمل الصالح الذي يُسعدكم فيها.

قوله تعالى: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ} [غافر : ٣٩]، أي: "يا قوم إن هذه الحياة الدنيا حياة يتنعم الناس فيها قليلا ثم تنقطع وتزول، فينبغي ألا تتركوا إليها"^(١٤).

-
- (١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٢١.
 - (٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٢١.
 - (٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٢١.
 - (٤) في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٠، والخصائص ٣/ ٣٢٤، ٣٢٥، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٦٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٨٦، ولسان العرب (سبب).
 - (٥) تأويل مشكل القرآن: ٢٥٧.
 - (٦) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢١.
 - (٧) التفسير الميسر: ٤٧١.
 - (٨) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢١.
 - (٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٨/٢١.
 - (١٠) تفسير الطبري: ٣٨٨/٢١.
 - (١١) التفسير الميسر: ٤٧١.
 - (١٢) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢١.
 - (١٣) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢١.
 - (١٤) التفسير الميسر: ٤٧١.

عن الأعمش: " {فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل}، قال: كزاد الراعي" (١).
 عن مجاهد، في قوله: " {إلا متاع} قال: قليل ذاهب" (٢).
 قوله تعالى: {وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر : ٣٩]، أي: " وإن الدار الآخرة بما فيها من النعيم
 المقيم هي محل الإقامة التي تستقرون فيها، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها العمل الصالح الذي يُسعدكم
 فيها" (٣).
 عن قتادة: " {وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ}، استقرت الجنة بأهلها، واستقرت النار بأهلها" (٤).

القرآن

{مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
 يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)} [غافر : ٤٠]
 التفسير:

من عصى الله في حياته وانحرف عن طريق الهدى، فلا يُجْزَى في الآخرة إلا عقابًا يساوي معصيته، ومن
 أطاع الله وعمل صالحًا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، نكرًا كان أو أنتى، وهو مؤمن بالله موحد له،
 فأولئك يدخلون الجنة، يرزقهم الله فيها من ثمارها ونعيمها ولذاتها بغير حساب.
 قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا} [غافر : ٤٠]، أي: " من عصى الله في حياته
 وانحرف عن طريق الهدى، فلا يُجْزَى في الآخرة إلا عقابًا يساوي معصيته" (٥).
 عن قتادة: " {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا}، أي: شركا" (٦).
 قوله تعالى: {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [غافر : ٤٠]، أي: " ومن أطاع الله
 وعمل صالحًا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، نكرًا كان أو أنتى، وهو مؤمن بالله موحد له" (٧).
 عن قتادة: " {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا}، أي: خيرا" (٨).
 قوله تعالى: {فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} [غافر : ٤٠]، أي: " فأولئك يدخلون
 الجنة، يرزقهم الله فيها من ثمارها ونعيمها ولذاتها بغير حساب" (٩).
 قال قتادة: " لا والله ما هناكم مكيال ولا ميزان" (١٠).

القرآن

{وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١)} [غافر : ٤١]
 التفسير:

ويا قوم كيف أدعوكم إلى الإيمان بالله واتباع رسوله موسى، وهي دعوة تنتهي بكم إلى الجنة والبعد عن
 أهوال النار، وأنتم تدعونني إلى عمل يؤدي إلى عذاب الله وعقوبته في النار؟
 عن مجاهد، قوله: " {مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ}، قال: الإيمان بالله" (١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٣١): ص ١٧٩٨/٦.

(٢) الدر المنثور: ٦٤١/٤، وعزاه إلى ابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩٠/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٠/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٩٠/٢١.

القرآن

{تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ (٤٢)} [غافر : ٤٢] التفسير:

تدعونني لأكفر بالله، وأشرك به ما ليس لي به علم أنه يستحق العبادة من دونه -وهذا من أكبر الذنوب وأقبحها- وأنا أدعوكم إلى الطريق الموصل إلى الله العزيز في انتقامه، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته. قوله تعالى: {وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ} [غافر : ٤٢]، أي: "وأنا أدعوكم إلى الطريق الموصل إلى الله العزيز في انتقامه، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته"^(٢). قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"^(٣).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"^(٤).
عن أبي العالية: "عزيزا في نعمته إذا انتقم"^(٥). وروي عن قتادة، والربيع بن أنس نحو ذلك^(٦).

القرآن

{لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)} [غافر : ٤٣] التفسير:

حقاً أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به لا يستحق الدعوة إليه، ولا يُلجأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة لعجزه ونقصه، واعلموا أن مصير الخلائق كلها إلى الله سبحانه، وهو يجازي كل عامل بعمله، وأن الذين تعدوا حدوده بالمعاصي وسفك الدماء والكفر هم أهل النار. قوله تعالى: {لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ} [غافر : ٤٣]، أي: "حقاً أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به لا يستحق الدعوة إليه، ولا يُلجأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة لعجزه ونقصه"^(٧).

عن قتادة، قوله: "لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ"، أي: لا ينفع ولا يضر"^(٨). وقال قتادة: "ليست له دعوة مستجابة"^(٩).

قال السدي: "يعني: لا تستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة"^(١٠).
عن مجاهد، قوله: "لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا"، قال: الوثن ليس بشيء"^(١١).
عن أبي مالك، قوله: "لَا جَرَمَ"، يعني: بالحق"^(١٢).
عن الضحاك، قوله: "لَا جَرَمَ"، قال: لا كذب"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٧٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٢/٢١.

(٩) تفسير الثعلبي: ٢٠٨/٢٣.

(١٠) تفسير الثعلبي: ٢٠٨/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٩٢/٢١.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٩٩): ص ٢٢٨٠/٧.

قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} [غافر : ٤٣]، أي: " وأن الذين تعدوا حدوده بالمعاصي وسفك الدماء والكفر هم أهل النار" (٢).
 عن مجاهد، قوله: {وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ}، قال: هم السفّاقون الدماء بغير حقها" (٣).
 وعن قتادة: {وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ}، أي: المشركون" (٤).

القرآن

{فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)} [غافر : ٤٤]

التفسير:

فلما نصحهم ولم يطيعوه قال لهم: فستذكرون أنني نصحت لكم وذكّرتكم، وسوف تندمون حيث لا ينفع الندم، وألجأ إلى الله، وأعتصم به، وأتوكل عليه. إن الله سبحانه وتعالى بصير بأحوال العباد، وما يستحقونه من جزاء، لا يخفى عليه شيء منها.

قوله تعالى: {وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ} [غافر : ٤٤]، أي: " وألجأ إلى الله، وأعتصم به، وأتوكل عليه" (٥).

عن السدي: " {وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ}، قال: أجعل أَمْرِي إِلَى اللَّهِ" (٦).

القرآن

{فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥)} [غافر : ٤٥]

التفسير:

فوقى الله سبحانه ذلك الرجل المؤمن الموقق عقوبات مكر فرعون وآله، وحلّ بهم سوء العذاب حيث أغرقهم الله عن آخرهم.

قوله تعالى: {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا} [غافر : ٤٥]، أي: " فوقى الله سبحانه ذلك الرجل المؤمن الموقق عقوبات مكر فرعون وآله" (٧).

عن قتادة، قوله: " {سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوا}، قال: وكان قبطيا من قوم فرعون، فنجأ مع موسى، قال: وذكر لنا أنه بين يدي موسى يومئذ يسير ويقول: أين أمرت يا نبيّ الله؟ فيقول: أمامك، فيقول له المؤمن: وهل أمامي إلا البحر؟ فيقول موسى: لا والله ما كذبت ولا كذبت، ثم يسير ساعة ويقول: أين أمرت يا نبيّ الله؟ فيقول: أمامك، فيقول: وهل أمامي إلا البحر، فيقول: لا والله ما كذبت، ولا كذبت، حتى أتى على البحر فضربه بعصاه، فانفلق اثني عشر طريقا، لكل سبط طريق" (٨).

قوله تعالى: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} [غافر : ٤٥]، أي: " وحلّ بفرعون وجماعته سوء العذاب حيث أغرقهم الله عن آخرهم" (٩).

عن السدي في قول الله: " {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ}، قال: قوم فرعون" (١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٥٠٠) :ص٢٢٨٠/٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٧٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٩٢/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٩٣/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٧٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩٤/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧٢. [بتصرف]

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢١.

القرآن

{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)} [غافر : ٤٦]

التفسير:

لقد أصابهم الغرق أولاً وهلكوا، ثم يُعذبون في قبورهم حيث النار، يُعرضون عليها صباحاً ومساءً إلى وقت الحساب، ويوم تقوم الساعة يقال: أدخلوا آل فرعون النار؛ جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء. قوله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [غافر : ٤٦]، أي: "النار يحرقون بها صباحاً ومساءً"^(١).

وفي قوله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [غافر : ٤٦]، ثلاثة وجوه من التفسير: أحدها: أن أرواحهم في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح فذلك عرضها. قاله الهذيل بن شرحبيل^(٢)، والسدي^(٣)، والاوزاعي^(٤).

قال الهذيل بن شرحبيل: "أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو وتروح على النار، وذلك عرضها"^(٥).

قال السدي: "بلغني أن أرواح قوم فرعون في أجواف طير سود تعرض على النار غدوًّا وعشيًّا، حتى تقوم الساعة"^(٦).

قال حماد بن محمد الفزاري البلخي: "سمعت الأوزاعيّ وسأله رجل فقال: رحمك الله، رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضاء، فوجاً فوحاً، لا يعلم عددها إلا الله، فإذا كان العشيّ رجع مثلها سوداً، قال: وفطنتم إلى ذلك؟ قالوا: نعم، قال: إن تلك الطيور في حواصلها أرواح آل فرعون يُعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا، فترجع إلى وكورها وقد احترقت ريشها، وصارت سوداء، فتنتب عليها من الليل رياض بيض، وتتناثر السود، ثم تغدو، ويُعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا، ثم ترجع إلى وكورها، فذلك دأبها في الدنيا؛ فإذا كان يوم القيامة، قال الله: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}، قالوا: وكانوا يقولون: إنهم ست مئة ألف مقاتل"^(٧).

قال محمد بن كعب القرظي: "ليس في الآخرة ليل ولا نصف نهار، وإنما هو بُكرة وعشيّ، وذلك في القرآن في آل فرعون: {يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}، وكذلك قال لأهل الجنة: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}"^(٨).

وقال قتادة: "تعرض رُوح كلِّ كافر على النار بُكرةً وعشيًّا ما دامت الدنيا"^(٩).

الثاني: أنه يعرض عليهم مقاعدهم من النار غدوة وعشية، فيقال: لآل فرعون هذه منازلكم، توبيخاً ونقمة وصغاراً لهم. وهذا قول قتادة^(١٠).

(١) صفوة التفاسير: ٩٦/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥/٢١-٣٩٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢١-٣٩٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢١.

(٩) تفسير البغوي ٧/١٥١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢١.

قال قتادة: " يعرضون عليها صباحا ومساء، يقال لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم، توبيخا ونقمة وصغارا لهم" (١).

الثالث: أنهم يعذبون بالنار في قبرهم غدواً وعشيا، وهذا لآل فرعون خصوصاً.

عن مجاهد، قوله: " {غُدُّوْا وَعَشِيَّيَا}، قال: ما كانت الدنيا" (٢).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا. وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ما ذكرناه عن الهذيل ومن قال مثل قوله، وأن يكون كما قال قتادة، ولا خبر يوجب الحجة بأن ذلك المعني به، فلا في ذلك إلا ما دل عليه ظاهر القرآن، وهم أنهم يعرضون على النار غدواً وعشيا، وأصل الغدو والعشي مصادر جعلت أوقاتاً (٣).

روي عن أبي سعيد الخدري: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر في حديث الإسراء أنه أتى على سابلة آل فرعون حيث ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدواً وعشيا، فنادوا، وكان مما قالوا: ربنا لا تقم الساعة؛ لما يرون من عذاب الله" (٤).

قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦]، أي: "ويوم تقوم الساعة يقال: أدخلوا آل فرعون النار؛ جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء" (٥).

قال الأوزاعي: " فإذا كان يوم القيامة، قال الله: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}، قالوا: وكانوا يقولون: إنهم ست مئة ألف مقاتل" (٦).

عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحسن محسن من مسلم أو كافر إلا أثابه الله» قال: قلنا: يا رسول الله ما إثابة الكافر؟ فقال: «إن كان قد وصل رحماً أو تصدق بصدقة، أو عمل حسنة، أثابه الله المال والولد والصحة وأشبه ذلك» قلنا فما إثابته في الآخرة؟ قال: «عذاباً دون العذاب» وقرأ: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (٧).

القرآن

{وَأَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٧]

التفسير:

وإذ يتخاصم أهل النار، ويعاتب بعضهم بعضاً، فيحتج الأتباع المقلدون على رؤسائهم المستكبرين الذين أضلّوهم، وزينوا لهم طريق الشقاء، قائلين لهم: هل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار بتحملكم قسطاً من عذابنا؟

قوله تعالى: {فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا} [غافر: ٤٧]، أي: " فيقول الأتباع الضعفاء للرؤساء المستكبرين عن الإيمان واتباع الرسل، إنا كنا لكم في الدنيا أتباعاً كالخدم نناقدا لأوامركم، ونطيعكم فيما تدعوننا إليه من الكفر والضلال" (٨).

قال السدي: " {يقول الذين استضعفوا} [سبأ: ٣١] ، يعني: الأتباع من الكفار، {للذين استكبروا} [سبأ: ٣٣] ، يعني: الكبراء والقادة في الكفر" (٩).

(١) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢١.

(٢) تفسير مجاهد: ٥٨٣، وأخرجه الطبري: ٣٩٦/٢١.

(٣) تفسير الطبري: ٣٩٧/٢١.

(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (٦٧): ص ١٣٨.

(٥) التفسير الميسر: ٤٧٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٣٦): ص ١٠/٣٢٦٧.

(٨) صفوة التفسير: ٩٧/٣.

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩)} {غافر : ٤٩}

التفسير:

وقال الذين في النار من المستكبرين والضعفاء لخزنة جهنم: ادعوا ربكم يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا واحدًا من العذاب؛ كي تحصل لنا بعض الراحة.

قال إبراهيم التيمي: "إن أهل النار يدعون خزنة النار، فلا يجيبونهم مقدار أربعين سنة"^(٢). قال ابن جريج: "بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم: أن {ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ}، فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا: {فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}"^(٣). عن عمرو بن مرة -من طريق هارون بن عنترة- قال: "يرى أهل النار في كل سبعين عامًا ساق مالك خازن النار، فيقولون: {يا مالك ليقض علينا ربك} [الزخرف: ٧٧]. فيجيبهم بكلمة، ثم لا يرونه سبعين عامًا، فيستغيثون بالخزنة، فيقولون لهم {ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب} [غافر: ٤٩]. فيجيبونهم: {أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات} [غافر: ٥٠]. فيقولون: ادعوا ربكم، فليس أحدٌ أرحم من ربكم. فيقولون: {ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون}. قال: فيجيبهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}. فعند ذلك يبأسون من كل خير، ويأخذون في الشهيق والويل والثبور"^(٤).

القرآن

{قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)} {غافر

: ٥٠}

التفسير:

قال خزنة جهنم لهم توبيخًا: هذا الدعاء لا ينفعكم في شيء، أو لم تأتكم رسلكم بالحجج الواضحة من الله فكذبتموهم؟ فاعترف الجاحدون بذلك وقالوا: بلى. فتبرأ خزنة جهنم منهم وقالوا: نحن لا ندعو لكم، ولا نشفع فيكم، فادعوا أنتم، ولكن هذا الدعاء لا يغني شيئًا؛ لأنكم كافرون. وما دعاء الكافرين إلا في ضياع لا يُقبل، ولا يُستجاب.

قال سلميان التيمي: "إن أهل النار يدعون خزنة النار، فلا يجيبونهم مقدار أربعين سنة، ثم يكون جوابهم إياهم: {أولم تك تأتيكم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [غافر : ٥٠] الآية ، ثم ينادون مالكا فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة، ثم يكون جواب مالك إياهم: {لَنْتَكُم مَّاكُتُونَ} [الزخرف : ٧٧]، ثم يدعون ربهم فلا يجيبهم مقدار الدنيا مرتين ثم يكون جوابه إياهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون} [المؤمنون : ١٠٨]"^(٥).

القرآن

{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)} {غافر : ٥١}

التفسير:

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ونؤيدهم على مَنْ آذاهم في حياتهم الدنيا، ويوم القيامة، يوم تشهد فيه الملائكة والأنبياء والمؤمنون على الأمم التي كذبت رسلها، فتشهد بأن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، وأن الأمم كذبتهم.

(١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٦٢/٢.

(٢) أخرجه يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ١٣٧/٤ -.

(٣) أخرجه الطبري: ٧٥/١٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٧٩/١٩.

(٥) رواه ابن أبي زمنين في تفسيره: ١٣٧/٤.

قوله تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [غافر : ٥١]، أي: "ننصر الرسل والمؤمنين بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة المجرمين في هذه الحياة الدنيا"^(١). وفي قوله تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [غافر : ٥١]، وجهان من التفسير: أحدهما : أن ذلك في الحجة، يفتح الله حجتهم في الدنيا. قاله أبو العالية^(٢). الثاني : بالانتقام من أعدائهم. قاله السدي^(٣).

قال السدي : "قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم"^(٤). وقال السدي: "لم يبعث الله إليهم من ينصرهم، فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا وهم منصورون فيها"^(٥).

كما فعلَ بقتلة يحيى وزكريا وشعيا ، سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم ، وقد ذكر أن النمرود أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح ، عليه السلام ، من اليهود ، فسلط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم ، وأظهرهم الله عليهم. ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى ابن مريم إماما عادلا وحكما مقسطا ، فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام. وهذه نصره عظيمة ، وهذه سنة الله في خلقه في قديم الدهر وحديثه : أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ، ويقر أعينهم ممن آذاهم، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يقول الله تعالى : «من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب»"^(٦)، وفي الحديث الآخر : «إني لأتأثر لأوليائي كما يتأثر الليث الحرب»^(٧)؛ ولهذا أهلك تعالى قوم نوح وعاد وثمود ، وأصحاب الرس ، وقوم لوط ، وأهل مدين ، وأشباههم وأضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق. وأنجى الله من بينهم المؤمنين ، فلم يهلك منهم أحداً وعذب الكافرين ، فلم يفلت منهم أحداً.

وهكذا نصر الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من خالفه وناواه ، وكذبه وعاداه ، فجعل كلمته هي العليا ، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان. وأمره بالهجرة من بين ظهرائي قومه إلى المدينة النبوية ، وجعل له فيها أنصارا وأعوانا ، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر ، فنصره عليهم وخذلهم له ، وقتل صناديدهم ، وأسر سراتهم ، فاستاقهم مقرنين في الأصفاد ، ثم من عليهم بأخذه الفداء منهم ، ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة ، فقرت عينه ببلايه ، وهو البلاد المحرم الحرام المشرف المعظم ، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر ، وفتح له اليمن ، ودانت له جزيرة العرب بكاملها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا. ثم قبضه الله ، تعالى ، إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة ، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده ، فبلغوا عنه دين الله ، ودعوا عباد الله إلى الله. وفتحوا البلاد والرّساتيق والأقاليم والمدائن والقرى والقلوب ، حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها. ثم لا يزال هذا الدين قائما منصورا ظاهرا إلى قيام الساعة^(٨).

قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُقَوْمُ الشَّهَادُ} [غافر : ٥١]، أي: "وفي الآخرة يوم يحضر الشهداء الذين يشهدون بأعمال العباد، من ملك ونبي ومؤمن"^(٩).

(١) صفوة التفسير: ٩٨/٣.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٤٣٧):ص٣٢٦٧/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٠١/٢١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٤٣٨):ص٣٢٦٧/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٣٨):ص٣٢٦٧/١٠.

(٦) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٧) لم أجده بهذا اللفظ وقد رواه أبو نعيم في الحلية (١١/١) موقوفا على ابن عباس : "وأنا الثائر لأوليائي يوم القيامة".

(٨) تفسير ابن كثير: ١٥٠/٧-١٥١.

(٩) صفوة التفسير: ٩٨/٣.

وفي «الأشهاد»، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنهم الملائكة شهدوا للأنبياء بالإبلاغ ، وعلى الأمم بالتكذيب ، قاله مجاهد^(١)، وقتادة-في رواية-^(٢)، والأعمش^(٣).
الثاني : أنهم الملائكة والأنبياء، والمؤمنون. قاله قتادة^(٤).
الثالث : أنهم أربعة : الملائكة والنبيون والمؤمنون والأجساد ، قاله زيد بن أسلم^(٥).
ومعنى الآية: أنه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفهم، وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحيان امتحانا من الله، فالعاقبة لهم، ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين: والأشهاد جمع شاهد، كصاحب وأصحاب، يريد: الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم: {لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} ^(٦).

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤)} [غافر : ٥٣-٥٤]
التفسير:

ولقد آتينا موسى ما يهدي إلى الحق من التوراة والمعجزات، وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون التوراة خلقا عن سلف، هادية إلى سبيل الرشاد، وموعظة لأصحاب العقول السليمة.
قوله تعالى: {هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [غافر : ٥٤]، أي: " ، هادية إلى سبيل الرشاد، وموعظة لأصحاب العقول السليمة"^(٧).
عن السديّ: " {أولو الألباب}، قال: أولو العقول من الناس"^(٨).

القرآن

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥)} [غافر : ٥٥]
التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- على أذى المشركين، فقد وعدناك بإعلاء كلمتك، ووعدنا حق لا يتخلف، واستغفر لذنبك، ودم على تنزيه ربك عما لا يليق به، في آخر النهار وأوله.
سبب النزول:

قال مقاتل: "قوله: {فاصبر إن وعد الله حق}، وذلك أن الله -تبارك وتعالى- وعد النبي - صلى الله عليه وسلم - في آيتين من القرآن أن يُعَدَّبَ كفارَ مكة في الدنيا، فقالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم -: متى يكون هذا الذي تعدنا؟ يقولون ذلك استهزاء وتكديبا بأنه غير كائن؛ فأنزل الله يُعَزِّي نبيّه - صلى الله عليه وسلم - ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، فقال: {فاصبر إن وعد الله حق} في العذاب أنه نازل بهم القتل ببدر، وضرب الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار، فهذا العذاب"^(٩)

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٢/٢١.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٩٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٩٣/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٢/٢١.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٤٣٩):ص١٠-٣٢٦٧-٣٢٦٨.

(٦) الكشاف: ١٧٢/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(٨) أخرجه الطبرس: ١٩١/٢١.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان ٧١٨ /٣.

قوله تعالى: {وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [غافر : ٥٥]، أي: "وَدُمَّ عَلَى تَنْزِيهِ رَبِّكَ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ، فِي آخِرِ النَّهَارِ وَأَوَّلِهِ"^(١).
 عن قتادة: "{بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}"، قال: «صلاة الفجر وصلاة العصر، وكل شيء في القرآن من ذكر التسبيح فهي الصلاة»^(٢).
 عن مجاهد: "{سبح بالعشي والإبكار} الإبكار أول الفجر، والعشي مِيلَ الشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَ"^(٣).
 عن الضحاك: "{بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}"، قال: الصلوات المكتوبات"^(٤).
 قال الحسن: "{بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}"، يعني: صلاة العصر، وصلاة الفجر"^(٥).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِنْ كَبُرَ مَا هُمْ بِيَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)} [غافر : ٥٦]
 التفسير:

إن الذين يدفعون الحق بالباطل، ويرثون الحجج الصحيحة بالشبهة الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله، ليس في صدور هؤلاء إلا تكبر عن الحق؛ حسداً منهم على الفضل الذي آتاه الله نبيه، وكرامة النبوة التي أكرمها بها، وهو أمر ليسوا بمدركيه ولا نائله، فاعتصم بالله من شرهم؛ إنه هو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.
 سبب نزول الآيتين: [٥٦-٥٧]:

عن أبي العالية، قال: "إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان، ويكون من أمره فعظموا أمره، وقالوا: يصنع كذا ... فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِنْ كَبُرَ مَا هُمْ بِيَالِغِيهِ} [غافر : ٥٦]، قال: لا يبلغ الذي يقول، {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [غافر : ٥٦]، فأمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يتعوذ من فتنة الدجال، {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}، الدجال"^(٦).

قال ابن جريج: "زعموا أن اليهود قالوا: يكون منا ملك في آخر الزمان البحر إلى ركبته والسحاب دون رأسه يأخذ الطير بين السماء والأرض معه جبل خيز ونهر، فنزلت {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}"^(٧).

عن كعب الأحبار، في قوله: "{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ}"، قال: هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من أمر الدجال"^(٨).

قال مقاتل: "وذلك أن اليهود قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - إن صاحبنا يبعث في آخر الزمان وله سلطان يعنون الدجال ماء البحر إلى ركبته والسحاب فوق رأسه فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ}، يعني: يمارون في آيات الله، لأن الدجال آية من آيات الله - عز وجل"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(٢) تفسير عبدالرزاق (٢٦٨٣): ص ١٤٧/٣.

(٣) أخرجه الطبري (٧٠٢٤): ص ٣٩٢/٦-٣٩٣، وانظر: جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي (١٥٦): ص ٧٤.

(٤) الدر المنثور: ٢٩٣/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٥) تفسير البيهقي ١٥٢/٧.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٤٠): ص ٣٢٦٨/١٠.

(٧) الدر المنثور: ٢٩٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٤١): ص ٣٢٦٨/١٠.

(٩) تفسير مقاتل نب سليمان: ٧١٧/٣.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ} [غافر : ٥٦]، أي: "الذين يدفعون الحق بالباطل، ويردّون الحجج الصحيحة بالشبهة الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله"^(١).
 عن قتاد، قوله: "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ"، لم يأتهم بذاك سلطان"^(٢).
 قوله تعالى: {إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ} [غافر : ٥٦]، أي: "ليس في صدور هؤلاء إلا تكبر عن الحق؛ حسداً منهم على الفضل الذي آتاه الله نبيه، وكرامة النبوة التي أكرمها بها، وهو أمر ليسوا بمدركيه ولا نائله"^(٣).

وفي قوله تعالى: {إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ} [غافر : ٥٦]، قولان:
 أحدهما : أن الكبر: العظمة التي في كفار قريش ، ما هم ببالغيها، لأن الله مذمهم. قاله مجاهد^(٤).
 الثاني : ما يستكبر من الإعتقاد، وفيه قولان :
 أحدهما : هو ما أمله كفار قريش في النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي أصحابه أن يهلك ويهلكوا ، قاله الحسن^(٥).

الثاني : هو أن اليهود قالوا إن الدجال منا وعظموا أمره ، واعتقدوا أنهم يملكون ، وينتقمون ، قاله أبو العالية^(٦)، وكعب الأحبار^(٧).

والقول الثاني قول غريب ، وفيه تعسف بعيد^(٨)، ومعنى قوله: {ما هم ببالغيه} على هذا القول^(٩) أن الغلبة لا تكون للدجال على المسلمين، بل تكون للمسلمين على الدجال، فإن عيسى عليه السلام ينزل ويقتل الدجال نصرة للمسلمين، وقوله: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} أي: من شرك الدجال على هذا القول^(١٠).

قوله تعالى: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر : ٥٦]، أي: "فاعتصم بالله من شرهم إنه هو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم، وسيجازيهم عليها"^(١١).
 عن أبي العالية الرياحي، قال: "فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ" فأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس الدجال"^(١٢).
 قال محمد بن إسحاق: "أي : سميع لما يقولون"^(١٣).

القرآن

{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)} [غافر : ٥٧]

التفسير:

لَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَإِعَادَتِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ خَلْقَ جَمِيعِ ذَلِكَ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ.

(١) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٠٤/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢١.

(٥) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٥.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٤٤٠):ص:٣٢٦٨/١٠.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٤٤١):ص:٣٢٦٨/١٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٧.

(٩) أي القول الثاني.

(١٠) تفسير السمعاني: ٢٧/٥.

(١١) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٤٠):ص:٣٢٦٨/١٠.

(١٣) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص:١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص:١٨٦٧/٦.

قوله تعالى: {لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر : ٥٧]، أي: "لَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَإِعَادَتِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ"^(١).
عن ابي العالية: "لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ {الدجال}"^(٢).

القرآن

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)}
[غافر : ٥٨]

التفسير:

وما يستوي الأعمى والبصير، وكذلك لا يستوي المؤمنون الذين يُقِرُّون بأن الله هو الإله الحق لا شريك له، ويستجيبون لرسله ويعملون بشرعه، والجاحدون الذين ينكرون أن الله هو الإله الحق، ويكذبون رسله ولا يعملون بشرعه. قليلا ما تتذكرون -أيها الناس- حجج الله، فتعتبرون، وتتعظون بها.

قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} [غافر : ٥٨]، أي: "وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئا-وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينه-، مع البصير الذي يرى بعينه ما شخص لهما ويبصره- وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينه حجج الله، فيتفكر فيها ويتعظ"^(٣).

عن قتادة: " {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} قال: {الأعمى} الكافر، {والبصير} المؤمن"^(٤).
قال السدي: "يعني: بصر القلب بالإيمان وهو المؤمن"^(٥).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ} [غافر : ٥٨]، أي: "وكذلك لا يستوي المؤمنون الذين يُقِرُّون بأن الله هو الإله الحق لا شريك له، ويستجيبون لرسله ويعملون بشرعه، والجاحدون الذين ينكرون أن الله هو الإله الحق، ويكذبون رسله ولا يعملون بشرعه، قليلا ما تتذكرون -أيها الناس- حجج الله، فتعتبرون، وتتعظون بها"^(٦).
عن قتادة: " {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ} قَالَ: هُوَ فِي نَعْتِهِمْ بَعْدُ"^(٧).

وقرى: «يَتَذَكَّرُونَ»^(٨).

القرآن

{إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩)} [غافر : ٥٩]

التفسير:

إن الساعة لآتية لا شك فيها، فأيقنوا بمجيئها، كما أخبرت بذلك الرسل، ولكن أكثر الناس لا يُصدِّقون بمجيئها، ولا يعملون لها.

قوله تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا} [غافر : ٥٩]، أي: "إن القيامة آتية لا محالة، لا شك في ذلك ولا مرية"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(٢) الدر المنثور: ٢٩٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٥/٢١. [بتصرف]

(٤) الدر المنثور: ٢٩٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٤/٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٧) الدر المنثور: ٢٩٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد. وفي بعض النسخ: "هم في بغيهم بعد".

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٦/٢١.

(٩) صفوة التفاسير: ٩٩/٣.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن مالك، عن شيخ قديم من أهل اليمن -قدم من- ثم قال: سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء على الناس، واشتد حر الشمس^(١).

القرآن

{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)} [غافر : ٦٠]

التفسير:

وقال ربكم -أيها العباد-: ادعوني وحدي وخصوني بالعبادة أستجب لكم، إن الذين يتكبرون عن إفرادي بالعبودية والألوهية، سيدخلون جهنم صاغرين حقيرين.

قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر : ٦٠]، أي: "وقال ربكم -أيها العباد-: ادعوني وحدي وخصوني بالعبادة أستجب لكم"^(٢).

عن الحسن البصري -من طريق الربيع بن أنس- في قوله: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، قال: "اعملوا وأبشروا؛ فإنه حقٌّ على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله"^(٣).

قال كعب الأحبار: "أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطهن أمة قبلهم إلا نبي: كان إذا أرسل الله نبياً قيل له: «أنت شاهد على أمتك» وجعلكم شهداء على الناس"^(٤). وكان يقال له: «ليس عليك في الدين من حرج» وقال لهذه الأمة: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج : ٧٨]، وكان يقال له: «ادعوني أستجب لك»، وقال لهذه الأمة: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر : ٦٠]^(٥).

عن محمد بن سعيد قال: لما مات محمد بن مسلمة الأنصاري، وجدنا في ذؤابة سيفه كتاباً: "بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن لربكم في بقية دهركم نفحات، فتعرضوا له، لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبداً"^(٦).

قال ثابت: "قالت لأنس: يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا بل هو العبادة كلها"^(٧).

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر : ٦٠]، أي: "إن الذين يتكبرون عن إفرادي بالعبودية والألوهية، سيدخلون جهنم صاغرين حقيرين"^(٨).

عن السدي: "إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}، قال: عن دعائي"^(٩).

عن السدي: "دَاخِرِينَ}، قال: صاغرين"^(١٠).

وفي الحديث: «يُحْتَسَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الدَّرِّ، فِي صُورِ النَّاسِ، يَعْطَوْنَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سَجْنَا فِي جَهَنَّمَ - يُقَالُ لَهُ : بُولَس - تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يَسْقُونَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ : عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ»^(١١).

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٤٤٢): ص ١٠/٣٢٦٨.

(٢) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٧/ ٢٢٧ (١٨٨٣). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤) قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة : ١٤٣].

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٤٤٣): ص ١٠/٣٢٦٨-٣٢٦٩.

(٦) رواه الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، كما في تفسير ابن كثير: ١٥٤/٧، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣٣/١٩) من وجه آخر.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢١.

(١١) المسند (١٧٩/٢).

عن أبي بكر بن محمد بن يزيد بن خنيس، قال: "سمعت أبي يحدث عن وهيب بن الورد : حدثني رجل، قال : "كنت أسير ذات يوم في أرض الروم ، فسمعت هاتفا من فوق رأس جبل وهو يقول : يا رب ، عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحدا غيرك! يا رب ، عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه إلى أحد غيرك - قال : ثم ذهبت ، ثم جاءت الطامة الكبرى - قال : ثم عاد الثانية فقال : يا رب ، عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك يُرضي غيرك. قال وهيب : وهذه الطامة الكبرى. قال : فنأديته : أجنبي أنت أم إنسي ؟ قال : بل إنسي، أشغل نفسك بما يعنك عما لا يعنك"^(١).

عن عطاء - من طريق ابن جريج- قال: "لما نزلت: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} فقالوا: لو علمنا أي ساعة هي؟ فنزلت: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا} [البقرة: ١٨٦]"^(٢).

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} {٦١} [غافر : ٦١]

التفسير:

الله وحده هو الذي جعل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه، وتحققوا راحتكم، والنهار مضيئاً؛ لتصرفوا فيه أمور معاشكم. إن الله لذو فضل عظيم على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرون له بالطاعة وإخلاص العبادة. قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا} [غافر : ٦١]، أي: "الله وحده هو الذي جعل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه، وتحققوا راحتكم، والنهار مضيئاً؛ لتصرفوا فيه أمور معاشكم"^(٣). عن قتادة: "الليل سكننا: يسكن فيه كل طائر ودابة، {النهار مبصر}، أي: منيرا"^(٤). قال مجاهد: "الشمس آية النهار"^(٥).

القرآن

{ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُؤَفَّكُونَ} {٦٢} [غافر : ٦٢]

التفسير:

الذي أنعم عليكم بهذه النعم إنما هو ربكم خالق الأشياء كلها، لا إله يستحق العبادة غيره، فكيف تعدلون عن الإيمان به، وتعبدون غيره من الأوثان، بعد أن تبينت لكم دلائله؟ قوله تعالى: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [غافر : ٦٢]، أي: "لا إله يستحق العبادة غيره"^(٦). عن محمد بن إسحاق: "{لا إله إلا هو}"، قال: ليس معه غيره شريكا في أمره"^(٧). عن كعب، قال: "{لا إله إلا الله}" كلمة الإخلاص"^(٨). قوله تعالى: {فَأَتَىٰ تُؤَفَّكُونَ} [غافر : ٦٢]، أي: "كيفية تعدلون عن الإيمان به، وتعبدون غيره من الأوثان، بعد أن تبينت لكم دلائله؟"^(٩).

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٥٥/٧.

(٢) أخرجه سفيان الثوري ص ٢٦٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٦٩)، و(١٠٤٧٠): ص ١٩٦٧/٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٧٠): ص ١٩٦٧/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٣٤): ص ٢٠١٠/٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٦٤): ص ١٥٨٦/٥.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧٤.

عن الحسن: "فَأَتَى تُوفِّكَونَ"، قال: أنى تصرفون" (١).

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)} [غافر : ٦٤]

التفسير:

الله الذي جعل لكم الأرض؛ لتستقروا فيها، ويسر لكم الإقامة عليها، وجعل السماء سقفا للأرض، وبت فيها من العلامات الهادية، وخلقكم في أكمل هيئة وأحسن تقويم، وأنعم عليكم بحلال الرزق ولذيذ المطاعم والمشارب، ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو ربكم، فتكاثر خيره وفضله وبركته، وتنزه عما لا يليق به، وهو ربُّ الخلائق أجمعين.

قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا} [غافر : ٦٤]، أي: "الله الذي جعل لكم الأرض؛ لتستقروا فيها، ويسر لكم الإقامة عليها" (٢).

عن الربيع في قوله: "ولكم في الأرض مستقر"، قال: هو قوله: {جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا} (٣).

قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} [غافر : ٦٤]، أي: "وجعل السماء سقفا للأرض، وبت فيها من العلامات الهادية" (٤).

عن قتادة في قول الله: "والسمااء بناء"، قال: جعل السماء سقفا لك" (٥).

قوله تعالى: {وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} [غافر : ٦٤]، أي: "وأنعم عليكم بحلال الرزق ولذيذ المطاعم والمشارب" (٦).

قال السدي: "يقول جعل رزقكم أطيب من رزق الدواب والطيور والجن" (٧).

القرآن

{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)} [غافر : ٦٥]

التفسير:

هو الله سبحانه الحي الذي له الحياة الكاملة التامة لا إله غيره، فاسألوه واصرفوا عبادتكم له وحده، مخلصين له دينكم وطاعتكم. فالحمد لله والثناء الكامل له رب الخلائق أجمعين.

قوله تعالى: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [غافر : ٦٥]، أي: "هو الله سبحانه الحي الذي له الحياة الكاملة التامة، لا إله غيره" (٨).

عن كعب قال: "لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص" (٩).

قال محمد بن إسحاق: "لا إله إلا الله، أي: ليس معه غيره شريك في أمره" (١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٦٦٧): ص ١٣٥٣/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٣) أخرجه الطبري (٧٦٦): ص ٥٣٨/١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٥) أخرجه الطبري (٤٧٩): ص ٣٦٧/١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٧) نقلا عن تفسير ابن أبي زمنين: ١٤١/٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٣١٢٣): ص ٥٨٥/٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٧٣٦): ص ٥٧٣٣/٣.

قوله تعالى: {فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [غافر : ٦٥]، أي: " فاسألوه واصرفوا عبادتكم له وحده، مخلصين له دينكم وطاعتكم" (١).

قال أبو العالية: " أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له" (٢).

قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر : ٦٥]، أي: " فالحمد لله والثناء الكامل له رب الخلائق أجمعين" (٣).

قال كعب: " «الحمد لله»: ثناء على الله" (٤).

قال الضحاك: " «الحمد لله»: رداء الرحمن" (٥).

قال سعيد بن جبير: "إذا قال أحدكم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فليقل: الحمد لله رب العالمين، ثم قال: {فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}" (٦).

القرآن

{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر : ٦٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، لَمَّا جَاءَنِيَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، وَأُمِرْتُ أَنْ أُخْضِعَ وَأَنْقَادَ بِالطَّاعَةِ التَّامَةَ لَهُ، سُبْحَانَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
سبب النزول:

عن ابن عباس: "أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالوا: يا محمد، ارجع عما تقول، وعليك بدين آبائك وأجدادك. فأنزل الله تعالى: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}" (٧).

قال مقاتل: " وذلك أن كفار مكة من قريش قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: ما يحملك على هذا الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى مكة أبيك عبد الله، وجدك عبد المطلب، وإلى سادة قومك يعبدون اللات والعزى ومناة فتأخذ به فما يحملك على ذلك إلا الحاجة فنحن نجمع لك من أموالنا، فأمره بترك عبادة الله- تعالى- فأنزل الله {قل} يا محمد لكفار مكة: {إني نهيت أن أعبد الذين تَدْعُونَ}" (٨).

قوله تعالى: {وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر : ٦٦]، أي: " وأمرني أن أخضع وأنقاد بالطاعة التامة له، سبحانه رب العالمين" (٩).

وفي قوله تعالى: {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وجوه:

أحدها: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيبث بن شمس عن تبيع (١٠).

الثاني: أن «رب العالمين»: ما وصف من خلقه. قاله قتادة (١١).

الثالث: أن «رب العالمين»: الجن والإنس، وهذا قول مجاهد (١٢).

(١) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٢١): ص ٢١٤٦/٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٧٤): ص ١٤٧٩/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٧٥): ص ١٤٧٩/٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٤١١/٢١.

(٧) الدر المنثور: ٣٠٤/٧، وعزاه السيوطي إلى ابن جرير.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٩/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠٢٥٢): ص ١٩٣١/٦.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠٢٥٣): ص ١٩٣١/٦.

(١٢) تفسير ابن أبي حاتم: ١٩٣٢/٦.

القرآن

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧)} [غافر : ٦٧]

التفسير:

هو الله الذي خلق أباكم آدم من تراب، ثم أوجدكم من المنى بقدرته، وبعد ذلك تنتقلون إلى طور الدم الغليظ الأحمر، ثم تجري عليكم أطوار متعددة في الأرحام، إلى أن تولدوا أطفالاً صغاراً، ثم تقوى بئبئكم إلى أن تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتبلغوا بهذه الأطوار المقدرة أجلاً مسمى تنتهي عنده أعماركم، ولعلكم تعقلون حجج الله عليكم بذلك، وتتدبرون آياته، فتعرفون أنه لا إله غيره يفعل ذلك، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ} [غافر : ٦٧]، أي: "الله وحده الذي خلقكم من تراب، ثم من منى، ثم من قطعة عاقلة بجدار الرحم فيها الخطوط الأولى للتخليق"^(١).

قال قتادة: "وَالله خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ يَعْنِي خَلَقَ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، {ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} يَعْنِي: دُرَيْتَهُ"^(٢).
قوله تعالى: {ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا} [غافر : ٦٧]، أي: "ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً، ثم ينشأ أعماركم ويؤخرها لتبلغوا أشدكم من الكمال والقوة، ثم يمد في آجالكم لتكونوا شيوخاً"^(٣).

قال قتادة: "يُخْرِجُ الْعُلَامَ لِسَبْعٍ وَيَحْتَلِمُ لِأَرْبَعَةِ عَشْرٍ وَيَنْتَهِي طَوْلُهُ لِإِحْدَى وَعَشْرِينَ وَيَنْتَهِي عَقْلُهُ لِثَمَانٍ وَعَشْرِينَ وَيَبْلُغُ أَشَدَّهُ لثَلَاثٍ وَتَلَاثِينَ"^(٤).

قوله تعالى: {وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [غافر : ٦٧]، أي: "ولتصلوا إلى الزمان الذي حُدِّد لكل شخص وهو الموت، ولعلكم تعقلون حجج الله عليكم بذلك، وتتدبرون آياته، فتعرفون أنه لا إله غيره يفعل ذلك، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له"^(٥).

عن ابن جريج: {وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، قال: "تتذكرون البعث"^(٦).

القرآن

{هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨)} [غافر : ٦٨]

التفسير:

هو سبحانه المتفرد بالاحياء والإماتة، فإذا قضى أمراً فإنما يقول له: «كن»، فيكون، لا راداً لقضائه.

قوله تعالى: {إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [غافر : ٦٨]، أي: "فإذا قضى أمراً فإنما يقول له: «كن»، فيكون، لا راداً لقضائه"^(٧).

قال محمد بن إسحاق: "إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"، مما يشاء وكيف يشاء فيكون كما أراد"^(٨).

عن الضحاك، قال: "فإنما يقول له كن فيكون"، وهذا من لغة الأعاجم. وهي بالعبرية: أصنع"^(٩).

(١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٦٦١/٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٥): ص ٣١٧٤/١٠.

(٣) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٦٦١/٨.

(٤) الدر المنثور: ٣٠٥/٧، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٥) صفة التفاسير: ١٠١/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٤٢/٧.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٥.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٥٣٠): ص ٦٥٣/٢.

عن قتادة: قوله: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"، قال: ليس من كلام العرب أهون ولا أخف من ذلك فأمر الله كذلك" (٢).

القرآن

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩)} [غافر : ٦٩]

التفسير:

ألا تعجب -أيها الرسول- من هؤلاء المكذبين بآيات الله يخاصمون فيها، وهي واضحة الدلالة على توحيد الله وقدرته، كيف يعدلون عنها مع صحتها؟ وإلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ} [غافر : ٦٩]، أي: "ألا تعجب -أيها الرسول- من هؤلاء المكذبين بآيات الله يخاصمون فيها، وهي واضحة الدلالة على توحيد الله وقدرته" (٣).

قال محمد بن سيرين: "إن لم يكن أهل القدر الذين يخوضون في آيات الله فلا علم لنا به" (٤).

عن عقبة بن عامر الجهني، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سَيِّئُكَ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ الْكِتَابِ،

وَأَهْلُ اللَّيْنِ" فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل اللين؟ قال: "قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ كِتَابَ اللَّهِ يُجَادِلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا"،

فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل اللين؟ قال: "قَوْمٌ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، وَيُضَيِّعُونَ الصَّلَوَاتِ". قال أبو قبيل: لا

أحسب المكذبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا، وأما أهل اللين، فلا أحسبهم إلا أهل العمود (٥) ليس

عليهم إمام جماعة، ولا يعرفون شهر رمضان" (٦).

قوله تعالى: {أَنَّى يُصْرَفُونَ} [غافر : ٦٩]، أي: "كيف يعدلون عنها مع صحتها؟ وإلى أي شيء

يذهبون بعد البيان التام؟" (٧).

عن قتادة: "أَنَّى يُصْرَفُونَ": أنى يكذبون ويعدلون" (٨).

القرآن

{الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ

يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢)} [غافر : ٧٠-٧٢]

التفسير:

هؤلاء المشركون الذين كذبوا بالقرآن والكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله لهداية الناس، فسوف يعلم

هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم حين تُجعل الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، وتسحبهم زبانية

العذاب في الماء الحار الذي اشتد غليانه وحره، ثم في نار جهنم يوقد بهم.

قوله تعالى: {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [غافر : ٧٠]، أي: "هؤلاء

المشركون الذين كذبوا بالقرآن والكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله لهداية الناس، فسوف يعلم هؤلاء

المكذبون عاقبة تكذيبهم" (١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٨) بص ٢١٥/١.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢٠، وابن أبي حاتم (١٨١٢٥): ص ٣٢٠٣/١٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢١.

(٥) قال المحقق: "كذا في الأصل، ولم أجد معنى للعمود في النهاية لابن الأثير، ولعله محرف عن (العمور) بضم العين، جمع

عمر، بفتح فسكون وبضميتين، وهو من النخيل، وهو الحسوق الطويل. يريد أصحاب هذه النخل الملازمين لها، يجادلون في

الدين، بلا علم ولا فقه".

(٦) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢١-٤١٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢١.

عن الحسن: "فسوف يعلمون"، قال: وعيد^(٢).
 قوله تعالى: {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢)}
 [غافر : ٧٠-٧٢]، أي: "حين تُجعل الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، وتسحبهم زبانية العذاب في
 الماء الحار الذي اشتد غليانه وحره، ثم في نار جهنم يوقد بهم"^(٣).
 عن مجاهد، قوله: "يُسْجَرُونَ"، قال: يوقد بهم النار"^(٤). "تمرحون" قال: تبطرون وتاشرون"^(٥).
 وعن السدي: "ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ"، قال: يحرقون في النار"^(٦).
 عن التيمي -من طريق ابنه- قال: "لو أن غُلًا من أغلال جهنم وُضع على جبلٍ لوَهَّصَهُ^(٧) حتى يبلغ
 الماء الأسود"^(٨).

عن سعيد بن عبيد، قال: "كان سعيد بن جبير إذا أتى على هذه الآية: فسوف يعلمون إذ الأغلال في
 أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون" رجَّع فيها، ورددها مرتين أو ثلاثاً"^(٩).
 عن يعلى بن منية رفع الحديث إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «ينشئ الله سحابة لأهل
 النار سوداء مظلمة ويقال: يا أهل النار، أي: شيء تطلبون؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون: نسأل برد
 الشراب فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمراً يلهب النار عليهم"^(١٠).

القرآن

{ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ
 يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤)} [غافر : ٧٣-٧٤]

التفسير:

ثم قيل لهم توبيخاً، وهم في هذه الحال التعيسة: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم
 اليوم؟ فادعوهم؛ لينقذوكم من هذا البلاء الذي حلَّ بكم إن استطاعوا، قال المكذبون: غابوا عن عيوننا، فلم
 ينفعونا بشيء، ويعترفون بأنهم كانوا في جهالة من أمرهم، وأن عبادتهم لهم كانت باطلة لا تساوي شيئاً، كما
 أضل الله هؤلاء الذين ضلَّ عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله، يضل الله الكافرين به.
 قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ} [غافر : ٧٤]، أي: "كما أضل الله هؤلاء الذين ضلَّ عنهم في
 جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله، يضل الله الكافرين به"^(١١).
 قال الحسن: "كذلك يضل الله أعمالهم بإبطالها"^(١٢).

القرآن

- (١) التفسير الميسر: ٤٧٥.
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٤٣٧): ص ٣٠٨٢/٩.
- (٣) التفسير الميسر: ٤٧٥.
- (٤) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢١.
- (٥) الدر المنثور: ٣٠٦/٧، وعزاه إلى الفرَّابيَّ وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
- (٦) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢١.
- (٧) وهصه: كسره ودقه. لسان العرب (وهص).
- (٨) أخرجه إسحاق البستي ص ٢٨٦.
- (٩) أخرجه عبد الرزاق ١٨٣/٢.
- (١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٤٥): ص ٣٢٦٩/١٠، ورواه الطبراني في الأوسط برقم (٤٨٤٦) وابن عدي في الكامل (٣٩٤/٦) من طريق أحمد بن منيع عن منصور به، وقال الطبراني: "لا يروى إلا بهذا الإسناد تفرد به منصور". وقال الهيثمي في المجمع (٣٩٠/١٠): "فيه من فيه ضعف قليل، وفيه من لم أعرفه".
- (١١) التفسير الميسر: ٤٧٥.
- (١٢) حكاه عنه ابن فورك في التفسير: ٣٧٢/٢.

{ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥)} [غافر : ٧٥]
التفسير:

ذلكم العذاب الذي أصابكم إنما هو بسبب ما كنتم عليه في حياتكم الدنيا من غفلة، حيث كنتم تفرحون بما تقترفونه من المعاصي والآثام، وبما أنتم عليه من الأشر والبطر والبغي على عباد الله.

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [غافر : ٧٥]، أي: " ذلكم العذاب الذي أصابكم إنما هو بسبب ما كنتم عليه في حياتكم الدنيا من غفلة، حيث كنتم تفرحون بما تقترفونه من المعاصي والآثام"^(١).

عن مجاهد: "بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ"، قال: تَبْطَرُونَ، وتَأْشَرُونَ"^(٢).

قوله تعالى: {وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} [غافر : ٧٥]، أي: " وبما أنتم عليه من الأشر والبطر والبغي على عباد الله"^(٣).

عن مجاهد، قوله: " {وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ}، يقول: تَبْطَرُونَ وتَأْشَرُونَ"^(٤).
وقال السدي: " تَبْطَرُونَ"^(٥).

روى خالد عن ثور عن معاذ قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يبغض البذخين الفرخين المرخين ، ويحب كل قلب حزين ويبغض أهل بيت لحمين ، ويبغض كل حبر سمين»"^(٦)، فأما أهل بيت لحمين فهم الذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة ، وأما الحبر السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر به الناس ، يعني المستكثر من علمه ولا ينفع به الناس"^(٧).

قال أهل العلم: " علاج من استخفه الفرح إكثار ذكر الموت واستحضار قبح الدنيا وسرعة زوالها وكدها"^(٨).

القرآن

{ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦)} [غافر : ٧٦]

التفسير:

ادخلوا أبواب جهنم عقوبة لكم على كفركم بالله ومعصيتكم له خالدين فيها، فبئس مَثْوًى للمتكبرين في الدنيا على الله.

قوله تعالى: {ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} [غافر : ٧٦]، أي: " ادخلوا أبواب جهنم عقوبة لكم على كفركم بالله ومعصيتكم له خالدين فيها"^(٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٧٥.

(٢) تفسير مجاهد ص ٥٨٤، وأخرجه الفريابي - كما في تعليق التعليق ٤ / ٣٠٠ -.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٥.

(٤) تفسير مجاهد: ٥٨٤، وتفسير الطبري: ٤١٨/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٤١٨/٢١.

(٦) أخرجه الديلمي في الفردوس (٥٥٩) وفي إسناده إسماعيل بن زياد ويقال ابن أبي زياد الكوفي قال الحافظ ابن حجر: متروك كذبوه (تقريب ٤٤٦). وقال الألباني في ضعيف الجامع (١٦٨٧) والسلسلة الضعيفة (٣١١٧): موضوع.

قال المناوي : وفيه إسماعيل بن أبي زياد الشامي قال في الميزان قال الدارقطني متروك يضع الحديث. انظر: فتح القدير: ٢٨٤/٢، والتيسير بشرح الجامع الصغير: ٢٦٨/١.

والخير تناقله المفسرون، انظر: النكت والعيون: ١٦٥/٥، وتفسير السمعاني: ٣٢/٥، وتفسير القرطبي: ٣٣٣/١٥، والبحر المحيط: ٢٧٣/٩.

(٧) نقلا عن: النكت والعيون: ١٦٥/٥.

(٨) فتح القدير: ٢٨٤/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧٥.

عن سعيد بن جبير، قوله: "{خالدين فيها}"، يعني: لا يموتون"^(١).

القرآن

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَأِمَّا تُرِيدُ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيكَ فَالْيُسْرَى يُرْجَعُونَ (٧٧)} [غافر : ٧٧]

التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- وامض في طريق الدعوة، إن وعد الله حق، وسيُجز لك ما وعدك، فإما تريدُ بعضَ حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نتوفيتك قبل أن يحلَّ ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

قوله تعالى: {فَالْيُسْرَى يُرْجَعُونَ} [غافر : ٧٧]، أي: "فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون"^(٢).

قال أبو العالية: "يرجعون إليه بعد الحياة"^(٣).

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨)} [غافر : ٧٨]

التفسير:

ولقد أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- رسلا كثيرين إلى قومهم يدعونهم، ويصبرون على أذاهم: منهم من قصصنا عليك خبرهم، ومنهم من لم نقصص عليك، وكلهم مأمورون بتبليغ وحي الله إليهم. وما كان لأحد منهم أن يأتي بآية من الآيات الحسية أو العقلية إلا بإذن الله ومشيئته، فإذا جاء أمر الله بعذاب المكذبين فُضي بالعدل بين الرسل ومكذبيهم، وخسر هنالك المبطلون؛ لافترائهم على الله الكذب، وعبادتهم غيره.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [غافر : ٧٨]، أي: "وما صحَّ ولا استقام لرسولٍ من الرسل أن يأتي قومه بشيء من المعجزات إلا بأمر الله"^(٤).

عن عطاء: "{إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}" بمشيئة الله"^(٥).

قوله تعالى: {وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} [غافر : ٧٨]، أي: "وخسر هنالك المبطلون؛ لافترائهم على الله الكذب، وعبادتهم غيره"^(٦).

عن السُّدِّي: "{المبطلون}" يقول: المكذبون"^(٧).

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النَّعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠)} [غافر : ٧٩-٨٠]

التفسير:

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٣٠٠):ص٤/١١٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٣٨٢):ص٤/١٣٠٦.

(٤) صفة التفسير: ١٠٣/٣.

(٥) تفسير الثعلبي ١٥٣/٥، وتفسير البغوي ١٥٣/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(٧) علقه يحيى بن سلام ٦٣٥/٢.

الله سبحانه هو الذي جعل لكم الأنعام؛ لتنتفعوا بها: من منافع الركوب والأكل وغيرها من أنواع المنافع، ولتبلغوا بالحمولة على بعضها حاجة في صدوركم من الوصول إلى الأقطار البعيدة، وعلى هذه الأنعام تُحْمَلُونَ في البرية، وعلى السفن في البحر تُحْمَلُونَ كذلك.

قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ} [غافر : ٨٠]، أي: "ولكم في هذه الأنعام منافع عديدة"^(١).
عن قتادة، قوله: {وَلْتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ}، يعني: الإبل تحمل أثقالكم إلى بلد"^(٢). وفي رواية: "من بلد إلى بلد"^(٣).

عن مجاهد: "وَلْتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ"، يعني: «حاجاتكم في الأسفار ما كانت»^(٤)، وفي رواية: "لحاجتكم ما كانت"^(٥).

قوله تعالى: {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} [غافر : ٨٠]، أي: "وعلى هذه الأنعام تُحْمَلُونَ في البرية، وعلى السفن في البحر تُحْمَلُونَ كذلك"^(٦).
عن مجاهد: "الفلك": السفينة"^(٧).

القرآن

{وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١)} [غافر : ٨١]

التفسير:

ويريكم الله تعالى دلائله الكثيرة الواضحة الدالة على قدرته وتدبيره في خلقه، فأى آية من آياته تنكرونها، ولا تعترفون بها؟

قوله تعالى: {وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ} [غافر : ٨١]، أي: "ويريكم الله تعالى دلائله الكثيرة الواضحة الدالة على قدرته وتدبيره في خلقه"^(٨).

عن سعيد بن جبير، قوله: "إن في ذلك لآيات"، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"^(٩).
عن سعيد بن جبير، في قوله: "إن في ذلك لآية"، قال: "هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"^(١٠).

قوله تعالى: {فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ} [غافر : ٨١]، أي: "فأى آية من آياته تنكرونها، ولا تعترفون بها؟"^(١١).

قال ابن جريج: "كل شيء في القرآن آيات، بذلك تعرفون الله إنكم لن تروه فتعرفونه على رؤية ولكن تعرفون بآياته وخلقه"^(١٢).

القرآن

- (١) صفوة التفاسير: ١٠٣/٣.
- (٢) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢١-٤٢١.
- (٣) أخرجه عبد الرزاق ١٨٣/٢.
- (٤) تفسير مجاهد: ٥٨٤.
- (٥) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢١.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٧٦.
- (٧) أخرجه الطبري (١٨١٢٧): ص ٣٠٨/١٥.
- (٨) التفسير الميسر: ٤٧٦.
- (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٧١): ص ١٩٦٧/٦.
- (١٠) أخرجه الطبري: ١٢٣/١٧.
- (١١) التفسير الميسر: ٤٧٦.
- (١٢) الدر المنثور: ٤٩٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)} [غافر : ٨٢]

التفسير:

أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض ويتفكروا في مصارع الأمم المكذبة من قبلهم، كيف كانت عاقبتهم؟ وكانت هذه الأمم السابقة أكثر منهم عددًا واثارًا في الأرض من الأبنية والمصانع والغراس وغير ذلك، فما أعنى عنهم ما كانوا يكسبونه حين حل بهم بأس الله.

قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [غافر : ٨٢]، أي: "أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض ويتفكروا في مصارع الأمم المكذبة من قبلهم، كيف كانت عاقبتهم؟" (١).

عن عباد بن منصور، قال: "سألت الحسن، عن قوله: {قل سيروا في الأرض}، قال: لم يسيروا في الأرض" (٢).

قال الحسن: "فينظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله" (٣). قال قتادة: "عاقبة الأولين والأمم قبلكم. قال: كان سوء عاقبة متعهم الله قليلا ثم صاروا إلى النار" (٤). قال قتادة: "بس والله، كان عاقبة المجرمين، دمر الله عليهم، وأهلكهم، ثم صيرهم إلى النار" (٥). قوله تعالى: {كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ} [غافر : ٨٢]، أي: "وكانت هذه الأمم السابقة أكثر منهم عددًا واثارًا في الأرض من الأبنية والمصانع والغراس وغير ذلك" (٦). عن مجاهد: "{وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ}، المشي بأرجلهم" (٧).

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣)} [غافر : ٨٣]

التفسير:

فلما جاءت هؤلاء الأمم المكذبة رسلها بالدلائل الواضحات، فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم المناقض لما جاءت به الرسل، وحل بهم من العذاب ما كانوا يستعجلون به رسلهم على سبيل السخرية والاستهزاء. قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} [غافر : ٨٣]، أي: "فلما جاءت هؤلاء الأمم المكذبة رسلها بالدلائل الواضحات، فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم المناقض لما جاءت به الرسل" (٨).

وفي قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} [غافر : ٨٣]، وجهان من

التفسير:

أحدهما : أنهم قالوا: نحن أعلم منهم، لن نُعَذَّبَ، ولن نُبْعَثَ، قاله مجاهد (٩).

(١) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٢): ص ٢٩١٦/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٤): ص ٢٩١٦/٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٥): ص ٢٩١٦/٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٣): ص ٢١٦/٩، والطبري (١٣٠٩٥): ص ٢٧٣/١١ [باختصار].

(٦) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢/٢١.

الثاني : فرحوا بما كان عندهم أنه علم، وهو جهل ، قاله السدي^(١).

قال السدي: "بجهالتهم"^(٢).

قوله تعالى: {وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [غافر : ٨٣]، أي: "وحلَّ بهم من العذاب ما كانوا يستعجلون به رسلهم على سبيل السخرية والاستهزاء"^(٣).

عن مجاهد، قوله: "وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"، ما جاءتهم به رسلهم من الحق"^(٤).

عن مجاهد: "وَحَاقَ بِهِمْ" أي: حل بهم، {ما كانوا به يستهزئون}، يعني: " بما جاءتهم به رسلهم من الحق، يقول: استهزءوا به"^(٥).

قال السدي: " وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به"^(٦).

القرآن

{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤)} [غافر : ٨٤]

التفسير:

فلما رأوا عذابنا أقرؤا حين لا ينفع الإقرار، وقالوا: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين في عبادة الله.

قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ} [غافر : ٨٤]، أي: " فلما رأوا عذابنا أقرؤا حين لا ينفع الإقرار، وقالوا: آمنا بالله وحده"^(٧).

عن السدي: " {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}، قال: النعمات التي نزلت بهم"^(٨).

القرآن

{فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)}

[غافر : ٨٥]

التفسير:

فلم يك ينفعهم إيمانهم هذا حين رأوا عذابنا؛ وذلك لأنه إيمان قد اضطروا إليه، لا إيمان اختيار ورغبة، سنة الله وطريقته التي سنَّها في الأمم كلها أن لا ينفعها الإيمان إذا رأوا العذاب، وهلك عند مجيء بأس الله الكافرون بربهم، الجاحدون توحيده وطاعته.

قوله تعالى: {فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} [غافر : ٨٥]، أي: " فلم يك ينفعهم إيمانهم هذا حين رأوا عذابنا؛ وذلك لأنه إيمان قد اضطروا إليه، لا إيمان اختيار ورغبة"^(٩).

قال قتادة: " لما رأوا عذاب الله في الدنيا لم ينفعهم الإيمان عند ذلك"^(١٠).

قوله تعالى: {سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ} [غافر : ٨٥]، أي: " سنة الله وطريقته التي سنَّها في الأمم كلها أن لا ينفعها الإيمان إذا رأوا العذاب"^(١١).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٢٢/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢١.

(٥) تفسير مجاهد: ٥٨٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧١٥): ص ٢٠٠٧/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٧٦.

قال قتادة: " يقول: كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل إذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك"^(١).
«آخر تفسير سورة (غافر)، والحمد لله وحده»

(١) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢١.

بسم الله الرحمن الرحيم تفسير سورة «فصلت»

سورة «فصلت»: هي السورة «الواحد والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الحادية والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة غافر»، وقبل «سورة الزخرف»، وهي السورة الثانية من الحواميم السبع بعد «سورة غافر»^(١).

عدد آياتها أربع وخمسون في عد الكوفة، وثلاث في عد الحجاز، واثنان في عد البصرة، والشام. وكلماتها سبعمئة وست وتسعون. وحروفها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون، والمختلف فيها آيتان: {حم (١)} [فصلت : ١]، {عَادٍ وَتَمُودَ} [فصلت : ١٣]، مجموع فواصل آياتها «ظن طب حرم صد»^(٢).

■ مكان نزول السورة:

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: "نزلت «حم» السجدة بمكة"^(٣). وروي عن ابن الزبير مثله^(٤).

قال ابن الجوزي: "مكية كلها بإجماعهم"^(٥).

قال أبو حيان: " هذه السورة مكية بلا خلاف"^(٦).

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٠٢/٢٤، والتحريير والتنوير: ٢٢٨/٢٤.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٤١٣.

(٣) الدر المنثور: ٣٠٨/٧.

(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٠٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) زاد المسير: ٤٥/٤.

(٦) البحر المحيط: ٢٨٣/٩.

القرآن

{حم (١)} [فصلت : ١]

التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطّعة في أول سورة البقرة.

القرآن

{تنزيل من الرحمن الرحيم (٢)} [فصلت : ٢]

التفسير:

هذا القرآن الكريم تنزيل من الرحمن الرحيم، نزلّه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الضحاك: "«الرحمن»: بجميع خلقه، و«الرحيم»: بالمؤمنين خاصة"^(١).

عن الحسن: "الرحمن: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"^(٢).

القرآن

{كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (٣)} [فصلت : ٣]

التفسير:

كتاب يُبَيِّن آياته تمام البيان، ووضّحت معانيه وأحكامه، قرآنا عربيا ميسرا فهمه لقوم يعلمون اللسان العربي.

قوله تعالى: {كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [فصلت : ٣]، أي: "كتاب يُبَيِّن آياته تمام البيان، ووضّحت معانيه وأحكامه"^(٣).

وفي تفصيل آياته، وجوه من التفسير:

أحدها : فسرت، قاله مجاهد^(٤).

الثاني : بينت آياته. قاله السدي^(٥).

الثالث: فصلت بالوعد والوعيد ، قاله الحسن^(٦).

الرابع : فصلت ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته، قاله قتادة^(٧).

والظاهر أن المعنى: " ميزت آياته وجعلت تفاصيل في معان مختلفة: من أحكام وأمثال ومواضع، ووعد ووعيد، وغير ذلك"^(٨).

وقرى: «فصلت»، أي: فرقت بين الحق والباطل. أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها، من قولك: فصل من البلد^(٩).

قوله تعالى: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [فصلت : ٣]، أي: " قرآنا عربيا ميسرا فهمه لقوم يعلمون اللسان العربي"^(١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٠): ص ٢٨/١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢): ص ٢٨/١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(٤) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٢٤١/٦، والماوردي في النكت والعيون: ١٦٧/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢١.

(٦) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٢٤١/٦، والماوردي في النكت والعيون: ١٦٧/٥.

(٧) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٢٤١/٦، والماوردي في النكت والعيون: ١٦٧/٥.

(٨) الكشاف: ١٨٤/٤.

(٩) انظر: الكشاف: ١٨٤/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٧٧.

وفي قوله تعالى: ﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت : ٣]، وجهان من التفسير: أحدها : يعلمون انه إله واحد في التوراة والإنجيل ، قاله مجاهد^(١). الثاني : أن القرآن من عند الله نزل ، قاله الضحاك^(٢). وفي حرف ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «قرأنا عربيا لقوم يعقلون»^(٣).

القرآن

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَامِلُونَ (٥)﴾
[فصلت : ٥]

التفسير:

وقال هؤلاء المعرضون الكافرون للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: قلوبنا في أغطية مانعة لنا من فهم ما تدعوننا إليه، وفي آذاننا صمم فلا نسمع، ومن بيننا وبينك -يا محمد- ساتر يحجبنا عن إجابة دعوتك، فاعمل على وفاق دينك، كما أننا عاملون على وفاق ديننا.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ [فصلت : ٥]، أي: "وقال هؤلاء المعرضون الكافرون للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: قلوبنا في أغطية مانعة لنا من فهم ما تدعوننا إليه"^(٤). عن مجاهد، قوله: "﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾، قال: عليها أغطية كالجعبة للذئب"^(٥). عن السدي، قوله: "﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾، قال: عليها أغطية"^(٦). قوله تعالى: ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت : ٥]، أي: "وفي آذاننا صمم فلا نسمع"^(٧). عن السدي، قوله: "﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾، قال: صمم"^(٨).

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت : ٥]، أي: "ومن بيننا وبينك -يا محمد- ساتر يحجبنا عن إجابة دعوتك، فاعمل على وفاق دينك، كما أننا عاملون على وفاق ديننا"^(٩). عن محمد ابن شهاب الزهري، قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا تلا القرآن على مشركي قريش، ودعاهم إلى الله؛ قالوا يهزءون به: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعوننا إليه، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب﴾. فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ الآيات"^(١٠).

عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، قال : «اجتمعت قريش يوما فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة ابن ربيعة. فقالوا : أنت يا أبا الوليد. فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عبثت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ؛ فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش

(١) انظر: النكت والعيون: ١٦٨/٥.

(٢) انظر: النكت والعيون: ١٦٨/٥.

(٣) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥٩/٩.

(٤) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(١٠) أخرجه ابن إسحاق - كما في سيرة ابن هشام ١/ ٣١٦ - . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

ساحرا ، وأن في قريش كاهنا! والله ما ننظر إلا مثل صيحة الحُبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف ، حتى نتفانى! أيها الرجل ، إن كان بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فَرَعْتَ؟" قال : نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} حتى بلغ : {قَانَ أَعْرَضُوا قَوْلُ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودَ} فقال عتبة : حسبك! حسبك! ما عندك غير هذا ؟ قال : "لا" فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته. قالوا : فهل أجابك ؟ [قال : نعم ، قالوا : فما قال ؟ قال : لا والذي نصبها بَنِيَّةٌ ما فَهَمْتُ شيئا مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وتمود. قالوا : ويلك! يكلمك الرجل بالعربية ما تدري ما قال ؟! قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة"]^(١).

وروي عن محمد بن كعب الفرطبي قال : "حَدَّثْتُ أَنْ عَتَبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ - وَكَانَ سَيِّدًا - قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قَرِيشٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمُهُ وَأَعْرَضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضُهَا ، فَنَعْطِيهِ أَيُّهَا شَاءَ وَيَكْفِ عَنَا ؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةٌ ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ ، فَقَالُوا : بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَقَمِ إِلَيْهِ فَكَلِّمَهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَتَبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدِ عَلِمْتَ مِنَ السُّطَّةِ فِي الْعَشِيرَةِ ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، فَفَرَقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ ، وَسَفَهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ ، وَعَبَيْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ ، وَكَفَرْتَ بِهِ مِنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرَضَ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنَّا بَعْضُهَا. قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، أَسْمَعْ". قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تَرِيدُ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَا لَمْ يَجْمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ مِنْ أَكْثَرِنَا أَمْوَالًا ، وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا ، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ. وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ بِهِ مَلِكًا مَلِكْنَاكَ عَلَيْنَا. وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِيًّا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَهُ عَن نَفْسِكَ ، طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ ، وَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالِنَا حَتَّى نَبْرِيكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوِيَ مِنْهُ - أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ - حَتَّى إِذَا فَرَّغَ عَتَبَةُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ مِنْهُ قَالَ : "أَفَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟" قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : "فَاسْتَمِعْ مِنِّي" قَالَ : أَفْعَلُ. قَالَ : {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه. فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذلك فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : أقسم - يحلف بالله - لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة. يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها لي ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكوئنن لقلوه الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملككم ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به. قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه! قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم"^(٢).

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧)} [فصلت : ٦-٧] التفسير:

(١) المنتخب لعبد بن حميد برقم (١١٢١) ومسنود أبي يعلى (٣٤٩/٣) وفي إسناده الأجلح الكندي ضعفه النسائي وغيره.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ٢٩٣/١ ، وتفسير ابن كثير : ١٦٣/٧.

قل لهم -أيها الرسول-: إنما أنا بشر مثلكم يوحي الله إليّ أنما إلهكم الذي يستحق العبادة، إله واحد لا شريك له، فاسلكوا الطريق الموصل إليه، واطلبوا مغفرته. وعذاب للمشركين الذين عبدوا من دون الله أوثاناً لا تنفع ولا تضر، والذين لم يطهروا أنفسهم بتوحيد ربهم، والإخلاص له، ولا يؤدون الصدقة إلى مستحقيها، فلا إخلاص منهم للخالق ولا نفع فيهم للخلق، وهم لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار.

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا} [فصلت : ٦]، أي: "قل لهم -أيها الرسول-: إنما أنا بشر مثلكم يوحي الله إليّ أنما إلهكم الذي يستحق العبادة، إله واحد لا شريك له، فاسلكوا الطريق الموصل إليه، واطلبوا مغفرته"^(١).

قال الحسن: "علمه الله التواضع"^(٢).

قوله تعالى: {وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [فصلت : ٦-٧]، أي: "وعذاب للمشركين الذين لا يفعلون الخير، ولا يتصدقون ولا ينفقون في طاعة الله"^(٣).

قال قتادة: "الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها برئ، ونجا، ومن لم يقطعها هلك"^(٤).

وفي قوله تعالى: {وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [فصلت : ٦-٧]، وجوه من التفسير:

أحدها: أحدها: لا يشهدون أن «لا إله إلا الله»، به قال عكرمة^(٥).

الثاني: لا يؤمنون بالزكاة ولا يُقرُّون بها، قاله الحسن^(٦)، وقاتدة^(٧).

قال السدي: "لو زكوا وهم مشركون لم ينفعهم"^(٨).

الثالث: لا يزكون أعمالهم، قاله مجاهد^(٩)، والربيع^(١٠).

الرابع: لا يتصدقون، ولا ينفقون في الطاعات، قاله الضحاك^(١١).

والصواب: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم؛ وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} دليلاً على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: {الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} مراداً به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله: {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي إتباع الله قوله: {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} قوله: {الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معني بها زكاة الأموال^(١٢).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨)} [فصلت : ٨]

التفسير:

إن الذين آمنوا بالله ورسوله وكتابه وعملوا الأعمال الصالحة مخلصين لله فيها، لهم ثواب عظيم غير مقطوع ولا ممنوع.

(١) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ٢٨٦، وتفسير البغوي ٤/ ١٢٥.

(٣) صفوة التفسير: ١٠٨/٣. [بتصرف]

(٤) تفسير عبدالرزاق (٢٦٩١): ١٤٩/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢١.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤٦/٤.

(٧) انظر: النكت والعيون: ١٦٠/٥، وزاد المسير: ٤٦/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢١.

(٩) انظر: زاد المسير: ٤٦/٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٦/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤٦/٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٣١/٢١.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [فصلت : ٨]، أي: "إن الذين آمنوا بالله ورسوله وكتابه وعملوا الأعمال الصالحة مخلصين لله فيها"^(١).

عن سعيد بن جبير: "قوله: {آمَنُوا بِاللَّهِ}، يعني: بتوحيد الله"^(٢).
عن السدي، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"^(٣).

قوله تعالى: {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [فصلت : ٨]، أي: "لهم ثواب عظيم غير مقطوع ولا ممنوع"^(٤).
وفي تفسير قوله تعالى: {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [فصلت : ٨]، وجوه:
أحدها : غير محسوب ، قاله مجاهد^(٥)، وقتادة^(٦)، وابن أبي نجيح^(٧).
وقال الضحاك: "وهو أجر بغير عمل"^(٨).

الرابع : غير ممنون عليهم، قاله السدي^(٩).
وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عكرمة، في قوله تعالى: {إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين : ٦]، قال: «يوفيه الله أجره وعمله فلا يؤاخذة إذا رد إلى أرذل العمر»، وفي لفظ، قال: «من رد منهم إلى أرذل العمر جرى له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه فذلك الأجر غير ممنون»، قال: «ولا يمن به عليهم"^(١٠).

القرآن

{قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩)} [فصلت : ٩]
التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين موبخًا لهم ومتعجبًا من فعلهم: أنكم لتكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين اثنين، وتجعلون له نظراء وشركاء تعبدونهم معه؟ ذلك الخالق هو رب العالمين كلهم.

قوله تعالى: {قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت : ٩]، أي: "قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين موبخًا لهم ومتعجبًا من فعلهم: أنكم لتكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين اثنين"^(١١).

عن السدي: " {خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ}، في الأحد والإثنين"^(١٢).
قال ابن جريج: "بدأ خلق الأرض في يومين، وقدّر فيها أقواتها في يومين"^(١٣).
عن كعب، قال: "بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وفرغ منها يوم الجمعة"^(١٤).

- (١) التفسير الميسر: ٤٧٧.
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٠٤): ص ١٠٩٠/٤.
- (٣) علقه يحيى بن سلام ٦١٨/٢.
- (٤) التفسير الميسر: ٤٧٧.
- (٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٤٠٦): ص ٣٤٤٨/١٠.
- (٦) الدر المنثور: ٤٦٠/٨، وعزاه إلى عبدالرزاق.
- (٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢١.
- (٨) الكشف والبيان" ١١٩/١٣ ب، والتفسير البسيط للواحي: "١٥٨/٢٤، و"النكت والعيون" ٣٠٣/٦، و"معالم التنزيل" ٤/٥٠٥، و"الجامع لأحكام القرآن" ١١٦/٢٠، و"الباب التأويل" ٣٩١/٤.
- (٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢١.
- (١٠) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٤١٢): ص ٣٤٤٩/١٠.
- (١١) التفسير الميسر: ٤٧٧.
- (١٢) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢١.
- (١٣) أخرجه الطبري (١٧٩٧٢): ص ٢٤٥/١٥.
- (١٤) أخرجه الطبري (١٧٩٧٣-): ص ٢٤٥/١٥.

قوله تعالى: {وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا} [فصلت : ٩]، أي: "وتجعلون له نظراء وشركاء تعبدونهم معه" (١).

عن قتادة: "فلا تجعلوا لله أندادًا، أي: عدلاء" (٢).
وروي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "فلا تجعلوا لله أندادًا، قال: «أكفأء من الرجال تطيعونهم في معصية الله»" (٣).

القرآن

{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠)}

[فصلت : ١٠]

التفسير:

وجعل سبحانه في الأرض جبالا ثوابت من فوقها، وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها، وقدر فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يصلحهم من المعاش في تمام أربعة أيام: يومان خلق فيهما الأرض، ويومان جعل فيها رواسي وقدر فيها أقواتها، سواء للسائلين أي: لمن أراد السؤال عن ذلك؛ ليعلمه.

قوله تعالى: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا} [فصلت : ١٠]، أي: "وجعل سبحانه في الأرض جبالا ثوابت من فوقها" (٤).

عن الحسن: "وألقى في الأرض رواسي" [النحل: ١٥]، قال: "الجبال" (٥).

عن قتادة، قوله: "رواسي"، أي: جبال" (٦).

قال قتادة: "أثبتها بالجبال، ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقا" (٧).

قوله تعالى: {وَبَارَكَ فِيهَا} [فصلت : ١٠]، أي: "وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها" (٨).

قال الطبري: "يقول: وبارك في الأرض فجعلها دائمة الخير لأهلها" (٩).

وعن السدي: "وَبَارَكَ فِيهَا"، قال: أنبت شجرها" (١٠).

قوله تعالى: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ} [فصلت : ١٠]، أي: "وقدر فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يصلحهم من المعاش، في تمام أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان، للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها" (١١).

وفي قوله تعالى: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} [فصلت : ١٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : قدر فيها ما يصلحها. قاله قتادة (١٢).

الثاني : خلق فيها جبالها وأنهارها وبحارها وشجرها، وساكنها من الدواب كلها. قاله قتادة -أيضا- (١٣).

الثالث : قدر فيها أقواتها من المطر ، قاله مجاهد (١).

(١) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(٢) أخرجه الطبري (٤٨١): ص ٣٦٨/١.

(٣) أخرجه الطبري (٤٨٢): ص ٣٦٨/١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(٥) تفسير عبدالرزاق (١٤٧٩): ص ٢٦٦/٢.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم (١٢١٠٧): ص ٢٢١٩/٧.

(٧) أخرجه الطبري: ١٣٣/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(٩) تفسير الطبري: ٤٣٤/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٧٧، وصفوة التفاسير: ١٠٨/٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢١.

الرابع : قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد ،
قاله الضحاك^(٢)، ومجاهد-في رواية-^(٣)، وعكرمة^(٤).

قال عكرمة: " اليمانية باليمن، والسابرية بسابور، وأشباه هذا"^(٥).

وقال عكرمة: " البلد يكون فيه القوت أو الشيء لا يكون لغيره، ألا ترى أن السابري إنما يكون
بسابور، وأن العصب إنما يكون باليمن ونحو ذلك"^(٦).

قال مجاهد والضحاك: " السابري بسابور، والطيلاسة من الري"^(٧).

الخامس : قدر أرزاق أهلها، قاله الحسن^(٨)، والسدي^(٩).

عن السدي: " {وقدر فيها أقواتها}، يقول: أقواتها لأهلها، {في أربعة أيام سواء للسائلين}، يقول من
سأل فهو كذا الأمر"^(١٠).

قال السدي: " خلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين، في الثلاثاء
والأربعاء"^(١١).

وعن السدي: {سواءً للسائلين}، " يقول: من سأل فهكذا الأمر"^(١٢).

عن قتادة: {سواءً للسائلين}، قال: " من سأل عن ذلك وجدته، كما قال الله"^(١٣). وفي رواية: " من سأل
فهو كما قال الله"^(١٤).

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه قدر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما
يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش، ولم يخصص جلّ ثناؤه بقوله: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} أنه قدر فيها
قوتاً دون قوت، بل عم الخبر عن تقديره فيها جميع الأقوات، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم غيره من
الغذاء، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصرف في البلاد لما خصّ به بعضاً دون بعض، ومما أخرج من
الجبال من الجواهر، ومن البحر من المأكّل والحليّ، ولا قول في ذلك أصح مما قال جلّ ثناؤه: قدر في
الأرض أقوات أهلها، لما وصفنا من العلة"^(١٥).

عن ابن مسعود أنه كان يقرأ «وَقَسَمَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا»^(١٦).

عن أبي هريرة قال : «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : "خلق الله التربة يوم السبت
، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٧/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢١، ٤٣٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٠٦): ص ٧٤/١.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢١.

(١٤) تفسير عبدالرزاق (٢٦٩٥): ص ١٤٩/٣.

(١٥) تفسير الطبري: ٤٣٧/٢١.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢١.

الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل"»^(١).

القرآن

{ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)}

[فصلت : ١١]

التفسير:

ثم استوى سبحانه وتعالى، أي: قصد إلى السماء وكانت دخانًا من قبل، فقال للسماء وللأرض: انقادا لأمرى مختارتين أو مجبرتين. قالتا: أتينا مذعنين لك، ليس لنا إرادة تخالف إرادتك.

قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} [فصلت : ١١]، أي: "ثم قصد -سبحانه وتعالى- إلى السماء، وكانت دخانًا من قبل"^(٢).

عن أبي العالية في قوله: "ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ" يقول: ارتفع"^(٣). وروي عن الحسن^(٤)، والربيع بن أنس^(٥) مثله.

قال الربيع بن أنس: "يقول: ارتفع إلى السماء"^(٦).

قال الحسن: "وهي دُخَانٌ" ملتصقة بالأرض"^(٧).

قوله تعالى: {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا} [فصلت : ١١]، أي: "فقال للسماء وللأرض: انقادا لأمرى مختارتين أو مجبرتين، قالتا: أتينا مذعنين لك، ليس لنا إرادة تخالف إرادتك"^(٨).

قال الحسن البصري : "لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابا يجدان ألمه"^(٩).

عن ابن وهب: "قال لي يعقوب: وسألت زيد بن أسلم عن قول الله: {وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها}، قال: أطاعوه فيما أحبوا أو كرهوا كما قال للسماء والأرض: {أتينا طوعا أو كرها قائلنا أتينا طائعين}"^(١٠).

القرآن

{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)}

[فصلت : ١٢]

التفسير:

فقضى الله خلق السماوات السبع وتسويتهن في يومين، فتم بذلك خلق السماوات والأرض في ستة أيام، لحكمة يعلمها الله، مع قدرته سبحانه على خلقهما في لحظة واحدة، وأوحى في كل سماء ما أراه وما أمر به

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٨٩) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٠١٠)

قال ابن كثير: ١٦٨/٧: "وهو من غرائب الصحيح ، وقد علله البخاري في التاريخ فقال : رواه بعضهم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن كعب الأحبار ، وهو الأصح".

(٢) التفسير الميسر: ١٠٨/٣. [بتصرف]

(٣) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٠٨): ص ٧٥/١.

(٤) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٧٥/١.

(٥) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٧٥/١.

(٦) أخرجه الطبري (٥٨٨): ص ٤٢٩/١.

(٧) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ١٤٧/٤ -.

(٨) التفسير الميسر: ١٠٨/٣.

(٩) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٦٧/٧.

(١٠) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٤٧): ص ١٢٤/٢.

فيها، وزينا السماء الدنيا بالنجوم المضيئة، وحفظا لها من الشياطين الذين يسترقون السمع، ذلك الخلق البديع تقدير العزيز في ملكه، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء.

قوله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت : ١٢]، أي: "فقضى الله خلق السماوات السبع وتسويتهن في يومين"^(١).

قال السدي: "استوى إلى السماء وهي دخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماء واحدة، ففتقها، فجعلها سبع سموات في يومين، في الخميس والجمعة. وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض"^(٢).

قوله تعالى: {وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} [فصلت : ١٢]، أي: "وأوحى في كل سماء ما أراه وما أمر به فيها"^(٣).

وفي قوله تعالى: {وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} [فصلت : ١٢]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: ما أمر الله به وأراه. قاله مجاهد^(٤).

الثاني: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد، وما لا يعلم. قاله السدي^(٥).

الثالث: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاتها. قاله قتادة^(٦).

قوله تعالى: {وَزَيْنًا بَدِّلَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا} [فصلت : ١٢]، أي: "وزينا السماء الدنيا بالنجوم المضيئة، وحفظا لها من الشياطين الذين يسترقون السمع"^(٧).

قال السدي: "ثم زين السماء بالكواكب، فجعلها زينة {وَحِفْظًا} من الشياطين"^(٨).

قوله تعالى: {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فصلت : ١٢]، أي: "ذلك الخلق البديع تقدير العزيز في ملكه، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء"^(٩).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"^(١٠).

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"^(١١).

القرآن

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣)} [فصلت : ١٣]

التفسير:

فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعدما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم، فقل لهم: قد أنذرتكم عذابا يستأصلكم مثل عذاب عاد وثمود حين كفروا بربهم وعصوا رسله.

قال قتادة: "يقول: أنذرتكم وقبعة عاد وثمود، قال: عذاب مثل عذاب عاد وثمود"^(١٢).

(١) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(٢) تفسير الطبري: ٤٤٠/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٤١/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٤١/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٤١/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤١): ص ١٧٦٤/٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢١.

القرآن

{إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤)} [فصلت : ١٤]

التفسير:

حين جاءت الرسل عادًا و ثمود، يتبع بعضهم بعضًا متوالين، يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، قالوا لرسولهم: لو شاء ربنا أن نوحده ولا نعبد من دونه شيئًا غيره، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا إليه، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، فإننا بما أرسلكم الله به إلينا من الإيمان بالله وحده جاحدون.

قوله تعالى: {إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} [فصلت : ١٤]، أي: "حين جاءت الرسل عادًا و ثمود، يتبع بعضهم بعضًا متوالين، يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له" (١).
عن الضحاك، في قوله: "وَقَدْ خَلَّتِ النَّدْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ"، قال: لن يبعث الله رسولا إلا بأن يعبد الله" (٢).

القرآن

{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)} [فصلت : ١٥]

التفسير:

فأما عاد قوم هود فقد استعلوا في الأرض على العباد بغير حق، وقالوا في غرور: من أشد منا قوة؟ أو لم يروا أن الله تعالى الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وبطشًا؟ وكانوا بأدلتنا وحججنا يجحدون.

عن محمد بن إسحاق، قال: "وكان من حديث عاد أن الله بعث إليهم هودا فأمرهم أن يوحدوا الله، ولا يجعلوا معه إلها غيره، وأن يكفوا، عن ظلم الناس، لم يأمرهم فيما يذكر والله أعلم بغير ذلك، فأبوا عليه وكذبوه، وقالوا: من أشد منا قوة، واتبعه منهم إناس، وهم يسير مكنتمون بإيمانهم، فكان ممن آمن به وصدقه رجل من عاد يقال له مزيد بن مسعد بن عفير، وكان يكتم إيمانه" (٣).

القرآن

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٦)} [فصلت : ١٦]

التفسير:

فأرسلنا عليهم ريحًا شديدة البرودة عالية الصوت في أيام مشؤومات عليهم؛ لنذيقهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد ذلا وهوانًا، وهم لا يُنصرون بمنع العذاب عنهم.

قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ} [فصلت : ١٦]، أي: "فأرسلنا عليهم ريحًا شديدة البرودة عالية الصوت في أيام مشؤومات عليهم" (٤).

وفي قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا} [فصلت : ١٦]، وجوه:

أحدها : الصرصر: الباردة. قاله قتادة (٥)، والضحاك (٦)، ومنه قول الحطيئة :
المطعمون إذا هبت بصرصرة

(١) التفسير الميسر: ٤٧٨.

(٢) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٤٧): ص ١٥٠٩/٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٧٨.

(٥) انظر تفسير الطبري: ٤٤٤/٢١.

(٦) انظر تفسير الطبري: ٤٤٥/٢١.

والحاملون إذا استودوا على الناس استودوا أي سئلوا الدية.

قال قتادة: "الصرصر: الباردة"^(١).

قال الضحاك: "ريحا فيها برد شديد"^(٢).

الثاني : شديدة السَّموم عليهم، قاله مجاهد^(٣).

الثالث : باردة ذات الصوت. قاله السدي^(٤).

الشديدة الصوت ، قاله السدي^(٥)، مأخوذ من: الصرير ، وقيل: إنها الدبور^(٦).

والصواب قول مجاهد، وذلك أن قوله: «صَرَصْرًا» إنما هو صوت الريح إذا هبت بشدة، فسمع لها

كقول القائل: صرر، ثم جعل ذلك من أجل التضعيف الذي في الراء، فقال ثم أبدلت إحدى الراءات صادا

لكثرة الراءات، كما قيل في رده: ردرده، وفي نهه: نههه، كما قال رؤبة^(٧):

فَالْيَوْمَ قَدْ تُنْهِنُهُنِي ... وَأَوَّلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالمُسَقَّه

وكما قيل في كفه: كففه، كما قال النابغة^(٨):

أَكْفَفُ عَيْرَةً غَلَبَتْ عُدَاتِي ... إِذَا نَهْنَهُهَا عَادَتْ دُبَا حَا

وقد قيل: إن النهر الذي يسمى صرصرًا، إنما سمي بذلك لصوت الماء الجاري فيه، وإنه "فعلل" من

صرر نظير الريح الصرصر"^(٩).

وفي قوله تعالى: {فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ} [فصلت : ١٦]، وجوه:

أحدها : مشنومات ، قاله مجاهد^(١٠)، و قتادة^(١١)، والسدي^(١٢)، ومنه قول الشاعر^(١٣):

يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْمًا شَمْسًا ... نَجْمَيْنِ سَعْدَيْنِ وَنَجْمًا نَحْسًا

قال قتادة: "أيام والله كانت مشنومات على القوم"^(١٤).

وقال قتادة: "النحسات: المشنومات النكدات"^(١٥).

الثاني : أيام متتابعات أنزل الله فيهن العذاب، قاله عطية^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢١.

(٣) انظر تفسير الطبري: ٤٤٤/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢١.

(٥) انظر: النكت والعيون: ١٧٤/٥.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٧٤/٥.

(٧) البيتان في ديوانه (طبع ليبسج ١٦٦) وهما أُل (١٩، ٢٠) ونهني زجرني وكفني. يقول هذا بعد أن كبر وضعف.

والأول: الرجوع. والحلم العقل. والسفه: المنسوب إلى السفه. يقول: كنت أستجيب لدواعي الصبا ما دمت شابًا، أما اليوم وقد

علتني كبره، ورجع إلى ما عزب من عقلي، فقد كفني عن الطيش حلمي وعقلي، فلا أفعل ما كنت أفعل في الشباب.

(٨) نسبه إلى النابغة، وهو ليس في الديوان ولا في شروحه المختلفة.

ومعنى أكفف العبرة: أردتها. وقوله غلبت عداتي: أي أنهم كانوا حراسا على أن أبكي بما يسيئون إلى، فغلبتهم عبرتي التي

حبستها، ونهنتها: كففتها ورددتها. وذباحا: ذبحا. يريد أنه حبس عبرته، وكان حبسها كالذبح من شدة الألم لأن البكاء

يخفف ما يضطرم في النفس من ألم وغيظ ونحوه. والبيت عند المؤلف شاهد على أن كففف ونهه وصرصر ونحوها من

الفعل الرباعي المضعف: أصلها: كفف ونهه وصرر، فلما اجتمع فيه ثلاث أحرف أمثال، أبدلت إحدى الراءات من نوع فاء

الكلمة. وهذا مذهب لبعض النحويين الكوفيين، والله أعلم.

(٩) تفسير الطبري: ٤٤٥/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٦/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٦/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٦/٢١.

(١٣) البيت غير منسوب في تفسير الطبري: ٤٤٧/٢١، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٨٣/٤، وخزانة الأدب: ٩٢/٥.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢١.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢١.

الثالث: أيام شداد. قاله الضحاك^(٢).
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بها: أيام مشائيم ذات نحوس، لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب^(٣).
قرأ أبو عمرو ونافع: «أيام نحسات»، بإسكان الحاء^(٤).

القرآن
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ الْهُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
[فصلت : ١٧]

التفسير:
وأما ثمود قوم صالح فقد بينا لهم سبيل الحق وطريق الرشده، فاختاروا العمى على الهدى، فأهلكتهم صاعقة العذاب المهين؛ بسبب ما كانوا يقتربون من الآثام بكفرهم بالله وتكذيبهم رسله.
قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت : ١٧]، أي: "وأما ثمود قوم صالح فقد بينا لهم سبيل الحق وطريق الرشده"^(٥).

قال قتادة: "يقول: بينا لهم"^(٦).
قال قتادة: "بيننا لهم سبيل الخير والشر"^(٧).
قال الضحاك: "﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾، أخرجنا لهم الناقة تبياناً وتصديقاً لصالح صلى الله عليه وسلم"^(٨).

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت : ١٧]، أي: "فاختاروا العمى على الهدى"^(٩).
قال قتادة: "فاستحبوا العمى على الهدى"^(١٠).
قال السدي: "اختاروا الضلالة والعمى على الهدى"^(١١).
قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ الْهُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت : ١٧]، أي: "فأهلكتهم صاعقة العذاب المهين؛ بسبب ما كانوا يقتربون من الآثام بكفرهم بالله وتكذيبهم رسله"^(١٢).
عن السدي: "﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾، قال: الهوان"^(١٣).
وفي «الصاعقة» -هنا- أقوال:
أحدها: النار، قاله السدي^(١٤).
الثاني: الصيحة من السماء، قاله مروان بن الحكم^(١٥).

(١) انظر: النكت والعيون: ١٧٤/٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٧/٢١.

(٣) تفسير الطبري: ٤٤٧/٢١.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٨/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٧٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢١.

(٨) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٣٩/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٧٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٧٨.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢١.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٧٥/٥.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٧٥/٥.

الثالث : الموت، وكل شيء أمات ، قاله ابن جريج^(١).

القرآن

{وَجَبِينَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)} [فصلت : ١٨]

التفسير:

ونَجِينَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَخَذَ عَادًا وَثَمُودَ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّاجُونَ يَخَافُونَ اللَّهَ وَيَتَّقُونَهُ.

عن سعيد بن جبیر: "قوله: {آمَنُوا بِاللَّهِ}، يعني: بتوحيد الله"^(٢).

عن الضحاك: "{الْمُتَّقِينَ}"، قال: "الَّذِينَ يَتَّقُونَ الشَّرْكَ"^(٣).

عن السدي: "{الْمُتَّقِينَ}"، قال: هم المؤمنون"^(٤).

القرآن

{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠)} [فصلت : ١٩-٢٠]

التفسير:

ويوم يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ، تَرُدُّ زِبَانِيَةَ الْعَذَابِ أَوْلَهُمْ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوا النَّارَ، وَأَنْكَرُوا جِرَائِمَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.

سبب نزول الآيات: [١٩-٢٤]:

قال عبدالله بن مسعود: "كنت مستترا بستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر، قرشي وختناه ثقفيان، أو ثقي وختناه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟! فقال الآخر: أرانا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعها بم يسمع!!، فقال الآخر: إن سمع منه شيئا سمعه كله!!، قال: فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم -؟، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت: ٢٢]، إلى قوله {وَدَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت: ٢٣]"^(٥).

وفي رواية: "فنزلت هذه الآية: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ} [فصلت :

٢٢] ... حتى بلغ: {وَإِنْ يَسْتَعْجِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْجِبِينَ} [فصلت : ٢٤]"^(٦).

وفي رواية: "فأنزل الله تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} [فصلت : ١٩]، إلى

قوله: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ} [فصلت : ٢٢]"^(٧).

(١) انظر: النكت والعيون: ١٧٥/٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦١٠٤): ص ١٠٩٠/٤.

(٣) أخرجه الطبري (١١٧٢٤): ص ٢١١/١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٢٤٨): ص ١٧٥١/٦.

(٥) أخرجه احمد (٣٦١٤): ص ٥١٢/٣، وأخرجه الحميدي "٨٧"، ومن طريقه البخاري "٤٨١٧" في التفسير: باب {وَدَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ، و"٧٥٢١" في التوحيد: باب قول الله تعالى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ} ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ١٧٧ ، والترمذي (٣٢٤٩): ص ٣٧٥/٥، وقال: «هذا حديث حسن».

الطبري: ٤٥٥/٢١-٤٥٦، وابن وهب في التفسير الجامع (١٦٥): ص ٨٧/٢، والثعلبي في الكشف والبيان: ٢٩١/٨. [باختلاف في اللفاظ].

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢١-٤٥٦.

(٧) من تفسير القرآن الجامع لابن هب (١٦٥): ص ٨٧/٢.

وفي رواية: "فأنزل الله تعالى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت : ٢٢]... إلى قوله: {فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت : ٢٣]-، والثقفي عبد ياليل وختناه القريشيان ربيعة وصفوان بن أمية"^(١).

وقال مقاتل: "نزلت في صفوان بن أمية الجمحي، وفي ربيعة، وعبد بالليل ابني عمرو الثقفيين... إلى خمس آيات، ويقال إن الثلاثة نفر: صفوان بن أمية، وفرقد بن ثمامة، وأبو فاطمة... وذلك أن هؤلاء النفر الثلاثة كانوا في ظل الكعبة يتكلمون، فقال أحدهم: هل يعلم الله ما نقول؟ فقال الثاني: إن خفضنا لم يعلم، وإن رفعنا علمه. فقال الثالث: إن كان الله يسمع إذا رفعنا فإنه يسمع إذا خفضنا. فسمع قولهم عبد الله بن مسعود، فأخبر بقولهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله في قولهم: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ..}"^(٢).

قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} [فصلت : ١٩]، أي: "واذكر يوم يُجمع أعداء الله المجرمون في أرض المحشر لسوقهم إلى النار، تُرَدُّ زبانية العذاب أولهم على آخرهم"^(٣).
عن السدي: {فَهُمْ يُوزَعُونَ}، قال: "يحبس أولهم على آخرهم"^(٤).

قال قتادة: "عليهم وزعة تردّ أولاهم على أخراهم"^(٥).
قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [فصلت : ٢٠]، أي: "حتى إذا ما جاؤوا النار، وأنكروا جرائمهم شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من الذنوب والآثام"^(٦).

قال السدي: "أراد بالجلود: الفروج"^(٧).
عبيد الله بن أبي جعفر، يقول: "حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ}، قال: جلودهم: الفروج"^(٨).

وروي عن الحكم الثقفي، رجل من آل أبي عقيل رفع الحديث، "وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا}، إنما عني فروجهم، ولكن كني عنها"^(٩).

وهذا القول وإن كان معنى يحتمله التأويل، فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر، وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها"^(١٠).
عن عتبة، سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول عظم تكلم من الإنسان يوم يختم على الأفواه فخذ من الرجل الشمال"^(١١).

عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: -وأشار بيده إلى الشام-، قال: "ها هنا إلى ها هنا تحشرون ركباناً ومشاة على وجوهكم يوم القيامة، على أفواهكم الفدام، توقون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله، وإن أول ما يعرب من أحدكم فخذ"^(١٢).
وفي رواية: "وتجيبون يوم القيامة على أفواهكم الفدام، وإن أول ما يتكلم من الآدمي فخذ وكفه"^(١).

(١) من رواية الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٩١/٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٩/٣، ٧٤٠.

(٣) صفوة التفسير: ١١١/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٧٨.

(٧) انظر: تفسير الثعلبي ٢٩٠/٨، وتفسير البغوي ١٧٠/٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢١، وانظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١١٢): ص ٥٧/٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢١.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٥١/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢١.

القرآن

{وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [فصلت : ٢١]

التفسير:

وقال هؤلاء الذين يُحشرون إلى النار من أعداء الله لجلودهم معاتبين: لِمَ شهدتم علينا؟ فأجابتهم جلودهم: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو الذي خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئاً، وإليه مصيركم بعد الموت للحساب والجزاء.

قوله تعالى: {وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا} [فصلت : ٢١]، أي: "وقال هؤلاء الذين يُحشرون إلى النار من أعداء الله لجلودهم معاتبين: لِمَ شهدتم علينا؟"^(٢).

عن زيد بن أسلم -من طريق مُبَشَّر بن عبيد- في قوله: "{وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا}"، قال: قالوا لفروجهم: لِمَ شهدتم علينا؟"^(٣).

قوله تعالى: {قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [فصلت : ٢١]، أي: "فأجابتهم جلودهم: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو الذي خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئاً"^(٤).

عن زيد بن أسلم، قال: "الأشهاد أربعة الملائكة: الذين يحصون أعمالنا، وقرأ: {وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد}، والنبيون شهداء على أممهم، وقرأ: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد}، وأمة محمد- صلى الله عليه وسلم- شهداء على الأمم، وقرأ: {لتكونوا شهداء على الناس}، والأجساد والجلود، وقرأ: {وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء}"^(٥).

عن أنس، قال: "ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجذه، ثم قال: "ألا تسألوني مم ضحكت؟" قالوا: "مم ضحكت يا رسول الله؟" قال: "عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة! قال: يقول: يا رب أليس وعدتني أن لا تظلمني؟ قال: فإن لك ذلك، قال: فأني لا أقبل علي شاهداً إلا من نفسي، قال: أوليس كفى بي شهيداً، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال فيختم على فيه، وتتكلم أركانه بما كان يعمل، قال: فيقول لهن: بعدا لكن وسحقنا، عنكن كنت أجادل"^(٦).

قوله تعالى: {وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ} [فصلت : ٢١]، أي: "وإليه مصيركم بعد الموت للحساب والجزاء"^(٧). قال أبو العالية: "ترجعون إليه بعد الحياة"^(٨).

عن جابر بن عبد الله قال: "لما رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال: "ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟" فقال قتيبة منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهايينهم، تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفها، ثم دفعها فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلنتها. فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدر، إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٣/ ٤٢٥ (٢٠٣) -.

(٤) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٣٩):ص١٠/٣٢٦٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠٦٠):ص٩/٣٠٠٣.

تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا؟ قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صَدَقْتُ و صدقت ، كيف يُدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟"^(١).

القرآن

{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)} [فصلت : ٢٢-٢٣]

التفسير:

وما كنتم تستخفون عند ارتكابكم المعاصي؛ خوفاً من أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم يوم القيامة، ولكن ظننتم بارتكابكم المعاصي أن الله لا يعلم كثيراً من أعمالكم التي تعصون الله بها. وذلكم ظنكم السيئ الذي ظننتموه بربكم أهلككم، فأوردكم النار، فأصبحتم اليوم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم.

سبب نزول الآية [٢٢]:

عن عبد الله بن مسعود ، قال: "إني لمستتر بأستار الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر: ثقيفي وختناه قرشيان كثير شحوم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم ، فتحدثوا بينهم بحديث فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: أراه يسمع إذا رفعنا ، ولا يسمع إذا خفضنا ، فقال الآخر: لئن كان يسمع شيئاً منه إنه ليسمعه كله ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " فأنزل الله: وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ } [فصلت : ٢٢] إلى {الخاسرين}"^(٢).

قوله تعالى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت : ٢٢]، أي: "وما كنتم تستخفون عند ارتكابكم المعاصي؛ خوفاً من أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم يوم القيامة"^(٣).

وفي قوله تعالى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ} [فصلت : ٢٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: وما كنتم تتقون ، قاله مجاهد^(٤).

الثاني : وما كنتم تظنون ، قاله قتادة^(٥).

وقال قتادة: " والله إن عليك يا ابن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك، فراقبهم واتق الله في سر أمرك وعلانيتك، فإنه لا يخفي عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن ليفعل، ولا قوة إلا بالله"^(٦).

الثالث : وما كنتم تستخفون منها، قاله السدي^(٧).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وما كنتم تستخفون، فنتركوا ركوب محارم الله في الدنيا حذراً أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٧٢/٧، وقال: " هذا حديث غريب من هذا الوجه".

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأحوال برقم (٢٤٣)، ورواه ابن ماجه في السنن برقم (٤٠١٠) حدثنا سويد بن سعيد فذكره. قال البوصيري في زوائد ابن ماجه : " هذا إسناد حسن ، سويد مختلف فيه".

(٢) تفسير عبدالرزاق(٢٧٠١):ص١٥٢/٣، وتفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٦٥):ص٨٧/٢ وتفسير سفيان الثوري(٨٥٧: ٤ : ١):ص٢٦٦-٢٦٧، وتفسير الطبري: ٤٥٥/٢١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٢١.

(٦) أخرجه طبري: ٤٥٤/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٢١.

بالصواب، لأن المعروف من معاني الاستتار الاستخفاء، فإن قال قائل: وكيف يستخفي الإنسان عن نفسه مما يأتي؟ قيل: قد بينا أن معنى ذلك إنما هو الأمان، وفي تركه إتيانه إخفاؤه عن نفسه^(١).
 قوله تعالى: {وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ} (٢٢) {وَدَلَّكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت: ٢٢-٢٣]، أي: "ولكن ظننتم بارتكابكم المعاصي أن الله لا يعلم كثيراً من أعمالكم التي تعصون الله بها، وذلك ظنكم السيئ الذي ظننتموه بربكم أهلككم، فأوردكم النار، فأصبحتم اليوم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم"^(٢).
 عن السدي، قوله: "أرداكم"، قال: أهلككم"^(٣).

عن معمر، قال: "تلا الحسن هذه الآية {وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم} [فصلت: ٢٣]، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله: «عبي عند ظنه بي، وأنا معه إذا دعاني» ثم أفتن - ينطق الحسن في هذا فقال: ألا وإن أعمال الناس على قدر ظنونهم بربهم، فأما المؤمن فأحسن بالله الظن فأحسن العمل، وأما الكافر والمنافق فأساء بالله الظن وأساء العمل، قال الله: {وما كنتم تستترون} [فصلت: ٢٢] حتى {فأصبحتم من الخاسرين} [فصلت: ٢٣]"^(٤).

وفي رواية عن معمر، قال: "تلا الحسن: {وَدَلَّكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ}، فقال: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم؛ فأما المؤمن فأحسن بالله الظن، فأحسن العمل؛ وأما الكافر والمنافق، فأساء الظن فأساء العمل، قال ربيكم: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ} ... حتى بلغ: {الخاسرين} [فصلت: ٢٣]. قال معمر: وحدثني وجل: أنه يؤمر برجل إلى النار، فيلقت فيقول: يا رب ما كان هذا ظني بك، قال: وما كان ظنك بي؟ قال: كان ظني أن تغفر لي ولا تعدبني، قال: فإني عند ظنك بي"^(٥).

قال قتادة: "الظن ظنان، فظن منج، وظن مرد قال: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَافُوا رَبِّهِمْ} قال: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ}، وهذا الظن المنجي ظنا يقينا، وقال ها هنا: {وَدَلَّكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ}، هذا ظن مرد"^(٦).

القرآن

{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْحَلْتٍ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} (٢٥) { [فصلت: ٢٥] التفسير:

وهيأنا لهؤلاء الظالمين الجاحدين قرناء فاسدين من شياطين الإنس والجن، فزينوا لهم قبائح أعمالهم في الدنيا، ودعوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة، وزينوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة، فأنسوهم ذكرها، ودعوهم إلى التكذيب بالمعاد، وبذلك استحقوا دخول النار في جملة أمم سابقة من كفر الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين أعمالهم في الدنيا وأنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

قوله تعالى: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ} [فصلت: ٢٥]، أي: "وهيأنا لهؤلاء الظالمين الجاحدين قرناء فاسدين من شياطين الإنس والجن"^(٧).
 عن مجاهد، قوله: "وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ" قال: شياطين"^(٨).

(١) تفسير الطبري: ٤٥٤/٢١-٤٥٥.

(٢) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢١.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٧٠٠): ص ١٥٢/٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢١-٤٥٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٩.

عن السديّ: "وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ"، قال: الشيطان" (٢).
قوله تعالى: {فَرِيئُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} [فصلت : ٢٥]، أي: "فحسّنوا لهم أعمالهم القبيحة،
الحاضرة والمستقبله" (٣).

عن السديّ، "فَرِيئُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ"، من أمر الدنيا. {وَمَا خَلْفَهُمْ}، من أمر الآخرة" (٤).
قوله تعالى: {وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ}
[فصلت : ٢٥]، أي: "ثبت وتحقق عليهم كلمة العذاب-وهو القضاء المحتم بشقائهم- في جملة أمم من
الأشقياء المجرمين قد مضت من قبلهم، ممن فعلوا كفعالهم من الجنّ والإنس، لأنهم كانوا خاسرين أعمالهم
في الدنيا وأنفسهم وأهلهم يوم القيامة" (٥).
عن السديّ: "وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ"، قال: العذاب" (٦).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦)} [فصلت : ٢٦]
التفسير:

وقال الكافرون بعضهم لبعض متواصين فيما بينهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، ولا تطيعوه، ولا تنقادوا
لأوامره، وارفعوا أصواتكم بالصياح والصفير والتخليط على محمد إذا قرأ القرآن؛ لعلكم تغلبونه، فيترك
القراءة، ومنتصر عليه.
سبب النزول:

عن السديّ: " {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}، نزلت في أبي
جهل بن هشام؛ كان يقول لأصحابه: إذا سمعتم قراءة محمد فارفعوا أصواتكم بالأشعار؛ حتى تلتبس على
محمد قراءته" (٧).

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ} [فصلت : ٢٦]، أي: "وقال
الكافرون بعضهم لبعض متواصين فيما بينهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، وتشاعلوا عنه وارفعوا أصواتكم
بالصياح والصفير والتخليط على محمد إذا قرأ القرآن" (٨).

عن مجاهد: " {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ}، قال: المكاء والتصفير، وتخليط من القول على
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قرأ، قریش تفعله" (٩).
عن قتادة، قوله: {وَالْغَوْا فِيهِ}، " أي: اجحدوا به وأنكروه وعادوه، قال: هذا قول مشركي
العرب" (١٠).

عن معمر، قال: "قال بعضهم في قوله: {وَالْغَوْا فِيهِ}، قال: تحدثوا وصيحوا كيما لا تسمعوه" (١١).
قرئ: «والغوا فيه»، بفتح الغين وضمها" (١٢).

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢١.

(٣) صفوة التفسير: ١١٢/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢١.

(٥) صفوة التفسير: ١١٢/٣. [بتصرف]

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢١.

(٧) أخرجه يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ١٥١ -.

(٨) التفسير الميسر: ٤٧٩، و صفوة التفسير: ١١٢/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢١.

(١٢) انظر: الكشاف: ١٩٧/٤.

قوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ} [فصلت : ٢٦]، أي: "لعلكم تغلبونه، فيترك القراءة، ومنتصر عليه"^(١).
 عن محمد بن إسحاق، قال: "... لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَا عَرَفُوا مِنَ
 الْحَقِّ، وَعَرَفُوا صِدْقَهُ فِيمَا حَدَّثَ، وَمَوْقِعَ نُبُوَّتِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ حِينَ سَأَلُوهُ عَمَّا سَأَلُوهُ عَنْهُ،
 فَحَالَ الْحَسَدُ مِنْهُمْ لَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اتِّبَاعِهِ وَتَصَدِيقِهِ، فَعَتَّوْا عَلَى اللَّهِ، وَتَرَكُوا أَمْرَهُ عِيَانًا، وَلَجُّوا فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ
 مِنَ الْكُفْرِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ} أي: اجعلوه لعيًا وباطلًا، واتخذوه
 هُزُوءًا، أي: لعلكم تغلبون، تغلبوه بذلك، فإنكم إن وافقتموه وناصفتموه غلبكم. فلَمَّا قَالَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
 جَعَلُوا إِذَا جَهِرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْقُرْآنِ وَهُوَ يُصَلِّي يَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ، وَيَأْبُونَ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ،
 وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْضَ مَا يَتْلُو مِنَ الْقُرْآنِ وَهُوَ
 يُصَلِّي اسْتَتَرَ وَاسْتَمَعَ دُونَهُمْ، فَرَقًا مِنْهُمْ، فَإِنْ رَأَى أَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ يَسْتَمِعُ ذَهَبَ خَشْيَةً أَذَاهُمْ، وَلَمْ يَسْتَمِعْ، وَإِنْ
 خَفِضَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَوْتَهُ، فَظَنَّ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا مِنْ قِرَاءَتِهِ شَيْئًا
 وَسَمِعَ هُوَ دُونَهُمْ، أَشَاحَ لَهُ لَيْسْتَمِعَ مِنْهُ"^(٢).

القرآن

{فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ
 لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨)} [فصلت : ٢٧ - ٢٨]
 التفسير:

فلنذيقن الذين قالوا هذا القول عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة، ولنجزينهم أسوأ ما كانوا يعملون من السيئات.
 هذا الجزاء الذي يُجزى به هؤلاء الذين كفروا جزاء أعداء الله النار، لهم فيها دار الخلود الدائم؛ جزاء بما
 كانوا بحججنا وأدلتنا يجحدون في الدنيا.

قوله تعالى: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [فصلت : ٢٨]، أي: "جزاء بما كانوا بحججنا وأدلتنا
 يجحدون في الدنيا"^(٣).

قال الحسن، يعني بقوله: {يجحدون}، قال: جحدوا بعد المعرفة"^(٤).

وقال الحسن: "إن القوم قد عرفوه، ولكنهم جحدوا بعد المعرفة"^(٥).

قال قتادة: "والجد لا يكون إلا من بعد المعرفة"^(٦).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أقدامنا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ
 (٢٩)} [فصلت : ٢٩]
 التفسير:

وقال الذين كفروا بالله ورسوله، وهم في النار: ربنا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا
 تَحْتَ أقدامنا؛ لِيَكُونَا فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ} [فصلت : ٢٩]، أي: "وقال
 الذين كفروا بالله ورسوله، وهم في النار: ربنا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ"^(٧).

(١) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٤٩) ص ٤٩٣/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٤٢) ص ٤/٤٢٨٣.

(٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥/١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٧٩.

عن الحسن: "أرنا: {أعطينا}"^(١).
قال قتادة: "هو الشيطان، وابن آدم الذي قتل أخاه"^(٢).
قال مجاهد: "قابيل ابن آدم الذي قتل أخاه، وإبليس من الجن وقابيل من الإنس قولهم من الجن والإنس"^(٣).

عن حبة بن جوين العرني، عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في قوله: "أرنا الذين أضلنا من الجن والإنس"، قال: هو ابن آدم الذي قتل أخاه، وإبليس"^(٤). وروي عن إبراهيم النخعي وعكرمة مثله"^(٥).

وعن السدي، عن علي بن أبي طالب، في قوله: "أرنا الذين أضلنا من الجن والإنس"، الآية، فإنهما ابن آدم القاتل، وإبليس الأبالسة. فأما ابن آدم فيدعو به كل صاحب كبيرة دخل النار من أجل الدعوة وأما إبليس فيدعو به كل صاحب شرك، يدعوانهما في النار"^(٦).
وثبت في الحديث: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل»"^(٧).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)} [فصلت : ٣٠]
التفسير:

إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها.
سبب النزول:

روى عطاء عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وذلك أن المشركين قالوا: ربنا الله، والملائكة بنائه، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم يستقيموا، وقالت اليهود: ربنا الله، وعزير ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقالت النصارى: ربنا الله، والمسيح ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقال أبو بكر: ربنا الله وحده، ومحمد عبده ورسوله، فاستقام"^(٨).
والصحيح عموم الآية، وذكر اليهود والنصارى في هذا الخبر منكر جدا. والله أعلم.

(١) أخرجه إسحاق البستي ص ٢٩٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢١.

(٣) جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي (٩٣): ص ٦٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢١.

(٥) أخرجه سفيان الثوري ص ٢٦٦، وعبد الرزاق ١٨٦ / ٢، وطريق حصين، و الطبري: ٤٦٢/٢١، من طريق حبة وحصين أيضاً بلفظ: "إبليس الأبالسة وابن آدم الذي قتل أخاه"، والحاكم ٤٤٠ / ٢، وابن عساكر ٤٧ / ٤٩. وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٦٢-٤٦٣.

(٧) أخرجه أحمد (٣٨٣/١)، رقم (٣٦٣٠)، وابن أبي شيبة (٤٣٥/٥)، رقم (٢٧٧٥٩)، والبخاري (١٢١٣/٣)، رقم (٣١٥٧)، ومسلم (١٣٠٣/٣)، رقم (١٦٧٧)، والترمذي (٤٢/٥)، رقم (٢٦٧٣) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٨١/٧)، رقم (٣٩٨٥)، وابن ماجه (٨٧٣/٢)، رقم (٢٦١٦)، وابن أبي عاصم في الدييات (٥/١). وأخرجه أيضاً: أبو يعلى (١١٠/٩)، رقم (٥١٧٩)، وابن حبان (٣٢١/١٣)، رقم (٥٩٨٣)، والبيهقي (١٥/٨)، رقم (١٥٦٠٢).

(٨) انظر: زاد المسير: ٥١/٤، وذكره الواحدي بدون إسناد في «أسباب النزول» ٧٣٤، ولم أره مسنداً، فهو لا شيء، لخلوه عن الإسناد.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت : ٣٠]، أي: "إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته"^(١).

وفي قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت : ٣٠]، وجوه من التفسير: أحدها: استقاموا على التوحيد، قاله مجاهد^(٢)، وعكرمة^(٣).

قال مجاهد: "أي على: لا إله إلا الله"^(٤).

قال عكرمة: "استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله"^(٥).

وقال مجاهد: "أسلموا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به"^(٦).

وقال السدي: "تموا على ذلك"^(٧).

عن سعيد بن نمران البجلي قال قرأت هذه الآية على أبي بكر: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً"^(٨).

وفي رواية: "استقاموا على ألا يشركوا"^(٩).

عن الأسود بن هلال المحاربي، قال: "قال أبو بكر: ما تقولون في هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، قال: ربنا الله ثم استقاموا من ذنب، قال: فقال أبو بكر: لقد حملتم على غير المحمل، قالوا: ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره"^(١٠).

عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، قال: «قد قالها الناس، ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام»"^(١١).

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هم أمتي ورب الكعبة استقاموا ولم يشركوا كما فعلت اليهود والنصارى»"^(١٢).

الثاني: استقاموا على طاعته وأداء فرائضه، قاله قتادة^(١٣).

عن الزهري، قال: "تلا عمر رضي الله عنه على المنبر: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، قال: استقاموا لله بطاعته، ولم يروغوا وروغان الثعلب"^(١٤).

قال قتادة: "وكان الحسن إذا تلاها، قال: اللهم فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة"^(١٥).

الثالث: على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية^(١٦)، والسدي^(١٧).

- (١) التفسير الميسر: ٤٨٠.
- (٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢١.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١.
- (٤) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢١.
- (٥) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.
- (٦) أخرجه الطبري: ٤٦٥-٤٦٤/٢١.
- (٧) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.
- (٨) تفسير سفيان الثوري (٨٥٩: ٦: ٧) ص: ٢٦٦.
- (٩) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٧٦) ص: ١٢٠/١.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢١.
- (١١) أخرجه الطبري: ٤٦٤-٤٦٣/٢١.
- (١٢) نقلا عن: تفسير التستري: ١٣٧، وتفسير القرطبي: ١٣٧.
- (١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١.
- (١٤) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١، وانظر: الزهد لابن المبارك ص ١١٠، وفيه: (أخرجه أحمد في الزهد).
- (١٥) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.
- (١٦) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٥، وزاد المسير: ٥١/٤.
- (١٧) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٥، وزاد المسير: ٥١/٤.

عن عبد الله بن سفيان الثقفى ، عن أبيه : " أن رجلا قال : يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدا بعدك. قال : "قل آمنت بالله ، ثم استقم" قلت : فما أتقي ؟ فأوماً إلى لسانه" (١).
 قوله تعالى: {تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا} [فصلت : ٣٠] ، أي: "تنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا" (٢).

وفي قوله تعالى: {تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} [فصلت : ٣٠]، قولان:
 أحدهما : تنزل عليهم عند الموت ، قاله مجاهد (٣)، والسدي (٤).

وفي الحديث: « إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح الذي جاءكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعل فلان فيقولون دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال أما أتاكم قالوا ذهب إلى أمه الهاوية وإن الكافر إذا حضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا بها باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا بها أرواح الكفار» (٥).
 الثاني : في الآخرة عند خروجهم من قبورهم للبعث ، قاله ثابت البناني (٦).

عن جعفر بن سليمان : "سمعت ثابتا قرأ سورة "حم السجدة" حتى بلغ : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} فوقف فقال : بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره ، يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا ، فيقولان له : لا تخف ولا تحزن ، {وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} قال : فيؤمن الله خوفه ، ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قررة عين ، لما هداه الله ، ولما كان يعمل له في الدنيا" (٧).

وفي قوله تعالى: {أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا} [فصلت : ٣٠]، وجهان من التفسير:
 أحدهما : لا تخافوا أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم ، قاله السدي (٨).

الثاني لا تخافوا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم من أهل وولد، فإننا نخلفكم في ذلك كله. وهذا قول مجاهد (٩).

قوله تعالى: {وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت : ٣٠]، أي: "وأبشروا بجنة الخلد التي وعدكم الله بها على لسان الرسل" (١٠).
 عن السدي: " {وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}، في الدنيا" (١١).

(١) رواه احمد في المسند (٣٨٤/٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٨٩).

(٢) التفسير الميسر: ٤٨٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٦/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٦/٢١.

(٥) أخرجه النسائي (٨/٤)، رقم (١٨٣٣)، والحاكم (٥٠٤/١)، رقم (١٣٠٢).

ومن غريب الحديث: "حضر المؤمن": احتضر، أي: حضرته الوفاة. "فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعل فلان فيقولون": فيسألونه أي أهل الجنة يسألونه، فيقولون: أي الملائكة يقولون. "أما أتاكم": أي أما أتاكم فلان الذي تسألوني عنه، "قالوا ذهب": أي أهل الجنة قالوا ذهب إلى أمه الهاوية، وهي النار. "الهاوية": المستقرة النار. "بمسح": المسح: الكساء من الشعر.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٨٠/٥.

(٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٧٧/٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٦/٢١-٤٦٧.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٧/٢١.

(١٠) صفوة التفاسير: ١١٣/٣.

القرآن

{نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)} [فصلت : ٣١-٣٢]

التفسير:

وتقول لهم الملائكة: نحن أنصاركم في الحياة الدنيا، نسددكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، ولكم في الجنة كل ما تشتهي أنفسكم مما تختارونه، وتقرُّ به أعينكم، ومهما طلبتم من شيء وجدتموه بين أيديكم ضيافة وإنعاماً لكم من غفور لذنوبكم، رحيم بكم.

قوله تعالى: {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [فصلت : ٣١]، أي: "وتقول لهم الملائكة: نحن أنصاركم في الحياة الدنيا، نسددكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة"^(١).

عن مجاهد: " {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ}، قال: رفاقكم في الدنيا، لا تُفارقكم حتى ندخل معكم الجنة. وفي لفظ: قرناؤهم الذين معهم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالوا: لن نفارقكم حتى ندخلكم الجنة"^(٢). قال السدي: "نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة"^(٣).

قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت : ٣١]، أي: "ولكم في الجنة ما تشتهي نفوسكم، وتقرُّ به عيونكم من أنواع اللذائذ والشهوات، ولكم فيها ما تطلبون وتتمنون، ضيافة وكرامة من رب واسع المغفرة، عظيم الرحمة لعباده المتقين"^(٤).

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، "أي: يغفر الذنوب، ويرحم العباد، على ما فيهم"^(٥). قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"^(٦).

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نورٌ على باب الجنة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ تعالى قد أشرف، فقال: يا أهل الجنة، سلوني. فقالوا: نسألك الرضا عنا. قال: رضاي أحلكم داري، وأنا لكم كرامتي، هذ أوأئها، فاسألوني. قالوا: نسألك الزيادة. قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر، أزمتها زبرجد أخضر وياقوت أحمر، فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فأمر الله بأشجار عليها الثمار، فتجيء حوارٍ من الحور العين وهنَّ يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام. ويأمر الله بكئبانٍ من مسكٍ أبيض أذقر، فتثير عليهم ريحاً يقال لها: المثيرة. حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن، وهي قسبة الجنة، فنقول الملائكة: يا ربنا، قد جاء القوم. فيقول: مرحباً بالصادقين، مرحباً بالطائعين. فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله، فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً، ثم يقول: ارجعوا إلى القصور بالتحف. فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً». قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «فذلك قوله تعالى: {نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}»^(٧).

(١) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٨٠.

(٣) أخرجه ابن المبارك (٣٢٩). وعزه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، كذلك عزا اللفظ الثاني إلى عبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢١.

(٥) صفوة التفاسير: ١١٣/٣.

(٦) أخرجه الطبري (٧٨٢٢): ص ٢٠٣/٧.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(٨) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٢٦٢ - ٢٦٣ (٤٤٨)، والقشيري في الرسالة القشيرية ٣٤١ / ٢.

قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٣٨٣ / ٢ - ٣٨٤: «موضوع».

القرآن

{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)} [فصلت : ٣٣]

التفسير:

لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده وعمل صالحاً وقال: إنني من المسلمين المنقادين لأمر الله وشرعه.

قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} [فصلت : ٣٣]، أي: "لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده"^(١).

عن قتادة، قوله: " {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ}، ... الآية، قال: هذا عبد صدق قوله عمله، ومولجه مخرجه، وسرّه علانيته، وشاهده مغيبه، وإن المنافق عبد خالف قوله عمله، ومولجه مخرجه، وسرّه علانيته، وشاهده مغيبه"^(٢).

وفي قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} [فصلت : ٣٣]، أقوال: أحدها : أنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين دعا إلى الإسلام. قاله الحسن^(٣)، والسدي^(٤)، وابن سيرين^(٥).

عن السدي: " {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ}، قال: محمد - صلى الله عليه وسلم - حين دعا إلى الإسلام"^(٦).

عن الحسن ، في قوله: " {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ}، قال: هو النبي - صلى الله عليه وسلم -"^(٧).

عن معمر: "قال تلا الحسن: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، قال: هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحبّ الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله"^(٨).

الثاني : أنهم المؤذنون الصلحاء. قاله عكرمة^(٩)، وقيس بن أبي حازم^(١٠)، ورواه الليث بن سعد ومعاوية بن صالح عن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-^(١١).

وفي الحديث: "المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة"^(١٢) وفي السنن مرفوعاً : "الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن ، فأرشد الله الأئمة ، وغفر للمؤذنين"^(١٣).
عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : "سهام المؤذنين عند الله يوم القيامة كسهام المجاهدين ، وهو بين الأذان والإقامة كالمتشحط في سبيل الله في دمه"^(١٤).

(١) التفسير الميسر: ٤٨٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨، ٢١-٤٦٩، وعبدالرزاق في التفسير (٢٧١٠)ص: ١٥٥/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٩/٢١.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٩/٢١.

(٧) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٦٨، ٢١-٤٦٩، وعبدالرزاق في التفسير (٢٧١٠)ص: ١٥٥/٣.

(٩) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٩/٢١.

(١١) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١١٨)ص: ٦٠/٢.

(١٢) صحيح مسلم برقم (٣٨٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(١٣) رواه أحمد في مسنده (٢٣٢/٢) وأبو داود في السنن برقم (٥/٨) والترمذي في السنن برقم (٢٠٧).

وقال ابن مسعود : "لو كنت مؤذنا ما باليت ألا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد"^(٢).
وقال عمر بن الخطاب : "لو كنت مؤذنا لكمل أمري ، وما باليت ألا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم اغفر للمؤذنين" ثلاثا ، قال : فقلت : يا رسول الله ، تركتنا ، ونحن نجتلد على الأذان بالسيف. قال : "كلا يا عمر ، إنه يأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم ، وتلك لحوم حرمها الله على النار ، لحوم المؤذنين"^(٣).
عن قيس بن أبي حازم، في قول الله: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ}، قال: المؤذن، {وَعَمَلٌ صَالِحًا}، قال: الصلاة ما بين الأذان إلى الإقامة"^(٤).
عن الليث بن سعد: "أن عائشة زوج النبي، قالت: "ما أحسب هذه الآية إلا في المؤذنين: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}"^(٥).
قال ابن وهب: "وسمعت معاوية بن صالح يذكر ذلك عن عائشة زوج النبي عليه السلام"^(٦).
روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نزلت في المؤذنين»^(٧).
عن فضيل بن أبي ربيعة قال: "قال لي عاصم بن هبيرة -وكان من أصحاب ابن مسعود، وكنت مؤذنا-: إذا فرغت من الأذان، وقلت: لا إله إلا الله، فقل: وأنا من المسلمين، ثم قرأ هذه الآية: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}"^(٨).
الثالث: أنه المؤمن عمل صالحا ودعا إلى الله تعالى، قاله الحسن^(٩).
الرابع: أنه في المجاهدين، والمعنى: دعا إلى الله بالسيف. قاله زيد بن علي^(١٠).
والصحيح أن الآية عامة في كل داع يدعو إلى الله تعالى، فهو لفظ يعم كل من دعا قديما وحديثا إلى الله تعالى وإلى طاعته من الأنبياء والمؤمنين، والمعنى: لا أحد أحسن قولًا ممن هذه حاله^(١١).
قرأ الجمهور: «إنني» بنونين. وقرأ ابن أبي عبيدة: «إني» بنون واحدة^(١٢).
قوله تعالى: {وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت : ٣٣]، أي: "وعمل عملا صالحًا، وقال: إنني من المسلمين المنقادين لأمر الله وشرعه"^(١٣).
قال الحسن: "وعمل صالحا في إجابته"^(١٤).
عن قيس بن أبي حازم: " {وَعَمِلَ صَالِحًا} قال: الصلاة بين الأذان والإقامة"^(١٥).

-
- (١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٧٩/٧.
(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٧٩/٧.
(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٨٠/٧، ورواه الإسماعيلي في مسنده كما في مسند عمر لابن كثير (١٤٤/١) من طريق إبراهيم بن طهمان عن مطر عن الحسن البصري عن عمر به والحسن لم يسمع من عمر.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢١.
(٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١١٨): ص٦٠/٢، وانظر: الدر المنثور: ٣٢٥/٧، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه.
(٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١١٨): ص٦٠/٢.
(٧) انظر: زاد المسير: ٥٢/٤، ولم أفق عليه في شيء من كتب التفسير والأثر.
(٨) رواه النحاس في إعراب القرآن: ٤٣/٤، وانظر: المحرر الوجيز: ١٦/٥.
(٩) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وانظر: زاد المسير: ٥٢/٤.
(١٠) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٦/٥.
(١١) المحرر الوجيز: ١٥/٥.
(١٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٦/٥.
(١٣) التفسير الوسيط: ٧٠٥/٨. مجمع البحوث.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢١-٤٦٩.
(١٥) أخرجه الخطيب في تاريخه ٤٧١ / ٨ - ٤٧٢.

عن عاصم بن هُبَيْرَةَ، قال: "إذا فرغت من أذانك فقل: لا إله إلا الله، والله أكبر، وأنا من المسلمين. ثم قرأ: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}"^(١).

القرآن

{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)}
{وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)} [فصلت : ٣٤-٣٥]
التفسير:

ولا تستوي حسنة الذين آمنوا بالله، واستقاموا على شرعه، وأحسنوا إلى خلقه، وسيئة الذين كفروا به وخالفوا أمره، وأسأؤوا إلى خلقه. ادفع -أيها الرسول- بعفوك وحلمك وإحسانك من أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه، فبذلك يصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه قريب لك شفيق عليك. وما يُوقِّق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا على المكاره والأذى، وحملوا أنفسهم على ما يحبه الله، وما يُوقِّق لها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.
سبب النزول:

قال مقاتل: "وذلك أن أبا جهل كان يؤذي النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان النبي مبغضا له يكره رؤيته فأمر بالعفو والصفح"^(٢).

قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [فصلت : ٣٥]، أي: "ولا تستوي حسنة الذين آمنوا بالله، واستقاموا على شرعه، وأحسنوا إلى خلقه، وسيئة الذين كفروا به وخالفوا أمره، وأسأؤوا إلى خلقه، ادفع -أيها الرسول- بعفوك وحلمك وإحسانك من أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه"^(٣).

قال عن عطاء: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"، قال: بالسلام"^(٤).
عن مجاهد: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"، قال: السلام، أن تُسَلِّمَ عليه إذا لقيته"^(٥).
قوله تعالى: {فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت : ٣٥]، أي: "فبذلك يصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه قريب لك شفيق عليك"^(٦).
عن قتادة: "كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"، أي: كأنه ولي قريب"^(٧).
قال عكرمة: "الحميم: ذو القرابة. والولي: الصديق"^(٨).
قوله تعالى: {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا} [فصلت : ٣٥]، أي: "وما يُوقِّق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا على المكاره والأذى، وحملوا أنفسهم على ما يحبه الله"^(٩).
قال الحسن: "والله، لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظًا، ويصفح عن بعض ما يكره"^(١٠).

-
- (١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٧/ ٢٤١ (١٨٩٣)، والثعلبي ٨/ ٢٩٧.
 - (٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٧٤٣.
 - (٣) التفسير الميسر: ٤٨٠.
 - (٤) أخرجه الطبري: ٢١/ ٤٧١.
 - (٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٨٧، والطبري: ٢١/ ٤٧١، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦٢٣). وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
 - (٦) التفسير الميسر: ٤٨٠.
 - (٧) أخرجه الطبري: ٢١/ ٤٧٢.
 - (٨) الدر المنثور: ٧/ ٣٢٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
 - (٩) التفسير الميسر: ٤٨٠.
 - (١٠) الدر المنثور: ٧/ ٣٢٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

قوله تعالى: {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُو حَظٌّ عَظِيمٌ} [فصلت : ٣٥]، أي: "وما يُوقِّق لها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة"^(١).
 عن السدي، قوله: " {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُو حَظٌّ عَظِيمٌ}: ذو جد"^(٢).
 قال قتادة: " والحظ العظيم: الجنة"^(٣).

القرآن

{وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} {٣٦} [فصلت : ٣٦]
 التفسير:

وإما يلقيَنَّ الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة، فاستجر بالله واعتصم به، إن الله هو السميع لاستعاذتك به، العليم بأمر خلقه جميعها.
 قوله تعالى: {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [فصلت : ٣٦]، أي: " وإما يلقيَنَّ الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة، فاستجر بالله واعتصم به"^(٤).
 قال قتادة: " النَّزْعُ: الغضب"^(٥).

عن السدي: " {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ}، قال: وسوسة وحديث النفس"^(٦).
 عن ابن وهب: " قال ابن زيد {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ}، هذا الغضب"^(٧).
 عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال: " أخبرني رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلا قال يا رسول الله حدثني بكلمات أعيش بهن ولا تكثر على قال: «اجتنب الغضب»"^(٨).
 وفي الحديث: "إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق"^(٩).
 وفي الحديث: «أتحسبون الشدة في حمل الحجارة، إنما الشدة في أن يمتلئ أحدكم غيظا ثم يغلبه»^(١٠).

قوله تعالى: {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت : ٣٦]، أي: " إن الله هو السميع لاستعاذتك به، العليم بأمر خلقه جميعها"^(١١).

قال محمد ابن إسحاق: "أي: سميع ما يقولون، عليم بما يخفون"^(١٢).
 عن قتادة، قوله: " {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}، قال: علم الله أن هذا العدو مبتغ ومريد"^(١٣).

-
- (١) التفسير الميسر: ٤٨٠.
 (٢) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢١. قال السمانى ٥٣/٥: "والجد: هو البخت".
 (٣) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢١.
 (٤) التفسير الميسر: ٤٨٠.
 (٥) ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤ / ١٥٤.
 (٦) أخرجه الطبري: ٤٧٣/٢١.
 (٧) أخرجه الطبري: ٤٧٣/٢١.
 (٨) أخرجه ابن عساکر من طريق ابن أبي الدنيا (٤٦/٦٤) . وأخرجه أيضا: أحمد (٤٠٨/٥)، رقم (٢٣٥١٥) ، وابن أبي شيبة (٢١٧/٥)، رقم (٢٥٣٨٦).
 (٩) حديث عائشة: أخرجه أحمد (٧١/٦)، رقم (٢٤٤٧١) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (٤١٦/١) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٥٣/٥)، رقم (٦٥٦٠) . وأخرجه أيضا: البغوى فى الجعديات (٤٩٥/١)، رقم (٣٤٥٣) .
 حديث جابر: أخرجه البزار كما فى كشف الأستار (٤٠٤/٢) رقم (١٩٦٥) قال الهيثمى (١٩/٨) رجاله رجال الصحيح.
 (١٠) أخرجه أيضا: ابن المبارك فى الزهد (٢٥٦/١)، رقم (٧٤٠) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٠٦/٦)، رقم (٨٢٧٦).
 (١١) التفسير الميسر: ٤٨٠.
 (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٩٢): ص ١٦٤٠/٥.
 (١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٢٣): ص ١٦٣٩/٥.

أخرج ابن ابي حاتم بسنده عن أبي سليمان الداراني، قال: "لولا أن الله تبارك وتعالى أمرنا بالتعوذ من الشيطان ما تعودت منه أبداً لأنه لا يملك ضراً ولا نفعاً، وكان أبو سليمان لا يذكر قبلها من الشيطان اتباعاً لقول الله عز وجل"^(١).

قال قتادة: "دُكر لنا: أن نبيَّ الله - صلى الله عليه وسلم - بينما هو يصلي إذ جعل يَسْتَدُّ حتى يستلم السارية، ثم يقول: «ألعنك بلعنة الله التامة». فقال له بعض أصحابه: يا نبيَّ الله، ما شيء رأيناك تصنعه؟ قال: «أتاني الشيطانُ بشهاب من نار ليحرقني به، فلعنُّه بلعنة الله التامة، فانكَبَ لِفِيهِ، وطفئتُ ناره»"^(٢).
نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الثامن من التفسير، ويليه الجزء التاسع بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٣٧) من سورة «فصلت».

(١) تفسير ابن ابي حاتم (٨٦٩٢): ص ٥/١٦٤٠.

(٢) الدر المنثور: ٣٢٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المُنذر.